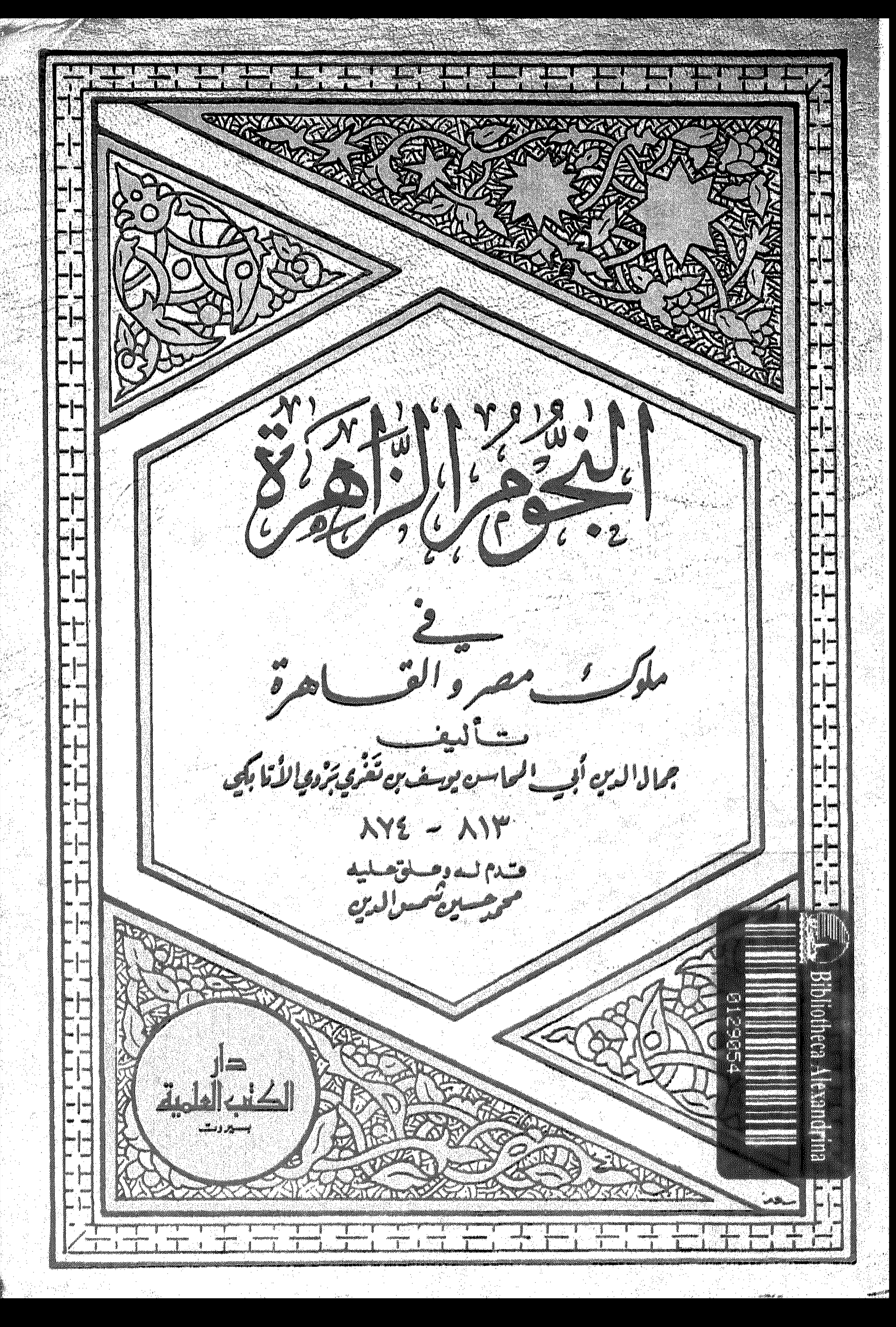
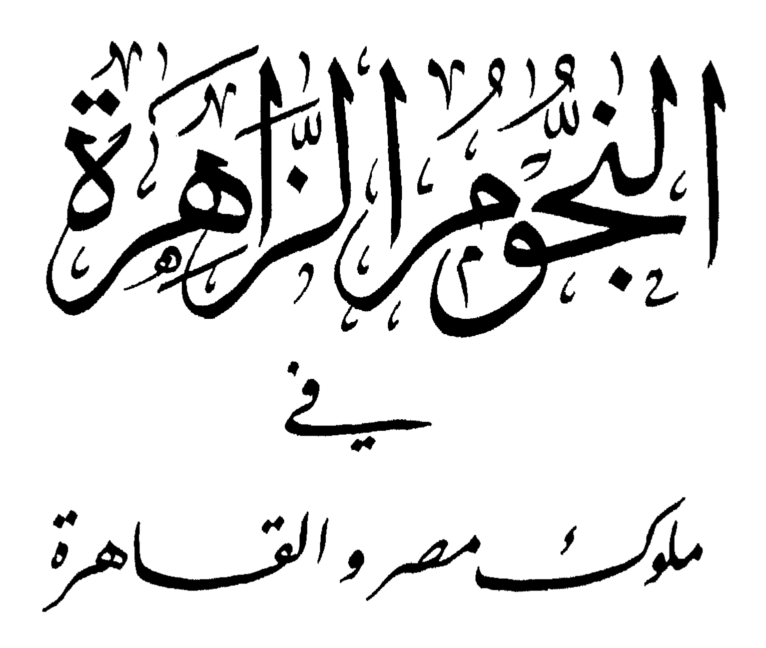

النجوم الزاهرة
في
ملوك مصر والقاهرة
تأليف
جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي
٨١٣ - ٨٧٤
قدم له وعلق عليه
محمد حسين شمس الدين
دار الكتب العلمية
بيروت
Bibliotheca Alexandrina



تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي
٨١٣ - ٨٧٤

قدم له وعلق عليه
محمد حسين شمس الدين

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

ذكر ولاية أحمد بن طُولون على مصر(١)

هو أحمد بن طُولون، الأميرُ أبو العبّاس التركيّ أميرُ مصرَ. وَلِي مصرَ بعد عزل أُرْخُوز(٢) بن أُولوغ طَرْخان في شهر رمضانَ سنة أربع وخمسين ومائتين، وقد مضى من عمره أربعٌ وثلاثون سنةً ويومٌ واحد.

وكان أبوه طُولون(٣) مولى نوح [بن أسد السامانيّ](٤) عامِل بُخَارى وخُراسان؛ أهداه نوح في جملة مماليكَ إلى المأمون بن الرشيد، فرقّاه المأمون حتى صار من جملة الأمراء. ووُلِد له آبنه أحمدُ هذا في سنة عشرين ومائتين، وقيل في سنة أربعَ عشرة ومائتين، ببغداد، وقيل بُسرَّ مَنْ رَأَى، وهو الأشهر(٥)، من جارية تُسَمّى هاشم، وقيل قاسم(٦). وقيل: إن أحمد هذا لم يكن آبنَ طُولون وإنما طولون تَبَنّاه.

---

(١) انظر ولاة مصر للكندي: ٢٣٩؛ وخطط المقريزي: ١/٣١٣؛ وحسن المحاضرة للسيوطي: ٢/١٢؛ ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة للمستشرق زامباور: ٤٢، ١٤٣؛ وطبقات سلاطين الإسلام لستانلي بول: ٦٦؛ ووفيات الأعيان لابن خلكان: ١/١٧٣؛ وسيرة أحمد بن طولون للبلوي؛ وسيرة أحمد بن طولون لابن الداية المتضمنة في كتاب المغرب في حلي المغرب لابن سعيد الأندلسي (قسم مصر)؛ ودائرة المعارف الإسلامية: ٢/٣٥٩؛ وكتب التواريخ العامة.

(٢) أوردنا الروايات المختلفة لهذا الاسم في ترجمة «أرخوز» في الجزء الثاني من هذا المطبوع، فلينظر.

(٣) ضبطه ابن خلكان بضم الطاء المهملة وسكون الواو وضم اللام وسكون الواو وبعدها نون. قال: وهو اسم تركي. وذكر العيني في عقد الجمان أن معناه: البدر الكامل.

(٤) الزيادة عن ابن خلكان: ١/١٧٣. ونوح هذا ولي سمرقند في أيام المأمون العباسي سنة ٢٠٤هـ؛ ثم صحب المأمون في إحدى زياراته لخراسان، وعاد معه إلى بغداد فلزم خدمته إلى أن ولاه ما وراء النهر سنة ٢٣٧هـ تابعاً لبني طاهر، فأقام إلى أن توفي فيها سنة ٢٤٥هـ، وخلفه أخوه أحمد بن أسد. (الأعلام: ٨/٥٠).

(٥) في سيرة أحمد بن طولون لكل من ابن الداية والبلوي أنه ولد سنة ٢٢٠هـ.

(٦) هي «قاسم» كما في روايتي ابن الداية والبلوي؛ وهي «هاشم» كما في رواية بدائع الزهور لابن إياس عن =

قال أبو عبد الله محمد[1] بن أبـي نَصْر الحُمَيْديّ: قال بعض المصريين: إن طُولون تبَنّاه لِمَا رأى فيه من مخايِل النجابة. ودخل عليه يوماً [وهو صغير][2]، فقال: بالباب قَوْمٌ ضُعفاء فلو كتبتَ لهم بشيء! فقال [له][2] طولون: ادخل إلى المقصورة وأْتني بدواة؛ فدخل أحمد فرأى بالدِّهليز جاريةً من حَظايا طولون قد خلا بها خادم، فأخذ أحمدُ الدواةَ وخرج ولم يتكلّم؛ فحَسِبت الجاريةُ أنه يَسْبِقُها إلى طولون بالقول، فجاءت إلى طولون وقالت: إنّ أحمد راودني الساعةَ في الدهليز، فصدّقها طولونُ، وكتب كتاباً لبعض خَدَمه يأمره بقتل حامل الكتاب من غير مَشُورة، وأعطاه لأحمد وقال: اذهب به إلى فلان؛ فأخذ أحمد الكتاب ومرّ بالجارية؛ فقالت له: إلى أين؟ فقال: في حاجة مهمّة للأمير في هذا الكتاب؛ فقالت: أنا أُرسله، وَلِي بك حاجة؛ فدفع إليها الكتاب فدفعته إلى الخادم المذكور، وقالت: اذهب به إلى فلان؛ وشاغلت أحمدَ بالحديث، أرادت بذلك أن يزداد عليه الأمير طُولون غضباً. فلما وقف المأمور على الكتاب قطع رأسَ الخادم وبعث به إلى طولون؛ فلما رآه عجِب وآستدعى أحمدَ وقال له: اصدُقني! ما الذي رأيتَ في طريقك إلى المقصورة؟ قال: لا شيء؛ قال: اصدُقني وإلا قتلتُك! فصدّقه الحديثَ؛ وعلمتِ الجاريةُ بقتل الخادم، فخرجت[3] ذليلة؛ فقال لها طُولون: اصدُقِيني فصدَّقْته فقتلها؛ وحَظِيَ أحمد عنده.

وقال أحمد[4] بن يوسف: قلت لأبي العباس بن خاقان: الناس فرقتان في

= إبراهيم بن وصيف شاه. وفي تاريخ ابن خلدون: «ناسم» بالنون، ولعله تحريف. ونقل ابن خلدون عن صدر الدين بن عبد الظاهر قوله: وقفت على سيرة للإخشيد قديمة عليها خط الفرغاني، وفيها أن أحمد هو ابن النج (كذا) من الأتراك، كان طولون صديق أبيه ومن طبقته، فلما مات النج رباه طولون وكفله.

(١) في الأصل: «أبو عبد الله نصر بن محمد الحميدي». والتصحيح من ابن خلكان: ٢٨٢/٤؛ ونفح الطيب: ١١٢/٢. وهو محمد بن فتّوح بن عبد الله الأزدي الميورقي الحميدي: مؤرخ محدث أندلسي من جزيرة ميورقة. توفي سنة ٤٨٨هـ. ومن أشهر كتبه «جذوة المقتبس».

(٢) زيادة عن طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان.

(٣) في الأصل: «فخارجت دليلة» وتحريفه واضح. والتصحيح من المرجع السابق عن مرآة الزمان وعقد الجمان.

(٤) هو أحمد بن يوسف بن إبراهيم البغدادي المصري، المعروف بابن الداية. وقد ولي أعمالاً ديوانية في =

ابن طُولون، فِرْقةٌ تقول: إنّ أحمد بـنُ طولون، وأخرى تقول: هو ابن يَلْبَـخ(١) التركيّ، وأمّه قاسم جارية طولون؛ فقال: كذبوا، إنما هو آبن طولون. ودليله أنّ المُوَفَّق لما لعنه نسبه إلى طُولون ولم يَنْسُبه إلى يَلْبَخ؛ ويَلْبَـخ مِضْحاك يُسْخَر منه، وطولون معروف بالسَّتر.

وقال أحمد بن يوسف المذكور: كان طولون رجلاً من أهل طُغُزْغُز(٢) حمله(٣) نوح بن أسد عامل بُخَارى إلى المأمون [فيما كان مُوَظَّفاً عليه من المال والرقيق والبَرَاذِين وغير ذلك في كلّ سنة](٤). وولد [له](٥) أحمدُ [سنة عشرين ومائتين](٥) من جارية، ومات أبوه طُولون في سنة أربعين ومائتين، وقيل: في سنة ثلاثين ومائتين، والأوّل أصح. انتهى كلام ابن يوسف.

ونشأ أحمد بن طُولون على مذهب جميل(٦)، وحفِظ القرآن وأتقنه(٧)، وكان من أطيب الناس صوتاً به، مع كثرة الدرس وطلب العلم؛ وتفقّه على مذهب الإمام

= العهد الطولوني، وصنف كتباً في سيرة بني طولون منها: «سيرة أحمد بن طولون» و«سيرة أبي الجيش خمارويه» و«سيرة هارون بن أبي الجيش» و«أخبار غلمان بني طولون». توفي نحو ٣٤٠هـ. (الأعلام: ١/٢٧٢).

(١) في الأصل: «مليح التركي». وما أثبتناه من سيرة ابن طولون للبلوي. ولعل لفظ «النج» الذي ورد في رواية ابن خلدون (راجع ص ٣، حاشية ٦) هو تحريف للفظ الذي أثبتناه هنا. انظر أيضاً النجوم، طبعة دار الكتب المصرية ج ٣، ص ٣، حاشية (١).

(٢) الرسم الشائع والمتفق عليه لهذا الاسم هو «التُغُزْغُز» وهو من التركية «طوقوز أوغوز». والاسم يشير إلى عدد القبائل التي يتألف منها هذا الشعب. والتغزغز جيل من الأتراك، وهم أسلاف الأويغور. وقد ذكر جغرافيو العرب خمسة شعوب بذاتها تتكلم لغة واحدة هي التركية، وهذه الشعوب هي: التغزغز، والخرخيز أي القرغيز، والكيماك، والغُزّ أي الأوغوز، والخرلج أي القرلق. (انظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة: أتراك، ومادة: تغزغز).

(٣) في الأصل: «فجاء نوح...» وما أثبتناه من المقريزي وابن الداية.

(٤) الزيادة عن المقريزي وابن الداية.

(٥) الزيادة عن ابن الداية.

(٦) عبارة المقريزي والبلوي: «ونشأ أحمد بن طولون نشأً جميلاً غير نشء أولاد العجم».

(٧) في الأصل: «أيقنه». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب.

الأعظم أبي حنيفة. ولما ترعرع أحمد تزوّج بابنة عمّه خاتون[١] فولَدتْ له العباس سنة اثنتين وأربعين ومائتين. ولما مات أبوه طولون فوّض إليه الخليفة المتوكّل ما كان لأبيه، ثم تنقّلت به الأحوالُ إلى أن وَلِي إمْرَة الثغور وإمرة دِمَشق ثم ديارَ مصر. وكان يقول: ينبغي للرئيس أن يجعل اقتصاده على نفسه وسماحَته على من يَقصِده ويشتمل عليه، فإنه يملِكهم مِلكاً لا يزول به عن قلوبهم. ونشأ أحمد بن طولون في الفقه والصلاح والدين والجودِ حتى صار له في الدنيا الذكر الجميلُ. وكان شديد الإزْرَاء على الترك وأولادهم لما يرتكبونه في أمر الخلفاء، غيرَ راض بذلك، ويستقِلّ عقولهم؛ ويقول: حرمة الدِّين عندهم مهتوكة.

وقال الخاقانيّ[٢] وكان خَصِيصاً عند ابن طولون ـــ: وقال لي يوماً (يعني ابنَ طولون): يا أخي [إلى][٣] كم نقيم على هذا الإثم مع هؤلاء الموالي! (يعني الأتراك)، لا نطأ[٤] مَوْطِئاً إلا كُتِب علينا الخطأ والإثم؛ والصواب ان نسأل الوزير[٥] أن

(١) عبارة المقريزي: «فزوجه ماجور ابنته وهي أم ابنه العباس وابنته فاطمة» وبعد هذا يقول المقريزي: «وقتل باكباك وردَّ جميع ما كان بيده إلى ماجور التركي حمو ابن طولون» وعبارة عقد الجمان: «ولما ترعرع خطب إلى يازكوج بنت عم له تعرف بخاتون فزوجه إياها فولدت له العباس». وعن كتاب «تاريخ ووصف الجامع الطولوني» طبع دار الكتب المصرية ص ١١٥، جاء في حاشية النجوم، طبع دار الكتب: «فزوجه يارجوخ التركي من أكابر رجال الدولة العباسية ابنته فولدت له العباس وفاطمة». ومن مقارنة روايات كل من الكندي والمقريزي وابن الأثير والعيني وسواهم يتضح لنا أن الأسماء: «ماجور، وأماجور، ويارجوخ، وياركوج، ويازكوج، ويارجوج» هي لمسمى واحد وهو أماجور التركي الذي فوض إليه الخليفة المهتدي بالله أمر مصر بعد مقتل باكباك أو بايكباك. وكان بايكباك قد أناب عنه أحمد بن طولون على مصر الفسطاط فقط، ثم ضمَّ إليه أماجور سائر أنحاء الديار المصرية على ما سيأتي.

(٢) هو أحمد بن محمد بن خاقان، كما في سيرة ابن طولون لابن الداية وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي تاريخ ابن خلدون: محمد بن أحمد بن خاقان ـ والخاقاني هذا كان صهر أحمد بن طولون، إذ كان ابن طولون متزوجاً من خديجة بنت الفتح بن خاقان الذي كان صاحب الإقطاع بمصر مدة من الزمن قبل أن يقتل مع الخليفة المتوكل. والمعروف أن ابن خاقان هذا صحب أخته العروس إلى مصر بعد العقد عليها سنة ٢٥٩هـ. (انظر كتاب المؤرخ ابن تغري بردي ـ مجموعة دراسات، ص ٣٧).

(٣) زيادة عن ابن الداية.

(٤) في الأصل: «يطؤون». وما أثبتناه من ابن الداية.

(٥) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل، كما في سيرة ابن طولون لابن الداية والفخري. وفي ابن خلدون: «عبد الله الوزير» وهو خطأ.

يكتب أرزاقنا إلى الثغر[١]؛ فسأله فكتب له وخرجنا إلى طَرَسُوس؛ فلما[٢] رأى ما الناس عليه من الأمر بالمعروف ومجانبة المنكر أنست نفسه فأقمنا نسمعَ الحديث مدّة، ثم رجعتُ أنا إلى سُرَّ من رأى، فآستقبلتْني أمّه قاسم بالبكاء وقالت: مات آبني! فحلَفت لها إنه في عافية؛ ثم عدت إلى طَرَسُوس فأخبرتُه بما رأيتُ من أمّه وقلت له: إن كنت أردت بمُقامك في هذه البلاد وجهَ الله وتَدَع أمّك كذلك فقد أخطأت؛ فوعدني بالخروج من طرسوس؛ ثم خرجنا ونحن زُهاء خمسمائة رجل ــ والخليفة يومئذ المستعينُ بالله ــ وخرج معنا خادم[٣] الخليفة ومعه ثياب مُثَمَّنة[٤] من عمل الروم، فسرنا إلى الرُّها[٥]؛ فقيل لنا: إنّ جماعة من قُطّاع الطريق على آنتظاركم، والمصلحة دخولكم حصنَ الرُّهَا حتى يتفرّقوا[٦]؛ فقال أحمد: لا يراني الله فارًّا[٧] وقد خرجتُ على نِيّة الجهاد! فخرجنا والتقينا، فأوقع

(١) عبارة عقد الجمان: «فسأل الوزير عبيد الله بن خاقان أن يكتب له بورقة على الثغور ليكون في جهاد متصل وثواب دائم». وعبارة المقريزي: «ثم إنه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر». وعبارة ابن خلدون: «وطلب من محمد بن أحمد بن خاقان أن يسأل عبد الله الوزير أن يكتب لهما بأرزاقهما إلى الثغر ويقيما هناك مجاهدين».

(٢) عبارة الأصل: «فلما رأى الناس منه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سروا بذلك» وهي غير مستقيمة. وما أثبتناه عبارة ابن الداية، وهي موافقة لما جاء في عقد الجمان والذهبي وابن خلدون.

(٣) قال المقريزي: «وكان المستعين قد أنفذ خادماً إلى بلاد الروم لحمل أشياء نفيسة، فلما عاد بها وهي وقر بغل إلى طرسوس خرج مع القافلة». وعبارة أبي المحاسن هنا توافق ما جاء في نص البلوي. أما عبارة ابن الداية فهي: «ومعنا خادم لأمه في جملة الغزاة».

(٤) يقال: ثوب مثمّن أي عمل من ثماني جزّات. ولعله يريد: ثياباً غالية الثمن. قال البلوي في سيرة أحمد بن طولون: ٣٦ «وكان قد اتفق أن المستعين بالله استحسن شيئاً يعمل ببلاد الروم، من بَزْيون (وهو ضرب من نسيج البز أو من رقيق الديباج) وكراسي حديد منقوشة بأحسن نقش يجري فيها الذهب، وأشياء يضنُّ بها الملك أن تخرج إلى أرض العرب».

(٥) قال ياقوت في معجم البلدان: الرها مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، سميت باسم الذي استحدثها وهو الرهاء بن البلندي بن مالك بن دعر. وفي بلدان الخلافة الشرقية للسترانج: مدينة في تركيا تعرف بأوسا، وقد سماها العرب الرهاء أو الرها، وهو تحريف للاسم اليوناني «كلرهو» وبعد انتقالها إلى أيدي الترك العثمانيين عرفت باسم «أورفا» وقيل إن هذا الاسم تحريف «الرها» العربي. والرها من مدن الجزيرة بجنوب تركيا الآن.

(٦) في الأصل: «فتتفرقوا». وما أثبتناه من عقد الجمان للعيني.

(٧) عبارة الأصل: «لا براني الله فاراً» وتحريفها واضح. وما أثبتناه هنا هو عبارة عقد الجمان. وعبارة =

بالقوم وقتل منهم جماعةً وهرَب الباقون؛ فزاد في أعين الناس مهابةً وجلالة؛ ووصل الخادم إلى المستعين بالثياب، فلما رآها استحسنها؛ فقال له الخادم: لولا آبن طُولون ما سلِمتُ ولا سلِمنا، وحكى له الحكاية؛ فبعث إليه مع الخادم ألفَ دينار سرّاً، وقال له: عرِّفه أنني أُحِبّه، ولولا خوفي عليه قرّبتُه.

وكان آبن طولون إذا أُدخل على المستعين مع الأتراك في الخدمة أومأ إليه الخليفة بالسلام سرّاً، وآستدام الإحسانَ إليه ووهَب له جارية آسمها مَيّاس[١]، فولدت له آبنه خُمَارَوَيْه في المحرّم من سنة خمسين ومائتين.

ولما تنكّر[٢] الأتراك للمستعين وخلَعوه وأحدَروه إلى واسِط، قالوا[٣] له: مَنْ تختار أن يكون في صحبتك؟ فقال: أحمد بن طُولون، فبعثوه معه فأحسن صُحْبتَه[٤]. ثم كتب الأتراك[٥] إلى أحمد: أُقتل المستعينَ ونُولّيك واسطاً[٦]؛ فكتَب إليهم: «لا رآني[٧] الله قتلتُ خليفةً بايعتُ له أبداً!» فبعثوا سعيداً[٨] الحاجب فقتل المستعين، فوارى أحمدُ بن طولون جثّته.

= ابن الداية: «لا يراني الله مختفياً من هؤلاء. اغلقوا الباب واحتفظوا من حصنكم. ثم قال للغزاة: أنا أتقدمكم، فمن خاف فليناد: يا أحمد الحقني...».

(١) في الأصل: «كامتاس». والتصحيح من البلوي وابن الداية والمقريزي وعقد الجمان.

(٢) كذا في سيرة ابن طولون وعقد الجمان. وفي الأصل: «ولما نكوا الأتراك المستعين... إلخ» وهو تحريف.

(٣) في الأصل: «وقالوا».

(٤) قال المقريزي: «ومضى به ابن طولون، فأحسن عشرته وأطلق له التنزه والصيد. وخشي أن يلحقه منه احتشام فألزمه كاتبه أحمد بن محمد الواسطي وهو إذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر النادرة فأنس به المستعين».

(٥) في المقريزي أن والدة المعتز قبيحة كتبت إلى أحمد بن طولون بقتل المستعين وقلدته واسط فامتنع من ذلك وكتب إلى الأتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة، فزاد محله عند الأتراك بذلك ووجهوا سعيداً الحاجب وكتبوا إلى ابن طولون بتسليم المستعين له فتسلمه منه وقتله». وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي أن المعتز أرسل إلى أحمد بن طولون أن يذهب إلى المستعين فيقتله، فقال: والله لا أقتل أولاد الخلفاء.

(٦) لفظ «واسط» يستعمل منصرفاً وغير منصرف ــ انظر في ذلك معجم البلدان: ٣٤٧/٥.

(٧) في الأصل: «لا أراني الله...» وهو غير مستقيم. وما أثبتناه من عقد الجمان. وفي سيرة ابن طولون: «والله لا أرى الله وأنا قد قتلت... إلخ».

(٨) هو سعيد بن صالح كما في ابن الأثير.

ولما رجع أحمد إلى سُرّ من رأى بعدما قُتِل المستعين أقام بها، فزاد محلُّه عند الأتراك فَوَلّوْه مصرَ نيابةً عن أميرها سنة أربع وخمسين ومائتين. فقال حين دخلها: «غايةُ ما وُعِدتُ به في قتل المستعين واسط، فتركتُ ذلك لله تعالى، فعوّضني ولاية مصر والشأم». فلما قُتِل والي مصرَ من الأتراك في أيّام الخليفة المهتدي صار أحمد بن طولون مستقلاً بها في أيام المعتمِد. وقيل: إنّه وَلِي الشأم نيابة عن باكباك[1]، فلمّا قُتِل باكباك آستقلّ، وكان حكمه من الفُرَات إلى المغرب.

وأوّل ما دخل مصر خرج بُغَا الأصغر، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طَبَاطَبَا، فيما بين[2] بَرْقَة والإسكندريّة في جُمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائتين، وسار إلى الصعيد، فقُتِل هناك وحُمِل[3] رأسُه إلى مصر في شعبان.

ثم خرج آبن الصوفيّ العلويّ، وهو إبراهيم بن محمد بن يحيى[4] [بن عبد الله بن محمد[5] بن عمر بن علي بن أبي طالب]، وتوجّه إلى إسنا[6] في ذي القَعْدة فنهَب [وقَتل أهلَها][4]؛ وقيل: إنّ أحمد بن طولون بعث إليه جيشاً[7] فكُسِر الجيش في ربيع الأوّل سنة ست وخمسين ومائتين، وأرسل إليه آبن طولون جيشاً آخر[8] فواقعوه بإخميم فهزموه إلى الواح[9].

(١) ويقال أيضاً «بايكباك». وفي ابن خلدون: «باك باك»، وقد قتله المهتدي ورتب مكانه أماجور التركي متولياً لأمر مصر ــ راجع أيضاً ص ٦، حاشية (١).

(٢) بموضع يقال له الكنائس، كما في الكندي. والكنائس اليوم من الكريون بمركز كفر الدوّار بمديرية البحيرة.

(٣) في الأصل: «وحملت». والرأس مذكر.

(٤) زيادة عن الكندي والمقريزي.

(٥) وفي سيرة ابن طولون للبلوي، ص ٦٢: «عبد الله بن علي بن محمد».

(٦) بصعيد مصر.

(٧) كان على رأس هذا الجيش رجل يدعى «ابن أزذاد» كما في الكندي ص ٢٤٠، وفي البلوي ص ٦٣: «ابن يزداد». وقد كانت المواجهة في بلدة «هو»، وهي بليدة قديمة على تلّ بالصعيد بالجانب الغربي دون قوص.

(٨) كان على هذا الجيش بُهْم بن الحسين، وانضم إليه ابن عُجَيف.

(٩) هي بلاد الواحات. واحدتها «واح» على غير قياس. وهي ثلاث واحات: الداخلة، والخارجة، والخاص. قال ابن دقماق: وهو إقليم غير متصل بغيره تحيط به المفاوز، وحيزه بين مصر والإسكندرية =

ثم خرج ابن طولون بنفسه لمحاربة عيسى بن الشيخ، ثم عاد وأرسل جيشاً[(١)].

ثم ورد عليه كتاب الخليفة[(٢)] بأنه يتسلّم الأعمال الخارجة عن أرض مصر؛ «تسلّم الإسكندرية [من إسحاق بن دينار] وخرج إليها لثمانٍ خَلَوْن من شهر رمضان [سنة ٢٥٧هـ][(٣)]، واستخلف على مصر طَغْلَج[(٤)] صاحب شرطته، ثم عاد إلى مصر

= والمغرب والصعيد والنوبة والحبشة، ومسافاته من كل ناحية مقاربة للأخرى. (الانتصار: ١١/٥، ومعجم البلدان: ٣٤١/٥) ــ وبقية خبر ابن الصوفي ننقله عن ولاة مصر للكندي، ص ٢٤٠ وما بعدها. قال: وأقام ابن الصوفي في الواح سنتين، ثم خرج إلى الأشمونين في المحرم سنة ٢٥٩هـ فبعث إليه ابن طولون بأبي المغيث (وفي البلوي: بابن أبي المغيث، وفي ابن الأثير: بابن أبي الغيث) في خمس مائة، فوجد ابن الصوفي قد سار إلى أسوان لمحاربة أبي عبد الرحمن العمري، فظفر به العمري وبجميع جيشه فقتل منهم مقتلة عظيمة. ورجع ابن الصوفي إلى أسوان فقطع لأهلها ثلاث مئة ألف نخلة، وظهر فساده بها. فبعث أحمد بن طولون بابن سيما مدداً لبُهم بن الحسين. واضطرب أمر ابن الصوفي مع أصحابه فتركهم ومضى إلى عيذاب، فركب البحر إلى مكة فأقام بها. ثم بعث به منها بعد ذلك بحين إلى أحمد بن طولون فسجنه، ثم أطلقه، فخرج إلى المدينة فمات.

(١) الخبر بهذا الشكل غير واضح؛ وهذا بسبب الاختصار الشديد الذي يلجأ إليه أبو المحاسن في بعض الأحيان، في حين نراه يطنب حيث لا ضرورة للإطناب. وللتوضيح ننقل عن الكندي ص ٢٤١: «وكان عيسى بن الشيخ، بن السليل الشيباني والياً على فلسطين والأردن، ثم تغلّب على دمشق، وامتنع من حمل المال إلى العراق. فحمل ابن المدبّر صاحب خراج مصر إلى العراق سبع مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، فعارضها عيسى بن الشيخ فذهب بها. وكتب المعتمد إلى أحمد بن طولون بالخروج إليه وتسلم أعماله، ففرض أحمد بن طولون فروضاً واتخذ السودان فأكثر (وكانت هذه مناسبة استغلها ابن طولون ليقوي جيشه ويكثر من عديده وعدّته) ثم رأى أن يكاتبه قبل شخوصه إليه، فكتب إليه مع قيس بن حفص كاتب بكار القاضي وأحمد بن يحيى السراج، فرجعا بما لم يوافق أحمد بن طولون (ولم يشر الكندي أو غيره إلى مواجهة بينهما) ــ ثم ينهي الكندي بقوله: وبُعث إلى عيسى بن الشيخ بماجور فحاربه، فانهزم أصحاب عيسى وقتل ابنه بمصر، وتسلم ماجور أعمال الشام.

قارن أيضاً بالمقريزي: ٣١٥/١ وفيه أن أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني كان يتقلد جندي فلسطين والأردن، فلما مات وثب ابنه على الأعمال واستبد بها، فبعث ابن المدبر سبعماية ألف وخمسين ألف دينار حملاً من مال مصر إلى بغداد فقبض ابن شيخ عليها... إلخ. قلت: وفي خبر المقريزي أكثر من خطأ في أسماء الأشخاص والسياق التاريخي.

(٢) في الكندي: «وورد كتاب يارجوخ» وفي ابن الأثير: «ياركوج» وفي عقد الجمان: «يازكوج»، وهو نفسه «ماجور» الذي يذكره المقريزي.

(٣) زيادة عن الكندي.

(٤) في الكندي: «طغلغ». وفي المقريزي: «طغج».

لأربعَ[1] عشرةَ من شوّال، وسخِط على أخيه موسى وأمره بلباس البياض؛ ثم خرج إلى الإسكندرية ثانياً [لثمان بقين من][2] شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين، ثم عاد في شوّال. ثم ورد عليه كتاب المعتمِد يستحثّه في جمع الأموال؛ فكتب إليه ابن طولون: لستُ أُطيق ذلك والخراجُ في يد غيري؛ فأرسل المعتمِد على الله إليه نَفِيساً الخادم بتقليده الخراجَ وبولايته الثغورَ الشاميّة. فأقرّ أحمدُ بن طولون عند ذلك أبا أيّوب أحمدَ بنَ محمد [بن شُجَاع][2] على الخراج، وعقَد لطَخْشِيّ بن بلبرد[3] على الثغور، فخرج إليها في سنة أربع وستين ومائتين، فصار الأمر كلّه بيد أحمد بن طُولون، وقَوِيت شوكتُه بذلك وعظُم أمره بديار مصر.

ولما كان في بعض الأيام ركِب يوماً ليتصيّد بمصر فغاصت قوائم فرسه في الرمل فأمر بكشف ذلك الموضع فظفِر بمَطْلَب فيه ألفُ ألفِ دينار، فأنفقها في أبواب البِرّ والصدقات، كما سيأتي ذكرها. وكان يتصدّق في كل يوم بمائة[4] دينار غير ما كان عليه من الرواتب، وكان يُنفِق على مطبخه في كلّ يوم ألفَ دينار، وكان يبعَث بالصدقات إلى دِمَشق والعراق والجزيرة والثغور وبغدادَ وسُرّ من رأى والكوفة والبصرة والحرمين وغيرِها؛ فحُسِب ذلك فكان ألفَيْ[5] ألفِ دينار ومِائتي ألف دينار. ثم بَنَى الجامع الذي بين مصرَ وقبة[6] الهواء على جبل يَشْكُر خارج القاهرة وغرِم عليه أموالاً عظيمة.

قال أحمد الكاتب: أنفق عليه مائةَ ألف دينار وعشرين ألفَ دينار. وقال له

---

(١) كذا في الكندي والمقريزي. وفي الأصل: «رابع عشر شوّال».

(٢) الزيادة عن الكندي والمقريزي.

(٣) كذا في المقريزي والكندي. وفي الأصل: «طخشي بن تامرد». وفي البلوي ص ٩١: «طخشي بن بلبرده». وفي ابن الداية ص ٩٢ «طخشي بن بلين»، وفيه ص ٩٨: «طخشي بن بلزد».

(٤) في بدائع الزهور: «كان يتصدّق في كل أسبوع على فقراء البلد بثلاثة آلاف دينار، غير الرواتب الجارية على أهل المساجد والزوايا، في كل شهر ألف دينار. وكان يرسل إلى مجاوري الحرمين في كل سنة كسوة الشتاء والصيف».

(٥) في المقريزي وعقد الجمان: «ألف ألف دينار».

(٦) قبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل الآن. راجع فهرس الأماكن.

الصنّاع: على أيّ مثال نعمل المنارة؟ وما كان يَعبَث قطّ في مجلسه، فأخذ دَرْجاً من الكاغَد وجعل يعبث به فخرج بعضه وبَقِي بعضه في يده، فعجِب الحاضرون، فقال: اِصنعوا المنارة على هذا المثال[١]، فصنعوها.

ولما تمّ بِناء الجامع رأى أحمد بن طُولون في منامه كأنّ الله تعالى قد تجلّى للقُصُور[٢] التي حول الجامع ولم يتجلّ للجامع، فسأل المُعَبِّرين فقالوا: يخرَب ما حوله ويبقَى قائماً وحدَه؛ قال: من أين لكم هذا؟ قالوا: من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[٣]، وقوله ﷺ: «إذا تجلّى الله لشيءٍ خضَع له»[٤]. وكان كما قالوا.

وقال بعضهم: إنّ الكنز[٥] الذي لقِيه ابن طُولون منه عمّر الجامع المذكور. وكان بناؤه في سنة تسع[٦] وخمسين ومائتين.

---

(١) ذكر المقريزي في الخطط: ٢/٢٦٦ أن ابن طولون بنى جامعه على بناء جامع سامراء، وكذلك المنارة. وقال ابن دقماق في الانتصار: ٤/١٢٤ «ومنارة هذا الجامع من أغرب المنائر عمارة لأن مراقيها من ظاهرها، يطلع عليها إلى أعلاها من ظاهرها بدرج عريضة تسع جملين محملين يصعدان إليها».

(٢) في الأصل: «قد تجلى للمقصورة التي حول الجامع» وهو تحريف. وما أثبتناه من عقد الجمان. وفي المقريزي: «قد تجلى ووقع نوره على المدينة التي حول الجامع».

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٤) أخرجه النسائي في سننه (كتاب الكسوف، باب ١٦) من حديث النعمان بن بشير بلفظ: «إن الله تعالى إذا بدا لشيء من خلقه خشع له». وأخرجه ابن ماجة في سننه (كتاب إقامة الصلاة، باب ١٥٢) بلفظ: «إذا تجلّى الله لشيء من خلقه خشع له».

(٥) نقل المقريزي عن جامع السيرة الطولونية (خطط: ٢/٢٦٧) أن هذا الكنز هو الكنز الذي شاع خبره وكتب به إلى العراق أحمد بن طولون يخبر المعتمد به ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر وغيرها، فبنى منه البيمارستان؛ ثم أصاب بعده في الجبل مالاً عظيماً بنى منه الجامع ووقف جميع ما بقي من المال في الصدقات ــ قال: وكان ابن طولون يصلي الجمعة في المسجد الملاصق للشرطة، فلما ضاق عليه بنى الجامع الجديد مما أفاء الله عليه من المال الذي وجده فوق الجبل في الموضع المعروف بتنور فرعون، ومنه بنى العين». ونقل ابن إياس في بدائع الزهور (ج ١، قسم ١، ص ١٦٢) عن ابن وصيف شاه أن أحمد بن طولون وجد في ذلك الكنز دنانير ذهباً، كل دينار قدر الرغيف؛ ووجد به إنسان ميت، فكان طول كل عظمة من أضلاعه أربعة عشر شبراً، وعرضه نحو شبر. وعن صاحب مرآة الزمان أن أحمد بن طولون أرسل جثة (كذا) هذا الميت إلى بغداد حتى شهدها الخليفة.

(٦) في بدائع الزهور أنه ابتدأ ببنائه سنة ٢٦٣هـ وفرغ منه سنة ٢٦٦هـ. وفي المقريزي: ٢٦٣هـ ــ ٢٦٥هـ. وفي الانتصار: ٢٥٩هـ ــ ٢٦٥هـ. وذكر تواريخ أخرى عن القضاعي والحافظ جمال الدين اليغموري.

وأما أمر الكنز فإنه ذكر غيرُ واحد من المؤرّخين أنّ أحمدَ بنَ طُولون كان له كاتب يعرب بابن دَشُومَةَ[١] وكان واسع الحيلة بخيلَ اليد زاهداً في شكر الشاكرين، لا يَهِشّ إلى شيء من أعمال البِرّ؛ وكان ابن طُولون من أهل القرآن إذا جرت منه إساءة آستغفر وتضرّع؛ واتّفق أنّ الخليفة المعتمِد أمر ابنَ طُولون أن يتسلّم[٢] الخراج حسبما ذكرناه، فآمتنع من المظالم لدِينِه، ثم شاور كَاتبه آبن دَشُومة المذكور، فقال ابن دشومَة: يؤمِّنُنِي الأمير لأقول له ما عندي؟ فقال أحمد بن طولون: قل وأنت آمن؛ فقال: يعلم الأمير أن الدنيا والآخرة ضَرّتان، والشهم[٣] من لم يخلِط إحداهما بالأخرى، والمُفَرِّط من جمَع بينهما؛ وأفعال الأمير أفعال الجبابرة[٤]، وتوكُّلُه توكّل الزهّاد، وليس مثله من ركِب خُطّة لم يُحْكِمها، ولو كنّا نثِق[٥] بالنصر وطولِ العمر لما كان شيء آثَرَ عندنا من التضييق على أنفسنا في العاجل لعِمارة الآجِل، ولكن الإنسان قصيرُ العمر كثير المصائب والآفات[٦]؛ وهذه المظالم قد آجتمع لك منها في السنة ما قَدْرُه مائةُ ألف دينار؛ فبات أحمد بن طُولون ليلته وقد حرّكه قولُ ابن دَشُومة، فرأى فيما يرى النائم صديقاً له كان من الزهّاد مات لمّا كان ابن طولون بالثغر قبل دخوله إلى مصر، وهو يقول له: بئس ما أشار عليك ابن دشومة في أمر الأرتفاق[٧]، وآعلم أنه من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه؛ فآرجِع إلى ربّك، وإن كان التكاثر والتفاخر قد شغلاك عنه في هذه الدنيا. فأمِض ما عزَمت عليه

(١) كذا في سيرة ابن طولون لابن الداية. وفي المقريزي: «عبد الله بن دسومة، وهو يومئذ أمين على أبـي أيوب متولي الخراج». وفي الأصل: «ابن دشويه».

(٢) في الأصل: «أن يتكلم في الخراج». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب المصرية. وعبارة المقريزي عن جامع السيرة الطولونية: «لما ورد على ابن طولون كتاب المعتمد بما استدعاه من رد الخراج بمصر إليه».

(٣) في المقريزي: «والحازم»، وهي أنسب في المقام.

(٤) في المقريزي: «الخير».

(٥) كذا في المقريزي وسيرة ابن طولون. وفي الأصل: «ونرجو له النصر وطول العمر، وإنا لما سئمنا التضييق على أنفسنا... إلخ».

(٦) في المقريزي: «مدفوع إلى الآفات».

(٧) في الأصل: «الإنفاق». وما أثبتناه من سيرة ابن طولون والمقريزي. والمراد بالارتفاق المكوس والضرائب التي كان ابن المدبر عامل الخراج قد أثقل بها كاهل الشعب والتي يسميها أبو المحاسن «المظالم».

وأنا ضامن لك من الله تعالى أفضلَ العِوَض منه قريباً غير بعيد. فلما أصبح أحمد بن طُولون دعا ابنَ دشومة فأخبره بما رأى في نومه؛ فقال له ابن دشومة: أشار عليك رجلان: أحدهما في اليقظة والآخرُ في المنام، وأنت لمن في اليقظة أوجدُ وبضمانه أوثق؛ فقال ابن طُولون: دعني من هذا؛ وأزال جميعَ المظالم ولم يلتفت إلى كلامه. ثم ركِب أحمدُ بن طولون إلى الصيد، فلما سار في البَرِّيّة آنخفست الأرض برِجل فرس بعض أصحابه في قبرٍ في وسط الرمل؛ فوقف أحمد بن طولون عليه وكشفه فوجد مَطْلَباً واسعاً، فأمر بحمله فحُمِل منه من المال ما قيمته ألفُ ألِف دينار؛ فبنى منه هذا الجامع والبئر[١] بالقرافة الكبرى والبِيمَارِسْتان[٢] بمصر ووجوه البِرّ، ثم دعا بآبن دَشُومة المقدّم ذكره وقال: والله لولا أنّي أمّنتك لصلبتك، ثم بعد مدّة صادره وآستصفى أموالَه، وحبسه حتى مات.

وقيل: إن ابن طولون لما فَرغ من بناء جامعه المذكور أمر حاشيتَه بسماع ما يقول الناس فيه من الأقوال والعيوب؛ فقال رجل: مِحرابُه صغير، وقال آخر: ما فيه عمود، وقال آخر: ليست له مِيضأة؛ فبلغه ذلك فجمع الناس وقال: أما المحرابُ فإني رأيت النبيّ ﷺ وقد خطّه لي في منامي، وأصبحتُ فرأيت النمل قد طافتْ بذلك المكان الذي خطّه لي رسول الله ﷺ؛ وأما العَمَدُ فإنّي بنيت هذا الجامعَ من مال حلال وهو الكَنز، وما كنت لأشُوبَه بغيره؛ وهذه العمد إما أن تكون في[٣] مسجد أو كنيسة فنزّهته عنها؛ وأما المِيضأة فإني نظرتُ فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهّرته عنها، وهأنا أبنيها خلفَه، وأمر ببنائها.

---

(١) وتسمى البئر الطولونية. قال في الخطط التوفيقية، ٣/٣٧٢: «هي البئر الساقية الموجودة الآن قبل محطة البساتين بقليل، والعيون متصلة بها، يعني عيون ابن طولون». وعن القرافة ـــ وهي مقابر أهل مصر ـــ انظر خطط المقريزي: ٢/٤٤٢ ـــ ٤٤٥. والمراد بالقرافة الكبرى ما كان من المقابر في شرقي مصر بجوار المساكن، أما القرافة الصغرى فهي المقابر التي كانت في سفح جبل المقطم (المصدر السابق).

(٢) ذكر المقريزي ـــ عن أبي عمر الكندي في كتاب الأمراء ـــ أن ابن طولون بناه سنة ٢٥٩هـ، وعن جامع السيرة الطولونية أنه بناه سنة ٢٦١هـ. قال: ولم يكن قبل ذلك مارستان، ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودوره في الأساكنة والقيسارية وسوق الرقيق، وشرط في المارستان أن لا يعالج فيه جندي ولا مملوك، وعمل له حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء. (خطط: ٢/٤٠٥).

(٣) في المقريزي: «من» وهي أوضح. والمراد: أن تكون مأخوذة من مسجد أو كنيسة.

وقيل: إنه لمّا فرغ من بنائه رأى في منامه كأنّ ناراً نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله من العُمْران؛ فلمّا أصبح قصّ رُؤْياه فقيل له: أبشر بقبول الجامع المبارك، لأنّ النار كانت في الزمن الماضي إذا قبِل الله قُرْباناً نزلت نار من السماء أخذته، ودليله[1] قِصة قابيلَ وهابيلَ[2].

وكان حولَ الجامع العُمرانُ ملاصقة له، حتى قيل: إن مسطبة كانت خلف الجامع، وكانت ذراعاً في ذراع لا غيرُ، فكانت أجرتها في كلّ يوم آثني عشر درهماً: في بُكْرة النهار يقعُد فيها شخص يبيع الغزل ويشتريه بأربعة دراهم؛ ومن الظهر إلى العصر لخبّاز بأربعة دراهم؛ ومن العصر إلى المغرب لشخص يبيع فيها الحِمّص والفولَ بأربعة دراهم. قلت: هذا مما يدل على أن الجامع المذكور كان في وسط العُمْران.

وهذا الجامع على جبل يَشْكُر ـ كما ذكرناه ـ وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء، وقيل: إنّ موسى عليه السلام ناجَى ربّه ـ جلّ جلاله ـ عليه بكلمات. ويَشْكُر المنسوبُ إليه هذا الجبل هو آبن جَزِيلة[3] من لَخْم. انتهى.

---

(١) كذا في المقريزي. وعبارة الأصل: «نزلت نار من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله من العمران فأخذته قصة قابيل وهابيل». وذكر السيوطي في حسن المحاضرة: ٢/١٨١ رواية أخرى مفادها أن ابن طولون رأى في منامه كأن الله تجلى للقصور التي حول الجامع ولم يتجلَّ للجامع، فسأل المعبرين فقالوا: يخرب ما حوله ويبقى الجامع قائماً وحده. قال: ومن أين لكم هذا؟ قالوا: من قوله تعالى: ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا تجلى الله لشيء خضع له» فكان كما قالوا.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المائدة: الآية ٢٧: «واتْلُ عليهم نبأ ابنَيْ آدَمَ بالحق إذ قرَّبا قرباناً فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتَقَبَّلْ من الآخر قال: لأقتلنَّك، قال: إنما يتقبَّل الله من المتَّقين﴾. وقد اختلف أهل العلم في سبب تقريب ابني آدم القربان، وسبب قبول الله عز وجل ما تقبّل منه، ومن اللذان قربا؟ ومن ذلك أن هابيل وقابيل قربا قرباناً، فقرّب هابيل خير غنمه وأسمنها، وقرّب قابيل بعض زرعه، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وكان ذلك علامة القبول. (انظر جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري: ١٠/٢٠١ وما بعدها، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي: ٦/١٣٣ وما بعدها).

(٣) ويقال أيضاً: «يشكر بن جديلة» بالدال المهملة. و«يشكر»: قبيلة من قبائل العرب اختطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بها. وكان هذا الجبل يشرف على النيل، وليس بينه وبين النيل شيء، وكان يشرف =

وأنفق ابن طُولون على البِيمارِستان ستين ألفَ دينار، وعلى حصن[1] الجزيرة ثمانين ألف دينار، وعلى المَيْدان[2] خمسين ألف دينار؛ وحمل إلى الخليفة المعتمِد في مدة أربع سنين ألفي ألف دينار ومائتي ألف دينار. وكان خراج مصر في أيامه أربعة آلاف ألف وثلاثمائة ألف دينار؛ هذا مع كثرة صدقاته وإنفاقه على مماليكه وعسكره. وقد قال له وكيلُه[3] في الصدقات: ربما آمتدّت إليّ الكفّ المطوّقة والمِعصم فيه السِّوار والكُمّ الناعم، أفأمنع هذه الوظيفة[4]؟ فقال له: ويحك! هؤلاء المستورون الذين يحسَبهم الجاهل أغنياء من التعفف، إحذر أن تردّ يداً آمتدّت إليك.

وقيل: إنه حسّن له بعض التجار التجارة، فدفع له أحمد بن طُولون خمسين ألف دينار يتّجر له بها؛ فرأى ابن طولون بعد ذلك في منامه كأنه يُمَشمِش عظْماً، فدعا المعبّر وقصّ عليه؛ فقال: قد سمَتْ هِمّتك إلى مكسب لا يُشْبه خَطَرَك[5]؛ فأرسل ابن طولون في الحال إلى التاجر وأخذ المالَ منه فتصدّق به.

= على بركة الفيل وبركة قارون المعروفة اليوم بالبغالة. وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل إرسالها إلى الثغور. وكان بجوار جبل يشكر الكبش، وكان يشرف على النيل من غربيه، ثم لما اختط المسلمون مدينة الفسطاط بعد فتح مصر صار الكبش من جملة خطة الحمراء القصوى. (الخطط التوفيقية: ٢/٣١٠).

(١) المراد به حصن جزيرة الروضة الذي عمره أحمد بن طولون سنة ٢٦٣هـ، ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل. (خطط المقريزي: ٢/١٨٤).

(٢) ويعرف بميدان ابن طولون. قال المقريزي: وقد بناه وتأنق فيه تأنقاً زائداً، وعمل فيه المناخ وبركة الزئبق والقبة الذهبية. وكان هذا الميدان كبيراً يضرب فيه بالصوالجة، فسمي القصر كله الميدان. وعمل للميدان أبواباً لكل باب اسم. (المقريزي: ١/١٩٧ و٢/٣١٥).

(٣) هو إبراهيم بن قراطغان، كما في المقريزي: ١/٣١٦، والبلوي: ١٩٨.

(٤) هذه عبارة مرآة الزمان، وقد أثبتتها طبعة دار الكتب المصرية. وعبارة الأصل: «ربما امتدت عليّ الكف والمعصم في السوار والكم، افأمنع هذه الصفة؟». وعبارة المقريزي: «إنا نقف في المواضع التي تفرّق فيها الصدقة فتخرج لنا الكف الناعمة المخضوبة نقشاً، والمعصم الرائع فيه الحديدة، والكف فيه الخاتم، فقال: يا هذا، كل من مدَّ يده إليك فأعطه، فهذه هي اللطيفة المستورة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال: «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف»، فاحذر أن تردَّ يداً امتدت إليك. وفي شذرات الذهب: «أفأمنع هذه الطبقة؟» ولعلها الأنسب. قارن أيضاً برواية البلوي في سيرة أحمد بن طولون، ص ١٩٨ ــ ١٩٩.

(٥) في الأصل: «حظوك» وهو تحريف. وما أثبتناه من تاريخ الإسلام للذهبي.

وكان جميعُ خِصال ابن طُولون محمودةً، إلا أنه كان حادّ الخُلُق والمِزاج؛ فإنه لما وَلِي مِصر والشام ظلَم كثيراً وعسَف وسفك كثيراً من الدماء. يقال: إنه مات في[1] حبسه ثمانيةَ عشرَ ألفاً، فرأى في منامه كأنّ الحق سبحانه قد مات في داره، فآستعظم ذلك وآنتبه فَزِعاً، وجمَع المعبِّرين فلم يدروا؛ فقال له بعضهم: أقول ولِي الأمان؟ قال نعم؛ قال: أنت رجل ظالم، قد أمتَّ الحقّ في دارك! فبكى.

وكان فيه ذكاء وفِطنة وحَدْس ثاقب. قال محمد بن عبد الملك الهَمَذانيّ[2]: إن ابن طولون جلس يأكل، فرأى سائلاً فأمر له بدجاجة ورغيفٍ وحَلْوَاء، فجاءه الغلام فقال: ناولتُه فما هَشّ له؛ فقال ابن طولون: عليّ به؛ فلما مَثَل بين يديه لم يضطرب من الهيبة؛ فقال له ابن طولون: أحضر لي الكتب التي معك وآصدقني، فقد صحّ عندي أنك صاحب خَبَر، وأحضر السياط فآعترف؛ فقال له بعض من حضر: هذا والله السحر الحلال! قال ابن طولون: ما هو سحر ولكنّه قياسٌ صحيح؛ رأيت سوء حاله فسيّرت له طعاماً يَشْرَهُ له الشبعانُ فما هَشّ له، فأحضرتُه فتلقّاني بقوّة جأش، فعلِمت أنه صاحب خبر لا فقير، فكان كذلك.

وقال أبو الحسين الرازيّ: سمِعت أحمد [بن أحمد][3] بن حُمَيْد بن أبي العجائز وغيرَه من شيوخ دِمَشق قالوا: لما دخل أحمد بن طُولون دِمَشْقَ وقع بها حريق عند كنيسة مريم، فركِب ابن طولون إليه ومعه أبو زُرْعة النَّصري[4] وأبو عبد الله أحمد بن محمد الواسِطِيّ كاتبه؛ فقال ابن طولون لأبي زُرعةَ: ما يسمّى هذا الموضِع؟ قال: كنيسة مريم؛ فقال أبو عبد الله: أكان لمريم كنيسة؟ قال:

---

(١) في الأصل: «وفي». وهي غير مناسبة للسياق. وما أثبتناه يوافق رواية عقد الجمان وبدائع الزهور.

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن الهمذاني: من كبار المؤرخين. توفي سنة ٥٢١هـ. وهو من شيوخ الحافظ ابن عساكر. من تصانيفه: عنوان السير، وطبقات الفقهاء، وأخبار الوزراء، والذيل على تاريخ الطبري، وذيل على تاريخ الوزير أبي شجاع التالي لكتاب تجارب الأمم لمسكويه. (الأعلام: ٦/٢٤٨).

(٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي.

(٤) في الأصل: «البصري». وفي تاريخ الإسلام: «النضري» وكلاهما تحريف. وفي عقد الجمان: «ومعه أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي... إلخ» وهو اسمه على الصحيح. وما أثبتناه من الأعلام للزركلي والأنساب للسمعاني. والنصري: نسبة إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

ما هي من بناء مريم، وإنما بَنْوها على آسمها؛ فقال ابن طولون: ما لك وللاعتراض على الشيخ! ثم أمر بسبعين ألف دينار من ماله، وأن يُعْطَى لكل من آحترق له شيء ويُقبَل قولُه ولا يُستحلَف، فأعطَوْا لمن ذهَب ماله، وفضَل من المال أربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ ثم أمر بمال عظيم أيضاً ففُرّق في فقراء أهل دمشق والغُوطَة، وأقلّ[١] ما أصاب الواحد من المستورين دينار.

وعن محمد بن علي الماذَرَائِيّ[٢] قال: كنت أجتاز بتُرْبة أحمد بن طولون فأرى شيخاً ملازماً للقراءة[٣] على قبره، ثم إني لم أره مدّة، ثم رأيته فسألته فقال: كان له علينا بعض العدل إن لم يكن الكلّ[٤]، فأحببتُ أن أصله بالقراءة؛ قلت: فلِمَ آنقطعت؟ قال: رأيتُه في النوم وهو يقول: أُحِبّ ألاّ تقرأ عندي، فما تمرّ بآية إلا قُرِّعتُ بها وقيل: أَمَا سمِعت هذه! انتهى.

قلت: ولمّا وَلِي أحمد بن طولون مصرَ سكن العَسكَر[٥] على عادة أمراء مصر من قبله، ثم أحب أن يبني له قصراً فبنَى القطائع. والقطائع قد زالت آثارها الآن من مصر ولم يبق لها رسم يُعرف، وكان موضعها من قبّة الهواء[٦]، التي صار مكانَها الآن قلعة الجبل[٧]، إلى جامع ابن طولون المذكور وهو طول القطائع،

---

(١) عبارة الأصل: «وأقلّ من إصابة المستورين دينار» وهي غير واضحة. وما أثبتناه من طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) في الأصل: «الماردينى». وفي عقد الجمان والمقريزي: «المارداني» وجميعها تحريف. وهو محمد بن علي بن أحمد بن رستم، أبو بكر الماذرائي. أصله من «ماذرايا» من قرى البصرة. دخل مصر سنة ٢٧٢هـ وخلف أباه في ولاية النظر في أمور خمارويه بن أحمد بن طولون. ثم استوزره هارون بن خمارويه إلى أن زالت دولة بني طولون. توفي سنة ٣٤٥هـ. ولابن زولاق كتاب كبير في سيرته. (الأعلام: ٦/٢٧٣).

(٣) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل والذهبي: «ملازماً للقبر». وفي شذرات الذهب: «كان بعض الناس يقرأ عند قبره». وفي بدائع الزهور: «كنت أرى شيخاً من أهل العلم يقرأ على قبره».

(٤) عبارة بدائع الزهور: «كان له عليَّ من البرّ والإحسان ما لا أطيق وصفه، فأحببت أن أواسيه بشيء من القرآن بعد موته».

(٥) راجع فهرس الأماكن.

(٦) هي القبة التي ابتناها حاتم بن هرثمة. (انظر المقريزي: ٢/٢٠٢).

(٧) وهي القلعة التي شرع في بنائها صلاح الدين الأيوبي لتكون له معقلاً وحصناً يعتصم به من أعدائه وخاصة شيعة الفاطميين، وأتمّ بناءها وبناء سورها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. (انظر خطط المقريزي: ٢/٢٠٣، والخطط التوفيقية: ١/٦٩).

وأما عرضها فإنه كان من أوّل الرُّمَيْلة من تحت القلعة إلى الموضع الذي يُعْرف الآن بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن زين العابدين[١]؛ وكانت مساحة القطائع مِيلاً في ميل[٢]. وقبّة الهواء كانت في السطح[٣] الذي عليه قلعة الجبل. وتحت قبة الهواء كان قصرُ ابن طُولون. وموضع هذا القصر المَيْدان السلطاني الآن الذي تحت قلعة الجبل بالرُّمَيْلة[٤]. وكان موضع سوق الخيل والحمير والبغال والجمال بستاناً. ويجاورها المَيْدان الذي يُعرف اليوم بالقُبَيْبات؛ فيصير الميدانُ فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه أحمد بن طولون المعروف به. وبجوار الجامع دار الإمارة في جهته القبلية، ولها باب من جِدار الجامع يُخْرَجُ منه إلى المقصورة المحيطة بمُصَلّى الأمير إلى جوار المحراب، وهناك دار الحُرَم. والقطائع عدّة قِطع يسكن فيها عبيد الأمير أحمد بن طُولون وعساكرُه وغِلمانُه.

قلت: والقطائع كانت بمعنى الأطباق[٥] التي للمماليك السلطانية الآن،

---

(١) قال المقريزي: «هذا المشهد فيما بين الجامع الطولوني ومدينة مصر. وتسميه العامة مشهد زين العابدين ـ أي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ وهو خطأ، وإنما هو مشهد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويعرف في القديم بمسجد محرس الخصي».

(٢) وقدّر ابن دقماق في الانتصار: ٥٦/٥ مساحتها بسبعمائة وأربعة وعشرين فداناً. قال: وعبرتها ألفا دينار.

(٣) في المقريزي: «في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل».

(٤) في المقريزي: «. . . تحت قلعة الجبل. والرميلة التي تحت القلعة، مكان سوق الخيل والحمير والجمال، كانت بستاناً».

(٥) الأطباق أو الطباق، مفردها طبقة أو طبق. وهي الأماكن التي كان يسكنها المماليك الذين يشتريهم السلطان أو حتى الأمراء، وهي بمثابة مدارس عسكرية وثكنات. وكانت هذه الطباق موجودة في أماكن متفرقة في القاهرة وخارجها، لا سيما في قلعة الجبل، حتى قد بلغ عددها اثني عشر طبقاً أو أكثر، وكان بعضها يشغل مساحة كبيرة كأنه حيّ بأكمله قد يحتوي على ألف مملوك. وكان المماليك الذين يقيمون في هذه الأطباق يسمون «مماليك الطباق» وكان يقال لهم أيضاً «المماليك الكتابية» إذ كانوا يتعلمون بها الكتابة. وكان نظام التعليم في الطباق أن يوضع المملوك الصغير في طباق من أترابه ومن نفس جنسه، فمثلاً طائفة الأرمن والجركس يكونان معاً، وكذلك الخطا والقبجاق فهما من جنس واحد. وكان يتعلم المملوك الخط والقرآن والشرع، فإذا ما كبر تعلم فنون الحرب من فروسية وضرب السيف ورمي السهام؛ وكانوا يقومون بمباريات الفروسية في ميادين خصصت لذلك، وكان يشهد السلطان هذه المباريات. (انظر نظم دولة سلاطين المماليك للدكتور عبد المنعم ماجد: ١/١٥، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٢٢٧، ٣٣٠).

وكانت كلّ قطيعة لطائفة تسمّى بها، فكانت قطيعة تسمّى قطيعةَ السودان، وقطيعةَ الروم، وقطيعةَ الفرّاشين ــ وهم نوع من الجمدارية[١] الآن ــ ونحو ذلك. وكانت كل قطيعة لسكن جماعة ممن ذكرنا وهي[٢] بمنزلة الحارات اليوم.

وسبب بِناء ابن طولون القصرَ والقطائـع كثرةُ مماليكه وعبيدِه، فضاقت دار الإمارة عليه، فركِب إلى سفـح الجبل وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى، واختطّ موضعَهما وبنَى القصر والميدان المقدّم ذكرهما؛ ثم أمر لأصحابه وغلمانه أن يختطّوا لأنفسهم حول قصره ومَيْدانه بيوتاً؛ واختطّوا وبنَوْا حتى آتصل البِناء بعمارة الفُسْطاط ــ أعني بمصر القديمة ــ ثم بُنِيت القطائـع وسمّيت كل قطيعة باسم مَنْ سكنها. قال القُضاعيّ: وكان للنوبة قطيعةٌ مفردة تُعرف بهم، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم، وللفرّاشين قطيعة [مفردة][٣] تعرف بهم، ولكل صِنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم؛ وبنى القُوّادُ مواضـعَ [متفرقة][٣]، وعُمِرَت القطائـعُ عمارة حسنـة وتفرّقت فيها السكك والأزقّة، وعُمِرت فيها المساجدُ الحِسانُ والطواحينُ والحمّاماتُ والأفرانُ والحوانيتُ والشوارع[٤].

وجعل ابنُ طُولون قصراً كبيراً فيه مَيْدانُه الذي يُلْعَب فيه بالكُرَة، وسُمّي القصر

---

(١) الجمدار: موظف يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه. وهي كلمة فارسية مركبة من لفظين: أحدهما «جاما» ومعناه الثوب، والثاني «دار» ومعناه ممسك، أي ممسك الثوب أو متولي أمر ثياب السلطان. وأصل الكلمة «جاما دار» فحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استثقالاً فقيل «جمدار» وربما قيل «جامدار». وقد استعمل هذا اللفظ في العصرين السلجوقي والمملوكي، وحلَّ محله لفظ «الجوخدار» في العصر العثماني. (انظر صبح الأعشى: ٥/٤٣١ طبعة دار الكتب العلمية، وتأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، ص ٧١).

(٢) في الأصل: «وهم».

(٣) زيادة عن المقريزي.

(٤) وزاد المقريزي: خطط ٣١٥/١ «وسميت أسواقها فقيل: سـوق العيّارين وكـان يجمـع العطارين والبزازين، وسوق الفاميين ويجمـع الجزارين والبقالين والشوايين، وسوق الطباخين ويجمـع الصيارف والخبازين الحلوانيين، ولكل من الباعة سوق حسن عامر، فصارت القطائع مدينة كبيرة أعمر وأحسن من الشام».

كلُّه الميدانَ؛ وعَمِل للقصر[١] أبواباً لكل باب آسم؛ فباب المَيْدان[٢] الكبير كان منه الدخول والخروج لجيشه وخدمِه، وباب الخاصّة لا يدخل منه إلا خاصّته؛ وباب الجبل الذي يلي جبل المقطم؛ وباب الخدم[٣] لا يدخل منه إلا خادم خصِيّ أو حُرْمة؛ وباب الدَّرْمون كان يجلس فيه حاجب أسود عظيم الخِلْقة يتقلّد جِنايات الغلمان السودان الرَّجَّالة فقط، وآسمه الدرمون وبه سمّي الباب المذكور؛ وباب دَعْنَاج لأنه كان يجلس فيه حاجب يقال له دعناج، وباب الساج لأنه كان عُمِل من خشب الساج؛ وباب الصلاة لأنه كان يُخرج [منه][٤] إلى الصلاة وكان بالشارع الأعظم، وكان هذا الباب يُعرَف بباب السباع لأنه كانت عليه صورة سَبُعَين من جبس؛ وكانت هذه الأبواب لا تُفتح كلُّها إلا في يوم العيد [أو][٤] يوم عَرْض الجيش [أو يوم صدقة][٤]، وما كانت تُفْتح الأبواب إلّا بترتيب في أوقات معروفة؛ وكان للقصر شبابيك[٥] تُفْتح من سائر نواحي الأبواب تُشرِف كلّ جهة على باب[٦].

ولما بنَى هذا القصرَ والمَيْدانَ وعظُم أمره زادت صدقاته ورواتبُه حتى بلغت صدقاتُه المرتّبة في الشهر ألفي دينار، سوى ما كان يُعطِي[٧] ويطرأ عليه؛ وكان يقول: هذه صدقات الشكر على تجديد النعم؛ ثم جعل مطابخَ للفقراء والمساكين في كلّ يوم، فكان يُذبح فيها البقرُ والغنم ويفرّق للناس في القدور الفَخّار والقِصَع، ولكل قَصْعة أو قِدْر أربعة أَرْغِفة: في اثنين منها فالُوذَج[٨]، والاثنان

---

(١) في المقريزي: «للميدان».

(٢) في البلوي أن هذا الباب كان يسمى أيضاً باب الصوالجة. وفي المقريزي أنهما بابان مختلفان.

(٣) كذا بالأصل. وفي المقريزي والبلوي: «باب الحرم».

(٤) زيادة عن المقريزي.

(٥) في الأصل: «شبابيات» وهو تحريف.

(٦) وذكر المقريزي تفاصيل أخرى يحسن الرجوع إليها ــ خطط: ٣١٥/١ ــ ٣١٦.

(٧) عبارة المقريزي: «سوى ما يطرأ عليه من النذور وصدقات الشكر».

(٨) الفالوذج: حلواء تسوى من لباب الحنطة، وتسمى أيضاً «فالوذ» و«فالوذق». وأصلها فارسي: «بالوزة» وتسمى اليوم باسمها الفارسي. (معجم متن اللغة) وتصنع الآن من النشا والماء والسكر. (المعجم الوسيط).

الآخران على القِدر أو القصعة؛ وكان في الغالب يُعمل سِماط عظيمٌ ويُنادَى في مصر: من أحبّ [أن] يَحضُرَ سماطَ الأمير فليحْضُرْ؛ ويجلِس هو بأعلى القصر ينظر ذلك ويأمر بفتح جميع أبواب الميدان ينظرهم وهم يأكلون ويحمِلون فيسرّه ذلك ويحمدَ الله على نعمته. ثم جعل بالقرب من قصره حُجْرة فيها رجال سمّاهم بالمكبِّرين عدّتهم آثنا عشرَ رجلاً، يبيتُ في كلّ ليلة منهم أربعة يتعاقبون بالليل نُوَباً، يكبِّرون ويهلِّلون ويسبِّحون ويقرؤون القرآن بطيِّب الألحان ويترسَّلون بقصائد زُهْدِيَّة ويؤذِّنون أوقاتَ الأذان؛ وكان هو أيضاً [من] أطيب الناس صوتاً. قلت: ولهذا كان في هذه الرتبة، لأن الجنسيَّة علة الضم[١]. ولا زال على ذلك حتى خرج من مصر إلى طَرَسُوس، ثم عاد إلى أنطاكِيَةَ في جيوشه، بعد أن كان وقع له مع الموفَّق أمور ووقائعُ يأتي ذكرها في حوادث سِنِيه على مصر.

وكان قد أكل من لبن الجاموس وأكثر منه، وكان له طبيب آسمه سعيد بن توفيل[٢] نصراني؛ فقال له: ما الرأي؟ فقال له: لا تقرَب الغِذاء اليوم وغداً، وكان جائعاً فاستدعَى خروفاً وفراريجَ فأكل منها، وكان به علّة القيام فامتنع[٣]؛ فأخبر

(١) لعل المراد من عبارة أبي المحاسن أنه كان يضم إليه من كان من جنسه، أي حسن الصوت محباً للتسبيح والزهد، بمعنى: إن الطيور على أشكالها تقع.

(٢) في الأصل: «سعد بن نوفيل» وفي عقد الجمان: «سعيد بن نوفيل» وفي ابن الداية: «سعيد بن نوفل» وفي مرآة الزمان: «سعيد بن موقيل» وجميعها فيها تحريف. والتصحيح من عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: ٢/ ٨٣، وعلماء النصرانية في الإسلام للأب لويس شيخو، ص ١٦٩. قال الزركلي في الأعلام: ٣/ ٩٢: لعل الاسم «توفيل» معرب عن الاسم اليوناني القديم «ثاوفيلس» كما في قاموس الكتاب المقدس: ١/ ٣٠٠ أو «تاوفيلا» كما في إحكام باب الإعراب: ٤٣٤.
وجاء في عيون الأنباء: سعيد بن توفيل كان نصرانياً متميزاً في صناعة الطب، وكان في خدمة أحمد بن طولون من أطباء الخاص يصحبه في السفر والحضر، وتغيّر عليه قبل موته. وسبب ذلك أن ابن توفيل حماه في الشام عن بعض الأكل فأكله ابن طولون وتأذى، فضربه بالسياط، ضربه مائتي سوط، وطيف به على جمل فمات بعد يومين وذلك سنة ٢٦٩هـ. وقال ابن أبي أصيبعة في ترجمة الحسن بن زيرك الطبيب أن ابن طولون أصابته هيضة في سفره إلى الثغور وإلى أنطاكية لم تنجح فيها معاناة ابن توفيل. والهيضة: مرض من أعراضه القيء الشديد والإسهال والهزال، وهو المعروف اليوم بالكوليرا.

(٣) في عقد الجمان: «فانقطع الإسهال». وفي البلوي: «فأكل وانقطع الإسهال».

الطبيب؛ فقال: إنا لله! ضعُفت القوّة المدافعة بقهر الغِذاء لها، [فعالجه][1] فعاوده الإسهالُ؛ فخرج من أنطاكِية في مِحفَّة تحمله الرجال، فضعف عن ذلك فركِب البحر إلى مصر؛ فقيل لطبيبه: لستَ بحاذق؛ فقال: والله ما خِدمتي له إلا خدمة الفأر للسِّنَّوْر، وإن قتلي عنده أهون عليّ من صحبته!.

ولما دخل ابن طُولون إلى مصر على تلك الهيئة آستدعَى الأطباء وفيهم الحسن بن زِيرَك[2]، فقال لهم: والله لئن لم تُحسِنوا في تدبيركم لأضرِبنّ أعناقكم قبل موتي؛ فخافوا منه؛ وما كان يَحْتمِي، ويخالفهم. ولما آشتدّ مرضُه خَرج[3] المسلمون بالمصاحف، واليهودُ والنصارى بالتوراة والإنجيل، والمعلّمون بالصِّبيان، إلى الصحراء ودَعَوْا له؛ وأقام المسلمون بالمساجد يختِمون القرآن ويدعون له؛ فلما أيِس من نفسه رفع يديه إلى السماء وقال: يا ربِّ آرحم من جهِل مقدار نفسه، وأبطَره[4] حلمُك عنه؛ ثم تشهَّد ومات بمصر في يوم الاثنين لثمانَ[5] عشرةَ خلتْ من ذي القَعْدة سنة سبعين ومِائتين، ووَلِي مصرَ بعده آبنُه أبو الجَيْش خُمَارَوَيْه؛ ومات وعمرُه خمسون سنة بحساب من قال إنّ مولده سنة عشرين ومائتين. وكانت ولايته على مصر سبعَ عشرةَ سنة.

وقيل: إنّه لمّا ثقُل في الضعف أرسل إلى القاضي بَكّار بن قُتَيْبة الحنفيّ

---

(١) زيادة عن عقد الجمان.

(٢) له ترجمة في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة: ٢/٨٣. وانظر أيضاً قصته وقصة ابن توفيل مع مرض ابن طولون في البلوي، ص ٣١٢ ــ ٣٢٩.

(٣) في الكندي أن الناس أمروا بالخروج والدعاء له، وهو ما يوافق رواية البلوي.

(٤) في الأصل: «ويطرأ حلمك عليه» وهو تحريف. وما أثبتناه من عقد الجمان. وقال البلوي، ص ٣٤٣: حدثت نَعْت أم أبي العشائر ابنه قالت: كنت جالسة بين يديه، والعصابة في يدي، وقد أيست منه، وأنا أنتظره أن تقبض روحه فأشدّ لحييه، ولسانه ضعيف، إلا أنه طلق إذا تكلم، ففتح عينيه ثم غلقهما ثم فتحهما، ونظر إليَّ نظر من رجع بصره إليه، فحمدت الله على ذلك. ثم قال بصوت قويّ ولسان طلق ذرب: يا رب ارحم من جهل مقدار نفسه فأبطره حلمك عنه. ثم تشهد أحسن شهادة وأتمّها، وقضى في آخر تشهّده، وإن ذلك بعد ذهاب طائفة من ليلة الأحد لعشر ليال خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين، فحولت وجهه إلى القبلة وأخذنا في أمره.

(٥) في البلوي: لعشر ليال خلون من ذي العقدة ــ راجع الحاشية السابقة.

ــ وكان قد حبسه في دار بسبب نحكيه هنا بعدما نذكر ما أرسَل يقول له ــ فجاء الرسول إلى بَكّار يقول له: أنا أَردّك إلى منزلتك وأحسن؛ فقال القاضي بكّار: قل له: شيخٌ فانٍ وعليلٌ مُدْنَف، والملتقى قريب، والقاضي الله عزّ وجلّ. فأبلغ الرسولُ آبنَ طولون ذلك؛ فأطرق ساعة، ثم أقبل يقول: شيخ فانٍ وعليلٌ مُدنَف والملتقَى قريب والقاضِي الله! وكرّر ذلك إلى أن غُشِي عليه؛ ثم أمر بنقله من السجن إلى دار آكتُرِيت له.

وأما سبب انحراف أحمد بن طولون على القاضي بَكّار فلِكَون[1] أنّ آبن طولون دعا القاضيَ بكّاراً لخلع المُوَفق من ولاية العهد للخلافة فآمتنع، فحبسه لأجل هذا؛ وكرر عليه القولَ فلم يقبل وِئالاً[2]؛ وكان[3] أوّلًا من أعظم الناس عند آبن طولون. قال الطحاويّ: ولا أُحصِي كم كان أحمد بن طُولون يجيء إلى مجلس بكار وهو على[4] الحديث ومجلسه مملوءٌ بالناس، ويتقدّم الحاجبُ ويقول: لا يتغيَّر أحد من مكانه؛ فما يشعر بَكّار إلّا وابن طولون إلى جانبه؛ فيقول له: أيها الأمير ألا تركتني [حتى][5] كنتُ أقضِي حقّك [5][وأُؤدّي واجبَك! أحسن الله جزاءَك وتولّى مكافأتَك]؛ ثم فسد الحال بينهما حتى حبسه.

قال القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن خِلّكان: كان أحمد بن طولون يدفع إلى القاضي بَكّار في العام ألفَ دينار سوى المقرّر له فيتركها بكّار بخَتْمِها [ولا يتصرّف فيها][6]؛ فلما دعاه ابن طولون لخلع الموفَّق من ولاية العهد آمتنع، فآعتقله وطالبه بحمل الذهب فحمله إليه بخُتومه، وكان ثمانيةَ عشرَ كيساً في كل كيس ألفُ دينار؛ فآستحى ابنُ طولون عند ذلك من الملأ. قلت: هذا هو القاضي الذي في الجنة؛ رحمه الله تعالى.

---

(١) في الأصل: «للكون». وزيادة الفاء ضرورية لاستقامة السياق اللغوي.

(٢) كذا بالأصل. ولعل المراد: لم يقبل رجوعاً عن ذلك. والعرب تقول: إنه لوائل إلى موضعه، يريدون يذهب إلى موضعه. من: وأل إليه وَألًا ووءاءل مواءلة ووئالاً (انظر لسان العرب: مادة وأل).

(٣) في الأصل: «فكان».

(٤) كذا بالأصل. وفي تاريخ الإسلام للذهبي: «وهو يملي الحديث» وهي أوضح في المقام.

(٥) زيادة عن عقد الجمان.

(٦) زيادة عن وفيات الأعيان: ١/ ٢٧٩ ترجمة بكار بن قتيبة.

وقال أبوعيسى اللؤلئيّ: رآه بعض أصحابه المتزهّدين في حالٍ حسنة في المنام (يعني ابنَ طولون)، فقال له: ما فعل الله بك؟ وكيف حالك؟ قال: لا ينبغي لمن سكن الدنيا [أن] يحتقِر حسنة فيدَعها ولا سيئة فيرتكِبَها، عُدِل بـي عن النار إلى الجنة بِتَرَيّثِي[١] على متظلِّم عَيِيّ[٢] اللسان شديدِ التهيُّب[٣]، فسمِعت منه وصبَرت عليه حتى قامت حجتُه وتقدّمتُ[٤] بإنصافه؛ وما في الآخرة على الرؤساء أشدُّ من الحجاب[٥] لمُلْتَمِسِي[٦] الإنصاف.

ورثاه كثير من الشعراء، من ذلك ما قاله بعض المصريّين[٧]: [الرجز]

يا غُرّةَ[٨] الدنيا الذي أفعالُه غُـرَرٌ بها كـلّ الـورَى تَتَعَلّقُ
أنت الأميـرُ على الشآم وثَغْـرِه والـرَّقّتَيْن[٩] ومـا حـواه المشرق
وإليـك مصـرُ وبَـرْقَـةُ وحِجازُهـا كـلٌّ[١٠] إليكَ مع المَدَى يَتَشوق

وخلّف ابن طولون ثلاثة وثلاثين ولداً، منهم سبعةَ عشرَ ذكراً، وهم: العباس وخُمَارَوَيْه الذي ولِي مصر بعد موته، وعَدْنانُ ومُضَر وشَيْبان ورَبيعةوأبو العَشّائر[١١]،

(١) في الأصل: «بتشبثي على متظلم» والكلام به غير مستقيم. وقد أثبتنا ما في طبعة دار الكتب المصرية لمناسبته السياق.
(٢) في الأصل: «عن اللسان» وهو تحريف. وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.
(٣) في الأصل: «التهيل» وهو تحريف. وما أثبتناه من المرجع السابق.
(٤) في الأصل: «فقدمت» وهي غير مناسبة. والتصحيح من المرجع السابق.
(٥) في الأصل: «أشد من الحساب». والتصحيح من المرجع السابق.
(٦) في الأصل: «لملتبس». والتصحيح من المرجع السابق.
(٧) هو منصف بن خليفة الهذلي، كما في الكندي. وقد أورد الكندي سبعة أبيات من هذه القصيدة. وأورد البلوي في سيرة ابن طولون، ص ٣٠٠، أبياتاً من قصيدة نونية ذكر أن الهذلي قالها في ذلك المقام ومطلعها:

أمسى الخليفة بعد العزّ مأسورا وأصبح اليوم مقهوراً ومحزونا

(٨) في الأصل: «عزة» والتصحيح من الكندي.
(٩) أي الرقّة والرافقة، على ضفة الفرات. بينهما مقدار ثلاثمائة ذراع. وفي الأصل: «والمرقبين» وهو تحريف. والتصحيح من الكندي.
(١٠) في الكندي: «كل إليك فؤاده متشوق».
(١١) هو نفسه مضر، كما جاء في البلوي: ٣٤٩ ومعجم زامباور. أما أولاده الذكور الباقون فقد ذكرهم البلوي على التوالي: أبو ناهض عياض، أبو الكراديس خزرج، أبو حبشون عديّ، أبو شجاع كندة، =

وهؤلاء أعيانهم. فأما العباس فهو الذي كان عصَى على والده ودخل الغرْبَ[١] وحُمِل إلى أبيه أحمدَ فحبسه ومات وهو في حبسه، ومات بعد أبيه بيسير؛ وكان شاعراً[٢]، وهو القائل: [البسيط]

لله دَرِّيَ إذ أعدُو[٣] على فرسي إلى الهِيَاج ونارُ الحرب تَسْتَعِرُ
وفي يدي صارِمٌ أَفْرِي الرؤوسَ به في حدّة الموتُ لا يُبْقِي ولا يَذَرُ
إن كنت سائلةً عني وعن خَبَري فها أنا الليثُ والصَّمْصَامة الذَّكَرُ[٤]
من آل طُولونَ أَصْلِي إن سألتِ فما[٥] فوقِي لمُفْتَخِرٍ في الجود مُفْتَخَرُ[٦]

وكان أبوه أحمد بن طولون لما خرّج إلى الشام في السنة الماضية أخذه مُقيَّداً معه وعاد به على ذلك.

وخلّف أحمدُ بنُ طولون في خزائنه من الذهب النقد عشرةَ آلاف ألفِ دينار؛ ومن المماليك سبعةَ آلاف مملوك، [ومن الغلمان أربعةً وعشرين ألفَ غلام][٧] ومن الخيل [المَيْدانية][٧] سبعةَ آلاف رأس، ومن البغال والحمير ستةَ آلاف رأس، ومن

= أبو منصور اغلب، أبو بهجة ميسرة، أبو البقاء هدى، أبو المفوض غسان، أبو الفرج مبارك، أبو عبد الله محمد، وأبو الفتح مظفر. والبنات: فاطمة، ولميس، وصفية، وخديجة، وميمونة، ومريم، وعائشة، وأم الهدى، ومؤمنة، وعزيزة، وزينب، وسمانة، وسارة، وغريرة، وبعلب (ورد الاسم الأخير كذا بالإهمال).

(١) المراد إلى «برقة» وذلك سنة ٢٦٥هـ.

(٢) أورد ابن سعيد في المغرب (قسم مصر) ١٤١/١ نماذج من شعره.

(٣) كذا أيضاً في المقريزي والمغرب. وفي الكندي والبلوي: «أغدو» بالغين المعجمة. وهذا الشعر قاله عند دخوله إلى أوائل إفريقية ومحاربته لجيش ابن الأغلب.

(٤) الصمصامة: السيف لا ينثني. والذكر: الجيّد القوي.

(٥) كذا أيضاً في المقريزي والبلوي. وفي الكندي: «من آل طولون إن سألت عنه فما» وفي المغرب: «ابن لطولون اعزى إن سالت فما».

(٦) وذكر الكندي والمقريزي بيتين بعد هذا.

(٧) زيادة عن البلوي.

الدوابّ لخاصته ثلاثمائةٍ، ومن مراكبه الجِيَاد مائةٌ. وكان ما يدخل إلى خزائنه في كل سنة بعد مصاريفه ألفَ ألفِ دينار[١]. رحمه الله تعالى.

* * *

السنة الأولى من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة خمسٍ وخمسين ومائتين.

فيها كان ابتداء خروج الزَّنْج، وخرج قائدهم بالبصرة، فلما خرج انتسب إلى زيد بن عليّ، وزعمَ أنّه عليّ بن محمد بن أحمد بن عليّ بن عيسى بن زيد بن عليّ [بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب][٢]؛ وهذا نسب غير صحيح. وانضمّ عليه، مُعْظم أهل البصرة، وعظُم أمره وفعل بالمسلمين الأفاعيلَ، وهزَم جيوشَ الخليفة، وامتدت أيّامُه إلى أن قُتِل في سنة سبعين ومائتين بعد أن واقعه المُوَفَّق أخو الخليفة غيرَ مرّة[٣].

(١) نقل ابن إياس في بدائع الزهور عن ابن وصيف شاه أن أحمد بن طولون لما تولى مصر أخذ في أسباب عمارة قراها وجسورها وقناطرها وحفر خلجانها وسدّ ترعها، فاستقامت أحوال الديار المصرية في أيامه بعدما كانت قد تلاشى أمرها إلى الخراب وانحط خراجها في أيام من تقدمه من العمال. فلما حصلت العمارة والعدل عم الرخاء سائر أعمال الديار المصرية حتى بيع في أيامه كل عشرة أرادب بدينار وعلى هذا فقس في جميع البضائع ووصل خراج مصر في أيامه مع وجود هذا الرخاء أربعة آلاف ألف دينار غير المكوس. ونقل المقريزي في الخطط أن ابن طولون لما تسلم مصر من ابن المدبر كانت قد خربت أرضها حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف دينار، فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة وبالغ فيها فارتفع خراجها إلى أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار.

(٢) زيادة عن الطبري وابن الأثير والفخري.

(٣) أول ما يظهر ذكر علي بن محمد قائد ثورة الزنج في مصادر التاريخ في سامراء، وكان أحد المقربين إلى الخليفة المنتصر بالله الذي سعى جاهداً للتخلص من سيطرة الأتراك وعسفهم وتحكمهم بالخلفاء ومقدرات الدولة. وعندما نجح قادة العسكر الأتراك في التخلص من الخليفة المنتصر وشتتوا بالقتل أو النفي أو الاعتقال أنصاره، كان علي بن محمد ضمن الذين اعتقلوا ببغداد. وفي سنة ٢٤٩هـ أي بعد عام من موت المنتصر اشترك عامة أهل بغداد مع فرقة من الجند، وهم الجند الشاكرية، في تمرد وشغب ضد الأتراك، ثم اقتحم الجمهور سجون العاصمة وأطلقوا سراح المسجونين فيها. وبعد أن تخلص علي بن محمد من الاعتقال ظهر في مدينة «هجر» بالبحرين داعياً الناس إلى الثورة في نفس العام ٢٤٩هـ.
وقد استمرت هذه الثورة متصلة عنيفة منذ سنة ٢٤٩هـ حتى سنة ٢٧٠هـ. وعلى امتداد هذه السنوات =

. . . .

= استطاعت جيوش الثورة أن تلحق الهزائم الشديدة بجيوش الدولة العباسية في عشرات من المعارك التي دارت بينهما، وامتدت رقعة سلطتها إلى مساحات كبيرة ومدن وقرى عديدة في كل من العراق والخليج وفارس، مثل البحرين مدناً وبادية، والبصرة، والأبلّة على شاطىء دجلة، والأهواز بفارس، والقادسية قرب الكوفة، وجنبلاء بين واسط والكوفة، والنعمانية على دجلة، والمنصورة (وقد بنوها ضمن ما بنوا من مدن جديدة حصينة) وجرجرايا من أعمال النهروان الأسفل، وجبّل على جانب دجلة، ورامهرمز من خوزستان، والمنيعة بنهر الخميس (وهي من إنشائهم) والمذار بين واسط والبصرة، وتستر أعظم مدن خوزستان، وعبادان، وأغلب سواد العراق. وأنشأ صاحب الزنـج عاصمة له سماها «المختارة». وقد ظلت جيوش الدولة تمنى بالهزيمة تلو الهزيمة على يد أصحاب علي بن محمد حتى اضطر الخليفة المعتمد (٢٥٦ ــ ٢٧٩هـ) إلى تكريس كل موارد الدولة لحرب الزنـج، بل وإلى وضـع السلطة الحقيقية في البلاد بيد أخيه الموفق سنة ٢٥٨هـ. ومنذ ذلك التاريـخ بدأت الدولة تسخر كل ما لديها لخدمة الجيش الذي شرعت في إعداده لمحاربة الثوار، بل لقد أصبحت العاصمة الحقيقية للخلافة هي «الموفقية» التي بناها الموفق تجاه «المختارة» كي يمارس منها الاستعداد والقتال، وأصبح الموفق هو الخليفة الفعلي. فلقد كتب إلى عمال الأقاليم والأمصار بأن يحملوا الأموال إلى بيت ماله في الموفقية، وألا يحمل إلى بيت مال العاصمة الرسمية درهم واحد، حتى لقد همّ الخليفة المعتمد بالهرب من سامراء والذهاب إلى مصر ليعيش عند واليها أحمد بن طولون.

وقد اعتمدت هذه الثورة في المرحلة الأولى من مراحلها (٢٤٩ ــ ٢٥٥هـ) على العرب جمهوراً وقادة ومقاتلين، وخاصة في هجر والأحساء والبصرة. ولم يكن لعنصر الزنـج في هذه المرحلة أي دور أو ذكر في أحداث هذه الثورة. ومنذ عام ٢٥٥هـ وبعد هزيمة الثورة أمام جيش الدولة في معركة «الردم» ــ موقـع بالبحرين ــ بدأ انعطافها نحو الزنـج. وكان ريحان بن صالـح أول زنجي منخرط في الثورة. ومن معسكر الثوار حول البصرة وجه علي بن محمد دعوته إلى العبيد من الزنوج (الأثيوبيين الأحباش) فاجتمـع إليه بشر كثير من الغلمان الذين كانوا يعملون في ظروف عمل قاسية بمواطن سيل المياه، يكسحون السباخ والأملاح عن الأرض في نواحي الفرات الجنوبية. وتوطدت الثقة بين الزنـج والثورة حتى أصبحوا مادتها الأساسية ــ هذا دون غياب العنصر العربـي قادة ومقاتلين ــ وكان بجيش الدولة فرق وحاميات زنجية أخذت تنسلـخ عن الجيش وتنضم إلى الثوار كما حدث قتال بين الطرفين، حتى قال علي بن محمد لأصحابه: «إن من إمارات تمام أمركم ما ترون من إتيان هؤلاء القوم بعبيدهم فيسلمونهم إليكم فيزيد الله في عددكم». ويرى جمهور المؤرخين المسلمين ــ على اختلاف ميولهم المذهبية والسياسية ــ في ثورة صاحب الزنـج حركة شغب وتمرد على الدولة ــ الخلافة اتخذت من العبيد مادة لها، وأعملت في البلاد نهباً وحرقاً وتدميراً وانتهاكاً للحرمات، كما يرون فيها حركة ذات ميول خارجية (نسبة إلى الخوارج) أو أنها حركة تمرد شيعية اتخذت من عقائد مذهب الخوارج مادة للتحريض تتلاءم مـع ميول أصحابها المنضوين تحت لوائها. في حين يرى الدكتور محمد عمارة في كتابه (ثورة الزنـج) أن ثورة علي بن محمد كانت حلقة في سلسلة ثورات العلويين الزيدية الذين تمذهبوا بمذهب المعتزلة في الأصول الخمسة، وكانت أعلامهم بيضاء اللون وعليها كتبوا بالأحمر: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم... الآية﴾. واللون الأبيض

وفيها كان بين يعقوبَ بنِ الليث وطَوْقِ بن المُغَلِّسِ[١] وقعة كبيرة.

وفيها عظُم أمر ابن وَصِيف، وقبَض على حواشي المعتزّ بالله الخليفة؛ فسأله المعتزّ في إطلاق واحد منهم فلم يفعل. ولا زال أمره يعظم إلى أن خُلِع المعتزّ بالله من الخلافة في رجب، ثم قُتِل بعد خلعه بأيّام. وآختفت أمّ المعتزّ قَبيحةُ، ثم ظهرت فصادرها صالح بن وَصِيف المذكور وأخذ منها أموالاً عظيمة، ثم نفاها إلى مكّة؛ وكان مما أخذ منها ابنُ وصيف ألفُ ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار، وأخَذ منها من الجواهر ما قيمتُه ألفا ألفِ دينار. وكان الجند سألوا المعتزَّ في خمسين ألف دينار ويصطلِحون معه[٢]؛ فسألها المعتزّ في ذلك؛ فقالت: ما عندي شيء. فلمّا رأى ابن وصيف هذا المال قال: قبّح الله قبيحةَ، عرَّضَت آبنَها للقتل لأجل خمسين ألف دينار وعندها هذا كلُّه.

وفيها بُويع المهتدي بالله محمد، وكنيتُه أبو إسحاق، وقيل: أبو عبد الله، ابن الخليفة الواثق بالله هارون بالخلافة بعد خلع المعتزّ بالله في ثاني[٣] شعبان.

وفيها توفّي عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهْرام بن عبد الصمد،

= كان شعار التيار الذي ثار أصحابه ضد العباسيين والذي كانت قياداته غالباً لأئمة علويين من نسل زيد بن علي، لأن هذا الفريق من آل البيت قد ارتبط بفكر المعتزلة ورأيهم المنحاز للثورة، على عكس الشيعة الإمامية ــ الاثني عشرية ــ الذين أحجموا عن الثورة منتظرين المهدي، وهو إمامهم الثاني عشر القائم المنتظر. كما يرى من ناحية أخرى أن أصول هذه الحركة عربية قامت لمناهضة النفوذ الأجنبي التركي الذي سيطر على الخلافة وانتزع سلطاتها حتى أصبحت في أيام الخلفاء العباسيين المتأخرين صورية لا حول لها ولا قوة.

(١) في الأصل: «المغلق» وهو تحريف. والتصحيح من الطبري وابن الأثير. والواقعة المشار إليها كانت بسبب النزاع على كرمان فيها بين يعقوب بن الليث الصفار وعلي بن الحسين بن شبل الذي كان على فارس، فأرسل علي بن الحسين طوق بن المغلس للاستيلاء على كرمان فكانت الواقعة المذكورة وانتهت باستيلاء يعقوب على كُرمان. (الطبري وابن الأثير: حوادث سنة ٢٥٥هـ).

(٢) كان الجند قد ثاروا يطالبون بأرزاقهم، وعرضوا على المعتز التحالف معه لقتل ابن وصيف، فلم يكن في بيت المال ما يعطيهم إياه، ونزلوا معه إلى خمسين ألف دينار، ولم يتيسّر له ذلك، فكان ما كان.

(٣) في الطبري وابن الأثير وتاريخ الخلفاء ومروج الذهب أن المهتدي بويع لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥هـ.

الحافظ أبو محمد التَّميميّ الدارِميّ السمَرْقندي الإمام المحدّث صاحب المسنَد[١]؛ ومولدُه سنة مات عبد الله بن المبارك سنة اثنتين وثمانين ومائة، وكان من الأئمة الأعلام، وقد روينا مسندَه المذكور عن الشيخ زين الدين رجب بن يوسف آلخيْري[٢] ومحمد بن أبي الشائب[٣] الأنصاريّ حدّثانا أخبرنا أبو إسحاق التَّنُوخِيّ، حدّثنا أبو العباس الحَجّار وإسماعيل بن مكتوم وعيسى المُطَعِّم[٤] إجازة، قالوا: أخبرنا ابن اللَّيْثيّ، حدّثنا أبو الوقت عبد الأول بن [أبي عبد الله][٥] عيسى [بن شعيب بن إسحاق السجزيّ][٥]، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الدّاوُدِيّ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حَمُّويَه السَّرَخْسِيّ، أخبرنا أبو عِمران عيسى بن عمر السمَرْقندِيّ، حدّثنا الدارِميّ.

وفيها توفي المعتزُّ بالله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد، وقيل: إن آسمه الزبير، ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر بن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة محمد المهديّ ابن الخليفة أبي جعفر المنصور بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الهاشميّ العباسيّ البغداديّ؛ ومولده سنة آثنتين وثلاثين ومائتين، ولم يَلِ الخلافةَ قبله أحد أصغر منه، وأمّه أمّ ولد رومية تسمى قبيحةَ لجمال صورتها من أسماء الأضداد. لم يقع لخليفة ما وقع عليه من الإهانة، لأن الأتراك أمسكوه وضربوه وجرّوا برجله وأقاموه في الشمس[٦] في يوم صائف وهم يَلطِمون وجهه، ويقولون له: اخْلَعْ

---

(١) «المسند في الحديث» مخطوط، منه نسخة في طوبقبو. وله «الجامع الصحيح» ويسمى سنن الدارمي. (الأعلام: ٤/٩٥). وللدارمي ترجمة في تذكرة الحفاظ وفي تهذيب التهذيب.

(٢) في الأصل: «الجيزي» وهو تحريف. والتصحيح من الضوء اللامع للسخاوي: ٣/٢٢٤. والخيري نسبة للجمال بن خير المالكي لأنه كان في خدمته.

(٣) بهامش طبعة ليدن إشارة إلى روايتين هما: التائب والسائب.

(٤) في الأصل: «المعظم» وهو تحريف. والتصحيح من الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، وهو فيه عيسى بن عبد الرحمن بن معالي المطعم. وسمي بالمطعم لأنه كان يطعم الأشجار ويثمر في الدور، وسار إلى بغداد فطعم في بستان المستعصم.

(٥) الزيادة عن شرح القاموس، مادة «سجز».

(٦) في الأصل: «وأقاموا في الشمس». وما أثبتناه من ابن الأثير والفخري.

نفسَك؛ ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب والشهود، حتى خلع نفسه؛ ثم أخذه الأتراك بعد خمس ليال من خلعه وأدخلوه الحمام فعطِش فمنعوه الماء حتى مات[1] في شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وله أربعٌ وعشرون سنة. وكانت خلافتُه أربعَ سنين وستةَ أشهر وأربعةَ عشرَ[2] يوماً.

وفيها توفي الحافظ أبو يحيى صاعِقة، وآسمه محمد بن عبد الرحيم، وله سبعون سنة.

وفيها توفي محمد بن كَرَّام[3] السِّجِسْتانيّ.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربع أذرع واثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وست أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة ست وخمسين ومائتين:

فيها وثب موسى بن بُغَا بالأتراك على صالح بن وصيف وطالبوه بقتل المعتز وبمال أمّه قَبِيحة، ووقع بينهم حروب قُتِل فيها صالحُ بن وصيف المذكور؛ ثم خلعوا الخليفة المهتدي، فقاتلهم حتى ظَفِروا به وقتلوه، وبايعوا المعتمِد بالخلافة.

(١) في الطبري وابن الأثير والفخري أنهم منعوا عنه الطعام والشراب ثم أدخلوه في بيت (أو سرداب) وسدوا بابه حتى مات. وفي شذرات الذهب أنهم أدخلوه إلى حمام فعطش حتى عاين الموت وهو يطلب الماء فيمنع، ثم أعطوه ماءً بثلج فشربه وسقط ميتاً. قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: «وهو أول ميت (كذا) مات عطشاً». ولعله أراد: أول خليفة مات عطشاً.

(٢) في الطبري وابن الأثير أن مدة خلافته كانت أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً. وفي شذرات الذهب: وأربعة وعشرين يوماً. وفي مروج الذهب: أربع سنين وستة أشهر.

(٣) هو محمد بن كرام بن عراق بن حزابة، أبو عبد الله السجستاني أو السجزّي: إمام الكرامية، من فرق الابتداع في الإسلام. كان يقول بأن الله تعالى مستقرّ على العرش وأنه من جوهر. له ترجمة في ميزان الاعتدال: ١٢٧/٣، ولسان الميزان: ٣٥٣/٥ وفيهما الخلاف في ضبط «كرام». وقد ورد في بيت من شعر البستي مخففاً. (الأعلام: ١٤/٧) وضبطه ابن كثير في البداية والنهاية بتشديد الراء.

وفيها آستعمل الخليفة أخاه الموفَّق طلحةَ على المشرق، وصيّر آبنه جعفراً وليَّ عهده وولّاه مصرَ والمغربَ، ولقّبه المفوّض إلى الله. وآنهمك المعتمد في اللهو واللذات، وآشتغل عن الرعيّة، فكرِهه الناس وأحبّوا أخاه الموفّق طلحةَ، فغلب على الأمر حتى صار المعتمد معه كالمحجور عليه[1]، على ما سيأتي ذكره.

وفيها توفّي الحسن بن عليّ، الإمام العابد الزاهد أبو عليّ التَّنُوخيّ البغداديّ أوحد زمانه في علوم الحقائق؛ وهو من كبار أصحاب سَرِيّ السَّقَطِيّ[2]، وهو أوّل من عُقِدت له الحلقةُ ببغداد.

وفيها توفي الزُّبَير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوّام، أبو عبد الله الأسدي، الإمام العلامة صاحب كتاب النسب[3]. كان عالماً بالأنساب وأيام الناس؛ ولِيَ قضاء مكة، وقدِم بغداد وحدّث بها.

وفيها كان قتلُ صالح بن وصيف التركي أحد قوّاد المتوكّل؛ كان قد آستطال على الخلفاء وقتل المعتزّ وصادر أمّه قبيحة حسبما تقدّم ذكره.

وفيها توفّي الإمام الحافظ الحجة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغِيرة بن بَرْدِزْبه[4] البُخَاريّ الجُعْفِيّ مولاهم؛ وكان المغيرة مجوسيّاً فأسلم على

---

(١) يصوّر ابن الطقطقي في كتابه «الفخري» ص ٢٥٠ حال المعتمد وأخيه بقوله: كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع؛ كان هو وأخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة: للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بإمرة المؤمنين، ولأخيه طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء، وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذاته.

(٢) هو سريّ بن المغلّس السقطي، أبو الحسن: من كبار الصوفية. توفي سنة ٢٥٣هـ. وهو أول من تكلم ببغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية. (الأعلام: ٣/٨٢).

(٣) هو كتاب «نسب قريش وأخبارها» مطبوع باسم «جمهرة نسب قريش». وفي ابن خلكان وعقد الجمان: «كتاب أنساب قريش».

(٤) كذا بالأصل. وفي ابن خلكان: «يزذبه» ونقل عن ابن ماكولا في الإكمال أنه: «يزدزبه» بدال وزاي وباء معجمة بواحدة. وفي شذرات الذهب: «بردزبه» بباء موحدة في أوله. وفي طبعة دار الكتب المصرية: «ابن الأحنف بن بردزبه» وقد زاد المحقق اسم «الأحنف» وجعله ابناً لبردزبه، في حين أن ابن خلكان يرجح أن الأحنف هو «يزذبه».

يَدِ يَمَانٍ البُخَاريّ[١] الجُعْفِيّ. والبخاريّ هذا هو صاحب «الصحيح»، مولدُه يومَ الجمعة لثلاثَ عشرةَ خلتْ من شوّال سنة أربع وتسعين ومائة ومات ليلةَ عيد الفطر بقرية خَرْتَنْك[٢] بالقرب من بخارى، وقد سمعتُ صحيحَه بفَوْتٍ[٣] على سيدنا شيخ الإسلام جلالِ الدين عبد الرحمن البُلْقِينيّ[٤] الشافعيّ ــ رضي الله عنه ــ أنبأنا والدي شيخ الإسلام، أنبأنا جمال الدين عبد الرحيم بن شاهد الجيش، أنبأنا إسماعيل بن عبد القويّ بن عَزُّون وأحمد بن عليّ بن يوسف وعثمان بن عبد الرحمن بن رَشيق سماعاً عليهم عن هبة الله بن عليّ البُوصِيريّ ومحمد بن أحمد[٥] بن حامد الأَرْتَاحِيّ، الأوّل عن محمد بن بركات، والثاني عن عليّ بن [الحسين بن][٦] عمر الفَرّاء عن كَريمة ابنةِ أحمد المَرْوَزِيّة عن محمد بن مَكّي الكُشْمِيهَنِيّ[٧] عن محمد بن يوسف الفَرَبْريّ[٨] عن الإمام البخاريّ، وأخبرني به الشيخ الأوحد أبو عبد الله محمد بن عبد الكافي السُّوَيفيّ سماعاً عليه لجميعه، أنبأنا شمسُ الدين محمد بن علي بن الخَشّاب سماعاً عليه لجميعه، أنبأنا شيخان أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن الشِّحْنة الحَجّار وأم محمد وَزيرة بنت عمر التَّنُوخيّة، قالا أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن المبارك الزبيديّ، أنبأنا أبو الوقت

---

(١) قال في شذرات الذهب: «والمغيرة أسلم على يد يمان البخاري والي بخارى. ويمان هو أبو جد عبد الله بن محمد بن جعفر بن يمان.

(٢) خرتنك: قرية من قرى سمرقند.

(٣) تعبير مألوف عند المحدثين، والمراد أنه فاته منه شيء لم يسمعه.

(٤) هو جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني المصري المتوفى سنة ٨٢٤هـ. من علماء الحديث بمصر. انتهت إليه رياسة الفتوى بعد وفاة أبيه. (الأعلام: ٣/ ٣٢٠، وانظر حاشية للمؤلف حول ضبط البلقيني).

(٥) في الأصل: «محمد بن حميد». والتصحيح عن شذرات الذهب ومعجم البلدان.

(٦) زيادة عن الشذرات ومعجم البلدان.

(٧) الكشميهني: نسبة إلى «كشميهن» بضم الكاف وسكون الشين وكسر الميم ــ كما في الأنساب للسمعاني ــ أو فتح الميم ــ كما في معجم البلدان. وهي قرية عظيمة كانت من قرى مرو؛ خرّبها الرمل، وخرج منها جماعة وافرة من العلماء.

(٨) نسبة إلى «فَرَبْر» وهي بلدة على طرف جيحون مما يلي بخارى. وكانت وفاة الفربري سنة ٣٢٠هـ. (أنساب السمعاني).

عبد الأول بن [أبي عبد الله] عيسى السِّجْزِيّ، أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد الدَّاوُدِيّ، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السَّرَخْسِيّ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفَرَبْرِيّ، أنبأنا الإمام البخاريّ ـ رضي الله عنه.

وفيها توفي أمير المؤمنين المهتدي بالله محمد ابن الخليفة هارون الواثق ابن الخليفة محمد المعتصم ابن الخليفة الرشيد هارون الهاشميّ العباسيّ. وكان صالحاً عابداً يَسرُدُ(١) الصومَ مُتقشّفاً، لم يَلِ الخلافة بعد الخلفاء الراشدين وعمرَ بن عبد العزيز أصلَح(٢) منه، غير أنه لم يجد من ينصره، وحاربته الأتراك وخلعوه وداسوا خُصْيته وصفَعوه حتى مات في منتصف شهر رجب، فكانت خلافتُهُ سنةً إلا خمسة عشر يوماً؛ وأمّه أمّ ولد رومية تسمّى قُرْب(٣). قال الخطيب أبو بكر: لم يزل صائماً منذ ولي الخلافة إلى أن قُتِل وله نحو أربعين سنة.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ الزهريّ.

وفيها تُوفّي علي بن المنذر الطَّريقيّ(٤). وفيها توفّي محمد بن أبي عبد الرحمن.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع واثنتان وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) أي يتابعه.

(٢) قال ابن الطقطقي في الفخري، ص ٢٤٦: «وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز ويقول: إني أستحيي أن يكون في بني أمية مثله ولا يكون مثله في بني العباس. وكان المهتدي قد اطرح الملاهي وحرّم الغناء والشراب ومنع أصحابه من الظلم والتعدي». وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٣: «لما قامت الأتراك عليه، ثارت العامة، وكتبوا رقاعاً وألقوها في المساجد، كتب عليها: يا معشر المسلمين، ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضا المضاهي لعمر بن عبد العزيز أن ينصره الله على عدوه».

(٣) في تاريخ الخلفاء أن اسمها «وردة».

(٤) في الأصل: «الطريفي» بالفاء الموحدة وهو تصحيف. وما أثبتناه عن تهذيب التهذيب والسمعاني. قال السمعاني: سألت أستاذي أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بأصبهان عن علي بن المنذر الطريقي: لأي شيء نسب هذا؟ قال: كان ولد في الطريق فنسب إليها.

السنة الثالثة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة سبع وخمسين ومائتين:

فيها دخل الزَّنْجُ البصرةَ وأباحوها وبذلوا فيها السيفَ، فحاربهم سعيدٌ الحاجب واستخلص منهم كثيراً مما كانوا أسروه.

وفيها عقد الخليفة المعتمد لأخيه أبي أحمدَ الموفّق على الكوفة والحجاز والحرمين واليمن وبغدادَ وواسِط والبصرة والأهواز وفارس وما وراء النهر.

وفيها قُتِلَ ميخائيلُ بن توفيل[1] ملك الروم، قتله باسيل[2] الصَّقْلَبِيّ وكان ميخائيل قد ملك أربعاً وعشرين سنة.

وفيها حجّ بالناس الفضلُ بن إسحاق بن الحسن بن سهل[3] بن العباس العباسيّ.

وفيها توفي الحسن بن عبد العزيز، الحافظ أبو عليّ الجُذاميّ المصريّ؛ قَدِمَ بغدادَ وحدّث بها؛ قال الدَّارَقُطْنِيّ[4]: لم أرَ مثله فضلاً وزهداً وديناً ووَرَعاً وثقةً وصدّقَ عبارة.

وفيها توفي سليمان بن معبد، أبو داود النحويّ المَرْوَزِيّ. رحَلَ في طلب العلم إلى العراق والحجاز واليمن والشأم ومصر، وقدِم بغدادَ وذاكر الجاحظَ، ومات بها في ذي الحِجّة.

---

(١) في الأصل: «نوفيل» بالنون. وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير. وفي تاريخ الزمان لابن العبري: «تثوفيل» وهو الرسم الأصوب للاسم. وكان ميخائيل هذا قد تولى مملكة الروم سنة ٨٤٤م ــ وهي السنة الأولى لخلافة الواثق ــ وهو في السن الثالثة. وكانت أمه تئودورا تسوس المملكة والقائد عمنوئيل متولياً أمر الجند. وكانت وفاته سنة ٨٦٨م (كما ذكر ابن العبري) ويوازيها بالتقويم الهجري سنة ٢٥٤ ــ ٢٥٥.

(٢) كذا في ابن العبري. وفي الطبري وابن الأثير وعقد الجمان: «بسيل». وفي الأصل: «شبل الصقلبي» وهو تحريف.

(٣) في الطبري: «الحسن بن إسماعيل».

(٤) الدارقطني: هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الشافعي المتوفى سنة ٣٨٥هـ. كان إمام عصره في الحديث وأول من صنّف القراءات وعقد لها أبواباً. (الأعلام: ٤/٣١٤).

وفيها توفي شهيداً بأيدي الزَّنج العباسُ بن الفرج، أبو الفضل الرِّيَاشيّ النحويّ البصريّ، مولى محمد بن سليمان العباسيّ؛ رحل في طلب العلم، وكان من النحو واللغة والفقه والأدب والفضل بالمحلّ الأعلى؛ وكان من الثّقات الحفّاظ، وقرأ كتاب سيبويه على المازنيّ، فكان المازنيّ يقول: يقرأ عليّ كتابَ سيبويه وهو أعلم به منّي.

وفيها توفّيت فضلُ الشاعرة، كانت من مولّدات اليمامة[١]، وكذا أمها، وبها وُلدت، فَرَبّاها بعضُ الفضلاء[٢] وباعها، فآشتراها محمد بن الفرج الرُّخَّجيّ[٣] وأهداها إلى المتوكّل، ولم يكن في زمانها أفصحُ منها ولا أشعرُ.

وفيها توفي شهيداً بأيدي الزَّنْج زيدُ بنُ أخزم ــ بمعجمتين ــ الطائيّ الحافظ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وستَّ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثمانيَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

(١) في عقد الجمان: «كانت من مولدات البصرة وأمها من مولدات اليمامة» وفي جهات الأئمة الخلفاء لابن الساعي: «كانت مولّدة من مولدات البصرة وبها نشأت، وكان مولدها اليمامة» ــ أخبارها وأشعارها في الأغاني: ١٩/٣١٤؛ والمنتظم لابن الجوزي: القسم الثاني من الجزء الخامس؛ وفوات الوفيات: ٣/١٨٥ وجعل وفاتها سنة ٢٦٠هـ؛ ونساء الخلفاء المعروف بجهات الأئمة الخلفاء لابن الساعي: ٨٤ ــ ٩٠، وطبقات الشعراء لابن المعتز: ٤٢٦. ولها أخبار متفرقة في أمالي القالي (الذيل) وتاريخ الخلفاء للسيوطي والمحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ.

(٢) قال ابن الساعي في جهات الخلفاء: «وذكرها محمد بن داود (يعني محمد بن داود بن الجراح صاحب كتاب: الورقة) فذكر أنها عبدية، وكذلك كانت تزعم هي وتقول إن أمها علقت بها من مولى لها من عبد القيس وأنه مات وهي حامل بها، فباعها ابنه، فولدت على سبيل الرق. وذكر عنها من جهة أخرى أن أمها ولدتها في حياة أبيها، فرباها وأدبها، فلما توفي تواطأ بنوه على بيعها فاشتراها محمد بن الفرج الرخجي أخو عمر بن الفرج فأهداها إلى المتوكل».

(٣) الرخّجي منسوب إلى «رُخّج». قال ياقوت في معجم البلدان: رُخَّج مثال زُمَّج بتشديد ثانيه وآخره جيم، تعريب رُخُو: كورة ومدينة من نواحي كابل. . . وينسب إلى الرخّج فرج وابنه عمر بن فرج وكانا من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل.

السنة الرابعة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة ثمان وخمسين ومائتين:

فيها عقد المعتمدُ على الله لأخيه الموفّق طلحة على حرب الزَّنْـج، فندَب إليهم الموفّق منصوراً، فكانت وقعةٌ بين منصور بن جعفر بن دينار[١] وبين يحيى[٢]، فانهزم عن منصور عسكرُه، وساق وراءه يحيى فضرب عنقَه، وآستباحت الزَّنْـجُ عسكرَه؛ فلما وصل الموفّق إلى نهر[٣] مَعْقِل انهزم جيشُ الخبيث رأس الزَّنْـج، ثم تراجعوا وقاتلوا جيشَ الموفّق حتى هزموه؛ وانحاز الموفّق وهمّ بالهروب، ثم تراجع وواقعهم حتى انتصر عليهم، وأسر طاغيتَهم يحيى المذكور، وقتلَ عامّةَ أصحابه، وبعث بيحيى إلى المعتمد، فضربه ثم طوّف به ثم ذبحه.

وفيها وقـع الوباء العظيم بالعراق، ومات خلقٌ لا يُحصَوْن، حتى مات غالب عسكر الموفّق؛ فلما وقـع ذلك كثر الزَّنْـج على الموفّق وواقعوه ثانياً أشدّ من الأوّل. ثم هزمهم اللّهُ ثانياً.

وفيها كانت زلازلُ هائلةٌ سقطت منها المنازلُ ومات خلقٌ كثيرٌ تحت الرَّدْم.

وفيها كانت واقعةٌ ثالثة بين الزَّنْـج والموفّق كانوا فيها متكافئين.

وفيها توفّي أحمد بن الفُرَات بن خالد أبو مسعود[٤] الرازي الأصبهانيّ. كان أحدَ الأئمة الثِّقَات. ذكره أبو نُعَيْم في الطبقة السابعة وأثنى عليه.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطّان البصريّ الحافظ؛ سكن بغدادَ وحدّث بها عن جَدّه وغيره، وروى عنه المَحَامِلِيّ وغيره.

---

(١) كذا أيضاً في الطبري. وفي ابن الأثير: منصور بن جعفر بن زياد.

(٢) هو يحيى بن محمد البحراني قائد صاحب الزنج، كما في الطبري وابن الأثير.

(٣) في الأصل: «دير معقل» والتصحيح من الطبري وابن الأثير. وهذا النهر منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله، وهو نهر معروف بالبصرة فمه عند فم نهر الإجابة. ذكر الواقدي أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى الأشعري أن يحفر نهراً بالبصرة وأن يجريه على يد معقل بن يسار المزني فنسب إليه. (معجم البلدان: ٥/٣٢٣).

(٤) في الأصل: «أبو سعيد» وهو تحريف. والتصحيح من تهذيب التهذيب وعقد الجمان وتذكرة الحفاظ.

وفيها توفي جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس الهاشميّ العباسيّ. كان يقال له قاضي الثغور، وولي القضاءَ بِسُرَّ مَنْ رَأى، وحدّث عن أبي عاصم النبيل وغيرِه؛ قال أبو زُرْعة الرازيّ: كنت إذا رأيتُه هِبتُه وأقول: هذا يصلح للخلافة.

وفيها توفّي محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس أبو عبد الله النَّيسابوريّ الذُّهْليّ مولاهم؛ كان حافظَ عصره وإمامَ الحديث بنَيْسابور وصاحبَ الواقعة[1] مع البخاريّ صاحب الصحيح. كان أحدَ الأئمة الحفّاظ المتقنين؛ كان الإمام أحمد بن حنبل يُثني عليه ويَنشرُ فضله ويقول: هو إمام السنة بنيسابور.

وفيها[2] توفّي معاوية بن صالح، أبو عمرو الحَضْرَميّ الحِمْصيّ قاضي الأندلس؛ أصله من أهل مصر[3]؛ كان إماماً عالماً فاضلاً محدّثاً كبيرَ الشأن.

وفيها توفّي يحيى بن مُعَاذ بن جعفر، أبو زكريا الرَّازِي الواعظ، أحدُ الزهّاد أوحدُ وقته في علوم الحقائق؛ وكانوا ثلاثةَ إخوة: يحيى وإسماعيل وإبراهيم؛ كان إسماعيل أكبرَهم، ويحيى الأوسط.

وفيها توفي يحيى الجلّاء. كان من الزهّاد، وصحِب بِشْراً الحافي ومعروفاً

(١) الإشارة إلى الخلاف بينهما بصدد القول بأن القرآن مخلوق. قال ابن خلكان ١٩٥/٥: «وكان سبب الوحشة بينه وبين البخاري أنه لما دخل البخاري مدينة نيسابور شعث عليه محمد بن يحيى في مسألة خلق اللفظ [أي لفظ القرآن]. وكان البخاري قد سمع منه، فلم يمكنه ترك الرواية عنه، وروى عنه في الصوم والطب والجنائز والعتق وغير ذلك مقدار ثلاثين موضعاً، ولم يصرح باسمه فيقول: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، بل يقول: حدثنا محمد، ولا يزيد عليه، ويقول: محمد بن عبد الله، فينسبه إلى جده». وفي شرح القسطلاني على البخاري وتاريخ الذهبي في السنة المذكورة تفصيل لهذه الواقعة.

(٢) أكثر المراجع التي أرخت لوفاته جعلتها سنة ١٥٨هـ. والمراجع التي خالفت في ذلك لم تتجاوز سنة ١٧٢هـ. والمعروف أن معاوية بن صالح دخل الأندلس وولاه عبد الرحمن الداخل قضاء الجماعة بالأندلس، وكان يصحبه في غزواته، وقد عزل عن القضاء في أواخر أيام عبد الرحمن الداخل. (انظر الأعلام: ٢٦١/٧ وفيه ثبت للمصادر التي أرخت لوفاته والخلاف فيما بينها).

(٣) في الأعلام ٢٦١/٧: «أصله من حضرموت. نشأ بحمص وخرج منها سنة ١٢٥هـ، فمر بمصر وانتهى إلى الأندلس».

الكَرْخيّ وسَرِيًّا السَّقَطِيّ. قال أحمد بن حنبل: قلت لذي النُّون: لِمَ سُمِّي بآبن الجلّاء؟ فقال: سميناه بذلك لأنه إذا تكلّم جلا قلوبنا.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع ونصف. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وخمس أصابع ونصف.

* * *

السنة الخامسة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة تسع وخمسين ومائتين:

فيها كان أيضاً بين الموفّق وبين الزَّنْج مقتلةٌ عظيمةٌ، ثم كان بين موسى ابن بُغَا وبين الزَّنْج أيضاً مقتلةٌ عظيمةٌ، وقُتِل فيها خلقٌ من الطائفتين.

وفيها كانت وقعةٌ بين الروم وبين أحمد بن محمد القَابُوسيّ على مَلَطْيةَ وشِمْشاط[1]، ونصرَ اللّهُ المسلمينَ.

وفيها وُلد عُبَيْدُ الله الملقّب بالمهديّ والد الخلفاء الفاطميّين.

وفيها توفّي الحسينُ بن عبد السلام، أبو عبد الله المصريّ المعروف بالجمل، الشاعر المشهور؛ كان يصحب الشافعيّ ــ رضي الله عنه ــ.

وفيها توفي محمد بن عمرو بن يونس، أبو جعفر التَّغْلَبيّ، ويعرف أيضاً بالسُّوسِيّ، الزاهد العابد؛ مات وقد بلغ من العمر مائةَ سنة.

(١) كذا بالأصل. وفي الطبري وابن الأثير: «سميساط». وفي عقد الجمان: «شميساط». وشمشاط (بكسر أوله وسكون ثانيه) مدينة بالروم على شاطىء الفرات، شرقيها بالويه وغربيها خرتبرت. قال ياقوت: «وشمشاط الآن خراب ليس بها إلا أناس قليل، وهي غير سميساط. هذه بسينين مهملتين وتلك بمعجمتين، وكلتاهما على الفرات، إلا أن سميساط من أعمال الشام، وشمشاط في طرف أرمينية» (معجم البلدان: ٣٦٢/٣) ــ قارن أيضاً بالدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة: ص ١٩٨ والحاشية، وفيه ما يفيد أن سميساط وشميساط وساموزات (Samosate) أسماء لمدينة واحدة.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع، أبو الحسن القرشيّ الدمشقيّ الحافظ العالم المحدّث مصنف كتاب الطبقات.

وفيها توفي الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب السَّعْديّ الجُرْجَانيّ العالم المشهور.

وفيها توفي أيضاً أحمد بن إسماعيل السّهْميّ.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وخمس أصابع ونصف.

* * *

السنة السادسة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة ستين ومائتين:

فيها كان الغلاء المفرِطُ بالحجاز والعراق حتى بلغ الكُرُّ[١] من الحنطة ببغدادَ مائةً وخمسين ديناراً.

وفيها أغارت الأعرابُ على حِمْص، فخرج أميرُهم مَنْجور[٢] التركيّ لحربهم فقتلوه، وتولى بعده حمصَ بكتمُر التركيّ المعتمديّ.

وفيها أخذت الرومُ لؤلؤةَ[٣].

وفيها أيضاً كانت وَقَعاتٌ عديدةٌ بين عساكر الموفّق وبين الزّنْج، وقتلت الزّنْج عليّ بن يزيدَ العلويّ صاحبَ الكوفة.

وفيها توفي إبراهيمُ بن يعقوب بن إسحاق الحافظ، أبو إسحاق الجُرْجَانيّ[٤] ــ المقدّم ذكره في الماضية ــ على الصحيح في هذه السنة؛ كان يسكُن دِمَشْقَ،

(١) انظر ص ٣٢٩ من هذا الجزء، حاشية (٢).

(٢) كذا بهامش الأصل وابن الأثير والطبري. وفي الأصل: «يجور» وفي عقد الجمان: «بكجور».

(٣) قلعة قرب طرسوس. (معجم البلدان: ٥/٢٦).

(٤) كذا في تذكرة الحفاظ والبداية والنهاية ومعجم البلدان وتهذيب ابن عساكر وابن خلكان (ترجمة مقاتل بن سليمان).

ويُحدّث على المِنبر، وكان من الأئمة الحفّاظ، إلا أنه كان منحرفاً عن عليّ بن أبـي طالب ــ رضي الله عنه ــ.

وفيها توفّي أيّوب بن إسحاق بن إبراهيم بن مُسَافِر؛ كان يسكن الرَّمْلَة، وحدّث بها وبمصر ودمشقَ، وكان زَعِرَ[1] الخُلُق.

وفيها توفي الحسن بن علي [بن محمد بن عليّ][2] بن موسى بن جعفر [بن محمد بن علي][2] بن الحسين بن علي بن أبـي طالب، ويقال له العسكريّ[3]، كنيته أبو محمد؛ وهو أحد الأئمة الأثني عشر المعدود[ين] عند الرافضة[4]. ومولده سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسُرَّ مَنْ رَأى، وأمّه أمّ ولد.

وفيها توفي الحسن الفَلّاس العابد الزاهد؛ كان يتقوّت من قُمَام المزابل؛ صحبه بِشْرٌ الحافي وسَرِيّ السَّقَطِيّ ومعروفٌ الكَرْخيّ، وانتفـع به بِشرٌ الحافي.

وفيها توفّي الحسن بن محمد بن الصبّاح، أبو علي الزعفرانيّ؛ أصله من قرية بالعراق يقال لها الزعفرانية، وهو صاحب الإمام الشافعي الذي قرأ عليه كتابَ «الأم»، وروى عنه أقوالَه القديمةَ.

وفيها توفّي مالك بن طَوْق بن غِياث[5] التَّغْلَبـيّ صاحب الرَّحبَة[6]؛ كان أحدَ الأجواد. ولِي إمْرَةَ دِمشقَ والأُرْدُن.

---

(١) زَعِرَ فلان: أي ساء خلقه، فهو زَعِرٌ وهي زعرة، وهو أزعر وهي زعراء.

(٢) الزيادة عن وفيات الأعيان وأعيان الشيعة.

(٣) هذه النسبة إلى سامراء. ولما بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره قيل لها العسكر، وإنما نسب الحسن المذكور إليها لأن المتوكل أشخص أباه علياً إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، فنسب هو وولده إليها. (وفيات الأعيان: ٩٤/٢).

(٤) هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية (الجعفرية).

(٥) كذا في الأصل. والصواب: «عتاب» (الأعلام: ٢٦٢/٥ وفيه ذكر المراجـع التي اعتمد عليها المؤلف لتصويب الاسم).

(٦) هي رحبة مالك بن طوق، تقـع على الفرات بين الرقة وعانة. أحدثها مالك بن طوق في خلافة المأمون. ولا تزال آثار قلعتها الخربة بادية للعيان حتى يومنا على قرب بضعة كيلومترات في الجنوب الغربـي من مدينة الميادين السورية. (مراصد الاطلاع: ٦٠٨/٢).

وفيها توفّي محمد[١] بن مسلم بن عبد الرحمن أبو بكر القَنطَرِيّ. كان ينزل قَنْطرةَ البَرَدَان ببغدادَ فنُسب إليها، وكان يُشَبّه في الزهد والورع بِبِشْر الحافي.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأربع أصابع ونصف. مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعاً وإحدى عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة السابعة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة إحدى وستين ومائتين:

فيها وَلّى الخليفةُ المعتمِد أبا السّاج[٢] إمرةَ الأهواز وحربَ صاحب الزَّنْج، فكان بينه وبين الزنج حروبٌ.

وفيها بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه المفوّض جعفرٍ المذكور قبل تاريخه أيضاً وولّاه المغربَ والشأم والجزيرةَ وأرمينيَةَ، وضمّ إليه موسى بن بُغَا، وولّى أخاه الموفّق العهدَ بعد ٱبنه المفوَّض، وولّاه المشرقَ والعراقَ وبغدادَ والحجازَ واليمنَ وفارسَ وأصبهانَ والرَّيّ وخُراسان وطَبَرِسْتان وسِجِسْتان والسِّند [وضم إليه مسروراً البَلْخيّ][٣]، وعقد لكل واحد منهما لواءين: أبيض وأسود، وشرط إن حدث به حَدَثُ [الموت][٣] أن الأمر يكون لأخيه الموفق إن لم يكن ٱبنُه المفوّضُ جعفرٌ قد بلغ؛ وكتب العهدَ وأرسله مع قاضي القضاة الحسن بنِ أبي الشَّوارِب لِيعلقه في الكعبة.

وفيها توفي الحافظ مُسْلم بن الحَجّاج بن مسلم، الإمام الحافظ الحجة أبو الحسين النَّيسابوريّ صاحب الصحيح؛ ولد سنة أربع ومائتين. قال الحسين بن

(١) في الأصل: «موسى». وما أثبتناه عن معجم البلدان وأنساب السمعاني.

(٢) واسمه داود بن دوست، كما في ابن خلكان: ٤١٥/٦. قال: وإليه تنسب الأجناد الساجية ببغداد. وقد توفي سنة ٢٦٦هـ بجنديسابور.

(٣) زيادة عن الطبري وابن الأثير وابن كثير.

محمد الماسَرْجِسِيّ(١): سمعت أبي يقول سمعتُ مسلماً يقول: صنَّفتُ هذا المسندَ الصحيحَ من ثلاثمائة ألف حديث مسموعةٍ. وقال أحمد بن سَلَمة: كنت مع مسلم في تأليف صحيحه آثنتي عشرةَ سنةً؛ قال: وهو آثنا عشر ألف حديث، يعني بالمكرّر. قلت: مات يوم الأحد ودُفن يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رجب. وقد روينا صحيحَه عن أبي ذَرّ الحنبليّ أنبأنا محمد بن إبراهيم البَيَانيّ سماعاً أنبأنا أبو الفِداء إسماعيل وعليّ بن مسعود بن نَفِيس، قالا أنبأنا إبراهيمُ بن عمَر بن مضَر وأحمد بن عبد الدائم، قال ابن مضر أنبأنا منصور، وقال ابن عبد الدائم أنبأنا محمد بن علي بن صَدَقة الحَرّانيّ أنبأنا صدر الدّين البكريّ، قال البكريّ أنبأنا المؤيَّدُ [بن محمد بن علي](٢) الطُّوسيُّ قال ابن عساكر إجازةً قال الفُرَاوِيّ(٣)، وهو فقيه الحرم، قال أنبأنا الفارسيّ أنبأنا الجُلُوديّ أنبأنا آبن سفيان أنبأنا مسلم.

وفيها توفي الحسن بن محمد بن عبد الملك، أبو محمد القاضي الأُمويّ، ويُعرفُ بآبن أبي الشوارب؛ كان فقيهاً عالماً فاضلاً جواداً ذا مُروءة(٤)؛ ولِيَ القضاءَ سنينَ عديدة.

وفيها توفي الشيخ الإمام المعتقَدُ أبو يزيدَ البِسطاميّ(٥)، واسمه طَيفُور بن عيسى بن شَرْوَسَان(٦)، وكان شروسان مجوسيًّا، وكان لعيسى ثلاثةُ أولادٍ: آدمُ وهو أكبرهم، وطيفورُ هذا وهو أوسطهم [وعليّ](٧)، وكان الثلاثة زُهّاداً عُبّاداً. وكان طيفور أفضلَ [أهل] زمانه وأجلَّهم محلاً. كان له لسانٌ في المعارف والتدقيق، وكان صاحبَ أحوال وكرامات، وقد شاع ذكرُه شرقاً وغرباً.

---

(١) هذه النسبة إلى جدّه: ماسرجس الذي كان نصرانياً وأسلم. (انظر الجزء الرابع من هذا المطبوع: حوادث سنة ٣٦٥).
(٢) زيادة عن شذرات الذهب.
(٣) في الأصل: «قال والحراني والمغراوي» وهو تحريف. والتصحيح من شرح مسلم.
(٤) في الأصل: «مشروة». وما أثبتناه من هامش الأصل.
(٥) نسبة إلى «بسطام»: بلدة مشهورة من أعمال قومس. وقد ضبطها السمعاني وابن خلكان بفتح الباء. وضبطها ياقوت بالكسر. وفي شرح القاموس: بالكسر، ويفتح أو هو (أي الفتح) لحن.
(٦) في ابن خلكان ٢/٥٣١: «طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي».
(٧) زيادة عن ابن خلكان.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن يَزْدَادَ[(١)] أبو صالح الكاتب المَرْوَزيّ؛ وزر أبوه للمأمون ووزر هو للمستعين والمهتدي، وكان أديباً شاعراً فاضلاً جواداً ممدَّحاً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وثلاثَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وخمسُ أصابع ونصف.

* * *

السنة الثامنة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة اثنتين وستين ومائتين:

فيها وَلِي قضاءَ سُرّ مَنْ رَأى عليُّ بن الحسن بنِ أبي الشوارب عوضاً عن أبيه. وَوَلِي قضاءَ بغداد إسماعيلُ بن إسحاق القاضي.

وفيها آشتغل المعتمِد بقتال يعقوب بن الليث الصَّفّار؛ فبعث كبيرُ الزّنج عسكَره إلى البَطِيحَة[(٢)] فنَهبها وأفسد العسكرُ بها وأسَروا وقتَلوا.

وفيها تعرّض رجل لامرأة ببغداد وغصَبها بمكان وهي تصيح: اِتّق الله وهو لا[(٣)] يلتفِت؛ فقالت: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾[(٤)] الآية ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت: اللّهُمّ إنّه قد ظلمني فخُذْه إليك؛ فوقع الرجل ميتاً. قال ابن عَوْن الفَرَائضيّ[(٥)]: فأنا والله رأيتُ الرجل ميّتاً، فحُمل على نعش والناس يهلّلون ويكبّرون.

وفيها غلب يعقوب بن الليث الصفّار على فارس، وهرَب عاملُ المعتمِد إلى الأهواز.

---

(١) كذا في الطبري وابن الأثير. وفي الأصل: «داود» وهو تحريف.

(٢) أرض واسعة بين واسط والبصرة.

(٣) في الأصل: «. . . لم يلتفت إليها» وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

(٤) سورة الزمر، الآية ٤٦.

(٥) في الأصل: «أبو عون الفراء أيضاً» وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

وفيها توفِّي خالد بن يزيد، أبو الهَيْثم التَّميميّ الخُرَاسانيّ الكاتب، أحد كتّاب الجيش[١] ببغداد. كان فاضلاً شاعِراً.

وفيها توفّي سعد بن يزيد، أبو محمد البَزّاز؛ كان إماماً فاضلاً شاعراً حافظاً؛ روى عنه يزيدُ بن هارون وطبقته؛ ومات ببغداد في شهر رجب.

وفيها توفي عبد الله بن الفُقَيْر[٢]. المَرْوَزِيّ[٣] المعتقَد، كان من الأَبْدال[٤]، كان مقيماً بقَزْوِين، فإذا كان يومُ الجمعة قد[٥] سلك مسافة بعيدة، وكان يمشي على الماء ويقِف له بحرُ جَيْحُون، وكان يتقوّت بالمباحات[٦].

وفيها توفي يعقوب بن شَيْبة بن الصَّلْت بن عُصْفور، أبو[٧] يوسف الحافظ السَّدُوسيّ البصريّ؛ كان إماماً حافظاً فقيهاً عالمـاً؛ صنّف المسندَ معلّلاً إلا أنه لم يُتِمَّه[٨]، وكان يتفقّه على مذهب مالك، وسمـع منه يزيد بن هارون وغيرُه. وكان ثِقةً، إلا أنه كان يقول بالوقف[٩] في القرآن، فهجره الناس.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) كان كاتباً للجيش أيام المعتصم العباسي. وجعل ابن شاكر الكتبي وفاته في حدود سنة ٢٧٠هـ.

(٢) في الأصل: «عبد الله بن المقير» وما أثبتناه من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان.

(٣) ليست هذه النسبة إلى «مرو» وإنما إلى محلة المراوزة ببغداد، إذ هو بغدادي.

(٤) الواحد بديل: وهم قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم. لا يموت أحدهم إلا قام بدله آخر من سائر الناس. وقيل هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة. (انظر في ذلك صحاح الجوهري والقاموس وشرحه والاشتقاق لابن دريد).

(٥) كذا بالأصل. والعبارة غير واضحة. وفي هامش طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان: «فإذا كان يوم الجمعة رأوه بآمد، وبينهما مسافة بعيدة».

(٦) في مرآة الزمان: «وكان يجمـع الأشنان ويتقوّت بثمنه، وإذا رآه السبـع خضـع له وبصبص بين يديه» — (المرجـع السابق).

(٧) في الأصل: «ابن يوسف» والتصحيـح من الأعلام: ١٩٩/٨ وفيه ثبت بمصادر ترجمته.

(٨) وهو «المسند الكبير» في مئات من الأجزاء. كان يشتغل له في تبييضه عشرات من الوراقين، وطبـع الجزء العاشر منه باسم «مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ» (المرجـع السابق). وانظر كشف الظنون، ص ١٦٧٨.

(٩) الوقف في القراءة هو قطـع الكلمة عما بعدها. انظر التعريفات للجرجاني، ص ٢٥٣، والكليات للكفوي: ٤١/٥.

الماء القديم ثلاث أذرع وثلاثَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرة ذراعاً وثمانيَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة التاسعة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة ثلاث وستين ومائتين:

فيها سار يعقوب بن الليث الصَّفار إلى الأهواز، وأسر الأميرَ آبنَ واصِل[١]، وآستولى على الأهواز.

وفيها آستوزر الخليفةُ المعتمِد الحسنَ بن مَخْلَد بعد موت عُبَيد الله[٢] بن يحيى بن خاقان؛ فلما قَدِم موسى بن بُغَا إلى سَامَرَّا هَرب الحسنُ المذكور، فآستوزر مكانَه سليمانَ بن وهب في ذي الحِجّة.

وفيها حجّ بالناس الفضلُ بن إسحاق الذي حجّ بهم في الماضية[٣].

وفيها توفّي الوزيرُ عبيد الله[٢] بن يحيى بن خاقان بن عُرْطُوج أبو الحسين التركيّ الوزيرُ. وسبب موته أنه دخل مَيْداناً في داره يوم الجمعة لعشر خلون من ذي القَعْدة ليضرب الصَّوَالِجَة[٤]، وركب ولَعِثَ[٥]، فصدمه خادمُه رَشِيقٌ، فسقط عن دابته ميتاً.

---

(١) في ابن الأثير: «محمد بن واصل».

(٢) في الأصل: «عبد الله» وهو خطأ. وعبد الله هو أخو عبيد الله. وإنما الذي استوزره المعتمد ومات في هذه السنة هو عبيد الله الوزير. (انظر الطبري وابن الأثير وابن كثير والفخري) والظاهر أن أبا المحاسن ينقل هنا عن مرآة الزمان لابن قزأوغلي فهو الذي ذكر عبد الله بدلاً من أخيه عبيد الله.

(٣) وقد حجّ بالناس في السنوات: ٢٥٧ و٢٥٨ و٢٦١ و٢٦٢ و٢٦٣هـ. وهو الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي. (مروج الذهب: ٤/٤٠٦).

(٤) الصولج والصولجان: ج. صوالج وصوالجة. عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة. واللفظ فارسي معرب جوكان.

(٥) لعث: ثقل وبطؤ، فهو ألعث.

وفيها توفي محمد بن محمد بن عيسى أبو الحسن البغداديّ، ويعرف بآبن أبي الوَرْد[1]؛ كان من الزهّاد والورِعين.

وفيها توفي الإمام الحافظ محمد بن علي بن ميمون الرَّقّيّ العطّار، إمامُ أهل الجزيرة؛ وفي التهذيب: توفي سنة ثمانٍ وستين.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأربعَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة العاشرة من ولاية أحمد بن طُولون على مصر

وهي سنة أربع وستين ومائتين:

فيها في المحرّم خرج أبو أحمد الموفَّق ومعه موسى بن بُغَا إلى قتال الزَّنْج، فلما نزلا بغدادَ مات موسى بن بُغَا، فَحُمِل إلى سَامَرَّا ودُفن بها.

وفيها في شهر ربيع الأوّل توفّيت قَبيحةُ أمّ الخليفة المعتزّ بسامَرَّا؛ وكان الخليفة المعتَمِد قد أعادها من مكّة إلى سامرّا وأكرمها، وكانت أمَّ ولد للمتوكّل روميّة، وكانت فائقة في الجمال، فسُمّيت قبيحةَ من أسماء الأضداد؛ وقد تقدّم ذكر مصادرتها من قِبَل صالح بن وَصِيف وما أُخِذَ منها من الذهب والجواهر.

وفيها توفي عُبيد الله بن عبد الكريم بن يزيدَ بن فَرُّوخ الحافظ، أبو زُرْعَة الرازيّ مولى عَيّاش بن مطرّف القرشيّ؛ ولد سنة مائتين بالرَّيّ؛ وكان إماماً حافظاً ثقة صدوقاً؛ وهو أحد الأئمة المشهورين الرحّالين لطلب الحديث. قدِم بغدادَ وحدّث بها غيرَ مرّةٍ، وجالس الإمام أحمد بن حنبل وكان يُحبّه ويُثني عليه.

وفيها توفّي إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم الفقيه، أبو إبراهيم المُزَنِيّ المصريّ صاحب الشافعي؛ روَى عنه وعن غيره، وروَى عنه

---

(١) في الأصل: «ابن أبي الرداد» وهو تحريف. وما أثبتناه من عقد الجمان.

أبو بكر بن خُزَيمة والطحاوي[١] وغيرُهما؛ وهو أحد الأئمة المشهورين، وتفقّه به جماعة، وصَنّف التصانيفَ، منها: الجامع الكبير، والجامع الصغير، ومختصر المختصر[٢]؛ ولمّا قَدِم القاضي بكّار بن قُتَيْبة على قضاء مصر وهو حنفيّ، اجتمع به المُزَنيّ، فسأله رجل من أصحاب بكّار وقال: قد جاء في الأحاديث تحريمُ النبيذ وتحليلُه، فلِم قدّمتم التحريم على التحليل؟ فقال المزنيّ: لم يذهب أحد إلى تحريم النبيذ في الجاهلية ثم حُلّل لنا، ووقع الاتفاق على أنه كان حلالاً فحرّم، فهذا يعضد أحاديث التحريم. فآستحسن القاضي بكارٌ ذلك منه[٣].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع واثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً واثنتان وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة خمس وستين ومائتين:

فيها خرج صاحب الترجمة أحمد بن طولون من مصر إلى الشأم في المحرّم[٤]، وتوجّه إلى أنطاكِيَة وحصَر بها صاحبَها سيما[٥] الطويل، ولم يزل مقيماً

---

(١) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي: فقيه، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في «طحا» من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي ثم تحول حنفياً، ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ فاتصل بأحمد بن طولون فكان من خاصته. وهو ابن أخت المزني. (الأعلام: ١/٢٠٦).

(٢) ومن كتبه أيضاً: المنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم وكتاب الوثائق. قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي. وقال في قوة حجته: لو ناظر الشيطان لغلبه. (وفيات الأعيان: ١/٢١٧).

(٣) ورد هذا الخبر ببعض اختلاف عما هنا في وفيات الأعيان: ١/٢١٧، والولاة والقضاة: ٥١١.

(٤) في الكندي وابن الأثير والمسعودي أن خروجه كان في أواخر سنة ٢٦٤هـ.

(٥) من قواد الجند الترك. كان بأنطاكية على جهة التغلّب وعصيان السلطان. انظر تفصيل هذا الخبر في البلوي: ص ٩٤ ــ ٩٦، وابن الداية: ١١٦.

عليها بآلات الحصار إلى أن أخذ أنطاكيةَ وقتل سيما الطويل المذكور، ثم عاد إلى مصر[١].

وفيها أمر الموفّق بحبس سليمانَ بن وَهْب وآبنه عبد الله[٢] فحُبِسا، وأُخذ أموالهما وعقارهما، ثم صُولِحَا على تسعمائة ألف دينار.

وفيها آستوزر الخليفةُ المعتمد إسماعيلَ بن بُلْبُل[٣].

وفيها مات يعقوب بن الليث الصفّار بالأهواز، وخلفه[٤] أخوه عمرو بن الليث؛ فكتب عمرو بن الليث إلى المعتمد بأنه سامعٌ مطيع.

وفيها بعث ملك الروم بعبد الله بن رشيد بن كاوُس، الذي كان عاملَ الثغور وأسره الروم، إلى أحمد بن طولون مع عِدّةِ أسارى[٥].

وفيها خرج العبّاس بن أحمد بن طولون إلى بَرْقةَ مخالفاً لأبيه، وكان أبوه قد استخلفه على مصر لمّا توجّه إلى حصار سيما الطويل بأنطاكِيَة، وأخذ معه العبّاسُ ما في بيت مال مصر من الأموال[٦] وما كان لأبيه من الآلات وغيرها وتوجّه إلى بَرْقةَ؛

---

(١) كان سبب عودة ابن طولون إلى مصر ما بلغه من خروج ابنه العباس مخالفاً له وتوجهه إلى برقة بعد أن أخذ ما في بيت المال. (ابن الداية: ١١٨).

(٢) في الطبري وابن الأثير: «عبيد الله».

(٣) هو أبو الصقر إسماعيل بن بلبل. وقد مدحه ابن الرومي بقصيدة طويلة أولها:

أجنت لك الوصل أغصان وكثبان ... فيهنّ نوعان: تفاح ورمان

وفهم ابن بلبل المديح على غير حقيقته، فعاد ابن الرومي وهجاه بقصيدة منها:

إن للحظ كيمياء إذا ما ... مسّ كلباً أحاله إنسانا

(انظر تفصيل ذلك في الفخري: ٢٥٢).

(٤) في الأصل: «واستخلف أخاه عمرو بن الليث» وما أثبتناه هو عبارة الطبري.

(٥) الأرجح أن ملك الروم جعل عمله هذا وسيلة إلى عقد الهدنة مع ابن طولون في تلك السنة، كما يفهم من كتاب ابن طولون إلى طخشي بن بلين بطرسوس. (انظر البلوي: ص ١٠٩، وابن الداية: ص ٩٨).

(٦) ذكر البلوي في سيرة ابن طولون: ٢٤٨ أن العباس أخذ كل ما تهيأ له من المال والمتاع والسلاح والكراع، وأخذ معه الواسطي وأيمن الأسود مقيدين وخرج، فلما صار إلى الإسكندرية أقام بها أياماً ثم تجاوزها إلى برقة. ووافى أحمد بن طولون إلى مصر فوجده قد أخذ من المال ألفي ألف دينار، ولم يقنعه ذلك حتى =

فوجّه أبوه أحمد بن طولون خَلْفه جيشاً فقاتلوه حتى ظَفِروا به، وأحضروه إلى أبيه فحبسه، وقتل جماعةً من القوّاد الذين كانوا معه.

وفيها دخل الزَّنْـجُ النُّعمانيةَ[١] فأحرقوا سُوقِها وأكثرَ منازل أهلها وقتلوا وسَبَوْا.

وفيها ولّى الموفَّقُ عمروَ بن الليث الصفّار خُراسَان وكَرْمَانَ وفارسَ وأَصْبِهانَ وسِجِسْتَانَ.

وفيها حـجّ بالناس هارون بن محمـد بن إسحاق بن مـوسى بن عيسى الهاشميّ[٢].

وفيها تُوفّي إبراهيم بن هانىء الحافظ، أبو إسحاق النَّيْسابوريّ؛ كان أحد أئمة الحديث الرَّحّالة، واختفى أحمد[٣] بن حنبل في داره أيام المِحنة.

وفيها تُوفّي سعدان[٤] بن نصر بن منصور أبو عثمان الثَّقفيّ البزّاز. ولد سنة اثنتين وسبعين ومائة، وسمـع سُفْيانَ بن عُيينة وغيره، وكان أديباً شاعراً، مات في ذي الحجة.

وفيها توفي صالـح بن أحمد بن محمد بن حنبل، أبو الفضل الشَّيْبانيّ؛ ولد سنة ثلاث وثلاثين ومائتين في ربيـع الآخر، ووَلِيَ قضاء أَصْبهانَ، وكان صدوقاً كريماً جواداً ورِعاً.

وفيها توفي عبدُ الله بن محمد بن أيّوبْ، أبو محمد الزاهد الورِع؛ سُئل قضاءَ بغداد فآمتنـع.

= استسلف من التجار ثلاثمائة ألف دينار وأمر صاحب الخراج أن يضمنها لهم ويكتب لهم بها على المعاملين ففعل ذلك خوفاً منه.

(١) بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة. (معجم البلدان).

(٢) ذكر المسعودي في مروج الذهب: ٤٠٧/٤ أن هارون بن محمد بن إسحاق حج بالناس من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٢٧٨هـ خمس عشرة حجة متوالية.

(٣) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل: «وكان اختفى أيام المحنة» وهي غير واضحة.

(٤) في الأصل: «سعد بن نصر». والتصحيح عن شذرات الذهب.

وفيها توفي عليّ بن الموفَّق العابد؛ كان صاحب كرامات وأحوال، وكان مُحَدِّثاً ثقةً صَدُوقاً.

وفيها توفي عمرُو[١] بنُ مسلم الشيخُ المعتقَد أبو حَفْص النَّيْسابوريّ. كان من الأبدال مُجابَ الدعوة؛ مات في [شهر] ربيع الأوّل.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة ست وستين ومائتين:

فيها دخل عليّ بن أَبَان[٢] مُقدّم الزَّنْج الأهوازَ فقاتله أَغَرْتمِش[٣] التركيّ فانتصرَ الخبيثُ على أغرتمش المذكور وقَتل ونهب وبعث برؤوس القتلى ونصبها على سور مدينته.

وفيها وثَب الأعرابُ على الحُجَّاج وأخذوا الكُسْوةَ، وصار بعضهم إلى صاحب الزَّنْج، وأصاب الحجَّ شدةٌ عظيمة.

وفيها دخل أصحاب الزنج رامَهُرْمُزَ[٤] وآستباحوها.

وفيها كانت بين الأكراد والزَّنْج وقعةٌ ظهر فيها [الزَّنجُ][٥] في الأوّل ثم كان النصرُ للأكراد على الزنج، وأُعمِلَ فيهم السيفُ، ولله الحمدُ والمنّةُ.

---

(١) كذا في الأصل وشذرات الذهب. وفي عقد الجمان: «عمر بن سالم أبو حفص». وفي تاريخ الإسلام للذهبي: «عمر بن سلم وقيل عمرو بن سلمة وقيل عمران بن سلم».

(٢) في الأصل: «عبان» وهو تحريف. والتصحيح من الطبري وابن الأثير وابن كثير وعقد الجمان.

(٣) في الأصل: «هرتمش». وما أثبتناه من المراجع السابقة.

(٤) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان (معجم البلدان).

(٥) زيادة يقتضيها السياق. وعبارة الطبري: «فظهر الزنج في ابتداء الأمر على الأكراد». وجاء فيه أن الأكراد هؤلاء كانوا بموضع يقال له: الداربان.

وفيها توفي محمدُ بن شجاع الحافظ، أبو عبد الله الثَّلْجيّ البغداديّ الفقيه الحنفيّ أحد الأعلام؛ قرأ القرآن على اليزيديّ[١]، وروى الحروفَ عن يحيى[٢] بن آدم، وتفقّه على الحسن بن زياد اللؤلؤي[٣] وغيره، وصار إمامَ عصره، وبه تخرّج غالبُ علماء عصره.

وفيها توفي حمّاد [بن الحسن][٤] بن عَنْبَسة الورّاق العالم المشهور.

وفيها توفي محمد بن عبد الملك الدَّقِيقيّ[٥].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستُّ أذرع وستُّ أصابع. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وأربعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة سبع وستين ومائتين:

فيها دخلت الزَّنْج واسطاً واستباحوها وأحرقوا فيها، فجهّز الموفَّقُ ابنه أبا العباس لحربهم في جيش عظيم، فكانت بينه وبينهم وقعةٌ عظيمةٌ انهزم فيها الزنج، وقَتل أبو العباس فيهم مقتلةً عظيمةً وأسَر جماعةً، وفرّقهم وغرّق مراكبَهم في الماء، فكان ذلك أوّلَ نصر المسلمين على الزنج؛ ثم كان بعد ذلك في هذه السنة

---

(١) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد اليزيدي. عالم بالعربية والأدب. توفي سنة ٢٠٢هـ. (الأعلام: ٨/١٦٣).

(٢) هو يحيى بن آدم بن سليمان الأموي، أبو زكرياء. من ثقات أهل الحديث، فقيه، واسع العلم. توفي سنة ٢٠٣هـ. (الأعلام: ٨/١٣٣).

(٣) قاض فقيه، من أصحاب أبي حنيفة، اخذ عنه وسمع منه، وكان عالماً بمذهبه بالرأي. توفي سنة ٢٠٤هـ. (الأعلام: ٢/١٩١).

(٤) زيادة عن تهذيب التهذيب.

(٥) في الأصل: «الرفيعي» وهو تحريف. والتصحيح من عقد الجمان. والدقيقي نسبة إلى الدقيق وبيعه وطحنه.

أيضاً عدّةٌ وقائعَ بين الزنج وبينه والجميع ينتصر فيها أبو العباس بن الموفّق[١].

وفيها بنى الموفّق مدينةً بإزاء مدينةِ صاحب الزنج، وسمّاها المُوَفَّقيّةَ.

وفيها وثب صاحب الترجمة أحمد بن طولون على أحمد [بن محمد][٢] بن المدبّر، وكان أحمد [بن محمد][٢] بن المدبر متولي خراج دِمشق والأُرْدُنّ وفِلَسْطين، وحبسه وأخذ أموالَه، ثم صالحه[٣] على ستمائةِ ألف دينار.

وفيها حجّ بالناس هارونُ بن محمد بن إسحاق العباسيّ.

---

(١) أوفى التفاصيل عن هذه الوقائع في هذه السنة تجدها في الطبري وابن الأثير: حوادث سنة ٢٦٧هـ.

(٢) زيادة عن الكندي والمقريزي والبلوي.

(٣) في هذا الخبر يحاول أبو المحاسن أن يختصر اختصاراً من شأنه تشويش السياق التاريخي لما وقع بين ابن طولون وابن المدبر. ويفهم مما أورده البلوي وابن الداية أن العلاقة فيما بين ابن طولون وابن المدبر قد عرفت محطتي تصادم أساسيتين: الأولى عام ٢٥٨هـ. وفي هذا الصدد يقول البلوي، ص ٥٩ ــ وهو ما يوافق رواية ابن الداية ــ: «إن ابن طولون كتب إلى الحضرة يطلب الخراج لابن هلال، وأكد القول فيه إلى يارجوخ وإلى الوزير، فوردت عليه الكتب بتقليد ابن هلال عمل ابن المدبر، فقويت يد أحمد بن طولون على الاستخفاف بابن المدبر والسعي فيه، وقبض عليه وحبسه في داره بحال سيئة. وولي المعتمد فردّ الخراج إلى ابن المدبر، ووردت الكتب بذلك على أحمد بن طولون، فأطلقه وتسلم الخراج... وتأمل ابن المدبر أمره، فإذا به يخاف من أحمد بن طولون خوفاً لا يأمنه أن يأتي عليه، فكتب إلى أخيه ــ إبراهيم بن المدبر الوزير ــ يقول: تلطف لي في التخلص من أحمد بن طولون والخروج عنه، فأورد عليه أخوه الكتاب بتقليده جندي فلسطين والأردن ودمشق... واستعمل أحمد بن المدبر مع أحمد بن طولون التلطف والحيلة في الخلاص منه، ووهب له ضياعاً كان يملكها بمصر جليلة المقدار، وعقد نكاحاً بين أبي الجيش ابنه وبين ابنته فحلة، وخرج فخرج أحمد بن طولون معه مشيعاً له». أما المحطة الثانية في التصادم بين ابن طولون وابن المدبر فكانت في هذه السنة أي ٢٦٧هـ. وفي ذلك يقول البلوي، ص ١٧٥: وكان الحسن بن مخلد قد خبّر ابن طولون بما كان يكتب به أحمد بن محمد بن المدبر في أمره إلى السلطان، ودفع إليه كتباً، منها ما يقول فيه بخطه: «إنه قد عزم على أن يقيم بمصر خليفة» ويصف غدره، ويذكره بكل قبيح ويشير بعزله، ويخيف السلطان منه، ويذكر ما قد اختزله من الأموال، فكتب أحمد بن طولون من وقته إلى سعد الفرغاني، وكان من قواده وثقاته، وهو بالشام مقيم، أن يشخص إليه ابن المدبر، فأشخصه فحبسه في حجرة... ولم يزل في حبس ابن طولون حتى عمي ومات. قلنا: وقد أشرنا إلى هذا ببعض التفصيل لسببين: الأول أن أبا المحاسن لم يشر إلى شيء منه في أحداث سنة ٢٥٨هـ ولا في ترجمته لابن طولون. والثاني أنه قد أدخل في هذا الخبر من سنة ٢٦٧هـ جزءاً وقع في سنة ٢٥٨هـ، وهو المتعلق بقوله: «وكان أحمد بن المدبر متولي خراج دمشق والأردن وفلسطين».

وفيها توفّي علي بن الحسن(١) بن موسى بن مَيْسرة الهِلاليّ النَّيْسابوريّ الدَّرَابجْرْدِيّ ــ ودَرَابْجِرْد محلةٌ بنيسابور ــ كان من أكابر علماء نيسابور وابنَ عالمهم، وله مسجد بدرَابْجِرْد يُقصد للزيارة، وقيل: إنه روى عنه البخاريّ ومسلمٌ وغيرُهما، وكان ثقةً صدوقاً فاضلاً؛ وُجِدَ في مسجده ميتاً بعد أسبوع ولم يعلموا به، وقيل: أكله الذئبُ.

وفيها توفّي محمدُ بنُ حَمّاد بن بكر المقرىء، صاحبُ خَلَف(٢) بن هشام؛ كان أحدَ القرّاء المجوّدين وعباد الله الصالحين.

وفيها توفّي شهيداً(٣) يحيى بن محمد بن يحيى، أبوزكرياء الذُّهْليّ، إمام أهل نَيْسابور في الفتوى والرياسة، وكان يتفقّه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، وهو ابن صاحب الواقعة مع محمد بن إسماعيل البخاريّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستٌّ أذرع وتسعُ أصابع ونصف. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وأربعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة ثمان وستين ومائتين:

فيها غزا خَلَفٌ الفَرْغانيّ التركيّ، نائبُ أحمدَ بن طولون، ثُغور الشام، فقتَل من الروم بضعةَ عشرَ ألفاً، وغنِم حتى بلغ السهمُ أربعين ديناراً.

---

(١) كذا أيضاً في تهذيب التهذيب والذهبي ومعجم البلدان. وفي أنساب السمعاني وعقد الجمان: «الحسين».

(٢) هو خلف بن هشام البزار الأسدي، أبو محمد: أحد القراء العشرة. توفي سنة ٢٢٩هـ. (الأعلام: ٣١١/٢).

(٣) كان يلقب بـ«حيكان». ثم كان أمير المطوعة المجاهدين والمقدم على الغزاة بنيسابور، فدخلها خارجي يدعى أحمد بن عبد الله الخجستاني وغلب عليها، فقاتله حيكان، وفر من معه، فسجنه الخجستاني ثم دخل عليه وقتله في سجنه. (الأعلام: ١٦٤/٨).

وفيها قُتِل أحمدُ بن عبد الله الخُجُسْتانيّ[١] الخارج بخُراسَان، قتله غلمانُه[٢] في آخر السنة.

وفيها أظهر لؤلُؤ الخلافَ على أحمدَ بن طولون، وكاتب الموفَّق بالقدوم عليه. ولؤلؤ المذكور من موالي أحمدَ بن طولون[٣].

---

(١) في الأصل: «السجستاني» وهو تحريف. والتصحيح عن الطبري وابن الأثير وعقد الجمان.

(٢) في المراجع السابقة: «قتله غلام له في ذي الحجة».

(٣) قال البلوي في سيرة ابن طولون: «... ولما انقضى أمر العباس ابنه، وهو كان ابتداء انحلال أمره، تنكَّر عليه لؤلؤ غلامه، وكان عمدته وعليه كان معوّله، لتتم مشيئة الله فيه بانقضاء عمره وزوال ملكه... وكان أحمد بن طولون إذا أنكر على لؤلؤ شيئاً أوقع بكاتبه محمد بن سليمان وقال: هذا منك وليس منه، فحمل محمد بن سليمان الخوف من أحمد بن طولون أن حسَّن للؤلؤ حمل جملة من المال في الأعمال (وفي ابن الداية: من أعمال ديار مضر) والاستئمان إلى الموفق. فلما حصل له المال قال له محمد بن سليمان: قد علمت ما فعل بابنه العباس، وهو أعز الناس عليه، وقد تخلصنا منه، فإن لم تبادر وإلا لم نأمنه، فأجابه إلى ما أشار به عليه. فكتب محمد بن سليمان إلى الموفق عن لؤلؤ كتاباً يعرفه رغبته في المصير إليه، والتصرف تحت أمره ونهيه، والدخول في طاعته، فاستبشر الموفق لذلك، لما في نفسه من مولاه أحمد بن طولون، ورأى أن ذلك إحدى الفرص التي ينتهزها ويبادر إليها، فأجابه بأحسن جواب، وأنفذ إليه خلعاً وحملاناً... وكان محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ من أحذر الناس من أحمد بن طولون وأشدهم فزعاً منه، لمقدمات كان يعرفها منه، منها أن أحمد بن طولون كان يؤدب الكاتب كثيراً على ذنب الصاحب، وأنه رأى فيما يرى النائم كأنه يكنس قصره داخله وخارجه بمكنسة في يده... ثم إن لؤلؤ دخل العراق وذلك في سنة ٢٦٨هـ... وكان قد اتصل بلؤلؤ أن مولاه قد باع نساءه وأولاده في سوق الرقيق بمصر، وقبض على جميع ما كان له في داره، فبلغ ذلك منه كل مبلغ، وأقبل إلى الموفق فبكى بين يديه وقبّل الأرض وعرّفه ما بلغه عن حرمه وأولاده، وسأله إنفاذ الجيوش معه حتى يأخذ له البلد ـــ أي مصر. فوعده الموفق بإنفاذ الجيوش معه. كل ذلك سخرية به ومدافعة إلى أن يرد الجواب مع الحسن بن عطاف، فيقبض حينئذ على لؤلؤ رضاً لأحمد بن طولون، وعمل على أن يوكل به ويرده إلى ابن طولون عند ورود جوابه عليه».

قلت: وقد كان الموفق قد أرسل مع الحسن بن عطاف إلى ابن طولون يدعوه إلى التصافي فيما بينهما، وأنه إنما فعل ما فعل بالخليفة المعتمد صوناً للخلافة واحتياطاً على المعتمد، كما أن الموفق كان قد أمر جماعة من خاصته بإنفاذ الكتب إلى أحمد بن طولون يذكرون فيها أن لعن ابن طولون على المنابر إنما كان بغير إرادة الموفق، إلى غير ذلك مما يطيب خاطر ابن طولون ويدعوه إلى فتح صفحة جديدة في العلاقة مع الموفق. وقد وقعت هذه الكتب موقعاً حسناً في نفس ابن طولون ـــ وقد جاءت في الوقت المناسب ـــ فأجاب الموفق بما أرضاه وأمال قلبه إليه. وهنا لا بد من التوقف لنقول: إن ما دعا ابن طولون إلى مصافاة الموفق، بعدما كان قد تأهب لاستقبال المعتمد وإعلان نقل الخلافة إلى مصر ـــ على ما ذهب إليه بعض =

وفيها توفّي أحمد بن سَيّار بن أيوب الحافظ أبو الحسن المَرْوَزِيّ إمامُ أهل الحديث بمَرْو؛ كان جمع بين الحديث والفقه والورع والزهد، وكان يُقاس بعبد الله بن المبارَك، وقد روى عنه أئمةُ خُراسانَ: البخاريُّ وغيرُه. وأخرج له النَّسائيّ، وآتفقوا على صدقه وثقته.

وفيها توفّي أَنَس بن خالد بن عبد الله بن أبي طَلْحة بن موسى بن أَنَس بن مالك الأنصاريّ؛ كان إماماً حافظاً، روى عنه عبدُ الله ابنُ الإمام أحمدَ بن حنبل وغيرُه.

وفيها توفّي محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَم أبو عبد الله فقيهُ أهل مصر ومحدِّثهم؛ وُلد سنة اثنتين وثمانين ومائة، ومات بمصر في ذي القَعْدة وصلّى عليه القاضي بَكّار، وكان يُعرف بصاحب الشافعيّ لأنه أسند عنه، وكان مالكيّ المذهب، وآمتُحِنَ بعد أن حُمِلَ إلى بغداد فثبَت على السنّة.

أمر النيل في هذه السنة:

= المؤرخين ـــ هو فشل خطته في استدعاء المعتمد ومسارعة الموفق إلى احتجاز أخيه وقطع الطريق على الخطة بعدما علم بها. كما أن الذي دعا الموفق إلى مصالحة ابن طولون وعزمه على ردّ لؤلؤ ليس ما رآه من خيانة لؤلؤ لمولاه وسيّد نعمته، وإنما كان ذلك لانشغاله في حروب الدولة مع صاحب الزنج، ولرغبته السياسية الواضحة في التفرغ الكامل لمواجهة هذا الخطر الكبير الذي كان يتهدد الدولة بكاملها.
ولعله يمكننا القول إن من حسن حظ ابن طولون أنه ظهر على مسرح الأحداث واستطاع أن يحقق جزءاً كبيراً من طموحاته في بناء دولته القوية المستقلة في وقت كانت فيه الدولة العباسية منشغلة بكل أجهزتها ومقدراتها في دفع خطر الزنج الذين استفحل أمرهم.
قال البلوي: «وكتب المعتمد ـــ بعدما أعاده الموفق إلى قصره وأحسن معاملته وأزال التشديد عليه ـــ إلى أحمد بن طولون كتاباً بخطه يسأله الرجوع عما هو عليه لأبي أحمد الموفق، ويشكره على ما كان منه، حتى عاد الأمر كما أحب. وأنفذ الكتاب إليه مع الحسن بن عطاف، وأنفذ معه كتاب الموفق بخطه، بإسقاط اللعن عن أحمد بن طولون، فلما بلغ الحسن بن عطاف الرقّة بلغته وفاة أحمد بن طولون فرجع إلى الحضرة. . . قال: ونزلت حال لؤلؤ عند الموفق ببغيه الوبيّ وأصله الدنيّ وفعله الرديّ، حتى قبض عليه وأخذ جميع ما كان في يديه، فلما صيره ظرفاً فارغاً، وأطلقه كلباً والغاً، كل ذلك كان من الموفق غيظاً عليه، لما شاهده منه في أمر مولاه. قال: ولعهدي بلؤلؤ في آخر أيام هارون بن أبي الجيش خمارويه، وقد دخل إلى الفسطاط فما رأوه إنساناً، ولا أولوه إحساناً، ومنعوه أن يلبس سيفاً ومنطقة، فكان يركب بدراعة، وغلام واحد بين يديه، كأنه من بعض وكلاء الريف ـــ انتهى كلام البلوي.

الماء القديم خمس أذرع وخمسَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وستَّ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر

وهي سنة تسع وستين ومائتين:

فيها قطعتِ الأعرابُ الطريقَ على [قافلة من][1] الحاجّ، وأخذت خَمَسمائة جملٍ بأحمالها.

وفيها وثب خَلَفٌ الفَرْغَانِيّ التركيّ عاملُ أحمدَ بن طولون، على يَا زَمان خادم الفتح بن خاقان وحبسه بالثغور، فخلّصه الجند وهَمّوا بقتل خلفٍ، فهرب إلى دمشقَ؛ فآتفقوا ولعنوا أحمدَ بنَ طولون على المنابر. فبلغ آبنَ طولون، فسار من مصر حتى نزل أَذَنَةَ وقد تحصَّنَ بها يَا زَمان المذكور؛ فأقام آبنُ طولون مدّةً على حصاره فلم يَنَلْ منها طائلاً، فعاد إلى دمشق[2].

وفيها آستولى الموفَّقُ على مدينةِ صاحب الزَّنج ودخلها عَنْوَةً.

وفيها تُوفي أحمد بن عبد الله بن القاسم الحافظ أبو بكر الورّاق على الصحيح؛ حدّث عن عبد الله بن مُعَاذ العَنْبرِيّ وغيرِه، وروى عنه [أبو][3] سعيد ابن الأعرابيّ وغيره.

وفيها توفّي الحسن بن مَخْلَد بن الجرّاح، أبو محمد الكاتب الوزير؛ وُلِد سنة تسع ومائتين، وكان يتولّى ديوانَ الضِّيَاع للمتوكّل جعفر، وآستوزره المُعْتَمد.

---

(١) زيادة عن الطبري وابن الأثير وعقد الجمان.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في الطبري: حوادث سنة ٢٦٩هـ، والبلوي في سيرة ابن طولون: ٣١٠ ــ ٣١٣. وفي خروج أحمد بن طولون هذا أصيب بمرضه الذي أدى إلى وفاته.

(٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي. وهو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم، أبو سعيد ابن الأعرابي: مؤرخ من علماء الحديث. من أهل البصرة. تصوّف وصحب الجنيد، وانتقل إلى الحجاز فكان شيخ الحرم المكي وتوفي بمكة سنة ٣٤٠هـ. (الأعلام: ١/٢٠٨).

وفيها توفّي خالد بن أحمد بن عمرو[١]، الأمير أبو الهَيْثم الذُّهْليّ؛ وَلِيَ إمرةَ مَرْو وهَرَاة وبُخَارى وغيرها؛ وكان من أهل السنّة، وله أيام مشهورة وأمور محمودة. قال ابن قزأُوغْلي في تاريخه: وهو الذي نفى البخاريّ عن بخارى لمّا قال: «لفظِي بالقرآن مخلوقٌ»؛ وكان يحبُّ العلماءَ والحديثَ؛ أنفق في طلب الحديث والعلم ألفَ ألِف درهم.

وفيها توفّي عيسى بن الشيخ بن السَّلِيل[٢]، أبو موسى الذُّهْليّ الشَّيْبانيّ؛ كان غلب على دِمشق أيامَ المهتدي وأوّلَ أيام المعتمد.

وفيها توفّي محمد بن إبراهيم، أبو حمزة الصُّوفيّ[٣] البغداديّ أستاذ البغداديين، وهو أوّل من تكلم في هذه المذاهب: من صفاء الذكر وجمع الهمّ والمحبّة والعشق والأنس، لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحد؛ كان عالماً بالقراءات، وجالس الإمامَ أحمدَ بن حنبل؛ وكان الإمامُ أحمدُ إذا جرى في مسألةٍ[٤] شيء من كلام القوم يلتفت إليه ويقول: ما تقول في هذه المسألة يا صوفيّ. وصحب سَرِيًّا السَّقَطيّ والجُنَيد وحسناً المُسُوحيّ[٥] وغيرَهم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وستُّ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) كذا بالأصل. وفي تاريخ الإسلام: «خالد بن أحمد بن الهيثم» وفي ابن الأثير: «خالد بن أحمد بن خالد» ومثله في الأعلام عن تاريخ بغداد والمنتظم واللباب.

(٢) في الأصل: «عيسى ابن الشيخ أحمد... إلخ» وما أثبتناه عن ابن الأثير والكندي.

(٣) في الأصل: «الصدفي» وهو تحريف. والتصحيح عن عقد الجمان والأعلام.

(٤) في عقد الجمان: «إذا جرى في مجلسه شيء من كلام القوم» وهي أوضح.

(٥) في الأصل: «التنوخي» وهو تحريف. وما أثبتناه عن عقد الجمان. وهو أبو علي الحسن بن علي المسوحي، كما في أنساب السمعاني.

السنة السادسة عشرة من ولاية أحمدَ بن طولون على مصر

وهي سنة سبعين ومائتين، أعني التي مات فيها أحمدُ بن طولون المذكور:

فيها كانت أيضاً وقائعُ بين الموفَّق طلحةَ وبين صاحب الزَّنْـج، قُتل في آخرها صاحبُ الزنـج عليّ، لعنه الله تعالى.

وفيها آنشقَّ ببغدادَ [في][1] الجانب الغربيّ شَقٌّ من نهر عيسى، فجاء الماء إلى الكَرْخ فهدَم سبعةَ آلاف دار.

وفيها ظهر أحمد بن عبد الله بن إبراهيم العلويّ بصعيد مصر وتبعه خلق كثير، فجهّز إليه أحمدُ بن طولـون جيشاً، فكـانت بينهم حروبٌ حتى ظفِـر أصحابُ آبنِ طولون به، فحملوه إليه فقتله ومات بعده بيسير.

وفيها بنى أحمد بن طولون على قبر معاوية[2] بن أبـي سفيان أربعةَ أَرْوِقةٍ، ورتَّب عند القبر أناساً يقرؤون القرآن ويُوقِدونَ الشموعَ عند القبر.

وفيها توفِّي إسماعيل بن عبد الله بن ميمون بن عبد الحميد بن أبـي الرجال، الحافظ أبو نصر العِجْليّ. سمـع خلقاً كثيراً، وروى عنه غيرُ واحدٍ، وكان ثقةً شاعراً فصيحاً؛ ومات وله أربـعٌ وثمانون سنةً.

وفيها توفِّي القاضي بَكّار بن قُتَيْبـة بن عبد الله، وقيـل: قتيبة بن أسـد بن [أبـي][3] بَرْدَعَة بن عُبَيد الله [بـن بَشِير بن عُبَيد الله][3] بن أبـي بَكْرة الثَّقفيّ، مولى

(١) زيادة عن الطبري.

(٢) المعروف أن خلافة العباسيين قامت على أساس أن الأمويين لا حق لهم في الخلافة، وأنهم اغتصبوا الخلافة من أصحاب الحق الشرعي فيها وهم بنو العباس. كذلك تتبع العباسيون بعد قيام دولتهم بني أمية في كل مكان قتلاً وتشريداً وانتهكوا حرمة قبورهم ومنها قبر معاوية بن أبـي سفيان. وإذا كان أحمد بن طولون قد اهتم بقبر معاوية هذا الاهتمام البالـغ فلعله كان إمعاناً في إظهار استقلاله عن خلافة العباسيين، وفي وقت كان الخلاف قد احتدم بينه وبين الموفق أخ الخليفة العباسي المعتمد. (انظر: المؤرخ ابن تغري بردي: المحاضرة الثالثة، ص ٤١، بقلم الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف).

(٣) الزيادة عن ولاة مصر وقضاتهـا للكندي: ٤٧٦. وفي ابن خلكـان ورد نسبه بصيغتـين، الأولى: «بكار بن قتيبة بن أبي برذعة (بالذال المعجمة) بن عبيد الله بن بشر بن عبيد الله بن أبي بكرة نفيع بن =

رسول الله ﷺ. وكنية القاضي بكّار هذا أبو بكرة، القاضي البصريّ الحنفيّ. وُلد بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة. وهو أحد الأئمة الأعلام؛ كان عالماً فقيهاً محدّثاً صالحاً ورِعاً عفيفاً ثقةً؛ مات وهو أعلمُ زمانه بالديار المصرية.

وفيها توفّي داود بن عليّ بن خَلَف أبو سليمان الظاهريّ صاحب مذهب الظاهرية[1] المعروف بداود الظاهريّ؛ وهو أوّل من نفى القياسَ في الأحكام الشرعية وتمسَّك بظواهر النصوص؛ وأصله من أَصْبهان[2]، وسمع الكثيرَ ولقي لشيوخَ وتبعه خلقٌ كثير، وقَدِم بغدادَ وصنَّف بها الكتبَ، وتوفّي بها في رمضان، وقيل: في ذي القَعْدة.

وفيها توفّي الرَّبيع بن سليمان بن عبد الجبّار بن كامل أبو محمد المراديّ الفقيه صاحب الشافعيّ ــ رضي الله عنه ــ؛ نقلَ عنه معظمَ أقاويله؛ وكان فقيهاً فاضلاً ثقةً ديِّناً؛ مات بمصر في شوّال وصلّى عليه صاحبُ مصر خُمَارَوَيْه بن أحمدَ بن طولون.

وفيها توفي عبدُ الله بن محمد بن شاكر، أبو البَخْتَرِيّ العَنْبريّ الكُوفيّ؛ كان محدّثاً فاضلاً؛ قَدِم بغدادَ وحدّث بها.

وفيها توفّي عليّ بن محمد صاحب الزَّنْج وقائدهم؛ وقيل: اسمه نهبود، وهو صاحب الوقائع المقدّم ذكرها مع الموفّق وعساكره؛ وكانت مدّة إقامته أربعَ عشرةَ سنةً وأربعةَ أشهر وعشرةَ أيام، ولَقِيَ الناسُ منه في هذه المدّة شدائدَ؛ قال الصُّوليّ: قتلَ من المسلمين ألفَ ألفٍ وخمسمائة ألف ما بين شيخ وشابٍّ وذكر وأنثى، وقَتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف. وكان له مِنْبرٌ في مدينته يَصعدُ عليه ويسبُّ عثمانَ وعليّاً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشةَ ــ رضي الله عنهم ــ، وهذا

= كلدة الثقفي صاحب رسول الله ﷺ». والثانية: «بكار بن قتيبة بن أسد بن عبد الله بن بشر بن أبي بكرة بن نفيع بن كلدة الثقفي بن الحارث مولى صاحب رسول الله ﷺ».

(١) في الأصل: «الظاهر». والتصويب عن ابن خلكان.

(٢) في الأعلام: ٣٣٣/٢ عن لسان الميزان والجواهر المضية، رواية عن ابن حزم أنه «قيل له الأصبهاني لأن أمه أصبهانية، وكان عراقياً».

هو رأي الخوارج[١] الأزارقة ـ لعنة الله عليهم ـ واستراح المسلمون بموته كثيراً، ولله الحمد.

وفيها توفّي الفضلُ بن عبّاس بن موسى الأَسْتَرَابَاذِيّ. سمع[٢] أبا نُعَيْم وروى عنه أبو نعيم عبد الملك بن عَديّ؛ كان فقيهاً فاضلاً مقبولَ القول عند الخاصّ والعامّ.

وفيها توفي محمدُ [بن إسحاق][٣] بن جعفر الحافظُ أبو بكر الصَّغَانيّ؛ رحل في طلب الحديث، وسمع الكثير، ولقي الشيوخَ وكتبوا عنه.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن المبارَك أبو جعفر، ويعرف بالأعرابيّ. روى عنه ابن صاعد وغيره.

وفيها توفي محمد بن مسلم[٤] بن عثمان الرازيّ، ويُعْرف بآبن وَارَةَ. كان أحدَ الحُفّاظ الرحّالين والعلماء المتقنين مع الدّين والورع والزهد.

وفيها توفّي نصر بن الليث بن سعد، أبو منصور البَغْداديّ الورّاق؛ أخرج له الخطيبُ حديثاً يرفعُه إلى عثمان بن عَفّانَ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعُ أذرع وثمانيَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وعشرون إصبعاً.

---

(١) راجع، ص ٢٧، الحاشية (٣) من هذا الجزء.

(٢) في الأصل: «توفي الفضل بن عباس بن موسى أبو نعيم العدوي الأستراباذي» والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبي.

(٣) زيادة عن ابن الأثير وشذرات الذهب وعقد الجمان.

(٤) في الأصل: «محمد بن مسلمة... ويعرف بابن دارة» وهو تحريف. والتصويب عن تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب وابن الأثير وعقد الجمان.

ذكر ولاية خُمَارَوَيْهِ على مصر[١]

هو خُمَارَوَيْهِ ـــ وقيل خُمار ـــ بن أحمد بن طُولون، التركيّ، السّامَرِّيّ المولد، المصريّ الدار والوفاة؛ تقدّم التعريف بأصله في ترجمة أبيه أحمد بن طولون؛ الأميرُ أبو الجيش خُمارويه. ملك مصر والشأم والثغور بعد موت أبيه بمبايعة الجند له في يوم الأحد العاشر من ذي القَعْدة سنة سبعين ومائتين. وعندما وَلِيَ إمرةَ مصرَ أمَرَ[٢] بقتل أخيه العباس الذي كان في حبس أبيه أحمدَ بن طولون لامتناع العبّاس من مبايعة خُمَارَوَيْهِ هذا، فقُتل. وأمّ خمارويه أمّ ولد يقال لها ميّاس؛ وُلد بِسُرَّ مَنْ رَأَى في سنة خمس وخمسين ومائتين.

وأوّل ما ملك مصر عقد لأبي عبد الله أحمد [بن محمد][٣] الواسطيّ على

(١) خطط المقريزي: ١/٣٢١؛ وولاة مصر للكندي: ٢٥٨؛ وحسن المحاضرة: ٢/١٣؛ والمغرب في حلى المغرب، قسم مصر: ١/١٣٤؛ ووفيات الأعيان: ٢/٢٤٩، وبدائع الزهور: ج ١، ق ١، ص ١٦٩.

(٢) عبارة الكندي: «وأحضر أخاه العباس لمبايعته فامتنع، فأدخل منزلاً من الميدان، وكان آخر العهد به».
قلت: ويتفق جمهرة المؤرخين على أن العباس كان في السجن حين توفي أبوه. غير أن البلوي والنويري شذا عن سائر المؤرخين بقولهما إن ابن طولون ـــ قبيل وفاته ـــ دعا بابنه العباس، فأطلقه من سجنه، وخلع عليه، وقلده جميع الأعمال الخارجة عن مصر، من الشامات والثغور، وطلب إليه أن يخضع لأخيه خمارويه. ويرى البعض أن هذه الرواية ـــ أي إطلاق سراح العباس وتقليده الأعمال ـــ غير محتملة لأنه من المستبعد أن ينسى ابن طولون ثورة ابنه العباس عليه، وألا يفطن إلى ما قد يجره التقسيم بين ابنيه من خراب على الأسرة إذا طالب الأكبر بالخضوع للصغير. وعلى أية حال فإن أول ما عني به أعوان ابن طولون وقواده بعد وفاته هو أن يحصلوا من العباس على البيعة بالإمارة لأخيه خمارويه؛ والظاهر أن بطانة ابن طولون، ولا سيما الواسطي، ألحوا على خمارويه في التخلص من العباس واستصدروا منه أمراً بقتله. هذا وقد زعم الأب لامنس أن خمارويه إنما تولى العرش بفضل قتل أخيه. (انظر: المؤرخ ابن تغري بردي: ص ٤٢).

(٣) زيادة عن الكندي.

جيش(١) إلى الشام لستٍّ خلون من ذي الحِجّة سنة سبعين ومائتين المذكورة؛ وعقد لسَعْد الأيسر على جيش آخر؛ وبعَث بمراكبَ في البحر لتقيم بالسواحل الشاميّة؛ فنزل الواسطيّ فِلَسْطِين، وهو خائف من خُمَارويه أن يُوقِع به، لأنه كان أشار عليه بقتل أخيه العبّاس؛ فكتب الواسطيّ إلى أبي(٢) أحمد الموفَّق يصغّر أمر خمارويه عنده ويحرّضه على المسير إلى قتاله، فأقبل آبن الموفَّق من بغداد، وقد آنضم إليه إسحاق بن كُنْداج ومحمدُ بن [ديوداد](٣) أبـي السَّاج، ونزل الرَّقَّة فتسلَّم قِنَّسْرِين والعواصم ــ وكان خُمارَوَيْه جميعُ الشام والثغورِ داخلةٌ في سلطانه ــ ثم سار آبن الموفَّق حتى قاتل أصحابَ خمارويه وهزَمهم ودخلَ دِمَشْق؛ فخرج خمارويه في جيش عظيم لعَشْر خَلَوْن من صفر سنة إحدى وسبعين ومائتين؛ فالتقى مع آبن الموفَّق بنهر أبـي فُطْرُس(٤) المعروفِ بالطواحين(٥) من أرض فِلَسْطِينَ، فاقتتلا فانهزم أصحاب خمارويه، وكان خمارويه في سبعين ألفاً، وآبن الموفَّق في نحو أربعة آلاف، وآحتوى على عسكر خمارويه بما فيه. ومضَى خمارويه عائداً إلى مصر مهزوماً، فخَرج كَمِينٌ كان له مع سَعْدٍ الأيسر ولم يعلم سعدٌ أنّ خمارويه آنهزم؛ فحارب سعدٌ الأيسرُ ابنَ الموفَّق حتى هزمه وأزاله عن عسكره آثنيْ عشرَ ميلاً. [ورجعَ أبو العباس إلى دِمَشق فلم تُفْتح له](٦). ثم مضى سعد الأيسر [مع الواسطي](٧) إلى دمشق، وطمِع في البلاد الشامية وآستخفّ(٨) بخمارويه وغيرِه، ثم آستولى على دِمَشق.

(١) في الأصل: «جيوش» وما أثبتناه عن الكندي والمقريزي.

(٢) كذا أيضاً في المقريزي. وفي الكندي أنه كتب إلى أبـي العباس أحمد بن الموفق.

(٣) زيادة عن الكندي.

(٤) في الأصل والمقريزي: «نهر أبـي بطرس». وما أثبتناه عن الكندي ومعجم البلدان وهو الصحيح.

(٥) لعلّ الصواب: «بموضع يقال له الطواحين» كما في معجم البلدان.

(٦) زيادة عن الكندي. وعبارة الأصل: «. . . اثني عشر ميلاً، ثم مضى سعد الأيسر إلى دمشق فلم يفتح له وطمع . . .» وفيها اضطراب واضح.

(٧) زيادة عن الكندي.

(٨) يذكر العيني في عقد الجمان أنه ثار علناً عليه ورفض أن يخدم سيداً مثل خمارويه. غير أن الكندي أشار إلى أن سعداً الأيسر دخل دمشق وملكها ودعا فيها لخمارويه.

ووصَل خُمارَوَيْه إلى مصر في ثالث شهر ربيع الأوّل من السنة(١)، ولم يعلَم ما وقَع لسعد الأيسر؛ فلمّا بلَغه خبرُه خرَج ثانياً إلى دِمَشْق لسبع بقين من شهر رمضان من السنة فوصَل إلى فِلَسْطِينَ، ثم عاد بعساكره من غير حرب لأمور(٢) وقَعت في ثامنَ عشرَ شوّال؛ وآستمرّ بمصر إلى أن خرج ثالثاً إلى الشام في ذي القَعْدة سنةَ آثنتين وسبعين ومائتين، وقد خرَج سعدُ الأيسر عن طاعته من يوم الواقعة، فقاتل سعداً الأيسر المذكور وهزَمه وظفِر به وقتَله، ودخَل دِمَشْق وملَكها في سابع المحرّم من سنة ثلاثٍ وسبعين ومائتين، وأقام بها أياماً؛ ثم سار لقتال آبن كُنْداج(٣) فتقاتلا، فكانت الهزيمة أوّلاً على خمارويه وانهزمَ جميعُ أصحابه وثبَت(٤) هو في طائفة [من حُماته](٥)، وقاتل آبنَ كُنْداج المذكورَ حتّى هزَمهم وتبِعهم بأصحابه حتى وصلَتْ أصحابُ خمارويه إلى سُرّ مَنْ رَأى بالعراق؛ وعظُم أمر خُمَارويه في هذه الواقعة وهابته الناس.(٦).

ثم كتب خمارويه إلى أبي أحمد المُوَفَّق طلحةَ في الصلح، فأجابه أخو الخليفة المُوَفَّقُ لذلك، وكتب لخمارويه بولايته على مصرَ والشامِ جميعِه والثغورِ ثلاثين سنة؛ وقدِم بالكتاب بعض خدّام الموفَّق إلى الشام في شهر رجب، وعرّفه الخادم أنّ الكتاب كتّبه الخليفة المعتمِدُ وأخوه الموفّق وابنُه بأيديهم تعظيماً لخمارويه، فسُرّ خمارويه بذلك، وعاد إلى مصر في أواخر رجب المذكور، وأمر بالدعاء لأبي أحمد المُوَفَّق المذكور بعد الخليفة وترك الدعاء عليه؛ فإنه كان يُدْعَى

(١) كذا في الكندي والمقريزي. وفي الأصل: «في سابع شهر رمضان من السنة».

(٢) قال الكندي: «. . . ثم عاد إلى الفسطاط، فدخلها لاثنتي عشرة بقين من شوال سنة ٢٧١هـ فصرف السريّ بن سهل عن الشرط وجعل مكانه موسى بن طونيق». ولعله يشير بذلك إلى اضطرابات داخلية جعلت أبا الجيش يعود من فلسطين إلى مصر.

(٣) ذكر الكندي أن خمارويه التقى إسحاق بن كنداج بموضع يقال له باجرون ودائمان من أرض الرافقة.

(٤) كذا في الكندي والمقريزي. وفي الأصل: «وثبت هو أولاً في أناس قليلة . . .».

(٥) زيادة عن الكندي.

(٦) ذكر الكندي بعد هذا أن قوماً من وجوه الجند توسطوا بين ابن كنداج وخمارويه فاصطلحا وتصاهرا، وأتى إسحاق إلى خمارويه، فأقام في عسكره، ودعا له في أعماله التي بيده.

عليه بمصر من مدّة سنين من أيام إمارةَ أبيه أحمدَ بنِ طُولون من يومَ وُقِّـع بين الموفَّق وبين أحمد بن طُولون، وخلَـع ابنُ طُولون الموفَّقَ من ولاية عهد الخلافة، وأمر القاضيَ بكّارَ بنَ قُتَيْبة بخلعه فلم يُوافقه بكّار على ذلك، فحبسه أحمدُ بن طُولون بهذا المقتضى. وقد ذكرنا ذلك كلَّه في آخر ترجمة أحمد بن طُولون.

ولما آصطلـح خمارويه مـع الموفَّق عظُم أمرُه وسكَنتِ الفتنة، فإنه كان في كل قليل يُخْرِج العساكرَ المصريّة لقتال عسكر الموفَّق، فلما آصطلحا زال ذلك كلُّه؛ وأخذ خمارويه في إصلاح ممالكه، وولَّى بمصر على المظالم [محمـد بن][1] عَبْدة بنَ حَرْب.

ثم بلـغ خمارويه مسيرُ محمد بن أبـي السَّاج إلى أعماله بمصر، فخرج بعساكره في ذي القَعْدة ولقِيه بثَنِيّةِ العُقاب[2] في دِمَشق، وقاتله وآشتدّ الحرب بين الفريقين وآنكسر عساكر خمـارويه، فثَبت هـو مـع خاصّتـه على عادتـه وقاتـل آبن أبـي الساج حتى هزَمه أقبـحَ هزيمة، وقتل في أصحابه مَقْتَلة عظيمةً وأسَر وغنِم، وعاد إلى الديار المصرية فدخلها في رابـع عشرين جُمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين؛ فأقام بمصر مدّة يسيرة وخرَج إلى الإسكندرية في رابـع شوّال، ثـم عاد إلى مصر بعد مدّة يسيرة فأقام بها قليلاً.

ثم خرج إلى الشام في سنة سبـع وسبعين ومائتين لأمر آقتضى ذلك، وعاد بعد أيام إلى الديار المصريّة، فورَد عليه الخبرُ بها بموت الموفَّق في سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين؛ ثم وردَ عليه الخبر في سنة تسـع وسبعين ومائتين بموت الخليفة المُعْتَمِد؛ وبُويـع بالخلافة المُعْتَضِد أبو العباس أحمد بن الموفَّق طلحةَ بعد عمّه المُعْتَمِد؛ فبعث خمارويه إلى المُعْتَضِد بهدايا وتُحَفٍ، فسأله[3] أن يُزوّج آبنته

(١) زيادة عن الكندي والمقريزي.

(٢) ثنية العقاب: ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق إلى حمص (معجم البلدان).

(٣) كذا أيضاً في ابن خلكان. والذي ذكره ابن سعيد في المغرب أن المعتضد «لما هزم الهزيمة التي شتتت عساكره وكسرت فيه عزائمه أمام خمارويه عدل عن الشدّة إلى اللين، وعن التبعد إلى التقرب، فرأى أن يتزوج قطر الندى بنت خمارويه».

قطرَ الندى[١] لولده المُكْتَفِي بالله؛ فقال المعتضد: بل أنا أتزوّجها، فتزوّجها في سنة إحدى وثمانين ومائتين، ودخَل بها ببغداد في آخر العام[٢]، وأصدقها ألفَ ألف دِرهم. يقال: إنّ المُعْتَضِد أراد بزواجها أن يُفْقِر أباها خمارويه في جَهازِها؛ وكذا وقَـع، فإنّه جهّزها بجَهاز عظيم يتجاوز الوصفَ، حتى قيل: إنّه دخَل معها في جملة جَهازها ألفُ هاون من الذهب. ولما تصاهر خمارويه مـع المعتضد زالت الوَحْشةُ من بينهما، وصار بينهما مَودَّة كبيرة. وولّاه المعتضِد من الفرات إلى بَرْقَة ثلاثين سنة؛ وجعل إليه الصلاة والخراج [والقضاء][٣] بمصر وجميـع الأعمال، على أنّ خمارويه يحمِل إلى المعتضِد في العام مائتي ألف دينار عما مضَى، وثلاثمائة ألف دينار عن المُسْتقبل. ثم قدِم بعد ذلك رسولُ المُعْتَضِد إلى خمارويه بالخِلَـع وكانت آثنتي عشرةَ خِلْعة وسيفاً وتاجاً ووِشاحاً. انتهى ما سُقناه من وقائـع خُمارَوَيْه. ولا بدّ من ذكر شيء من أحواله وما جدّده في الديار المصرية من شِعار الملك في أيام إمْرَتِه بها.

ولما ملَك خُمارَوَيْه الديار المصريّة بعد موت أبيه أحمدَ بنِ طُولون أقبل على عِمارة قصر أبيه وزاد فيه محاسنَ كثيرة؛ وأخذ المَيْدانَ الذي كان لأبيه المجاورَ للجامـع فجعله كلّه بستاناً، وزرع فيه أنواع الرياحين وأصنافَ الشجر، وحمل إليه كلِّ صنف من الشجر المُطَعَّم وأنواع الورد، وزرع فيه الزعفرانَ، وكسا أجسامَ النخل نُحاساً مُذْهباً حسَنَ الصنعة، وجعل بين النُّحاس وأجسامِ النخل مزاريبَ الرَّصاص، وأجرى فيها الماءَ المدبَّر؛ فكان يخرج من تضاعيفِ قائم النخل عيونُ الماء فينحدر إلى فساقيِّ معمولةٍ، ويفيض الماء منها إلى مجارٍ تَسْقِي سائرَ البستان؛ وغرس[٤] في أرض البستان من الرَّيْحان المزروع في زِيّ نُقوشٍ معمولةٍ وكتاباتٍ

---

(١) في وفيات الأعيان لابن خلكان وجهات الأئمة لابن الساعي أن اسمها: «أسماء».

(٢) كذا أيضاً في ابن خلكان. وفي جهات الأئمة: «تزوجها المعتضد وهي عند أبيها بمصر، ووصلت إلى بغداد في شهر ربيـع الآخر من سنة ٢٨٢ﻫ».

(٣) زيادة عن الكندي والمقريزي.

(٤) كذا في المقريزي. وفي الأصل: «وفرش».

مكتوبة، يتعاهدها البستانيّ بالمقاريض حتى لا تزيدَ ورقةٌ على ورقة لئلا يُشْكِلَ ذلك على القارىء[١]، وحمل إلى هذا البستان النخلَ من خُراسان وغيرها؛ ثم بَنى في البستان بُرْجاً من الخشب الساج المنقوش بالنقرِ النافذ، وطعّمه ليقوم هذا البرجُ مَقام الأقفاص؛ وبلّط أرضه وجعل فيه أنهاراً لِطافاً يجري فيها الماء المُدبّر من السواقي؛ وسرّح في البرجِ من أصناف القَمارِيّ والدَّباسِيّ والنوبيات[٢] وما أشبهها من كلّ طائرٍ يُستحسن صوتُه، وأطلقها بالبرج المذكور، فكانت تشرَب وتغتسِل من تلك الأنهار؛ وجعل في البرج أوكاراً في قواديسَ لطيفةٍ مُمَكَّنة في جوف الحيطان ليُفْرِخ الطيورُ فيها؛ وعارِض لها فيه عيداناً مُمَكّنة في جوانبه لتقِف عليها إذا تطايرت حتى يجاوبَ بعضُها بعضاً بالصياح؛ وسرّح في البستان من الطير العجيب كالطواويس ودَجاج الحَبش ونحو ذلك شيئاً كثيراً. وعمِل في هذا البستان مجلساً له سمّاه دار الذهب، طلَى حيطانَه كلّها بالذهب واللاّزَوَرْد في أحسن نقش؛ وجعل في حيطانه مقدار قامة ونصف صوراً بارزةً من خشب معمول على صورته وصُوَر حظاياه والمغنيات اللاتي تُغنّيه في أحسن تصوير وأبهجِ تزويق؛ وجعل على رؤوسهنّ الأكاليلَ من الذهب والجواهرِ المُرصّعة، وفي آذانها الأخراصَ[٣] الثِّقال؛ ولُوّنت أجسامُها بأصناف تشبه الثياب من الأصباغ العجيبة، فكان هذا القصرُ من أعجب ما بُني في الدنيا.

وجعل بين يدي هذا القصر فسقيّة ملأها زِئبقاً. وسبب ذلك أنه آشتكى إلى طبيبه كثرةَ السهر وعدمَ النوم، فأشار عليه بالتكبيس[٤]، فأنِف من ذلك وقال:

---

(١) قال ابن إياس في بدائع الزهور: «وجعلها كالسطور، تقرأ بالفاظ، مثل: ﴿نصر من الله، وفتح قريب﴾ وما أشبه ذلك. ووكل بها جماعة بأيديهم مقاريض من الذهب والفضة، يصلحون ما يفسد من الأوراق، ويخرج عن قالب الاعتدال من الحروف، وكان يسحق المسك والكافور وينثره على تلك الرياحين والأزهار».

(٢) كذا في الأصل. وفي المقريزي وخطط علي مبارك: «النونيّات». ولم نعثر على أي منهما. ولعل المراد به نوع من الطيور تنسب إلى بلاد النوبة. والدباسي: واحدها دبسي، وهو نوع من الحمام. (انظر حياة الحيوان الكبرى للدميري، وصبح الأعشى: الجزء الثاني).

(٣) الخرص (بالضم ويكسر): حلقة الذهب والفضة، وقيل: القرط بحبة واحدة.

(٤) كبّس الجسد: ليّنه بالأيدي. وهو التدليك. وفي بدائع الزهور أن أبا الجيش كان يعتريه ضربان المفاصل.

لا أقدِر على وضـع يد أحدٍ عليّ؛ فقال له الطبيب: تأمر بعمل بِرْكة من زئبق، فعمِل البركة المذكورة، وطولُها خمسون ذراعاً في خمسين ذراعاً عرضاً وملأها من الزئبق، فأنفق في ذلك أموالاً عظيمة؛ وجعل في أركان البركة سِكَكاً من فِضة، وجعل في السكك زنانيرَ من حرير محكمة الصنعة في حلَق من فضّة، وعمِل فَرْشاً من أدم[1] يُحْشَى بالريح حتى ينتفخ فيُحكَم حينئذ شدُّه، ويُلقَى على تلك البركة الزئبقِ ويشدّ بالزنانير الحرير التي في حِلق الفِضة المقدّم ذكرها، وينزِل خمارويه فينام على هذا الفَرْش، فلا يزال الفرش يرتجّ ويتحرّك بحركة الزئبق ما دام عليه. وكانت هذه البركة من أعظم الهِمَم الملوكيّة العالية؛ وكان يُرَى لها في الليالي المقمرة مَنْظَرٌ عجيب إذا تألّف نور القمر بنور الزئبق.

قال القضاعيّ: ولقد أقام الناس مدّة طويلة بعد خراب هذا القصر يحفِرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة.

ثم بنَى خُمارَوَيْه في القصر أيضاً قبّة تُضاهي قبة الهواء سماها الدّكة، وجعل لها السِّتر الذي يقِي الحرّ والبرد فيُسدلُ حيث شاء ويُرْفـع متى أحبّ؛ وكان كثيراً ما يجلِس في هذه القبة ليُشرِف منها على جميع ما في داره من البستان والصحراء والنيل والجبل وجميـع المدينة. ثم بنى مَيْداناً آخر أكبرَ من ميدان أبيه. وبنَى أيضاً في داره المذكورة داراً للسباع وعمِل فيها بيوتاً كل بيت لسبع لم يسـع البيتُ غيرَ السبُـع ولَبُـؤته، وعمِل لتلك البيوت أبواباً تُفتح من أعلاها بحركاتٍ، ولكلّ بيت منها طاقةٌ صغيرة يدخل منها الرجل الموكّل بخدمة ذلك البيت لفَرْشِه بالرمل؛ وفي جانب كل بيت حوض من الرّخام بميزاب من نُحاس يصبّ فيه[2] الماء، وبين يدي هذه البيوت رَحبة فَسِيحة كالقاعة فيها رمل مفروش، وفي جانبها حوض كبير من رخام يُصَبُّ فيه ماء من مِيزابٍ كبير، فإذا أراد سائسٌ من سُوّاس[3] بعضِ السباع

(١) في بدائع الزهور: «كان يضع له على ذلك الزئبق فراشاً من جلد الحيّات، أنعم من الحرير، وله حركات، يمتلىء بالريح ثم يسدّ فاه بحبل، ويطرح له فراش على ذلك الجلد، وينام عليه».

(٢) كذا في المقريزي والخطط التوفيقية. وفي الأصل: «منه».

(٣) في الأصل: «سيّاس» وهو خطأ. لأن جمع سائس: ساسة وسوّاس، فهو من ساس يسوس، عينه واو. ولعله استعمل اللفظ العامي.

المذكورة [أن] يُنظّف بيت ذلك السبع أو يضَعَ له غذاءَه من اللحم، رفع البابَ بحيلة من أعلى البيت وصاح على السبُع يخرجُ إلى الرحَبة المذكورة؛ ثم يرُدّ الرجلُ الباب وينزِل إلى البيت من الطاقة ويكنُسه ويبدّل الرملَ بغيره من الرمل النظيف، ويضَع غِذَاءه من اللحم في مكانه بعدما يُقَطِّع اللحم قطعاً ويغسِل الحوضَ ويملؤه ماء، ثم يخرج الرجلُ ويرفع البابَ من أعلاه كما فعل أوّلاً، وقد عَرف السبُع ذلك، فحالما يُرْفع الباب دخل السبُع إلى بيته وأكل ما هُيِّىء له من اللحم؛ فكانت هذه الرحبة فيها عِدّةُ سِباع ولهم أوقات يُفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرُج إلى الرحبة المذكورة وتتشمّس فيها ويُهارِش بعضُها بعضاً فتُقيم يوماً كاملاً إلى العَشِيّ وخمارويه وعساكره تنظر إليها؛ فإذا كان العَشِيّ يصيح عليها السُّوّاس فيدخل كل سبُع إلى بيته لا يتعدّاه إلى غيره. وكان من جملة هذه السباع سبُعٌ أزرقُ العينين يقال له: «زُرَيْق» قد أنِس بخمارويه وصار مطلقاً في الدار لا يؤذِي أحداً وراتبُه على عادة السباع، فلا يلتفِت إلى غذائه بل ينتظر سِماط خمارويه، فإذا نُصِبت المائدة أقبَل زريقٌ معها وربَض بين يدي خمارويه، فيَبْقَى خُمارَوَيْه يرمِي إليه بيده الدَّجاجةَ بعد الدجاجة والقِطعةَ الكبيرةَ من اللحم ونحوَ ذلك مما على المائدة؛ وكانت له لَبُـؤَةٌ لم تأنَس بالناس كما أنِس هو، فكانت محبوسة في بيت وله وقت معروف يجتمع بها [فيه][1]. وكان إذا نام خمارويه جاء زريق وقعد ليحرُسه، فإن كان [قد][1] نام على سريره ربَض بين يدي السرير وجعل يُراعِيه ما دام نائماً، وإن نام خمارويه على الأرض قعد قريباً منه وتفطّن لمن يدخُل أو يقصِد خمارويه لا يغفُل عن ذلك لحظة واحدة؛ وكان في عنق زريق طوق من ذهب فلا يقدِر أحد أن يدنو من خمارويه ما دام نائماً لمراعاة زريق له وحِراسته إياه، حتى أراد الله إنفاذ قضائه في خمارويه: كان بدمَشق وزريق بمصر، ولو كان زريقٌ حاضراً لما كان يصِل إلى خمارويه أحدٌ. فما شاء الله كان.

وكان خمارويه أيضاً قد بنى داراً جديدة للحُرَم من أمّهات أولاد أبيه [مع

(١) زيادة عن المقريزي والخطط التوفيقية.

أولادهنّ وجعل معهنّ المعزولاتِ من أمهات أولاده][١] وجعل فيها لكل واحدة حُجْرة واسعةً، لتكون لهم[٢] بعد زوال دولتهم، وأقام لكلّ حجرة من الخدم والأسمطة الواسعة ما كان يفضُل عن أهلها منه شيء كثير؛ وكان الخدم الموكَّلون بالحُرَم من الطبّاخين وغيرِهم يفضُل لكلّ منهم مع كثرة عددهم الشيء الكثير من الدَّجاج ولحم الضأن والحَلْوَى والقِطَع الكبار من الفالوذَج[٣] والكثيرِ من اللَّوْزِينَج[٤] والقطائف[٥] والهَبَرات[٦] من العصيدة التي تُعرَف اليوم بالمأمونيّة وأشباهِ ذلك مع الأرغفة الكِبار؛ وآشتهر بمصر بيعُ الخدم لذلك؛ فكان الناس يأتونهم لذلك من البعد ويشترون منهم ما يتفكّهون به من الأنواع الغريبة من المآكل؛ وكان هذا دواماً في كلّ وقت بحيث إنّ الرجل إذا طَرَقه ضيف خرَج من فَوْره إلى باب دار الحُرَم فيجِد ما يشتريه ليتجَمّل به لضيفه مما لا يقدِر على عَمَل مثلِهِ. ثم أوسَع خُمارَوَيْه آصطبلاتِه لكثرة دوابه فعمِل لكلّ صِنْف من الدوابّ إصطبلاً حتى للجمال، ثم جعل للفُهُود داراً مفردة، ثم للنُّمُورة داراً مفردة، وللفِيَلَة كذلك، وللزرافات كذلك؛ وهذا كان سوى الاصطبلات التي كانت في الجيزة ومثلها في نَهْيا[٧] ووَسِيم وسَفْط وطُهُرْمُس؛ وكانت هذه الضياع لا تزرع إلا القُرْط[٨] برسم الدوابّ؛ وكان للخليفة أيضاً إصطبلات بمصر سوى ذلك، فيها الخيل لحَلْبَة السباق

---

(١) زيادة عن المقريزي.

(٢) عبارة المقريزي: «... حجرة واسعة نزل في كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته وفضل عنه منها شيء....».

(٣) انظر صفحة ١٧، حاشية (٢) من هذا الجزء.

(٤) اللوزينج: من الحلوى، شبه القطائف، يؤدم بدهن اللوز. (المعجم الوسيط).

(٥) القطائف: رقائق من عجين البرّ مقوّسة كالأهلة صغيرة، تحشى بالبندق والجوز وأشباهه، وتقلى في السمن أو الزيت وتحلى بالسكر. ويكثر صنعها في شهر رمضان.

(٦) الهبرات: القطع. وفي المقريزي: «والهرائس من العصيدة».

(٧) نهيا: بلدة من نواحي الجيزة ـــ ووسيم: على الضفة الغربية من النيل، على ميل من الفسطاط ـــ وسفط: عدة مواضع بمصر، ذكر منها ابن دقماق في الانتصار اثني عشر موضعاً. ولعل المراد هنا: سفط أبي جرجا: قرية بصعيد مصر في غربي النيل ـــ وطهرمس: قرية أيضاً بالصعيد.

(٨) القرط: نبات يزرع بمصر، تسمّن عليه الدواب. وهو يماثل البرسيم.

وللرّباط في سبيل الله برَسْم الغَزْو، وعلى كل إصطبل وكلاء لهم الرزق السَّنِيّ والأموال[١] المتّسعة.

وبلغ رزقُ الجيش المصريّ في أيام خُمارويه في السنة تِسعمَائة ألِف دينار؛ وكان مصروف مطبخ خمارويه في كل شهر ثلاثةً وعشرين ألَف دينار، وهذا سوى مصروف حُرَمه وجواريه وما يتعلق بهنّ. وكان خمارويه قد آتّخذ لنفسه من مولّدي الحَوْف وسائر الضياع قوماً معروفين بالشجاعة وشِدّة البأس؛ لهم خَلْق تامّ وعِظَمُ أجسام، وأجرى عليهم الأرزاق ووسّع لهم في العطاء، وشغَلهم عما كانوا فيه من قَطْع الطريق وأذيّة الناس بخدمته، وألبسَهم الأقبية من الحرير والديباجِ وصاغ لهم المناطق وقلّدهم بالسيوف المحلّاة يضعونها على أكتافهم إذا مَشَوْا بين يديه وسمّاهم «المختارة»؛ فكان هؤلاء يقاتلون أمام جُنْد خمارويه أضعاف ما يقاتله الجند. وكان إذا ركِب خمارويه ومضى الحجّاب بين يديه ومشى موكبُه على ترتيبه ومضت أصناف العسكر وطوائفه، تلاهم السودان وعِدّتهم ألفُ أسودَ لهم دَرَقٌ من حديد محكمةُ الصنعة وعليهم أقْبية سود وعمائمُ سود، فيخالهم الناظرُ إليهم بَحْراً أسود يسير على وجه الأرض لسواد ألوانهم [وسوادِ ثيابهم][٢]، ويصير لبريق دَرَقهم وحُليّ سيوفهم والخُوَذِ التي على رؤوسهم من تحت العمائم زِيٌّ بَهِج إلى الغاية؛ فإذا مضى السودان قدِم خمارويه وقد آنفرد عن موكِبه وصار بينه وبين الموكِب نحوُ نصف غَلْوَة[٣] سهم، وخواصّه تَحُفّ به. وكان خمارويه طويل القامة ويركب فرساً تامّاً فيصير كالكوكب، إذا أقبل لا يخفى على أحد كأنه قطعة جبل. وكان خمارويه مَهِيباً[٤] ذا سطوة، قد وقع في قلوب الناس أنه متى أشار إليه أحد بيده أو تكلّم

---

(١) في الأصل: «والأحوال المتسعة» وما أثبتناه عن المقريزي.

(٢) زيادة عن المقريزي.

(٣) في الأصل: «بقدر نصف ميدان سهم». وما أثبتناه من المقريزي. والغلوة: مقدار رمية سهم، وتقدّر بثلاثمائة ذراع الى أربعمائة. (ج.) غلاء وغلوات.

(٤) في الأصل: «مهاباً» وهو خطأ شائع. لان اسم المفعول من هاب: مهوب ومَهيب.

أو قرُب منه لحِقَه ما يكره؛ وكان إذا سار في موكِبه لا يُسْمَع من أحد كلِمة ولا سُعْلة ولا عطسة ولا نحنحة البتّة كأنّما على رؤوسهم الطير؛ وكان يتقلّد في يوم العيد سيفاً بحمائل، ولا يزال يتفرّج ويتنزّه ويخرُج إلى المواضع التي لم يكن أبوه يخرج إليها كالأهرام ومدينةِ العقاب[١] ونحوِ ذلك لأجل الصيد، فإنه كان مشغوفاً به، لا يكاد يسمع بسبع إلا قصده ومعه رجال عليهم لُبُود فيدخلون إلى الأسد ويتناولونه بأيديهم من غابته عَنْوة وهو سليم، فيضعونه في أقفاص من خشب محكمةِ الصنعة تسَع الواحد من السباع وهو قائم؛ فإذا قدِم خمارويه من الصيد سار القفص [وفيه السبع][٢] بين يديه. وكانت حَلْبَة السِّباق في أيّامه تقوم عند الناس مقام الأعياد لكثرة الزينة وركوبِ سائر الجند والعساكر بالسلاح [التامّ والعُـدَدِ الكاملة][٢]، ويجلِس الناس لرؤية ذلك كما يجلِسون في الأعياد. قلت: والتشبيه أيضاً بتلك الأعياد لا بأعياد زماننا هذا، فإن أعيادنا الآن كالمآتم بالنسبة لتلك الأعياد السالفة. انتهى.

وقال القُضَاعِيّ: وكان أحمد بنُ طولون بَنَى المَنْظَر لعرض الخيل. قال: وكان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربع؛ والأربع العجائب: منها كان عرض الخيل بمصر، ورمضانُ بمكّة، والعيدُ بطَرَسُوس، والجمعةُ ببغدادَ. ثم قال القضاعيّ: وقد ذهب آثنتان من الأربع: عرضُ الخيل بمصر، والعيدُ بطَرَسُوس. انتهى.

وقال المقريزي: وقد ذهبت[٣] الجمعة ببغداد بعد القضاعي بقتل هُولاكو للخليفة المُسْتَعْصِم ببغداد، وزالت شعائر الإسلام من العراق؛ [وبقِيت مكة شرّفها الله تعالى، وليس في شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه: إنّه من عجائب الإسلام][٤]. انتهى كلام المقريزي ـ رضي الله عنه ـ.

---

(١) كذا بالأصل والمقريزي. ولم نجده فيما بأيدينا من المراجع.

(٢) زيادة عن المقريزي.

(٣) كذا في المقريزي. وفي الأصل: «وقد ذهب بعد القضاعي الخطبة ببغداد بعد قتل... إلخ».

(٤) زيادة عن المقريزي.

قلت: وما زال أمرُ خمارويه في تزايدُ إلى أن ماتت حَظِيّته بُوران التي بنَى لها القصرَ المعروف ببيت الذهب المقدّم ذكرُه، فكدّر موتُها عيشه وآنكسر آنكساراً بان عليه. ثم إنه أخذ في تجهيز آبنته قطرِ النَدَى لمّا تزوّجها الخليفة المعتضِد، فجهّزها جَهازاً ضاهَى به نعمة الخلافة. وقد ذكرنا سبب زواجِ الخليفة بآبنته قطر الندى المذكورَ في أوائل ترجمته، ووعدنا بذكر جَهازها في آخر الترجمة في هذا المحل.

وكان من جملة جَهازها دَكّة أربع قِطع من ذهب عليها قبّة من ذهب مُشبَّك[1] في كل عين من التشبيك قُرْطُ معلّق فيه حبّة من جوهر لا يُعرَف لها قيمة، ومائة هاون من الذهب. وقال الذهبيّ: وألف هاون من ذهب. قال القضاعيّ: وعقد المعتضد النكاح على آبنته قطرِ الندى فحمَلها أبو آلجيش خمارويه إلى المعتضد مع أبي عبد الله بن الجصّاص[2]، وحمل معها من الجَهاز ما لم يُرَ مثلُه ولا يُسْمَع به. ولما دخل إلى خمارويه ابنُ الجصّاص يودّعه قال له خمارويه: هل بَقِي بيني وبينك حساب؟ قال: لا؛ فقال خمارويه: أُنظر حَسَناً[3]، فقال: كَسْرٌ بَقِيَ من الجَهاز؛ فقال خمارويه: أحضروه، فأخرج ربع طومار فيه ثَبَتُ ذكرِ نفقة الجهاز فإذا فيه أربعمائة ألف دينار، فوهبها له خمارويه. قال محمد بن عليّ الماذرائي[4]: فنظرتُ في الطومار فإذا فيه: « [و][5] ألف تِكّة الثمن [عنها][5] عشرة آلاف دينار». قال القضاعيّ: وإنما ذكرت هذا الخبر ليُستدلّ به على [أشياء: منها][5] سعة نفس

(١) كذا في المقريزي. وفي الأصل: «أربع قطع من ذهب مشبكي» وعبارة ابن إياس في بدائع الزهور: «وكان معها من القماش والأواني ما لا يحصر، حتى قيل: نقل جهازها من مصر إلى بغداد في ستة أشهر، فكان من جملة ما ذكر من جهازها مائة هاون ذهب، وألف سروال حرير، وفي تكة كل سروال جوهرة قدر بيضة الحمامة».

(٢) هو الحسين بن عبد الله، أبو عبد الله الجوهري، المعروف بابن الجصاص. قال ابن الداية: وكان مشهوراً بالغفلة والكلام المضحك. وروى ابن سعيد عدة نوادر تظهر فطنته وذكاءه. (انظر: المغرب، قسم مصر: ١/١٣٥).

(٣) في الأصل: «حسابك». وما أثبتناه من المقريزي.

(٤) كذا في المقريزي. وفي الأصل: «محمد بن دينار الماrديني» له ترجمة وافية في المقريزي: ٢/١٥٥ وفي المغرب، قسم مصر: ١/٣٥٠. راجع أيضاً ص ١٨ حاشية (٢).

(٥) زيادة عن المقريزي.

أبـي الجيش خمارويه؛ ومنها كثرة مال آبن الجصّاص، حتى إنّه قال: كَسْرٌ بَقِيَ من الجَهاز، وهو أربعمائة ألف دينار، لو لم يُذَكِّره بذلك لم يذكره؛ ومنها: عِمارة مصر في ذلك الزمان لما طُلِب فيها ألف تِكّة من أثمان عشرة دنانير قُدِر عليها في أيسر وقت بأهون سَعْي، ولو طُلِب اليوم خمسون لم يُقْدَر عليها. انتهى كلام القضاعي.

قال المقريزي: ولا يعرف اليوم في أسواق القاهرة تِكّة بعشرة دنانير إذا طُلِبت توجد في الحال ولا بعد شهر، إلا أن يُعْتَنَى[1] بعملها. انتهى كلام المقريزي.

ولمّا فَرَغ خُمَارويه من جَهاز آبنته قطرِ النَّدَى أمر فبُنِي لها على كل مَنْزِلة تنزِل فيها قصرٌ فيما بين مصر وبغداد، وأخرج معها خمارويه أخاه خَزْرَج[2] بن أحمد بن طولون في جماعة مـع آبن الجصّاص، فكانوا يسيرون بها سيرَ الطفل في المَهْد؛ فكانت إذا وافت المنزلةَ وجدت قصراً قد فُرِش، فيه جميـع ما تحتاج إليه. وقد عُلِّقت فيه الستور وأُعِدّ فيه كلّ ما يصلـح لمثلها. وكانت في مسيرها من مصر إلى بغداد على بُعْدِ الشُّقة كأنّها في قصر أبيها، حتى قَدِمت بغدادَ في أوّل المحرّم سنة آثنتين وثمانين ومائتين؛ وهي سنة قُتل فيها خمارويه المذكور، على ما سيأتي ذكره.

ولمّا دخَل بها الخليفة المُعْتضِد أحبّها حبّاً شديداً لجمال صورتها وكثرةِ آدابها. قيل: إنّه خـلا بها في بعض الأيّام فوضَـع رأسه على رُكْبَتِها ونام، وكان المعتضد كثيرَ التحرّز على نفسه؛ فلما نام تلطّفت به وأزالت رأسَه عن ركبتها ووضعتها على وسادة، ثم تنحّت عن مكانها وجلست بالقُرْب منه في مكانٍ آخر؛ فآنتبه المعتضد فَزِعاً ولم يجدها، فصاح بها فكلمته في الحال؛ فعَتَبها على ما فعلت من إزالة رأسه عن ركبتها، وقال لها: أسلمتُ نفسي لكِ فتركتِني وحيداً وأنا في النوم لا أدري ما يُفْعل بـي! فقالت[3]: يا أميرَ المؤمنين، ما جهلتُ قَدْرَ ما أنعمت به

---

(١) عبارة المقريزي: «إلا أن يتعنى بعملها فتعمل».

(٢) في المقريزي: «شيبان بن أحمد بن طولون».

(٣) في الأصل: «فقالت: إذا ما كنت كآلة لأمير المؤمنين وإنما فعلت ذلك لما... إلخ» وما أثبتناه عبارة ابن خلكان: ٢/ ٢٥٠. قارن أيضاً بالمغرب، قسم مصر: ١/ ١٣٦.

عليّ، ولكن فيما أدّبني به والدي خمارويه: أني لا أجلِس مع النُّيام ولا أنام مع الجلوس؛ فأعجبه ذلك منها إلى الغاية. قلت: لله درّها من جواب أجابته به!.

ولمّا فَرَغ خمارويه من جَهاز آبنته قطرِ النّدَى المذكورة وأرسلها إلى زوجها المُعْتضِد بالله، تجهّز وخرج إلى دِمَشق بعساكره، وأقام بها إلى أن قُتِل على فِراشه في السنة المذكورة.

قال العلامة شمس الدين[1] في تاريخه مرآة الزمان: كان خُمارَوَيْه كثيرَ الفساد بالخدَم، دخل الحمّامَ مع جماعة منهم فطلَب من بعضهم الفاحشةَ فامتنع الخادم حَياءً من الخدم؛ فأمر خمارويه أن يُضرب، فلم يزل يصِيح حتى مات في الحمّام، فأبغَضه الخدم. وكان قد بنَى قصراً بسَفْح قاسِيون[2] أسفل من دَيْرِمُرّان[3] يشرَب فيه [الخمر][4]، فدخل تلك الليلة الحمَّام فذبحه خدمُه. وقيل: ذبحوه على فِراشه وهَرَبوا، وقيل غير ذلك: إنّ بعض خدمه يُولَع بجارية له فتهدّدها خمارويه بالقتل، فآتّفقت مع الخادم على قتله. وكان ذبحُه في منتصف ذي الحجة، وقيل: لثلاث خَلَوْن منه من سنة آثنتين وثمانين ومائتين. وكان الأميرُ طغْج بن جُفّ معه في القصر في تلك الليلة، فبلغه الخبرُ فركِب في الحال وتتبّع الخدمَ وكانوا نيِّفاً وعشرين خادماً، فأدركهم وقَبَض عليهم وذبحهم وصلبهم[5]، وحمل أبا الجيش خمارويه في تابوت من دِمَشق إلى مصر وصلّى عليه آبنه جَيْش[6] ودُفِن. ويقال: إنّه دفِن بالقصر إلى جانب أبي عبيدة البرانيّ[7]؛ فرآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غُفِر لي بالقُرْب من أبي عبيدة ومُجاورتِه. انتهى كلام صاحب المرآة.

---

(١) هو يوسف بن قِزاوغلي بن عبد الله، أبو المظفر، شمس الدين، سبط أبي الفرج ابن الجوزي.

(٢) جبل مشرف على مدينة دمشق.

(٣) دير مران: موضع قرب دمشق على تل مشرف على مزارع ورياض.

(٤) زيادة عن عقد الجمان.

(٥) قارن أيضاً برواية ابن سعيد لهذا الخبر في المغرب.

(٦) ذكر ابن حجر في كتابه رفع الإصر عن قضاة مصر أن الذي صلى عليه هو القاضي محمد بن عبدة بن حرب.

(٧) كذا في الأصل. وفي عقد الجمان: «إلى جانب أبي عبيد التستري».

وقال غيرُه: قُتِل على فِراشه، ذبحه جواريه وخدمُه وحُمِل في صندوق إلى مصر. وكان لدخول تابوته إلى مصرَ يومٌ عظيم، استقبله جواريه وجواري غلمانه ونساءُ قوّاده بالصّياح وما تصنع النساء في المآتم؛ وخرج الغِلمان وقد حَلّوا أقبيتهم وفيهم من سوّد ثيابَه وشقّها، فكانت في البلد ضجّة وصرخة حتى دُفِن. وكانت مدّة ملكه على مصر والشام آثنتي عشرة سنة وثمانيةَ عشرَ يوماً. وتولّى مصر بعده ابنُه أبو العساكر جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون. انتهى.

* * *

السنة الأولى من ولاية خُمَارَوَيْه على مصر

وهي سنة إحدى وسبعين ومائتين:

فيها دخَل محمد وعليّ آبنا الحسين[1] بن جعفر بنِ موسى بنِ جعفر الصادق بن محمد المدينةَ، فقتَلا فيها [جماعة من أهلها][2] وجَبَيا الأموال وعطّلا الجُمُعةَ [والجماعة][2] من مسجد النبيّ ﷺ شهراً.

وفيها عزَل الخليفة المعتمِد على الله عمروَ بن الليث الصفّار وأمر بلَعْنه على المنابر، وولّى عِوَضَه خُرَاسَانَ محمدَ بنَ طاهر بنِ الحسين. ثم ولّى المعتمدُ على سَمَرْقَنْدِ وبُخارَى نصرَ بنَ أحمد بنِ أسد.

وفيها كانت الوقعة بين أبي العباس بن المُوَفّق وبين خُمَارَوَيْه صاحب الترجمة، وهي الوقعة التي ذكرناها[3] في أوائل ترجمة خُمَارويه.

وفيها وَثَب يوسف بن أبي الساج على الحُجّاج، فقاتلوه وأسروه وقَدِموا به بغدادَ مقيَّداً قد أُشهِر على جمل.

---

(١) كذا في الطبري وابن الأثير وابن كثير وعقد الجمان. وفي الأصل: «ابنا الحسن» وهو تحريف.

(٢) زيادة عن المراجع السابقة.

(٣) وهي وقعة الطواحين.

وفيها تُوُفِّيت بُورَانُ[١] بنت الوزير الحسنِ بن سهل زوجةُ الخليفة المأمون. وقصّة زواجها مع المأمون مشهورة، وكانت وفاتها في شهر ربيع الأوّل ببغداد، وقد بلغت ثمانين سنة. وكانت عظيمة الشأن متصدّقة خيِّرة فَطِنَة راويةً للشعر، وكانت من أحبّ نساء المأمون إليه.

وفيها توفي أبو حفص عمر[٢] بن مسلم وقيل: آبن مَسْلمة الحَدّاد[٣] النَّيْسابوريّ. أصله من قرية على باب نَيْسابور يقال لها كُورَداباذ[٤] على طريق بُخارى. ـ قلت: و«باذ» بالتفخيم في جميع ما يأتي فيه لفظة «باذ» مثل فيروزباذ وكلاباذ وما أشبه ذلك، لا يصحّ معنى ذلك إلا بالتفخيم، ومتى رُقِّق كما يتلفّظ به أولاد العرب ذهب معنى الاسم ـ كان النَّيْسابوريّ هذا عظيمَ الشأن أحدَ السادة الأئمة من كبار مشايخ القوم، وله الكرامات المشهورة. ذُكِر عند[٥] الجُنَيد فقال: كان رجلاً من أهل الحقائق.

وفيها توفّي محمد بنُ وهب، أبو جعفر العابد صاحب الجُنَيد. قال: سافرتُ لألْقَى أبا حاتم العطّار البَصْريّ الزاهد فطرقتُ عليه بابَه فقال: مَنْ؟ فقلتُ: رجلٌ يقول: ربِّـيَ الله؛ ففتح الباب ووضَع خدّه على الأرض وقال: طأْ عليه، فهل بَقِيَ في الدنيا مَنْ يُحْسِن أن يقول ربِّـيَ الله!. وكانت وفاته ببغداد، وتولّى الجُنَيد غَسْلَه وتكفينَه والصلاةَ عليه، ودُفن إلى جانب سَرِيّ السَّقَطِيّ.

وفيها توفّي مُصعَب بن أحمد بن مُصعَب أبو أحمد القَلانِسِيّ. وُلد ببغداد، وكان عظيم الشأن من أقران الجُنَيد وكان صاحب كرامات وأحوال.

---

(١) بوران، وتسمى أيضاً «خديجة» أخبارها في الطبري ومروج الذهب ووفيات الأعيان وجهات الأئمة الخلفاء والبداية والنهاية.

(٢) كذا في الأصل. وفي مرآة الزمان: «عمرو بن سلام وقيل: ابن سلمة». وفي عقد الجمان: «عمرو بن أسلم والأصح أنه عمرو بن سلمة». وفي تاريخ الإسلام للذهبي: «عمرو بن سلم، وقيل: عمرو بن سلمة وقيل: عمر بن سلم».

(٣) في الأصل: «المداد». والتصويب من المراجع السابقة، فقد كان يحترف الحدادة.

(٤) كذا في معجم البلدان. وفي الأصل: «كوراباذ».

(٥) في الأصل: «ذكر عنه الجنيد».

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة في السنة المذكورة خمسَ عشرةَ ذراعاً وآثنتان وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية خُمَارويه على مصر

وهي سنة آثنتين وسبعين ومائتين:

فيها وقع خلاف بين أبي العبّاس بن الموفَّق وبين يَازَمان الخادم في طَرَسُوس، فأخرج أهلُ طَرَسُوس أبا العبّاس عنهم، فقَدِم إلى أبيه ببغداد.

وفيها دخل حَمدانُ[1] بن حمدون وهارون الشارِيّ بالخوارج مدينةَ المَوْصل وصلّى الشارِيّ بالناس في الجامع.

وفيها تحرّكت الزَّنْج بواسط وصاحوا: أنكلاي[2] يا منصور. وكان أنكلاي وسليمان بن جامع و[أَبان بن علي][3] المهلَّبيّ والشعرانيّ وغيرهم من قوّاد الزَّنْج محبوسين في بغداد في بئر[4] فتح السَّعِيديّ، فكتب إليه الموفَّق بأن يبعث رؤوسَهم ففعل، وصُلبت أبدانُهم على الجسر.

وفيها غزا الصائفةَ يازمان الخادم.

وفيها حجَّ بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس.

---

(١) في الأصل: «أحمد بن حمدون وهارون الساري». وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير وابن كثير.

(٢) في الأصل: «أيكاي». وفي عقد الجمان: «أنكلاني». وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير وابن كثير، وفيه ان انكلاي هو ابن صاحب الزنج.

(٣) زيادة عن عقد الجمان.

(٤) في الطبري أنهم كانوا «محتبسين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام في دار البطيخ، في يد غلام من غلمان الموفق يقال له: فتح السعيدي».

وفيها توفِّي أحمد بن مهديّ بن رُسْتَم، الحافظ أبو جعفر الأصبهانيّ، أحدُ الثِّقات الحفّاظ الرحّالين في طلب الحديث والعلم؛ كان صاحبَ صلاة وتعبُّد وآجتهاد، لم يُفرش له فراشٌ منذ أربعين سنة، وأنفق على تحصيل العلم ثلاثمائة ألفِ درهم، وصنَّف المُسْنَد.

وفيها توفِّي الحسن بن إسحاق بن يزيد، أبو عليّ العطّار؛ قال عبد الرحمن بن هارون: كنّا في البحر سائرين إلى إفريقيّة فركَدَت علينا[1] ريح، فأرْسَيْنا[2] إلى موضع يقال له البَرطون ومعنا شخص يصطاد السمك، فآصطاد سمكة نحواً من شبر وأقل، فرأينا على صفحة أُذُنِها اليُمْنى مكتوباً: «لا إله إلا الله» وفي اليسرى: «محمد رسول الله»، فقذفناها في البحر ومنعنا الناس أن يصطادوا من ذلك الموضع.

وفيها توفِّي العَلاء بن صاعد، أبو عيسى البغداديّ الكاتب؛ كان يتعاطَى علمَ النجوم، فحبَسه الموفَّق؛ فقال لأصحابه: طالعُ الوقت يقتضي أنّ بعد ثلاثة عشرَ يوماً أخرج من الحبس وأعودُ إلى منزلي، وكان مريضاً فمات بعد ثلاثةَ عشرَ يوماً في الحبس، فدُفع إلى أهله ميّتاً؛ قيل: إنه رأى النبيّ ﷺ في المنام في مرضه فقال: يا رسول الله، أُدعُ الله أن[3] يَهَب لي العافية، فأعرضَ عنه يميناً وشمالاً وهو يقول ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: لا أفعل؛ فقال: يا رسول الله، ولِم؟ قال: لأنّ أحدكم يقول: أعلَّني المِرِّيخ وأبرأني المُشْتَرِي.

وفيها توفِّي محمد بن عبد الله بن عَمَّار بن سَوَادة، أبو جعفر الفقيه المُخَرِّمِيّ[4]؛ وُلد سنة اثنتين وستين ومائة، وكان حافظاً كثيرَ الحديث سمع سفيانَ بن عُيَينة وغيرَه، ورَوَى عنه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل وغيرُه.

---

(١) في الأصل: «عليها». والتصحيح من عقد الجمان.

(٢) في الأصل: «فأسرينا».

(٣) في الأصل: «ادع الله لي يهب لي...» وما أثبتناه عن عقد الجمان.

(٤) كذا في أنساب السمعاني وتهذيب التهذيب. وهذه النسبة إلى المخرِّم، محلّة ببغداد مشهورة. وفي الأصل: «... ابن عمار بن سواد... الخرقي» وهو تحريف. وقد تقدم للمؤلف ذكره في وفيات سنة ٢٤٢هـ وهو الصحيح. وذكره هنا خطأ.

وفيها توفّي محمد[١] بن أبي داود بن عُبَيد الله، أبو جعفر بن المُنادِي؛ سمع يزيدَ بن هارون وغيرَه، ورَوَى عنه البخاريّ وغيرُه.

وفيها توفّي محمد بن عَوْف بن سفيان، أبو جعفر الطائيّ الحِمْصيّ الزاهد العابد؛ كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: ما كان بالشام منذُ أربعين سنةً مثلُه.

وفيها توفّي يعقوب بن سِوَاك[٢] الجِيليّ[٣] الزاهد. سكن بغداد وصَحِبَ بِشْراً الحافيَ وآنتفع به وكان من الأبدال.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وتسع أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعاً وأربعَ عشرةَ إصبعاً:

* * *

السنة الثالثة من ولاية خُمَارويه على مصر

وهي سنة ثلاث وسبعين ومائتين:

فيها وثب ثلاثةُ بنين لملك الروم على أبيهم فقتلوه وملَّكوا[٤] أحدهم عليهم.

وفيها كانت وقعةٌ بين إسحاق بن كُنْداج وبين محمد بن أبي السَّاج في جمادَى الأولى، فآنهزم إسحاق؛ ثم تواقعا أيضاً في ذي الحجة فآنهزم إسحاق أيضاً ثانياً.

---

(١) في عقد الجمان: «محمد بن عبيد الله بن يزيد أبو جعفر المنادي». وفي تهذيب التهذيب: «محمد بن عبيد الله بن يزيد البغدادي أبو جعفر بن أبي داود بن المنادي». وفي شذرات الذهب: «محمد بن عبيد الله بن يزيد أبو جعفر بن المنادي».

(٢) سواك، كغراب (علم): ضبطه الحافظ الذهبي ككتاب، وفي العباب مثل ذلك، ولكن في التكملة بالضم بضبط القلم. قال الحافظ: وهو لقب لوالد يعقوب بن سواك البغدادي. (طبعة دار الكتب المصرية، ص ٦٩، حاشية ١).

(٣) كذا في الأصل. وفي عقد الجمان: «الجبيلي». وفي تاريخ الذهبي: «الختلي».

(٤) كذا في الطبري. وفي الأصل: «وولوا».

وفيها قبض الموفَّق أخو الخليفة على لؤلؤ مَوْلى ابن طولون الذي كان قدِم عليه بالأمان من الشام، وأخذ أموالَه وكانت أربعمَائة ألف دينار.

وفيها توفِّي أحمد بن سعد[1] بن إبراهيم الزُّهْريّ الجوهريّ؛ كان عالماً فاضلاً زاهداً يُعدُّ من الأبدال، وهو من بيت كلّهم زهّاد وعلماء.

وفيها توفّي أحمد بن العَلاَء، أبو عبد الرحمن القاضي الرَّقِّيّ؛ ومولدُه سنةَ آثنتين وتسعين ومائة؛ وتوفِّي بمصر بعد[2] آبن أخيه أبـي الهَيْثم بعشرين يوماً، ورثاهما أخوه هلال.

وفيها توفِّي حنبل بن إسحاق بن حنبل، ابن عمّ الإمام أحمد بـن حنبل؛ سمـع الكثير وصنَّف «التاريـخ»[3]، ورَوَى عنه أبو القاسم البَغَويّ[4] وغيرُه، وكان زاهداً عابداً.

وفيها توفِّي محمد بن إبراهيم بن مسلم، الحافظ أبو أميّة البغداديّ؛ كان رفيـعَ القدر، إماماً في الحديث؛ سكن طَرَسُوس ومات في جمادَى الآخرة؛ سمـع أبا نُعَيم وغيرَه، ورَوَى عنه أبو حاتم الرازيّ وغيره.

وفيها توفي [محمد بن][5] عبد الرحمن بن الحَكَم بن هشام الأُمَويّ، أمير الأندلس؛ كان فاضلاً عالماً فصيحاً؛ كان يخرج إلى الجهاد فيُوغِل في بلاد الكفّار السنة والسنتين وأكثر. ولما مات وَلِيَ بعده آبنه المنذر بن محمد.

---

(١) في الأصل: «سعيد». وما أثبتناه من عقد الجمان والذهبي.

(٢) في عقد الجمان: «ومات بعده ابن أخيه أبو الهيثم...».

(٣) وله أيضاً كتاب «الفتن» وكتاب «محنة الإمام أحمد بن حنبل» (الأعلام: ٢/٢٨٦).

(٤) هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان. حافظ للحديث، من العلماء. أصله من بغشور ــ بين هراة ومرو الروذ، والنسبة إليها بغوي ــ ومولده ووفاته ببغداد. توفي سنة ٣١٧هـ. (الأعلام: ٤/١١٩).

(٥) ساقطة من الأصل. وهي ضرورية ويؤكدها السياق. وعبد الرحمن والده توفي سنة ٢٣٨هـ. (انظر الحلة السيراء لابن الأبار: ١/١١٩، والبيان المغرب لابن عذاري: ٢/٩٣، ونفح الطيب للمقري: ١/٢٢٥، والمغرب في حلى المغرب: ١/٥١).

وفيها توفِّي محمد بن يزيد بن مَاجَة، الإمام الحافظ الحجّة الناقد أبو عبد الله القَزْوِيني صاحب السُّنَن والتفسير والتاريخ، وهو مولى ربيعة. وُلد سنةَ سبع ومائتين، ورحل إلى مكّة والكوفة والبصرة وبغداد والشام ومصر وغيرِها، وسمع الكثير، وكان صاحبَ فنون؛ مات يوم الاثنين ودُفن يوم الثلاثاء لثمانٍ بَقِين من شهر رمضان؛ وقد رَوَينا مُسْنَده عن الشيخ المُسْنِد رِضوان[١] بن محمد العُقْبيّ؛ قال أخبرنا أبو إسحاق الأنباريّ قال أخبرنا الكمال بن حبيب قال أخبرنا سُنْقُر[٢] بن عبد الله الزَّيْنيّ أخبرنا الموفَّق[٣] ابن قُدامة أخبرنا أبو زُرْعة طاهر بن محمد [بن طاهر][٤] المَقْدِسيّ أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين أخبرنا أبو طلحة القاسم بن [أبي][٤] المنذر حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن سَلَمة القَطّان حدّثنا ابن ماجة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وخمسُ أصابع ونصف.

* * *

السنة الرابعة من ولاية خمارويه على مصر

وهي سنة أربع وسبعين ومائتين:

فيها غزا يَازَمَانُ الخادمُ الرومَ، فأسَرَ وقَتَل وسَبَى وعاد سالماً غانماً.

وفيها خرج الموفَّق إلى كِرْمان يَقْصِد حرب عمرو بن الليث الصَّفّار.

وفيها حجّ بالناس هارون بن محمد أيضاً.

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي: ٢٢٦/٣.

(٢) توفي بحلب في شوال سنة ٧٠٦هـ. (شذرات الذهب والمنهل الصافي للمؤلف).

(٣) هو أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي. ولقبه موفق الدين. من أكابر الحنابلة. ولد سنة ٥٤١هـ، وتوفي سنة ٦٢٠هـ. (الأعلام: ٦٧/٤ وفيه مصادر ترجمته).

(٤) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية ص ٧١، عن مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ــ نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٢ حديث.

وفيها هجم صدِّيقٌ الفَرْغاني[١] [على] سُرَّ مَنْ رَأى فأخذ أموال التجّار ونهب دُورَ الناس وكان يقطع الطريق، وكان الخليفة المعتمِد بسُرَّ من رأى وأخوه الموفَّق قد خرج لقتال عمرو بن الليث الصفّار.

وفيها توفي أحمد بن حَرْب بن مِسْمَع، أبو جعفر العَدْل؛ كان من قرّاء القرآن وأحد الشهود الذين رغبوا عن الشهادة في آخر أعمارهم.

وفيها توفي محمد بن عيسى بن حِبّان[٢] المَدَائنيّ في قول الذهبيّ وغيره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وسبع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة الخامسة من ولاية خمارويه على مصر

وهي سنة خمس وسبعين ومائتين:

فيها بعث الموفَّق جيشاً إلى نواحي سُرَّ مَنْ رَأى مع الطائيّ[٣]، فأخذ صِدِّيقاً الفَرْغاني اللصّ فقطَعوا يدَيه ورِجْليه وأيدي أصحابه وأرجلَهم، وحُملوا إلى بغداد على تلك الصورة.

وفيها أيضاً غزا يَازَمان الخادمُ البحرَ فأخذ عدّةَ مراكب للروم.

---

(١) قال في البداية والنهاية: «وقد كان هذا الرجل ممن يحرس الطرقات فترك ذلك وأقبل يقطع الطرقات، وضعف الجند بسامرا عن مقاومته». ومثله في ابن الأثير والطبري.

(٢) كذا بالأصل وفي تهذيب التهذيب. وفي شذرات الذهب: «حيان» بالحاء والياء المثناة.

(٣) هو أحمد بن محمد الطائي. أحد القادة الأمراء في العصر العباسي. عقد له المعتمد سنة ٢٧١هـ على المدينة وطريق مكة، ثم ولاه الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامراء وشرطة بغداد وخراج قطربل ومسكن. وفي هذه السنة غضب عليه الموفق فحبسه ثم أطلقه وأعاده إلى ولايته في الكوفة، ولم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة ٢٨١هـ. (انظر الطبري وابن الأثير: حوادث السنوات: ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨١هـ).

وفيها في شوّال حبس الموفَّقُ ابنَه أبا العباس ــ وأبو العباس هذا هو الذي يلي الخلافة بعد ذلك ويتلقّب بالمعتضِد ويتزوّج بقَطْر النَّدى بنت خُمَارويه صاحب الترجمة، وقد تقدّم ذكرُ جَهازِها في أوّل هذه الترجمة ــ ولما أمسك الموفَّقُ ابنَه أبا العباس المذكور تشغَّب أصحابُه وحملوا السلاح، فركب الموفَّق وصاح بأصحاب أبـي العبـاس: ما شـأنكم! أتَرَوْنَ أنكم[1] أشفقُ على ولـدي منّي [هو ولـدي، واحتجت إلى تقويمه][2]! فوضعوا السلاح وتفرّقوا.

وفيها حـج بالناس هارون بن محمد الهاشميّ أيضاً.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن الحجاج الفقيه أبو بكر المَرُّوذِيّ[3] صاحب الإمام أحمد بن حنبل. كان أبوه خُوَارَزْمِيّاً وأمه مَرُّوذِية، وكان مقدَّماً في أصحاب الإمام أحمد لوَرَعه وفضله.

وفيها توفِّي أحمد بن محمد بن غالب بن خالد، أبو عبد الله البصريّ الباهليّ، ويُعرف بغلام خليل؛ سكن بغدادَ وحدّث بها، وكان من الأبدال، يَسْرُد الصومَ دائماً.

وفيها توفِّي سعد الأيسر؛ كان أميرَ دمشق وكان عادلاً وكـان من خَوَاصّ أحمد بن طولون، وهو الذي هزم أبا العباس أحمد بن الموفَّق لما حارب خمارويه حسبما ذكرناه. وكان سعد يقول عن خُمَارويه: هذا الصبـيّ مشغول باللهو وأنا أكابد الشدائدَ؛ فبلـغ خمارويه فخرج إلى الرَّمْلة وآستدعاه، فلما قَدِم عليه قتله بيده؛ وبلـغ أهلَ دمشق ذلك فغضبوا ولعنوا خمارويه.

وفيها توفي سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بَشير بن شَدّاد بن عمرو بن

---

(١) في الأصل: «أنزاكم» وهو تحريف. وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير.

(٢) زيادة عن الطبري وابن الأثير.

(٣) في الأصل والبداية والنهاية: «المروزي» وكلاهما تحريف. لأن «المروزي» هي النسبة إلى مرو الشاهجان على غير قياس، كما قال ياقوت. أما النسبة إلى مرو الروذ فهي: المرُّوذي أو المرو روذي. وما أثبتناه تؤيده كتب التراجم المختلفة.

عِمْران، أبو داود السِّجِسْتاني الأَزْديّ الإمام الحافظ الناقد صاحب السُّنَن. مولده سنةَ اثنتين ومائتين؛ كان إمامَ أهل الحديث في عصره بلا مدافعة؛ رحَل إلى[1] العراق وخُرَاسان والحجاز والشام ومصر وبغداد غيرَ مرّة، وروَى بها كتابَ السنن وعرَضه على الإمام أحمد بن حنبل فآستحسنه؛ وكان عارفاً بعِلل الحديث وَرِعاً، وكان له كُمٌّ واسع وكمٌّ ضيّق؛ فقيل له في ذلك فقال: الواسع للكتب، والآخر لا أحتاج إليه. وقد سمعتُ سُنَنه روايةَ اللؤلئي عنه على المشايخ الثلاثة: زين الدين عبد الرحمن[2] الدِّمَشْقِي، وعلاء الدين عليّ[2] بن بَرْدَس البَعْلَبَكيّ، وشِهاب الدين[2] أحمد [المشهور با][3]بن ناظر الصاحبيّة، بسماع الأوّلين لجميعه على أبي حفص[4] بن أُمَيلة، وبإجازة الثالث من أبي العباس بن الجُوَخي[5]، قالا: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن البُخارِيّ، أخبرنا أبو الحَفْص بن طَبَرْزَذ[6] مما آتفقَ له، أخبرنا أبو البدر إبراهيم الكَرْخِيّ وأبو الفتح الدُّومِي قالا: أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي، أخبرنا الشريف أبو عمر الهاشميّ أخبرنا أبو عليّ اللؤلئي[7] أخبرنا أبو داود.

وفيها توفي علي بن يحيى بن أبي منصور، أبو الحسن المنجِّم؛ كان أصله من أبناء فارس، وكان أديباً شاعراً، ونادم الخلفاء من المتوكّل إلى المعتمِد، وكانوا يُعظّمونه، وكان عالماً بأيام الناس راويةً للأشعار.

---

(١) في الأصل: «في».

(٢) ترجمته في الضوء اللامع.

(٣) زيادة عن الضوء اللامع.

(٤) هو أبو حفص عمر بن الحسن بن مزيد بن أميلة المراغي، كما في المنهل الصافي للمؤلف والدرر الكامنة لابن حجر. وقد توفي سنة ٧٧٨هـ.

(٥) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن الرقاق الشهير بابن الجوخي، كما في المنهل الصافي. وانظر فيما سيأتي ص ٩٤، حاشية (٦).

(٦) هو عمر بن محمد بن طبرزد المتوفى سنة ٦٠٧هـ، كما في ابن خلكان: ٤٥٢/٣. قال: وطبرزذ، اسم لنوع من السكر.

(٧) هو أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي البصري، كما في تهذيب التهذيب.

وفيها توفّي محمد بن إسحاق بن إبراهيم العَنْبَسِيّ[١] الصَّيْمَرِيّ الشاعر؛ كان أديباً قَدِم بغدادَ ونادم المتوكّل[٢]؛ ومن شعره ـ رضي الله عنه ـ: [الخفيف]

كم مريضٍ قد عاش من بعد يأسٍ بعد موت الطبيبِ والعُوّاد
قد يُصاد القَطَا فينجو سليماً ويَحُلُّ القضاءُ بالصَّيَّاد

وفيها توفّي المُنْذِر[٣] بن محمد بن عبد الرحمن بن الحَكَم بن هشام، أبو الحكم أمير الأندلس؛ أقام على الأندلس سنتين[٤]، وأمّه أمُّ ولد[٥]، وهو السادس لصُلْب عبد الرحمن الداخل الأَمَويّ المقدّم ذكره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعُ أذرع وستَّ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وثماني أصابع.

* * *

السنة السادسة من ولاية خمارويه على مصر

وهي سنة ست وسبعين ومائتين:

فيها رضي الخليفةُ المعتمِدُ على عمرو بن الليث الصَّفّار، وكتب اسمَه على الأعلام والعُدَد[٦].

وفيها في [شهر][٧] ربيع الأوّل خرج الموفَّق أخو الخليفة المعتمِد من بغدادَ

---

(١) في الأصل: «العنسي». وما أثبتناه من معجم الأدباء لياقوت. والصيمري: نسبة إلى الصيمرة، نهر من أنهار البصرة. انظر أيضاً أنساب السمعاني: ٥٧٧/٣، والمرزباني: ٤٤٢.

(٢) في الأعلام، عن مصادره: نادم المتوكل والمعتمد.

(٣) ترجمته في البيان المغرب: ١١٣/٢، والمغرب في حلى المغرب: ٥٣/١، ونفح الطيب: ٣٥١/١.

(٤) نقل ابن سعيد في المغرب عن صاحب جذوة المقتبس أن ولايته اتصلت سنتين غير خمسة عشر يوماً.

(٥) في البيان المغرب أن أمه تسمى «أثل»، ولدته لسبعة أشهر.

(٦) في ابن الأثير أن ذلك كان في شوال. وفي نفس الشهر عزله عن الشرطة بعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وأمره الموفق بطرح اسم عمرو عن الأعلام وغيرها. وذكر الطبري أن عمرو بن الليث جُعل على الشرطة في المحرم وأن اسمه أسقط عن الأعلام وغيرها في ١١ شوال.

(٧) يجوز أن تذكر الشهور دون أن تضاف إليها كلمة «شهر» ما عدا: ربيع الأول وربيع الثاني ورمضان.

يريد أحمدَ بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بأصبهانَ، فتنحَّى له أحمدُ عن داره: عن آلتها وفرشها، فنزل بها الموفَّقُ؛ وقدِم محمدُ بن أبي الساج على الموفّق هارباً من خُمَارويه صاحب الترجمة بعد وَقعات جرت بينهما، فأكرمه الموفَّق وخلَع عليه.

وفيها وُلِّي عمرُو بن الليث الصّفار شرطةَ بغدادَ[١].

وفيها تفرَّج[٢] تلٌّ بنهر الصِّلح عند فمِ الصِّلح بالعراق، ويُعرف بتلّ بني شَقِيق[٣]، عن سبعة قبور فيها سبعة أبدان صحيحة، والأكفان جُدُد تفوح منها رائحة المسك، وأحدهم شابٌّ[٤] له جُمّةٌ[٥] طويلة طريّة، ولم يتغيَّر منه شيءٌ وفي خاصرته ضربةٌ؛ وكانت القبور حجارة مثل المِسَنّ، وعندهم كتاب ما يُدرَى ما فيه.

وفيها توفِّي بَقِيّ بن مَخْلَد بن يزيد، الحافظ أبو عبد الرحمن الأندلسيّ صاحب الرحلة والتصانيف؛ كان مُجابَ الدعوة؛ رحل إلى مكة والمدينة ومصر والشام وبغداد والشرق والعراقين، وكان له مائتان وأربعة وثمانون شيخاً، ومولده في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، ومات ليلةَ الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الآخرة.

وفيها توفّي عبد الله الفَرْحان، أبو طاهر الأَصْبهاني العابد المشهور. كان مجابَ الدعوة وله آثارٌ في الدعاء مشهورة؛ كتب الكثيرَ من الحديث بالعراق والشام ومصر، وسمع هشامَ بن عَمّار وغيرَه، وروى عنه محمد بن عبد الله الصَّفّار وغيرُه.

وفيها توفِّي عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة، أبو محمد المَرْوَزيّ[٦] الكاتب، مصنِّف كتاب «غريب الحديث» و«غريب القرآن» و«مشكل القرآن»؛ مات فجأة:

---

(١) كان يحسن بالمؤلف ضم هذا الخبر إلى الخبر الأول في هذه السنة، ولا داعي لتكراره.

(٢) أي انفرج، وكلاهما صحيح.

(٣) في الطبري والبداية والنهاية: «تلّ بنهر الصِّلة.. ويعرف بتل بني شقيق». وفي ابن الأثير: «تلّ من نهر البصرة يعرف بتلّ شقيق». ولعل نهر الصلح، وفم الصلح، ونهر الصلة، أسماء على مسمى واحد. انظر معجم البلدان، مادتي: فم الصلح، ونهر الصِّلة.

(٤) في الأصل: «ثياب» وهو تحريف. والتصحيح عن الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية وعقد الجمان.

(٥) الجُمَّة: مجتمع شعر الرأس، وما سقط على المنكبين.

(٦) ويقال أيضاً: الدينوري. أقام مدة في الدينور قاضياً فنسب إليها.

صاح صَيْحةً عظيمة ثم مات في شهر رجب؛ وقال الدارَقُطْنيّ: كان يميل إلى التشبيه، وكلامُه يدلّ عليه، وقال البَيْهَقيّ: كان يَرى رأيَ الكَرّامية، وذكر عنه أشياء غير ذلك[١]؛ وكان خبيثَ اللسان يقع في حقّ كبار العلماء.

وفيها توفّي عبد الملك بن محمد بن عبد الله، الحافظ أبو قِلابة الرَّقاشيّ؛ مولده بالبصرة سنة تسعين ومائة، وسمع يزيدَ بن هارون وغيرَه، وروى عنه المَحَامليّ[٢] وآخرون[٣].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستُّ أذرع وتسعُ أصابع. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وأربعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة السابعة من ولاية خُمَارويه على مصر

وهي سنة سبع وسبعين ومائتين:

فيها اتفق يَازَمانُ الخادم مع خمارويه صاحب الترجمة ودعا له على المنابر بطَرَسُوس. وسببه أن خمارويه استماله وتلطّف به وبعَث له بثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة دابّة وسلاحٍ كثير.

وفيها حَجّ بالناس هارون بن محمد العباسيّ الهاشميّ على العادة.

وفيها توفي أحمد بن عيسى، أبو سَعيد الخرّاز الصُّوفيّ البغداديّ، أحد المشايخ المذكورين[٤] بالزهد؛ كان من أئمة القوم وجِلَّةِ[٥] مشايخهم؛ قال

---

(١) نقل ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب عن الذهبي في المغني قوله: «قال الحاكم: أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب. قلت: هذا بغي وتخرص، بل قال الخطيب هو ثقة. انتهى كلام الذهبي».

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد المحاملي الضبي المتوفى سنة ٣٣٠هـ. قاض، من الفقهاء المكثرين من الحديث. ولي قضاء الكوفة وفارس ستين سنة. (الأعلام: ٢/٢٣٤).

(٣) في الأصل: «وآخر».

(٤) في الأصل: «المذكورة». وما أثبتناه من عقد الجمان.

(٥) في الأصل: «وجملة». وما أثبتناه من عقد الجمان.

الجُنَيد: لو طالبنا اللَّهُ بحقيقة ما عليه أبو سَعيد الخَرّاز لهلكنا، قيل له: وعلى أيّ شيء حالُه؟ قال: أقام كذا وكذا سنة يَخْرِز ما فاته [الحقُّ](١) بين الخُرْزتين، يعني ذكر الله تعالى.

وفيها توفي إبراهيم بن إسحاق بن أبي العَنْبَس، أبو إسحاق الزُّهْريّ الكُوفِيّ. وَلِيَ قضاءَ بغداد ثم صرفه الموفَّق؛ أراد منه أن يدفَع إليه أموالَ الأوقاف فامتنع؛ وكان عالماً محدّثاً حَمَل الناسُ عنه الحديثَ الكثيرَ.

وفيها توفي محمد بن إدريس بن المُنْذِر بن داود بن مِهْرَان، الحافظ أبو حاتم الرَّازِي الحَنْظليّ مولى بني تَميم بن حَنْظلة الغَطَفانيّ، وقيل: سُمِّي الحنظلي لأنه كان يسكن بالرَّيّ بدرب حَنْظلة. كان أحدَ الأئمة الرحّالين، عارفاً بعِلَل الحديث والجَرْح [و] التعديل؛ رحل إلى خُراسان والعراقَيْن والحجاز واليمن والشأم ومصر، ومات بالرَّيّ في شعبان.

وفيها توفي يعقوب بن سُفْيان، الحافظ أبو يوسف الفارسيّ الفَسَوِيّ(٢)، صاحب التاريخ(٣) والمصنَّفات الحِسان؛ كان إمامَ أهل الحديث، سافر [إلى] البلاد ولقيَ الشيوخَ، قال: كتبتُ عن ألف شيخ وأكثر، وكلُّهم ثِقاتٌ؛ وقال أبو زُرْعة الدِّمَشْقيّ: قَدِمَ علينا يعقوبُ دِمَشْقَ وتعجّب أهلُ العراق أن يَرَوْا مثله.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسُ أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وثمانيَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

(١) الزيادة عن تاريخ ابن عساكر.

(٢) نسبته إلى «فسا» بإيران.

(٣) هو كتاب «التاريخ الكبير». قطعة منه مصورة في معهد المخطوطات (٨١٩ تاريخ). وفي مذكرات الميمني، ذكر مخطوطة قال: هي الجزء الثاني من كتاب «المعرفة والتاريخ» للفسوي، في خزانة طوبقبو سراي باستنبول. (الأعلام: ١٩٨/٨) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية باسم «التاريخ والمعرفة».

السنة الثامنة من ولاية خمارويه على مصر

وهي سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين:

فيها في الثامن والعشرين من المحرَّم ظهر في السماء كوكب ذو جُمَّة[١].

وفيها قال أبو المظفر بن قِزْأُوغْلي وغيره من المؤرّخين: غار نيلُ مصر حتى لم يبق منه شيء. قال الذَّهَبيّ: ولم يتعرّض المُسَبِّحيّ[٢] في تاريخه إلى شيء من ذلك. وغَلَتِ الأسعارُ في هذه السنة بمصر وقُرَاها.

وفيها ظهرت القَرَامِطة بسَوَاد الكوفة، وقد آختلفوا فيهم وفي مبتدأ أمرهم على أقوال نذكر منها نبذةً لما سيأتي من ذكر القرامطة وآستيلائهم على البلاد وقتلهم للعباد، فأحدُ الأقوال: أن رجلاً قدم من ناحية خُوزِستان إلى سَوَاد الكوفة وأظهر الزهد والتقشُّف، وكان يعمل الخُوصَ ويأكل من كَسْبه، ولا زال يُظهِر التديُّن والزهد إلى أن مال إليه الناس فدرّجهم من شيء إلى شيء حتى صاروا معه حيث شاء، وقيل غير ذلك أقوال كثيرة؛ وهم من الذين أكثروا في الأرض الفساد وأخربوا البلاد.

وفيها غزا يَازَمانَ الخادمُ الصائفةَ فبلغ حصناً يقال له سَلَنْد[٣] فنصَب عليه المَجانيق، وأشرف على فتحه فجاءه حَجَر من الحصن فقتله، فآرتحلوا به وفيه رَمَقٌ فمات في الطريق في رجب، فحُمل على الأكتاف إلى طَرَسُوس فدُفِن بها؛ وكان شجاعاً جَوَاداً ــ رضي الله عنه ــ.

وفيها توفي[٤] دِيكُ الجِنّ الشاعر المشهور؛ واسمه عبد السلام بن رَغْبان بن

---

(١) في الأصل: «ذو وجه». وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية وعقد الجمان. والعبارة فيها: «ذو جمة، ثم صارت الجمة ذؤابة».

(٢) هو محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي المتوفى سنة ٤٢٠هـ. له ترجمة في وفيات الأعيان: ٤/٣٧٧، والمغرب ــ قسم مصر: ١/٢٦٤.

(٣) كذا بالأصل. وفي الطبري: «سلندو». وفي ابن الأثير: «شكند». وفي عقد الجمان: «شلندو».

(٤) ذكر ابن خلكان أنه توفي في أيام المتوكل سنة ٢٣٥هـ أو ٢٣٦هـ.

عبد السلام؛ وسُمِّي ديكَ الجن لأن عينيه كانتا خضراوَيْن، وكان قبيح المنظر فصيحاً؛ عاصر أبا تَمّام الطائيّ، وكان أبو تمام يعترف له بالفضل. وهو من شعراء الدولة العباسيّة، وكان يتشيّع. وكان له غلام كالبدر وجاريةٌ أحسن منه، وكان يهواهما جميعاً، فدخل يوماً منزلهَ فوجدهما متعانَقيْن والجاريةُ تقبِّل الغلام، فشَدّ عليهما فقتلهما ثم رثاهما بعد ذلك وحَزِن عليهما حزناً شديداً، وتنغَّص عيشُه بعدهما إلى أن مات[1]. وشعرُ ديكِ الجِنّ مشهور.

وفيها توفي أبو أحمد طَلْحة، وقيل: محمد ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم محمد ابن الخليفة الرشيد هارون؛ كان لقبه الموفَّق ثم لُقِّب بعد قتل الزَّنْجِيّ الناصرَ لدين الله؛ كان يُخْطَب له على المنابر بعد أخيه الخليفة المعتمِد، وكان يقول الخطيب: اللهم أصلح الأمير الناصِرَ لدينك أبا أحمد الموفَّق بالله وليَّ عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين؛ وكانت أمّ الموفق أمَّ ولد يقال لها إسحاق؛ وكان الموفَّق من أجلّ الملوك رأياً وأسمحِهم نفساً وأحسنِهم تدبيراً؛ كان أخوه المعتمِد قد جعله وليَّ عهده بعد ولده جعفر المفوَّض، فغلَب الموفَّقُ على الأمر حتى صار أخوه الخليفة المعتمِد معه كالمحجور عليه؛ ومات الموفَّق في حياة أخيه المعتمد فبايع المعتمد ابنَ الموفّق أبا العباس ولقَّبه بالمعتضِد، وجعله وليَّ عهده بعد آبنه المفوَّض كما كان أبوه الموفّق. وظنّ المعتمد أنه آستراح من الموفَّق فعظُم أمرُ المعتضِد أضعافَ ما كان عليه الموفّق، حتى إنه خلع المفوَّض من ولاية العهد وصار هو وليَّ عهد عمّه المعتمِد، وتولّى الخلافةَ بعده؛ وكان الموفَّق قد حبس ابنه أبا العباس المعتضِد هذا لشدّة بأسه فلما احتُضر الموفَّق، أو في حال مرضه،

---

[1] ومن شعره في رثائها:

يا طلعةً طلع الحِمام عليها ... وجنى لها ثمر الردى بيديها
روّيت من دمها الثرى ولطالما ... روّى الهوى شفتيَّ من شفتَيها
مكّنت سيفي من مجال خناقها ... ومدامعي تجري على خدّيها
فوحقِّ نعليها وما وطيء الحصى ... شيءٌ أعزّ عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن ... أبكي إذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواي بحبّها ... وأنفت من نظر الغلام إليها

(انظر ابن خلكان: ٣/١٨٦، وديوان ديك الجن: ٩٠).

أخرج الجندُ المعتضدَ المذكورَ من حبسه بغير رضا أبيه، ثم مات بعد أيام في يوم الأربعاء ثانيَ عشرَ من صفر، وكان من أجلِّ ملوك بني العبّاس.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسُ أذرع وسبع عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وثمانيَ عشرة إصبعاً.

* * *

السنة التاسعة من ولاية خُمَارويه على مصر

وهي سنة تسع وسبعين ومائتين:

فيها عظُمَ أمرُ المعتضِد بتقديمه في ولاية العهد على جعفر المفوَّض، فإن الخليفة المعتمد خلع ولدَه وقدّم ابنَ أخيه المُعْتضِد هذا على ولده المفوّض المذكور؛ وأظنّ ذلك كان لقوّة شوكة المعتضد؛ ثم فوّض المعتمِدُ لابن أخيه المُعْتضِد ما كان لأبيه الموفَّق من الأمر والنهي وكتب بذلك إلى الآفاق؛ ثم أمر المعتضِدُ ألاّ يَقْعُد على الطريق ببغداد ولا في المسجد الجامع قاصٌّ[1] ولا صاحبُ نجوم، وحلَّف باعةَ الكتب ألاّ يبيعوا كتب الفلاسفة والجَدَل ونحو ذلك. ولما قدّم الخليفةُ [المعتمدُ] المعتضد هذا على ولده قدّم له المعتضِد ثياباً بمائتي ألف درهم وحمل إلى آبن عمّه المفوَّض ثياباً بمائة ألف درهم، وطابت نفوسُهما؛ فلم يكن بعد ذلك إلا أيامٌ ومات الخليفة المعتمِد؛ وتولَّى المعتضِدُ الخلافةَ بعد عمِّه المعتمِد في صبيحة يوم الاثنين لإحدى عشرةَ ليلةً بقيتْ من شهر رجب.

وفيها أرسل خُمَارويه إلى المعتضِد مع آبن الجَصّاص هدايا وتُحَفاً وأموالاً كثيرة وسأله أن يزوِّج آبنَه المكتفِيَ ببنته قَطْر النَّدَى؛ فقال المعتضِد: بل أنا أتزوّجها فتزوّجها. وقد سُقْنا حكاية زواجها في ترجمة أبيها خمارويه.

---

(١) في الأصل: «قاض» بالضاد المعجمة، وتصحيفها واضح. وما أثبتناه عن الطبري. وعبارة السيوطي في تاريخ الخلفاء: «ومنع القصاص والمنجمين من القعود في الطريق».

وفيها فتح أحمد بن عيسى بن الشَّيخ قلعةَ مارِدِين[١] وكانت مع محمد بن إسحاق بن كُنْداج.

وفيها صلَّى المعتضِدُ بالناس صلاةَ الأضحى[٢] فكبَّر في الأولى ستَّ تكبيرات وفي الثانية واحدةً، ولم تُسمع منه خُطْبة.

وفيها توفِّي محمد بن عيسى بن سَوْرَة، الإمام الحافظ أبو عيسى التِّرمِذيّ مصنِّف «الجامع»[٣] و«العِلَل» و«الشمائل» وغيرها؛ وكانت وفاتُه في شهر رجب؛ وقد روينا كتابَه الجامع سَماعاً على الشيخين علاءِ الدين عليّ بن بَرْدَس البَعْلَبَكّي وشهاب الدين أحمد [المشهور با]بن ناظر الصاحبيّة، بسَماع الأوّل عن أبي حَفْص بن أُمَيلة[٤] وإجازة الثاني من أحمد[٥] بن محمد بن أحمد بن الجُوَخي؛ قالا: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن البخاري [وا]‏[٦]بن أُمَيلة ــ الأوّل سَماعاً والثاني إجازة ــ أخبرنا أبو حفص

(١) قلعة ماردين: تقع في منتصف الطريق بين رأس العين ونصيبين. وفي المائة الرابعة للهجرة كان يقال لها «الباز» وهي معقل أمراء بني حمدان. وفي جانبها الجنوبي ربض عظيم كان آهلاً في المائة السادسة. قال ابن جزي: قلعة ماردين هذه تسمى الشهباء، ويقال لها أيضاً «قلعة كوه»، أي قلعة الجبل. (الأعلاق الخطيرة: ٨٢٥/٣ ــ حاشية عن بلدان الخلافة الشرقية، ورحلة ابن بطوطة، والدولة الحمدانية في الموصل وحلب). قارن أيضاً بمعجم البلدان: ٣٩/٥.

(٢) الخبر هنا يوافق رواية السيوطي في تاريخ الخلفاء والطبري في تاريخه. ورواه المسعودي في مروج الذهب: ٢٣٣/٤ ببعض اختلاف، قال: وقد كان المعتضد في هذه السنة ركب يوم الفطر ــ وهو يوم الاثنين ــ إلى مصلى اتخذه بالقرب من داره، فصلى في الناس، وكبر في الركعة الأولى ست تكبيرات، وفي الآخرة تكبيرة واحدة، ثم صعد المنبر، فحصر ولم تسمع له خطبة. وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

حصر الإمام ولم يبينّ خطبة للناس في حلّ وفي إحرام
ما ذاك إلا من حياء، لم يكن ما كان من عيّ ولا إفحام

(٣) هو «الجامع الكبير» في الحديث، مطبوع باسم «صحيح الترمذي». وكتاب «العلل» أيضاً في الحديث. وكتاب الشمائل هو «الشمائل النبوية».

(٤) في الأصل: «أسلم» والتصحيح عن المنهل الصافي والدرر الكامنة.

(٥) في الأصل: «محمد بن أحمد بن محمد الجوخي» وهو خطأ. والتصحيح عن المنهل الصافي للمؤلف والأعلام.

(٦) زيادة يقتضيها السياق، إذ ليس ابن أميلة جداً لعلي بن البخاري.

ابن طَبَرْزَد أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي [القاسم عبد الله بن أبي][١] سهل [القاسم بن أبي منصور][١] الكَرُوخيّ[٢] أخبرنا أبو عامر محمود بن القاسم[٣] الأَزْدي وأبو بكر أحمد بن عبد الصمد الغُورَجِيّ[٤] وأبو نصر عبد العزيز بن محمد التِّرْياقيّ سماعاً عليهم سوى التِرياقيّ، فمن أوّله إلى مناقب آبن عباس قال الكَرُوخيّ، وأخبرنا من مناقب آبن عباس إلى آخر الكتاب عبدُ الله بن عليّ بن يَس الدهّان، قالوا: أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجَرّاحي، أخبرنا أبو العبّاس محمد بن أحمد بن محبوب المَحْبوبي، أخبرنا الإمام الحافظ أبو عيسى التِّرْمِذيّ؛ وروينا أيضاً كتابَه «الشمائل» سَمَاعاً على الشيخين المذكورين بسماع الأوّل من المُسْنِد صلاح الدين محمد [بن أحمد][٥] بن أبي عمر المَقْدِسِيّ، وإجازة الثاني من آبن الجُوَخي[٦]، قالا أخبرنا آبن البُخَاريّ[٧] الأوّل سَماعاً والثاني إجازة، أخبرنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِنْديّ، أخبرنا أبو شُجَاع[٨] البِسْطاميّ، أخبرنا أبو القاسم[٩] البَلْخِيّ أخبرنا أبو القاسم[١٠] الخُزَاعيّ، أخبرنا أبو سعيد الهَيْثم بن كُليب الشاشيّ، أخبرنا أبو عيسى التِّرمذيّ.

---

(١) زيادة عن معجم البلدان في الكلام على «كروخ» وأنساب السمعاني، وفيه «عبيد الله» بدلاً من عبد الله.

(٢) نسبة إلى كروخ: بلدة بنواحي هراة.

(٣) في الأصل: «ابن أبي القاسم» والتصحيح عن معجم البلدان.

(٤) في الأصل: «الفورجي» بالفاء. وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن لب اللباب للسيوطي وجامع الترمذي.

(٥) زيادة عن المنهل الصافي لابن تغري بردي.

(٦) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود، أبو العباس بن الجوخي، ويقال له أيضاً ابن الزقاق. توفي سنة ٧٦٤هـ. (الأعلام: ١/٢٢٤) وجاء في الدرر الكامنة أن اسم جده الثاني «محمد». قال صاحب الأعلام: والصواب «محمود» كما في الدارس للنعيمي وثبت الندرومي.

(٧) هو علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي، فخر الدين، أبو الحسن، المعروف بابن البخاري المتوفى سنة ٦٩٠هـ. (الأعلام: ٤/٢٥٧).

(٨) هو عمر بن محمد بن عبد الله، أبو شجاع البسطامي البلخي المتوفى سنة ٥٧٠هـ. أديب شاعر من حفاظ الحديث. (الأعلام: ٥/٦١).

(٩) هو أحمد بن محمد البلخي أبو القاسم. (من طبعة دار الكتب المصرية عن بهجة المحافل لزين الدين إبراهيم اللقاني ــ مخطوط).

(١٠) هو علي بن أحمد بن علي الخزاعي، أبو القاسم. (المرجع السابق).

وفيها حجّ بالناس هارون بن محمد الهاشميّ، وهي آخر حِجّة حجّها بالناس. وكان قد حجّ بالناس ستَّ عشرةَ حِجّة أوّلها سنة أربع وستين ومائتين إلى هذه السنة.

وفيها توفّي الخليفة أمير المؤمنين المعتمِد على الله أبو العبّاس أحمد ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهديّ محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس الهاشميّ العباسيّ، في ليلة الاثنين تاسعَ عشرَ شهر رجب فجأة ببغداد، فحُمل ودُفن بسُرَّ مَنْ رأى؛ ومولده سنةَ تسع وعشرين ومائتين بسرّ من رأى، وأمّه أمّ ولد رومية اسمها فِتْيان، وفي موته أقوال كثيرة، منهم من قال: إنه آغتِيل بالسمّ، ومنهم من قال: إنه خُنق، وقيل غير ذلك؛ وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أيّام، وكان فيها كالمحجور عليه مع أخيه الموفّق، فإنه كان مُنْهمكاً في اللذّات، فولّى أخاه الموفَّق أَمرَ الناس فقَوِيَ عليه وآنقهر المعتمِد معه إلى أن مات قهراً منه ومن ولده المعتضِد؛ وتولّى الخلافةَ من بعده المعتضد آبن أخيه الموفَّق المذكور.

وفيها توفي أحمد بن أبي خَيْثمة زُهَير بن حَرْب بن شَدّاد النَّسائيّ الأصل؛ كان عالماً حافظاً ذا فنون بصيراً بأيام الناس راوية للآداب؛ أخذ عِلمَ الحديث عن الإمام أحمد بن حنبل وعن يحيى بن مَعين، وعلمَ النسب عن مُصْعَب الزُّبَيريّ، وأيامَ الناس عن أبي الحسن المدائنيّ؛ وصنَّف التاريخ فأكثر فوائدَه ومات في جُمَادَى الأولى.

وفيها توفّي أحمد بن عبد الرحمن بن مرزوق، أبو عبد الله البُزُورِيّ البغداديّ، ويعرف بآبن أبي عوف؛ كان إماماً عالماً محدِّثاً ثقة نبيلاً.

وفيها توفّي أحمد بن يحيى بن جابر، أبو بكر وقيل أبو جعفر وقيل أبو الحسن، البَلاذُرِيّ، الكاتب البغداديّ صاحب التاريخ[1]. وكان أديباً مَدَح المأمونَ وجالَس المتوكّل وسمِع هشام بن عَمّار وغيرَه وروى عنه جَمٌّ غَفير.

---

(١) وهو كتاب «فتوح البلدان». وله أيضاً كتاب «القرابة وتاريخ الأشراف» المعروف باسم «أنساب الأشراف». والبلاذري هذا نسبته إلى حبّ البلاذر (Anacardium) قيل إنه أكل منه فكان سبب علته. وقد أصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون فأدخل البيمارستان إلى أن توفي. (الأعلام: ١/٢٦٧).

وفيها توفي نصر بن أحمد بن أسد بن سامان؛ كان سامان مع أبي مسلم الخُرَاسَانيّ صاحب الدعوة وكان يُنسَبُ إلى الأكاسرة، فمات سامان وبقي آبنُه أسد[1]. وتوفِّي أسدٌ في خلافة الرشيد وتخلّف آبنه نوحاً وأحمد ويحيى وإلياس، فوَلِيَ أحمدُ بن أسد فَرْغانة، ونوح سَمَرْقَنْدَ، ويحيى الشاشَ وأُشْرُوسَنَة، ووَلِيَ إلياس هَرَاة؛ وكان أحمدُ والد نصر هذا أحسنَهم سِيرةً، ومات في أيام عبد الله بن طاهر بن الحُسَين، وخلّف سبعةَ بنين، منهم نصر بن أحمد هذا، فوُلِّيَ نصر ولايات أبيه مثل سَمَرْقَند والشاش وفَرْغانة، ووُلِّيَ أخوه إسماعيل بُخارَى وأعمالَها؛ وهؤلاء يسمَّوْن السامانيَّة وهم عدّة ملوك، ولهذا أوضحنا أصلهم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسُ أذرع وإصبعٌ ونصف. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وستَّ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة العاشرة من ولاية خمارويه على مصر

وهي سنة ثمانين ومائتين:

فيها فتح محمد بن أبي السّاج مَرَاغة[2] بعد حِصار طويل وأخذ منها مالاً كثيراً.

---

(١) في الأصل: «وبقي ابنه أسد علي بن عيسى بن ماهان فولاه هارون الرشيد خراسان. وتوفي أسد. . . إلخ» وظاهر العبارة يفيد أن أسداً هو علي بن عيسى بن ماهان، وليس كذلك، لأن أسد بن سامان كان من أهل خراسان وبيوتها، وينتسبون في الفرس إلى بهرام حشيش الذي ولاه كسرى أنو شروان مرزبان أذربيجان. وتوفي أسد سنة ١٩٢هـ. وكان له أربعة أولاد: نوح وأحمد ويحيى وإلياس. ولما ولي المأمون عرف لهم حق سلفهم فأقطعهم سمرقند وفرغانة والشاش وهراة سنة ٢٠٤هـ. ثم مات أحمد بن أسد سنة ٢٦١هـ وكان له سبعة أولاد، فأسسوا دولة سامان وكانوا ملوك ما وراء النهر، إلى أن انقرضت دولتهم سنة ٣٩٥هـ. أما علي بن عيسى بن ماهان فهو الذي سيّره الأمين لقتال المأمون، وولاه إمارة الجبل وهمذان وأصبهان وقمّ وتلك البلاد، فخرج من بغداد في أربعين ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في الريّ، فقتل ابن ماهان سنة ١٩٥هـ. (تاريخ ابن خلدون: ٣٣٣/٤؛ والطبري وابن الأثير والبداية والنهاية: حوادث سنوات ١٩٢، ١٩٥).

(٢) المراغة هي عاصمة أذربيجان الإيرانية قديماً، وكانت تدعى «أفراز هروذ». انظر معجم البلدان: ٩٣/٥.

وفيها غزا إسماعيل بن أحمد [الساماني][١] بلادَ الترك من وراء النهر وأسر ملكَها وزوجتَه وأسر عشرةَ آلاف وقتل مثلَهم[٢].

وفيها شكا الناسُ إلى الخليفة المعتضِد ما يقاسون من عَقَبة حُلْوان[٣] من المشقّة، فبعث عشرين ألفَ دينار فأصلحها.

وفيها بنى المعتضِدُ القصرَ الحَسَنِيّ[٤] الذي صار دارَ الخلافة ببغداد إلى آخر وقت، وتحوّل إليه المعتضِد وسكنه.

وفيها حج بالناس محمد بن عبد الله بن محمد العباسيّ[٥].

وفيها توفي جعفر المفوّض ابن الخليفة المعتمِد على الله أحمد في شهر ربيع الآخر؛ وكان محبوساً في دار المُعْتضِد لا يراه أحد، وقيل: إنّ المعتضد نادَمه في خَلْوته وصار يُكرمه.

وفيها توفي عثمان بن سعيد بن خالد، الحافظ أبو سعيد الدّارميّ نزيل هَرَاة؛ رَحَل إلى الأمصار ولَقِيَ الشيوخَ وجالس الإمام أحمد بن حنبل وآبنَ مَعِين والحُفّاظ،

---

(١) زيادة عن الطبري وابن الأثير.

(٢) قارن بمروج الذهب: ٤/٢٤٥، ففيه بعض اختلاف، وفيه تفاصيل أخرى مفيدة.

(٣) العقبة (بالتحريك): الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب. وحلوان: مدينة بالعراق، وهي أقرب ما تكون إلى الجبل. (انظر معجم البلدان: مادة عقبة، ومادة حلوان).

(٤) هذا القصر بناه جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، فكان يسمى القصر الجعفري؛ ثم انتقل إلى المأمون فعرف بالقصر المأموني؛ ثم تزوج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل فوهبه له وكتبه باسمه فكان يقال له القصر الحسني، فلما مات الحسن بقي لابنته بوران، ثم سلمته للمعتمد، ثم بعد ذلك جدد المعتضد عمارته ووسعه وزاد فيه وجعل له سوراً حوله، ثم بنى فيه المكتفي، ثم زاد فيه المقتدر زيادات عظيمة، ثم خرب في أيّام التتار الذين استولوا على بغداد. وكان على شاطىء دجلة تحت نهر المعلى. (انظر معجم البلدان: ٢/٣ مادة التاج، والبداية والنهاية: ١١/٧٢).

(٥) في الطبري وابن الأثير: «أبو بكر محمد بن هارون بن إسحاق المعروف بابن ترنجة». وفي مروج الذهب: «أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى» قال: وحج بالناس تسع حجج متوالية من سنة ٢٧٩هـ إلى سنة ٢٨٧هـ. وفي عقد الجمان ذكر روايتين: «محمد بن عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي، ويعرف بابن ترنجة» و«أبو بكر بن هارون بن إسحاق المعروف بابن ترنجة العباسي».

حتى قالوا: ما رأينا مثلَه ولا رأى هو مثلَ نفسه؛ وكان لا يحدّث مَنْ يقول بخَلْق القرآن.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية خمارويه على مصر

وهي سنة إحدى وثمانين ومائتين:

فيها أرسل خمارويه طُغْج بن جُفّ إلى غزو الروم فتوجّه من طَرَسُوس حتى بلغ طرابزون(١) وفتح مَلُورِيَةَ(٢) في جمادى الآخرة.

وفيها غارت المياه بالرّيّ وطَبَرِسْتان فصار الماء يُباع ثلاثة أرطال بدرهم، وغَلَت الأسعارُ وقُحِطَ الناسُ وأكَل بعضُهم بعضاً، حتى أكل رجلٌ آبنته.

وفيها توفي آبن أبي الدُّنيا، وآسمه عبد الله بن محمد، أبو بكر القُرَشيّ البغداديّ مولى بني أميّة؛ ولد سنة ثمان ومائتين، وكان مؤدّباً(٣) لجماعة من أولاد الخلفاء منهم المُعْتَضِد وابنُه المكتفِي؛ وكان عالماً زاهداً وَرِعاً عابداً وله التصانيف الحِسان، والناسُ بعده عيالٌ عليه في الفنون التي جمعها، ورَوَى عنه خَلْق كثير، وآتفقوا على ثقته وصِدْقه وأمانته.

وفيها توفي أبو بكر عبد الله بن محمد بن النعمان الأصبهانيّ الإمام المُتْقِن.

وفيها توفي الإمام الفقيه محمد بن إبراهيم بن المَوَّاز المالكيّ.

---

(١) في الأصل: «طويلون». وفي الطبري: «طرايون» وكلاهما تحريف. وما أثبتناه عن عقد الجمان وابن الأثير. وطرابزون: مدينة تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر الأسود. وقد سماها المؤرخون العرب أيضاً: أطرابزندة وطرابزندة وأطرابزون. (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٣/٥١٩ ــ ٥٢٤).

(٢) كذا في الطبري. وفي ابن الأثير: «بلودية» وفي عقد الجمان: «ملوذية». وفي تاريخ الخلفاء: «مكورية».

(٣) في الأصل: «وكان مؤدة بالجماعة من أولاد الخلفاء» وتحريفه واضح. وما أثبتناه من عقد الجمان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية خمارويه على مصر ـ فيها مات

وهي سنة آثنتين وثمانين ومائتين:

فيها في المحرّم أمر المُعْتَضِدُ بتغيير نَوْروز العجم الذي هو افتتاح الخراج وأخّره إلى حادي عشر حَزيران وسمّاه النَّوْروز المُعْتَضِديّ، وقَصَد بذلك الرِّفق بالرعيّة، ومنع الناسَ ما كانوا يعمَلونه في كل سنة من إيقاد النِّيران وصبّ الماء على الناس، فكان ذلك من أحسن أفعال المعتضد[١].

وفيها لليلتين خَلَتا من المحرّم قَدِم آبنُ الجصّاص بقَطْر النَّدَى بنت خمارويه صاحب الترجمة إلى بغداد فأُنزِلت في دار صاعد، وكان المعتضد غائباً بالمَوْصِل، فلمّا سمع بقدومها عاد إلى بغداد ودخل بها في خامس شهر ربيع الأوّل بعد أن عَمِل لها مُهمًّا يتجاوَزُ الوصف.

وفيها قُتِل خمارويه صاحب الترجمة وقد تقدّم ذكرُ مقتله في ترجمته.

وفيها توفي عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو، الحافظ أبو زُرْعة النَّصْرِيّ[٢] الدِّمَشقيّ. كان من أئمة الحفّاظ، رَحَل إلى البلاد وكَتَب الكثير حتى صار شيخَ الشام وإمامَ وقته، وكَتَب عنه خلائقُ؛ وكانت وفاته بدمشق في جُمادَى الآخرة.

---

(١) وقد كتب عن المعتضد بذلك كتاب أورده القلقشندي في صبح الأعشى: ١٣/٦٧.

(٢) في الأصل: «البصري». والتصحيح عن عقد الجمان وشذرات الذهب والأعلام (عن طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى وطبقات الحنابلة للنابلسي).

وفيها توفي محمد[١] ابن الخليفة جعفر المتوكّل عمّ المعتضد. وكان فاضلاً شاعراً وهو القائل لمّا أراد أخوه المعتمِدُ الخروجَ إلى الشأم والدنيا مضطربةٌ: [المتقارب]

أقولُ له عندَ توديعِهِ وكلٌّ بعَبْرته مُبْلِسُ
لئن بَعُدت عنْكَ أجسامُنا لقد سافَرَتْ مَعَكَ الأنفُسُ

وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عِمارة بن القَعْقاع، أبو قَبِيصَة الضَّبِّيّ. كان صالحاً عابداً مجتهداً. سمع من سليمان وغيرِه، روَى عنه جماعة كثيرة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء مثل الماضية. مبلغ الزيادة أربعَ عشرةَ ذراعاً وآثنتان وعشرون إصبعاً.

(١) إذا كان المراد به «الموفق» (ويسمى أيضاً: محمد وطلحة) فقد ورد في وفيات سنة ٢٧٨هـ على الصحيح. وإذا كان المراد به «المعتز» (واسمه محمد وقيل الزبير) فقد ورد في وفيات سنة ٢٥٥هـ على الصحيح. وفي جميع الأحوال فإن ما ذكر هنا خطأ.

ذكر ولاية أبـي العساكر جيش على مصر(١)

هو أبو العساكر جيش بن أبـي الجيش خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون. وَلِيَ مصرَ والشأمَ بعد قتل أبيه خمارويه بدِمشقَ في يوم سابـعَ(٢) عشرَ ذي القَعْدة سنة آثنتين وثمانين ومائتين، فأقام بدمشق أيّاماً ثم عاد إلى ديار مصر، ودام بها إلى أن وقـع منه أمورٌ أُنكرت عليه فآستوحش الناسُ منه؛ وكان لمّا مات أبوه تقاعَدَ عن مبايعته جماعةٌ من كِبار القوّاد لقِلّة المال وعَجْزه عن أن يُنْعِم(٣) عليهم لأن أبا الجيش خمارويه كان أنفق في جَهاز آبنته قَطْر النَدَى لمّا زوّجها للخليفة المُعْتضِد جميـعَ ما كان في خزائنه، ومات بعد ذلك بمدّة يسيرة. قال بعضهم: فمات حقّاً حين حاجته إلى الموت، لأنه لو عاش أكثر من هذا حتى يلتمِس ما كانت جرت عادتُه به لاستصعب ذلك عليه، ولو نَزَلَتْ به مُلِمّة لافتضـح. انتهى.

ولمّا تقاعَدَ كبارُ القوّاد عن بَيْعة جَيْشٍ تلطَّف بعض(٤) القوّاد في أمره حتى تَمَّتِ البيعة، وبايعوه وهو صبيّ لم يؤدّبه الزمان، ولا مَحَنه التجارب والعِرْفان؛ وقد قيل: «بعيدٌ نجيبٌ آبن نجيبٍ من نجيب».

فلما تمّ أمرُ جيش المذكور أقبل على الشُّرب واللهو مـع عامّةٍ أوباش؛ منهم:

---

(١) خطط المقريزي: ٣٢٢/١؛ وولاة مصر: ٢٦٥؛ وحسن المحاضرة: ١٣/٢؛ والمغرب في حلي المغرب (قسم مصر): ١٤٣/١؛ وابن خلدون: ٣٠٨/٤؛ ومعجم زامباور.

(٢) في الكندي: «بويع يوم الأحد لليلة بقيت من ذي القعدة».

(٣) في الأصل: «يغم» وهو تحريف.

(٤) في الأصل: «ببعض».

غلامٌ روميّ لا وَزْنَ له ولا قيمة يُعرَف ببندقوش، ورجلان من عامّة العيّارين[1] الذين

(١) العيّار (لغوياً): الكثير التجول والتطواف، الذي يتردد بلا عمل، يخلي نفسه وهواها. وقيل: هو الذكي النشيط كثير التطواف. والمِعار بالكسر: الفرس الذي يحيد عن الطريق براكبه. يقال: عار الفرس يعير: ذهب كأنه منفلت، يهيم على وجهه لا يثنيه شيء، فهو عائر أي متردد جوال. (انظر مادة: عير في المعاجم العربية).

والعيّارون في المصطلح التاريخي: جماعات من الفئات الشعبية احترفت اللصوصية وقطع الطريق لتأمين حياتها. وأكثر المصادر التاريخية تقدم هؤلاء على أنهم من الرعاع أو الدهماء أو السفلة أو الحثالة العامية والأوباش والغوغاء وأراذل السوقة، وأنهم ليسوا إلا متلصصة ونهّابة ونقّابة وحرامية ومناسر وعيّاقاً وفديوية وسراقاً وشطاراً ودعاراً ومن طلبة الشر وأهل الفساد، إلى غير ذلك من أسماء وصفات ونعوت مشابهة.
ومصطلح «العيّارين» هذا في مضمونه التاريخي يكاد يتطابق مع مضمون مصطلحات أخرى ــ بالرغم من الفروقات اللغوية ــ مثل: الشطّار والفتيان والأحداث والحرافيش والزعار والعيّاق والجعيدية والحشرات وفتوات الطوائف وأرباب الحرف. وتكاد سيرة هؤلاء الناس جميعاً أن تكون واحدة في جميع أنحاء البلاد الإسلامية، في حين أن بعض المناطق كانت تختص ببعض المصطلحات أكثر من غيرها، فنرى مصطلح الشطار والعيّارين في بغداد، والأحداث والفتيان في الشام، والحرافيش والزعار في مصر.
وهؤلاء اللصوص من الشطار والعيارين ــ على الرغم مما أطلقه عليهم الخصوم والمؤرخون من صفات مذمومة ــ كانوا تاريخياً أصحاب قضية، وقد تميزوا بآداب وتقاليد وسمات تميزهم عن سمات اللصوص ــ بالمعنى اللغوي والقانوني ــ مثل الشجاعة والمروءة والشهامة والنجدة والصبر على المكاره والبعد عن الشهوات والمحافظة على المحارم والوفاء بالوعد والحفاظ على العهد... وكان شعارهم: «الثورة على السلطة وأصحاب المال» أي رفض الأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة في مجتمع يفتقر إلى العدالة، ولهذا انحصر نشاطهم ــ كما تؤكد الشواهد التاريخية الكثيرة ــ ضد حكم العسكر، والجند المرتزقة، والتسلط الخارجي، وتخاذل السلاطين والخلفاء، وعجز ولاة الشرطة، وجشع الأثرياء وكبار التجار والأمراء ومن والوهم. وكان أن صار هؤلاء الشطار والعيارون مصدر قلق للسلطات الحاكمة حين تميزت حركاتهم بطابع ثوري ضد الحكام، وزاد من خطرهم أن صار لهم في بعض الأحيان تنظيم مسلح يخضع لرئاسة تراعي أمورهم.
ومهما حاول خصومهم الانتقاص من قيمتهم والحط من دورهم والتسفيه من قضيتهم، فإن الذي لا شك فيه أن المجتمع الشعبي تعاطف مع هؤلاء الشطار والعيارين، ورأى في قضاياهم قضاياه، فتبنى حركتهم في إبداعه الشعبي، فيما يعرف بـ «أدب الشطار والعيّارين»، فتغنى ببطولتهم وأشاد برسالتهم، الأمر الذي فرض نفسه على التطور اللغوي للكلمتين «عيّار، وشاطر» فأشار اللغويون العرب المتأخرون إلى ذلك حين قالوا: «العرب تمدح بالعيّار وتذم به» وهي عبارة بالغة الدلالة في التعبير عن طرفي الصراع، وما بينهما من تناقض في الرؤية والتقييم. أما كلمة «شاطر» فقد تحولت إلى صفة مدح شائعة في التعبير الشعبي الدارج، بعد أن كانت صفة قدح في المعجم اللغوي القديم.
والملاحظ أن حركات الشطار والعيارين والفتيان والأحداث، كانت قد ظهرت على مسرح الأحداث =

يحمِلون الحجارة الثِّقَال والعُمُدَ الحديدَ ويعانون الصِّراعَ، أحدُهما يُعرَف بخضر، والثاني يُعرَف بابن البَوَّاش، وغير هؤلاء من غِلمان لم يكن لهم حالٌ، جعلهم بطانتَه؛ فأوّل شيء حَسَّنوه له أن وثَبوه على عمّه أبـي العشائر[1]، فقالوا له: هذا يرى نفسَه أنه هو الذي ردّ الدولة يوم الطواحين[2] لمّا انهزم أبوك، وكان يُقَرِّع أباك بهزيمته يومئذ ويُذيـع ذلك عند خاصّته. ويقولون أيضاً: إنه هو الذي همّ بالوثوب حتى صنـع أهلُ بَرْقة فيه ما صنعوا، ويتلفّت إلى أهل بَرْقة ويرى أنهم أعداؤه، ويتربَّص بهم أن تَدُول له دولةٌ فيأخذ بثأره منهم، فهو يتلمَّظ إلى الدولة وإلى ما في نفسه مما ذكرناه والمنايا تتلمّظ إليه كما قال الشاعر: [البسيط]

تلمَّظ السيفُ من شَوْقٍ إلى أنسٍ والمـوتُ يَلْحَظ والأقـدارُ تنتـظرُ

فعند ذلك قَبَض عليه جيشٌ هذا ودسَّ إليه مَنْ قتَله، ثم قال عنه: إنه مات حَتْفَ أَنْفه؛ وتحقّق الناسُ قتلَه فنفَرت القلوب عنه أيضاً، لكونه قتلَه بَغْياً عليه وتعدّياً. ثم آشتغل بعد ذلك جيشٌ بهذه الطائفة المذكورة عن حقوق قُوّاد أبيه وعن

= بشكل ملموس يتهدد أمن الدولة، مع بلوغ الحضارة الإسلامية أوج ازدهارها، ثم تطورت فأصبحت تشكل ظواهر اجتماعية ملموسة مع بداية التصدّع الحضاري؛ ومع مرحلة التفكك الحضاري أصبحت تشكل ظواهر اجتماعية وسياسية، وظلت تتهدد سلطة الدولة والطبقات الغنية حتى بداية العصر الحديث، وإن ظلت بقاياها حتى وقت قريب على شكل قوى فردية محلية أقصى طموحاتها الاجتماعية هي حماية المحلة أو الحيّ أو المنطقة. وفقدت دورها الإيجابي المتمرد أحياناً، الثائر أحياناً أخرى، وانحدرت إلى غايات فردية مأجورة، وإن احتفظت ببعض التقاليد وآداب الفروسية التي كانت لها من ناحية، واحتفظت ببقايا الإعجاب الشعبي من ناحية أخرى، وبخاصة في القرى العربية. فاختفى شطار بغداد وعيّاروها، ولم يبق منهم إلا هؤلاء «الأشقياء» و«العيّاق»، واختفى «أحداث» الشام ولم يبق منهم إلا هؤلاء «الفدبوية» و«الزعار» و«القبضايات» في بعض البلدان العربية كالأردن ولبنان وسوريا وفلسطين والكويت. واختفى «حرافيش» مصر وزعارها وفتيانها ولم يبق منهم إلا هؤلاء «الفتوات» و«العيّاق».

(حول هذا الموضوع انظر الدراسة القيّمة والممتعة للدكتور محمد رجب النجار بعنوان: حكايات الشطّار والعيارين في التراث العربي ــ مجلة عالم المعرفة رقم ٤٥ ــ وانظر مصادره ومراجعه في البحث).

(١) كذا في الأصل وتاريخ ابن عساكر. وهو نصر بن أحمد بن طولون. وفي المقريزي: «أبـي المواقيت».

(٢) راجـع ص ٦٣ من هذا الجزء.

أحوال الرعيّة، وكانت القوّاد أمراءَ شِداداً يَرَوْن أنفسَهم بعينها[١] في التقديم والرياسة والشجاعة، وإنما كان قبضهم[٢] أبوه خُمَارويه بجميل أفعاله وكريم مقدّماته إليهم ولِسَعَة الإفضال عليهم، وهم مثل خاقان المُفْلِحي[٣]، ومحمد بن إسحاق بن كُنْداج، ووَصِيف بن سَوَارْتكين[٤]، وبُنْدُقة بن لَمْجُور، وأخيه محمد بن لَمْجُور[٥]، وابن قَرَاطُغان[٦]، ومَنْ أشبههم. ثم آنتقل من هذا إلى أن صار إذا أخذ منه النبيذُ يقول لطائفته التي ذكرناها واحداً بعد واحد: غداً أقلِّدك موضعَ فلان وأهَب لك دارَه وأُسوِّغك نعمته، فأنت أحقُّ من هؤلاء الكلاب؛ كلّ ذلك ومجالسه تُنْقَل إليهم. فعند ذلك بسط القوّاد ألسنَتهم فيه، وشكا القوّاد بعضُهم إلى بعض ما يَلْقَوْنه منه، فقالوا: نفتِك به ولا نصبِر له على مثل هذا. وبلغه الخبرُ فلم يكتمه ولم يتلافَ القضيّة ولا شاوَرَ مَنْ يدلّه على مُدَاواة أمره، بل أعلن بما بلغه عنهم وتوعَّدَهم، وقال: لأُطْلِقنّ الرجَّالة عليهم ولأفعلنّ بهم؛ فاتصلتْ بهم مقالته فآعتزل من عسكره كبارُ القوّاد من الذين سمَّيناهم، مثل آبن كُنْداج وطبقته، وخرجوا في خاصّة غلمانهم وهي زُهاء ثلاثمائة غلام، وساروا على طريق أَيْلة[٧] وركبوا جَبَلَ الشَّراة حتى وصلوا إلى الكوفة، بعد أن نالهم في طريقهم كدٌّ شديدٌ ومشقّةٌ، وكادوا أن يهلِكوا عَطَشاً. وآتصلت أخبارُهم بالخليفة المُعْتضِد ببغداد فوجَّه إليهم بالزاد والمِيرَة والدوابّ، وبعث إليهم مَنْ يتلقّاهم وقَبِلهم أحسنَ قَبُول وأجزَل جوائزهم وضاعَف أرزاقهم،

(١) كذا في الأصل. والمراد أنهم يرون في أنفسهم الجدارة في التقديم... إلخ. والتعبير هو أقرب إلى العامية منه إلى الفصحى.

(٢) كذا في الأصل. والمراد به: أمسك بهم وضمن ولاءهم له بجميل أفعاله... إلخ. وهو من باب: «قيّدني إليك إحسانك إليّ». واستبدلتها طبعة دار الكتب المصرية بلفظ «قيّدهم» أخذاً من قول المتنبي:

وقيدت نفسي في ذراك محبّة ومن وجد الإحسان قيداً تقيّدا

(٣) كذا أيضاً في الطبري وابن الأثير. وفي الكندي ورد بصيغتين: المفلحي والبلخي. وفي الهامش: «يحتمل أنه قد انتسب إلى مفلح وإلى بلخ معاً» وسيذكره المؤلف فيما يأتي باسم «البلخي».

(٤) في الكندي: «صَوَارتكين».

(٥) في الطبري والكندي هما شخص واحد: «محمد بن كُمُشجور» المعروف ببندقة.

(٦) في الأصل: «قطراطغان». وما أثبتناه من الطبري والكندي. وهو محمد بن قراطغان.

(٧) أيلة: هي المعروفة اليوم باسم العقبة في شمال خليج العقبة من البحر الأحمر، على الحدود بين مصر وشرق الأردن. وجبل الشراة: جبل شامخ مرتفع من دون عسفان.

وخَلَع عليهم وصَنَع في أمرهم كلَّ جميل. والمُعْتضِدُ هذا هو صهر جَيْش صاحِب الترجمة وزوجُ أخته قَطْر النَّدَى المقدّم ذكرُها في ترجمة أبيها خمارويه. وآستمرّ جَيْشٌ هذا مع أوباشه بمصر، وبينما هو في ذلك ورد عليه الخبر بخروج طُغج[1] بن جُفّ أمير دمشق عن طاعته، وخروج آبن طُغَان[2] أمير الثغور أيضاً، وأنهما خلعاه جميعاً وأسقطا آسمه من الدعوة والخُطْبة على منابر أعمالهم، فلم يَكرِبه ذلك ولا آستشنعه ولا رُئِيَ له على وجهه أثرٌ. فلمّا رأى ذلك مَنْ بَقِيَ من غِلمان أبيه بمصر مشّى بعضهم إلى بعض وتشاوروا في أمره، فآجتمعوا على خَلْعه، وركب بعضهم وهَجَم عليه غلام لأبيه خَزَرِيٌّ يقال له بَرْمَش[3]، فقبض عليه وهمّ بقتله ثم كفّ عنه؛ فلمّا كان من الغد آجتمع القوّاد في مجلس من مجالس دار أبيه، وتذاكروا أفعالَه وأحضروا معهم عُدولَ البلد، وأعادوا لهم أخباره، وقالوا لهم: ما مثل هذا يُقلّد شيئاً من أمور المسلمين؛ وأحضروه لأن جماعةً من غلمان أبيه ــ يعني مماليكه ــ قالوا: لا نقلِّد غيرَه حتى يحضُر ونسمع قولَه، فإن وعد برجوعٍ وتاب من فعله أمهلناه وجرَّبناه، وإن أقرّ بعجزه عن حمل ما حَمَل وجعلنا في حلٍّ من بيعته بايعنا غيرَه على يقينٍ وعلى غير إثم؛ فأحضروه فاعترف أنه يَعجِزَ عن القيام بتدبير الدولة وأنه قد جعل من له في عنقه بَيْعة في حِلٍّ، وعُمل بذلك محضرٌ شَهِد فيه عُدولُ البلد ووجوهُهُ ومَنْ حضر من القوّاد والغِلمان ــ أعني المماليك ــ وصرفوه؛ وكان قبل القبض عليه ركبوا إلى أبي جعفر بن أَبّىْ[4] وقالوا له: أنت خليفة أبيه وكان ينبغي لك أن تؤدّبه وتسدِّده؛ فقال لهم: قد تكلمتُ جَهْدي، ولكن لم يَسمع منّي، وبعد فتقدّموني إليه فتسمعون ما أخاطبه به. فتقدّموه وركِب من داره

(١) قال ابن سعيد في المغرب (قسم مصر) ١/١٤٣: «وكان أكبر أصحاب أبيه وأرباب الدولة طغج، فلما رأى هذا الادبار في الدولة امتنع بالشام، وأسقط الدعاء لبني طولون على منابر دمشق. وكان ذلك أول رسوخ دولة طغج وبنيه وملكهم بمصر وذهاب دولة بني طولون».

(٢) هو أحمد بن طغان أمير الثغور الشامية.

(٣) في الكندي: «يرمش».

(٤) كذا أورده الكندي في شعر لأحمد بن أبي يعقوب:

كيف يرجى صلاح هذي البرايا وابن أَبّىْ يسوس دنيا ودينا

وفي الأصل: «أبو جعفر محمد بن أبالى».

فلما جاوز دارَه قليلاً لَقِيه بَرْمَش فضرب بيده على شَكيمة فرسه، وقال له: أنت خليفة أبيه وخليفته، ونصفُ ذَنْبه لك، وجرّه جرّاً؛ وبينما هو في ذلك إذ أقبل عليّ بن أحمد[١] فقَبض على الآخر وقال له: أنت وزيرُه وكاتبُه وعليك ذنبُه، لأنه كان يجب عليك تقويمُه وتعريفُه ما يجب عليـه، فصعِد بالاثنين جميعاً إلى المَنْظَر وقعد معهما كالمُلازِم. وبينما هو على ذلك إذ خطَر على قلبه شيء، فقام إلى دابته وتركهما ومضى نحو باب المدينة. فوثَب من فَوْره آبنُ أَبّـىٰ إلى دابّته وركِبها وقال لعليّ بن أحمد: آركب وآلحَقْني، وحرّك دابّته فإنه كان أحسّ الموت، ثم جاءه الخلاصُ من الله؛ وركب بعده عليّ بن أحمد، فلم يتجاوز المنظَر حتى لحِقه طائفةٌ من الرَّجّالة فقتلوه؛ ومرّ آبن أَبّـىٰ إلى نحو المعافر[٢] فتكمَّن هناك وآختفى؛ وعاد بَرْمَش فلم يجد ابنَ أَبّـىٰ، فمضى من فَوْره وهجم على جيش وقبض عليه، حسبما ذكرناه من خلعه وحبسه. ووَرّى جثّة عليّ بن أحمد؛ وسلِم آبن أَبّـىٰ. فقال بعضهم في عليّ بن أحمد: [المجتث]

أحسِن إلى الناس طُـرًّا فـأنـت فـيـهم مُـعـانُ
وآعـلـم بـأنـك يـومـاً كـمـا تَـدِيـنُ تُـدانُ

وقيل في أمر جيش المذكور وجهٌ آخر، وهو أنه لمّا وقـع من أمر القوّاد ما وقـع خرج أبو العساكر جيش إلى مُتَنَزَّه له بمُنْية الأَصْبغ[٣] غيرَ مكترث بما وقـع له، وبينما هو في ذلك ورد عليه الخبر بوثوب الجند عليه، وقالوا له: لا نَرْضى بك أبداً فتَنَحّ عنّا حتى نُولّي عمَّك نصرَ بن أحمد بن طُولون؛ فخرج إليهم كاتبُه عليّ بن أحمد الماذَرَائيّ، الذي تقدّم ذكر قتله، وسألهم[٤] أن ينصرفوا عنه يومَهم فآنصرفوا؛ فقام جيشُ المذكور من وقته ودخل على عمّه نصر وكان في حبسه فضرب عنقه وعنق

---

(١) المراد به: علي بن أحمد الماذرائي، كاتب جيش بن خمارويه.

(٢) إحدى خطط الفسطاط، منسوبة للمعافر بن يعفر بن مرة بن أدد. (انظر خطط المقريزي: ٢٩٨/١ ووردت فيه «المغافر» بالغين المعجمة).

(٣) منية الأصبغ: شرقي مصر القاهرة، منسوبة إلى الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان.

(٤) في الأصل: «وسألوه».

عمّه الآخر، ورمى برأسيهما(١) إلى الجند، وقال: خذوا أميركم؛ فلما رأوا ذلك هجموا عليه وقتلوه وقتلوا أمّه معه ونهبوا داره وأحرقوها وأقعدوا أخاه هارون بن خُمَارويه في الإِمْرَة مكانه. ثم طُلب عليّ بن أحمد الماذَرَائيّ كاتبُه المقدَّمُ ذكره وقتلوه، وقتلوا أيضاً بندقوش وابنَ البواش، ونُهبت دار جيش؛ فوقع في أيدي الجند مِن نَهْبها ما يملأ قلوبَهم وعيونَهم، حتى إنّ بعضهم من كثرة ما حصل له ترك الجنديّة وسكن الريفَ، وصار من مُزارعيه وتُجّاره. وقال العلامة شمس الدين يوسف ابن قِزأُوغْلي في مِرآة الزمان وجهاً آخر في قتل جيش هذا، فقال: وَلِيَ إِمْرَةَ دِمَشق بعد موت أبيه بمدّة يسيرة، ثم خرج إلى مصر في هذه السنة ـ يعني سنة ثلاث وثمانين ومائتين ـ وآستعمل على دمشق طُغْج بن جُفّ؛ فلما دخل إلى مصر لم يَرْض به أهلُها، وقالوا: نريد أبا العشائر هارونَ: فوثب عليه هارون فقتَلَه في جمادى الآخرة، وكانت ولايتُه خمسة أشهر، وآستولى على مصر.

قال ربيعة بن أحمد بن طولون: لما قُتل أخي خمارويه ودخل آبنُه جيش مصر قَبَض عليّ وعلى عمَّيه نصرٍ وشَيْبانَ آبنَيْ أحمد بن طولون، وحبسهما في حجرة معي في الميدان، وكان كل يوم تأتينا المائدة عليها الطعام فكنّا نجتمع عليها؛ فجاءنا يوماً خادم، فأخذ أخانا نصراً فأدخله بيتاً، فأقام خمسة أيام لا يَطْعَمُ ولا يشرب والباب عليه مُغلَق؛ فدخل علينا ثلاثة من أصحاب جيش وقالوا: أمات أخوكما؟ فقلنا: لا ندري، فدخلوا عليه البيت فرمَاه كلّ واحد منهم بسهم في مَقتل فقتلوه، وكانت ليلة الجمعة [فأخرجوه](٢) ثم أغلقوا علينا البابَ، وبَقِينا يوم الجمعة ويوم السبت لم يقدموا إلينا بطعام، فظننا أنهم يسلُكون بنا مسلك أخينا؛ فلما كان يوم الأحد سمعنا صُراخاً في الدار، وفُتح باب الحجرة علينا وأُدخل علينا جيش بن خمارويه، فقلنا: ما حالك؟ فقال: غلبني أخي هارون على البلد وتولّى الإمارة؛ فقلنا: الحمد لله [الذي](٢) قَبَض يَدَك وأضْرَع خَدّك! فقال: ما كان عزمي إلا أن أُلحِقكما [بأخيكما](٢). ثم جاء الرسول وقال: الأمير هارون قد بعث إليكما بهذه

---

(١) في الأصل: «برؤوسهم».
(٢) زيادة عن تهذيب تاريخ ابن عساكر.

المائدة، وكان في عزم جيش أن يُلحقكما بأخيكما نصر، فقوما إليه فآقتلاه وخُذا بثأركما منه وآنصرفا على أمان؛ قال: فلم نقتله وآنصرفنا إلى منازلنا، وبعث هارون خَدَماً(١) فقتلوه وكُفِينا أمرَ عدوّنا. انتهى كلام أبـي المُظَفَّر.

قلت: وكان خلـع جيش لعشر خلَوْن من جُمادَى الآخرة سنة ثلاث وثمانين، وكانت ولايتُه ستة أشهر وآثني عشر يوماً، وقُتل في السجن بعد خلعه بأيام يسيرة.

* * *

السنة التي حكم في أوّلها جَيْش بن خمارويه على مصر، على أنه حكَم من الماضية شهراً وأياماً

وهذه السنة سنة ثلاث وثمانين ومائتين:

فيها قدم رسول عمرو بن الليث الصفّار على الخليفة المعتضد العباسيّ من خُراسان بالهدايا والتُّحف، وفيها مائتا جمل ومائتا حمارة، ومن الطرائف شيء كثير، منها: صَنَمٌ على خِلْقة آمرأة كان قوم من الهند في مدينة يقال لها: «أيل شاه» كانوا يعبدونها.

وفيها خرج جماعةٌ من قوّاد مصر إلى المعتضد، منهم محمد بن إسحاق وخاقان البَلْخيّ(٢) وبدر بن جُفّ؛ وسبب قدومهم إلى المعتضد أنهم كانوا أرادوا أن يقتلوا جَيْشَ بن خُمارويه المذكور فسُعِيَ بهم إليه وكان راكباً [وكانوا](٣) في موكبه. وعلِموا أنه قد علم بهم، فخرجوا من وقتهم وسلكوا البَرِّيَّة وتركوا أموالهم وأهاليهم، فتاهوا أيّاماً ومات منهم جماعة من العطش، ثم خرجوا على طريق الكوفة؛ فبلـغ [أمرُهم] الخليفةَ المعتضدَ فأرسل إليهم الأطعمةَ والدوابَّ، ثم وصلوا بغدادَ فأكرمهم المعتضدُ وقرّبهم.

---

(١) في الأصل: «خادماً» والسياق يقتضي ما أثبتناه من تهذيب تاريخ دمشق.

(٢) راجع ص ١٠٤، حاشية (٣).

(٣) زيادة عن الطبري.

وفيها توفّي إبراهيمُ بن إسحاق بن إبراهيم، أبو إسحاق الثَّقفيّ السَّرَّاج النَّيْسابوريّ؛ كان الإمام أحمد بن حنبل يزوره في منزله لزهده ووَرَعه.

وفيها توفِّي سهل بن عبد الله بن يونس، أبو محمد التُّسْتَرِيّ أحد المشايخ[١]، ومن أكابر القوم والمتكلّم في علوم الإخلاص والرياضات وكان كبيرَ الشأن.

وفيها توفّي صالح بن محمد بن عبد الله الشيخ أبو الفضل الشِّيرازيّ[٢] البغداديّ؛ كان رجلاً صالحاً، خَتَم القرآن أربعةَ آلاف مرة.

وفيها توفِّي عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد[٣] بن خِرَاش أبو محمد الحافظ البغدادي؛ أقام بنَيْسابور مدّة مستفيداً من محمد بن يحيى الذُّهْليّ وغيره وسمِع منه جماعة، وكان أوحدَ زمانه وفريدَ عصره.

وفيها توفّي عليّ بن العبّاس بن جُرَيج، أبو الحسن الشاعر المشهور المعروف بابن الرومي مولى عبيد[٤] الله بن عيسى بن جعفر؛ كان فصيحاً بليغاً؛ وهو أحد الشعراء المُكثرين في الغَزَل والمدح والهجاء. قال صاحب المرآة: إنه مات في هذه السنة. وقال ابن خِلّكان: توفّي ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من جُمادى الأولى سنة ثلاث[٥] وثمانين، وقيل: أربع وثمانين، وقيل: سنة ستّ وسبعين. وهذه الأقوال أثبت من قول صاحب المرآة. انتهى. ومن شعره ولم يُسْبَق[٦] إلى هذا المعنى: [الكامل]

---

(١) المراد: مشايخ الصوفية.

(٢) في الذهبي: «الرازي».

(٣) في الأصل: «عبد الرحمن بن سعد بن حراش». وما أثبتناه من البداية والنهاية وعقد الجمان والذهبي. وفي شذرات الذهب: «عبد الرحمن بن يوسف بن خراش المروزي ثم البغدادي».

(٤) في الأصل: «عبد الله». والتصحيح من ابن خلكان وعقد الجمان والبداية والنهاية ودائرة المعارف الإسلامية.

(٥) في الأصل «ثمان». وما أثبتناه من ابن خلكان.

(٦) هذه العبارة نقلها ابن خلكان على لسان ابن الرومي نفسه بصيغة المتكلم.

آرَاؤكم ووجوهُكم وسيوفُكم ... في الحادثات إذا دَجَوْن نجومُ
منها مَعَالِمُ للهدى ومصابحٌ ... تجلو الدُّجَى والأُخْرَيَات رُجُومُ

وله من قصيدة: [الكامل]

وإذا آمرؤ مَدَحَ آمرأً لنواله ... وأطال فيه فقد أراد هجاءَهُ
[لو لم يقدِّر فيه بُعْدَ المستقى ... عند الورود لما أطال رِشاءَه][1]

ويحكى أنّ لائماً لامه وقال له: لم لا تُشَبِّه تشبيه آبن المعتز وأنت أشعر منه؟ قال له: أنشدني شيئاً من شعره أعجزُ عن مثله؛ فأنشده صفةَ الهلال: [الكامل]

فآنظرْ إليه كزَوْرَقٍ من فِضَّة ... قد أثقلته حُمُولةٌ من عنبر

فقال آبن الرومي: زِدني، فأنشده: [مجزوء الرجز]

كأنّ آذَرْيُونَها ... والشمسُ فيه كالِيَهْ
مَداهِنٌ من ذهب ... فيها بقايا غالِيَهْ[2]

فقال ابن الرومي: «واغوثاه! لا يُكلّفُ اللّهُ نفساً إلاّ وُسْعَها، ذلك إنما يصِف ماعُونَ بيته لأنه آبن الخلفاء، وأنا مشغول بالتصرُّف في الشعر وطلب الرزق به، أمدح هذا مرّةً، وأهجو هذا كرّة، وأُعاتب هذا تارةً، وأستعطِف هذا طَوْراً». انتهى.

وفيها تُوُفّي عليّ بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأمويّ البصريّ قاضي القُضاة أبو الحسن؛ كانَ وَلِيَ القضاءَ بسُرَّمَنْ رأى، وكان عالماً عفيفاً ثقةً.

وفيها توفّي الوليد بن عُبيد بن يحيى [بن عبيد][3] بن شملال، أبو عُبادة الطائيّ البُحْتُريّ الشاعر المشهور، أحد فُحُول الشعراء وصاحب الديوان المعروف به؛ كان حامل لواء الشعر في عصره؛ مَدَح الخلفاءَ والوزراءَ والملوكَ، وأصلُه من

(١) زيادة عن ابن خلكان وديوان ابن الرومي.
(٢) الغالية: أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر. والآذريون: نبات زهري خريفي، زهره أصفر أو أحمر ذهبي في وسطه خمل أسود. والشمس فيه كالية: أي متأخرة، كأنها استقرت فيه، أو كأنها ذهبت وأبقت فيه شيئاً منها.
(٣) الزيادة عن ابن خلكان: ٦/٢١.

أهل مَنْبِج(١) وقدِمَ دِمَشقَ صحبةَ المتوكّل، ووصل إلى مصر إلى خُمَارويه. حُكِي أن المتوكّل قال له يوماً: يا بحتريّ، قل في «راحٍ» بيتَ شعر ولا تصرح باسمه؛ فقال: [مجزوء الرمل]

جَـازَ(٢) بـالـودِّ فـتًـى أمـ ـسَى رهينـاً بـك مُـدْنَفْ
اسِـمُ مَـنْ أهـواه فـي شـعـريَ مـقـلوبٌ مُـصَـحَّـفْ

ومن شعره في المتوكّل أيضاً من قصيدة: [الكامل]

فلوَ أنَّ مشتـاقـاً تكلَّف غيـرَ مـا في وُسْعـه لَسَعَى إليك المِنْبَـرُ(٣)

فلمَّا تخلف المستعينُ قال: لا أقبل إلا ممّن قال مثل هذا؛ قال أبو جعفر أحمد بن يحيى البلاذُريّ فأنشدته(٤): [الطويل]

ولـو أنّ بُرْدَ المصـطفى إذ لَبِستَه يَـظُنّ لظَنّ البُـرْدُ أنـك صـاحبُـهْ
وقـال ـ وقد أُعـطيتَه(٥) ولبِستَـه ـ نعم، هـذه أعـطافُـه ومَنَـاكِبُـهْ

وله: [الطويل]

شكـرتُكَ إنّ الشكـر(٦) للعبد نعمـةٌ ومن شَكَر المعروفَ فـآللّهُ زائدُهْ
لكـل زمـانٍ واحـدٌ يُقتَـدَى بـه وهـذا زمانٌ أنت لا شـك واحدُهْ

---

(١) في ابن خلكان: «ولد بمنبج، وقيل بزردفنة وهي قرية من قراها». ومنبج: بلدة بالشام بين حلب والفرات، بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها: «مَنبه» فعربت فقيل منبج.

(٢) هذا اللفظ مصحف مقلوب «راح» لأن «راح» حين يقلب يصير «حار» ثم يصحف فيصير «جاز».

(٣) هذا البيت من قصيدة طويلة يمدح بها المتوكل على الله، ويذكر خروجه لصلاة عيد الفطر، ومطلعها:
أخفي هـوىً لـك في الضلوع وأُظهـرُ وأُلام مـن كـمـد عـلـيـك وأُعـذر

(٤) في الأصل: «فأنشده». والتصحيح من ابن خلكان: ٦/٢٤ وفيه تفصيل أكثر. قال: وللمتنبي في هذا المعنى:
لـو تـعقـل الـشجـر الـتي قـابلتـهـا مـدّت مُحَيِّـيَـةً إلـيـك الأغـصـنـا

(٥) في الأصل: «وقال وقد أعطفته ولبسته» وما أثبتناه رواية ابن خلكان.

(٦) في الأصل: «الشرك». والتصحيح عن ابن خلكان؛ وفيه أن هذا الشعر قاله البحتري في مدح شخص من حلب يقال له طاهر بن محمد الهاشمي، وروى حكايته.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ الزاهد، والعباس بن الفضل الأَسْفاطيّ[١]، وعلي بن محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب القاضي، ومحمد بن سليمان الباغَنْدي[٢].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وتسعَ عشرةَ إصبعاً.

---

(١) هذه النسبة إلى بيع الأسفاط وعملها. (أنساب السمعاني: ١/١٤٣ ـ حاشية) والسفط: وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها.

(٢) هو أبو بكر، محمد بن سليمان بن الحارث الباغندي. سكن بغداد وحدّث بها. ونسبته إلى «باغَنْد» قرية من قرى واسط. (الأنساب: ١/٢٦٢).

ذكر ولاية هارون بن خمارويه على مصر(١)

هو الأمير أبو موسى هارون بن خُمَارويه بن أحمد بن طُولون التركيّ الأصل المصريّ المولد. وَلِيَ مصرَ بعد قتل(٢) أخيه جيش بن خُمارويه في اليوم العاشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وتمَّ أمرُه وكانت بيعتُه من غير عطاء للجُنْد، وهو من الغرائب؛ وبايعوه طَوْعاً أرْسالاً(٣)ولم يمتنع عليه أحد، وجعلوا أبا جعفر بن أَبَّى خليفتَه(٤) والمؤيِّدَ لأمره ولتدبيره؛ وسكنتْ ثائرةُ الحرب وقرّ قرار الناس وقُتل غالبُ أصحاب جيش ولم يَسْلم منهم إلا عبد الله بن الفتح، واستتر أبو عبد الله(٥) القاضي خوفاً من مثل مَصْرَع علي بن أحمد لأنه يعلم ما كان له في نفوس الناس، وما ظهر إلا في اليوم الذي دخل فيه محمد بن سليمان البلد، وقُلِّد القضاءَ بعده أبو زُرْعة(٦) محمد بن عثمان من أهل دمشق.

---

(١) خطط المقريزي: ٣٢٢/١؛ وولاة مصر: ٢٦٦؛ وحسن المحاضرة: ١٣/٢؛ والمغرب: ١٤٤/١؛ ومعجم زامباور: ١٤٣؛ وطبقات سلاطين الإسلام: ٦٦.

(٢) في الكندي والمقريزي أنه ولي مصر يوم خلع أخوه جيش في العاشر من جمادى الآخرة. وقد ذكرا أن جيشاً سجن بعد خلعه ثم مات بعد أيام.

(٣) أي جماعات.

(٤) المراد أنهم جعلوه وصياً عليه لصغر سنّه.

(٥) هو محمد بن عبدة بن حرب، كما في ولاة مصر للكندي وحسن المحاضرة للسيوطي. قال السيوطي: ولاه خمارويه بن أحمد بن طولون القضاء سنة ٢٧٧هـ فأقام إلى سنة ٢٨٣هـ فألزم منزله في جمادى الآخرة وبقيت مصر بلا قاض حتى ولي أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي فأقام ثمان سنين وعزل في صفر سنة ٢٩٢هـ وأعيد ابن عبدة ثم صرف في رجب من السنة وولي أبو مالك بن أبي الحسن الصغير.

(٦) راجع الحاشية السابقة.

وأُخرِج جيشٌ بعد أيام ميِّتاً، ثم بعد أيام أمَر أبو جعفر بن أَبَّـى ربيعةَ بن أحمد بن طُولون أن يخرج إلى الإسكندرية فيسكنها هو وولده وحريمُه ويبعُد عن الحَضْرة، فتوجَّه إلى الإسكندرية وأقام بها على أجمل وجه إلى أن حرّكه أجلُه، وكاتَبه قومٌ ووثَّبوه وقالوا له: أنت رجل كاملٌ مُكَمَّل التدبير، وقد تقلَّدت البُلدَانَ وأحسنت سياستها، ولو كَشَفْتَ وجهَك لَتَبِعك أكثرُ الجيش؛ فأطاعهم وأقبل رَكْضاً فسبق من كان معه، فلم يشعر الناسُ به إلا وهو بالجبل المقطم[١] وحدَه ومعه غلام له نُوبيّ، وبيده مِطْردٌ[٢] يَنشُد الناس لنفسه[٣] ويدعوهم إلى ما كاتبوه؛ واتَّصل خبرُه بابن أَبَّـى فبعث النقباءَ الى الناس وأمرَهم بالركوب، فركِب الناسُ وأقبلوا يُهْرَعُون من كلّ جانب. ونزل ربيعةُ مُدِلاًّ بنفسه، وكان من الفُرْسان، طَمَعاً فيمن بَقِيَ له ممّن كاتَبه، فلم يأته أحدٌ وسار وحدَه وفرّ عنه مَنْ كان معه أيضاً، وبَقِيَ كاللَّيث يَحمِل على قطعةٍ قطعةٍ فينقضُها وتنهزم منه، حتى برز له غلامٌ أسودُ خَصِيّ يُعرَف بصَنْدَل المُزَاحِمي ــ مَوْلَى مُزَاحم بن خاقان الذي كان أميراً على مصر، وقد تقدّم ذكره ــ فحمَل عليه ربيعةُ فرمَى صندلٌ بنفسه إلى الأرض وقال له: بتَرِبة[٤] الماضي، فكفَّ عنه وقال له: إمض الى لعنة الله. ثم برز إليه غلام آخر يعرف بأحمد غلام الكِفْتيّ ــ والكِفتيّ أيضاً كان من جملة قوّادهم ــ فحمل عليه ربيعة فقتله. وأقبل ربيعةُ يحمل على الناس مَيْمنةً ومَيْسرةً ويحملون عليه بأجمعهم فَيكُدّونه ويردّونه إلى الصحراء ثم يرجع عليهم فيردّهم إلى موضعهم؛ فلم يزل هذا دأْبُهُ إلى الزوال،

(١) رواية الكندي: «وقامت طائفة من الجند ممن كره ولاية هارون بن خمارويه، وكاتبوا ربيعة بن احمد بن طولون، وكان بالإسكندرية، ودعوه إلى الولاية، ووعدوه القيام معه؛ فجمع ربيعة جمعاً كثيراً من أهل البحيرة من البربر وغيرهم، وأقبل فيهم حتى نزل منبوبة من كورة وسيم، ثم عدَّى النيل فنزل باب المدينة...». ومنبوبة هي المعروفة اليوم بأنبابة، ويقال لها أيضاً: أنبوبة. ووسيم: على الضفة الغربية من النيل، على ميل من الفسطاط.

(٢) هو الرمح القصير.

(٣) في الأصل: «بنفسه».

(٤) التربة والمتاربة: المصاحبة والمصادقة. والأتراب: الأصحاب، واحدها: تِرْب.

فتقطّر[١] عن فرسه فأكبّوا عليه ورمَوْا بأنفسهم عليه حتى أخذوه مُقانصةً فٱعتُقِلَ يومَه ذلك[٢]؛ فلما كان من الغد أمر أن يُضرب مائةَ سوط ووُكّل به الكِفْتيّ القائد ليأخذه بثأر غلامه، فكان الكفتيّ يحضّ الجلّادين ويَصيح عليهم ويأمرهم بأن يُوجِعُوا ضربه حتى ٱسترخَى، وقيل: إنه مات، فقال الكفتيّ: هيهاتَ! لحمُ البقر لا يَنْضَج سريعاً! فضُرب أسواطاً بعد موته ثم أمر به فدُفن في حُجرةٍ بقُرْبِ من بئر الجُلُودِيّ ومُنِع أن يُدفن مع أهله. فلما كان من غد يوم دفنه بلغ سودانَ أبيه أن الكِفْتِيّ قال: لحمُ البقر لا يَنْضَج سريعاً، وأنه ضربه بعد أن مات أسواطاً، فغاظهم ذلك وحرّكهم عليه وزحفوا إلى داره، وبلغه الخبرُ فتنحّى عنها، فجاؤوا داره فلم يجدوه فنهبوا داره ولم يكن له علْمٌ بذلك، فأخذوا منها شيئاً كثيراً حتى تُركت حُرمتُه عُرْيانة في البيت لا يُواريها شيءٌ. ورجع الكِفْتيّ إلى داره فرأى نعمته قد سُلِبت وحُرْمتَهُ قد هُتكت، فدخل قلبَه من ذلك حسرةٌ فمات كَمَداً بعد أيام.

وثَبَت مُلْكُ هارون هذا وهو صبيّ يُدبّر ولا يُحسن [أن] يدبِّر، والأمر كلّه مردود إلى أبي جعفر بن أَبّى يدبّر كما يرى. فلما رأى غلمانُ أبيه الكبارُ الأمرَ كلّه لأبي جعفر، وهم بدر وفائق وصافي، قبض كلٌّ منهم على قطعة من الجيش وحازها لنفسه وجعلها مُضافةً له يطالب عنهم ما يستحقونه من رزق وجِراية وغيرها، وسأل أن يكون ما لهُم محمولاً إلى داره يتولّى هو عطاءَهم، فصار عطاء[٣] كل طائفة من الجُنْد إلى دار الذي صارت في جُمْلته وصاروا له كالغلمان. ثم خرج بدرٌ القائد والحسن بن أحمد الماذَرائيّ إلى الشأم فأصلحوا أمرَها، وٱستخلفوا على دِمَشْق من قبل هارون المذكور الأمير طُغْج بن جُفّ، وقرّروا جميع أعمال الشامات ثم عادوا إلى مصر. ثم حجّ بدر المذكور في السنة وأظهر زِيًّا حَسَناً وأنفق نفقةً كثيرةً وأصلح من عقبة أيلة جُرْفاً كبيراً. ولمّا كان في السنة المقبلة حجّ فائقٌ فزاد في زِيّه ونفقاته

---

(١) في الأصل: «فتقنطر» وهو استعمال عامّي. وتقطّر عن فرسه: رمى بنفسه عنها.

(٢) في الكندي: «ثم طعن فرس ربيعة فسقط، فأسروه؛ أسره شفيع اليعموري فأتى به إلى محمد بن أَبّى فحبسه.

(٣) في الأصل: «عدوّ» والسياق يأباها.

على كلّ ما فعله بدر؛ وكان دأبُهم المنافسةَ في حُسْن الزِّيّ وبسطِ اليد بالإنفاق في وجوه البِرّ. وبنى بدر الميضأة المعروفة به على باب الجامع العتيق، ووقف عليها القَيْسارية المُلاصقة لها، وجعل مع المِيضأة ماءً عَذْباً في كِيزان تُوضَع في حَلْقة من حِلَق المسجد؛ وكان صاحبَ صدقات بدرٍ رجلٌ يعرف بالليث بن داود، فكان الشخصُ يَرَى المساكين زُمَراً زُمَراً يتلو بعضُهم بعضاً يُنادون في الطريق: دارَ الليث، دارَ الليث! فيُعطيهم الليثُ الدراهمَ واللحمَ المطبوخَ ويكسوهم في الشتاء الجِبابَ الصوف ويفرّق فيهم الأكسية؛ وتمّ ذلك أيامَ حياة بدر كلّها؛ وكان لصافي وفائق أيضاً عمالٌ مثل ذلك وأكثر. قال محمد بن عاصم العُمَريّ ــ وكان من علماء الناس ــ قال: صرت إلى مصر فلم يَحْتَفِ[1] بي أحدٌ غيرُ أبي موسى هارون بن محمد العباسيّ، فصار يُحضر لي مائدةً ويُباسطني في محادثته، وحملني ذلك على أن آستحييتُه، فقال لي: أنا أعرف بصدْقك فيما ذكرتَ وليس يُرضيني لك ما ترى، لأن [هذه] أشياء تقصر عن مرادي، ولكني سأقَعُ[2] لك على موضع يُرضيك ويُرضيني فيك؛ ودام على ذلك مدّة لا يقطع عنّي عادته، إلى أن توفّي لهارون صاحب مصر ولدٌ صغير، فبادر هارون بإخراجه والصلاة عليه وصِرنا به إلى الصحراء. فما وُضِع عن أعناق حامليه حتى أقبل موكب عظيم فيه بدر وفائق وصافي موالي أبي الجيش خُمَارويه، ومحمد بن أَبَّى وجماعةٌ، فقالوا: نصلّي عليه؛ فقال هارون: قد صلّيْتُ عليه؛ فقالوا: لا بدّ أن نصلّي عليه؛ فقال هارون بن محمد العباسيّ: اُدعوا إليَّ محمد بنَ عاصم العُمَريّ، وكنت في أُخريات الناس، فلم يزالوا قياماً ينتظرونني حتى أتيت؛ فقال لي: صلِّ بهم، فصلَّيتُ بهم؛ وآنصرفنا[3]؛ فلمّا كان بعد يومين قال لي: قد عرَّفتُ بك هؤلاء القوم فآمْضِ إليهم فإنّك تنال أجراً كبيراً؛ قال: فصِرتُ إلى أبوابهم وسلَّمتُ عليهم، فلم يمض أقلّ من شهر حتى نالني منهم مالٌ كثير وحَسُنت حالي إلى الغاية، ثم ذكَر عن هؤلاء القوم من هذه الأشياء نُبذاً كثيرة.

---

(١) في الأصل: «يتحقق» وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «سأوقع».

(٣) في الأصل: «فانصرفنا».

وأمّا أمر هارون صاحب الترجمة فإنه لمّا تمّ أمرُه صار أبو جعفر بن أَبَّـى هو مدبِّر مملكته. وكان أبو جعفر عنده دهاءٌ ومكرٌ فبَقِيَ في قلبه [أَثَرٌ][1] مما فعله بَرْمش من يوم خلـع جيش وقتل عليّ بن أحمد؛ وكان من القوّاد رجل يُعرف بِسمْجور قد قُلّد حِجابةَ[2] هارون، فَبَسَط لسانَه في آبن أَبَّـى المذكور وحرَّك عليه القوّادَ؛ وبلـغ ذلك ابنَ أَبَّـى فقال لهارون: احذر سِمْجور هذا، وهارون صبـيٌّ فلم يتحمّل ذلك؛ ودخل القوّادُ في شهر رمضان يُفطِرون عنده وكان سِمْجور فيهم؛ فلما نَجَز أمرَهم وخرجوا استقعد سمجورَ وقال له: يا سمجور، أنت مدسوس إليّ وأنا مدسوس إليك، وتريد كيت وكيت، وغمز غِلمانَه عليه فقبضوا عليه وآعتقله في خِزانة من خزائنه فكان ذلك آخرَ العهد به. وأما بَرْمش فإنَّ أبا جعفر بن أَبَّـى خلا به وقال له: ويحك! ألا ترى ما نحن فيه مـع هؤلاء القوم! انقلبت الدولةُ رُوميَّةً ما لنا معهم أمرٌ ولا نهي. وكان بَرْمش خَزَرِيًّا أحمقَ، فبَسَط لسانَه في بدر وغيره من الأروام، فنُقل إليهم. وكان بدر أخلاقه كريمة، وكان من أحسن خُلُقه أنّ الرجل إذا قبّل فخِذه يقبِّل هو رأس الرجل؛ فدسّ له بَرْمَش غلاماً فوقف له على الباب، فلمّا خرج بدر أقبل عليه الغلامُ وقبَّل فخذه فانكبَّ بدر على رأسه، فضربه الغلام في رأسه فشجّه، وقُبِض على الغلام الأسود، فقال: دَسّني بَرْمش؛ فغضب له الناس وركبوا قاصدين دار بَرْمش، فعرَف برمش الأمرَ فركِب لحماقته وأمر غِلمانَه وحواشيَه فركِبوا وخرجوا إلى الموضـع المعروف ببئر برمش، وكان هو الذي آحتفرها وبناها وصفّ هناك مماليكَه؛ فركب في الحال آبنُ أَبَّـى لما في نفسه من برمش قديماً وقد تمّ له ما دبّره عليه، وقال لهارون: هذا غلامك برمش قد خرج عليك فأرسِل بالقبض عليه، ثم قال: الصواب أن تخرج بنفسك إليه في مماليكك وتبادرَ الأمر قبل أن يتّسـعَ ويعسُرَ أمرُه؛ فركب هارون في دَسْته[3] فلم يبق أحد إلا ركب بركوبه؛ فلما رأى برمش ذلك تأهب لقتالهم وأخذ قوسه وبادر أن يرمي به؛ فقالوا له: مولاك،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل: «حجبة».

(٣) الاستعمال الشائـع للفظ «دست» بمعنى: صدر المجلس. وهو تعبير عباسي دخيل. وهنا بمعنى: المركب.

ويلك! مولاك الأمير! فقال: أروني إن كان هو مولاي لم أقاتِله، وإن كان هؤلاء[١] الأروام أقاتلهم كلَّهم ونموت جميعاً. فلما رأى الأميرَ هارونَ رمى بنفسه عن دابّته إلى الأرض، فغمز آبنُ أَبّـى الرَّجّالةَ عليه فتعاوروه بأسيافهم حتى قُتل، ونُهبت دارُه؛ ورجـع هارون إلى دار الإمارة. ثم بعد مدّة قدَّم هارون القائدَ لَحْجاً، وكان من أصاغر القوّاد لأبـي الجيش خمارويه، وبلّغه مراتبَ غلمان أبيه الكبار، فغاظ ذلك بدراً وصافياً وفائقاً لأنهم كانوا يَرَوْن نفوسهم أحقّ بذلك منه. ثم بعد ذلك نفى هارون صافياً إلى الرملة فتأكّدت الوَحْشةُ بينهم وبين هارون؛ وبينما هم في ذلك أتاهم الخبر أنّ رجلاً[٢] يزعمُ أنه عَلَويّ قد ظهر بالشأم في طائفة من الناس، فعاث أوّلاً بنواحي الرَّقَّة ثم قدِم الشأمَ، فآتصل خبره بطُغْـج بن جُفّ وهو يومئذ أمير دِمَشق، فتهاون به وركب إليه، وهو يظن أنه من بعض الأعراب، بغير أُهْبَة ولا عُدة، ومعه البُزاةُ والصُّقورة كأنه خارج إلى الصيد؛ فلما صافّه[٣] لقيه رجلاً متلهِّفاً على الشرّ لما تقدّم له من الظفر بجماعة من أعيان الملوك، فقاتله طُغْـج فآنهزم منه أقبـح هزيمة ونُهبت عساكره، وعاد طغـج إلى دِمَشق مكسوراً؛ فدخل قلوبَ الشاميّين منه فزع شديد؛ فكتب طغـج إلى هارون هذا يستمدّه على قتاله؛ فأخرج إليه هارون بدراً الحَمّاميّ وجماعةً من القوّاد في جيش كثيف فساروا إلى الشأم وآلتقَوْا مـع الخارجيّ المذكور، وقد لُقّب بالقَرْمطيّ. وكان من أصحاب بدر رجل يقال له زُهَير، فحلف زهير المذكور بالطلاق إنه متى وقَـع بصرُه على القرمطيّ ليَرْمِينّ بنفسه عليه وليقصدنّه حيث كان؛ فلما تصافّ العسكران سأل زهير المذكور عن القرمطيّ، فقيل له: هو الراكب على الجمل، وله كُمّان طويلان يُشير بهما، فحيث أومأ بكمه[٤] حملتْ عساكرُه؛ فقال زهير: أرى على الجمل آثنين، أهو المقدّم أم الرَّديف؟ قالوا:

---

(١) في الأصل: «وإن هؤلاء الأروام فاقاتلهم». وما أثبتناه عبارة طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) هو يحيى بن زكرويه بن مهرويه القرمطي، أبو القاسم، الملقب بالشيخ. (انظر أخباره في الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية: حوادث سنة ٢٩٠هـ).

(٣) صافّة: أي رتَّب جيوشه مقابل صفوف جيوشه. وفي الأصل: «فلما صافقه لقاه رجل متلهف».

(٤) في الأصل: «فحيث أومى بمكة» وهو تحريف. وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية. وكان هذا القرمطي يزعم أنه إذا أشار بيده إلى ناحية من النواحي التي فيها محاربوه، انهزم أهل تلك الناحية، فاستغوى بذلك الأعراب.

بل هو الرديف؛ فجعل زهير يشقّ الصفوف حتى وصل إليه فطعنه[١] طعنةً وقطّره[٢] عن جمله صريعاً؛ فلما رآه أصحابه مصروعاً حملوا على المصريّين والشاميّين حملةً واحدةً شديدةً هزموهم فيها وقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً. ثم أقاموا عليهم أخا[٣] القرمطيّ ورأّسوه عليهم. وأقبل زهير المذكور إلى بدر الحَمّاميّ فقال له: قد قتلتُ الرجل؛ فقال له بدر: فأين رأسه؟ فرجع ليأخذ رأسَه فقُتِل زهير قبل ذلك؛ ثم كانت لهم بعد ذلك وقائعُ كثيرة والقرمطي فيها هو الظافر، فقتِل من قوّاد المصريين وفُرسانهم خلقٌ كثير، وطالت مقاومته معهم حتى سمِع بذلك المكتفِي الخليفةُ العباسيّ، وكان متيقّظاً في هذا الحال، يرى الإنفاق فيه سهلاً ويقول: المبادرة في هذا أولى، فبادر بإرسال جيش كثيف نحوه، وجعل على الجيش محمد بن سليمان الذي كان كاتباً للؤلؤ غلام أحمد بن طُولون الآتي ذكره في عدّة أماكن؛ وسار الجيش نحو البلاد الشاميّة؛ فلما أحسّ القرمطيّ بحركَة محمد بن سليمان المذكور من العراق عدَل عن دمشق إلى نواحي حِمص، فقتَل منهم مقتلة عظيمة وسبَى النساء وعاث في تلك النواحي وعظُم شأنه وكثُر أعوانه ودعا لنفسه وخطب على المنابر بآسمه وتسمَّى بالمهديّ؛ وكان له شامة زعم أصحابه أنها آيته، وزعم أنّه عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب. ومن شعره في هذا المعنى قوله:

سبقت[٤] يداي يديه قصرته هاشميّ المجيدْ
وأنا آبن أحمدَ لم أقل كذباً ولم به أستزيدْ

---

(١) في ابن الأثير والبداية والنهاية أن الذي قتله رجل من المغاربة (وفي الطبري: بعض البرابرة): رماه بمزراق نار فقتله.

(٢) في الأصل: «قنطره» والمراد به: رماه عن جمله، وما أثبتناه هو اللفظ المؤدي للمعنى المطلوب.

(٣) هو الحسين بن زكرويه (كما في الطبري وابن الأثير) وفي البداية والنهاية: الحسن بن زكرويه. وقد سمى نفسه أحمد؛ وكنيته أبو العباس. ودعا الناس فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم.

(٤) ورد هذان البيتان هكذا في الأصل. ولم نعثر عليهما في مصدر آخر. وقد صححهما محقق طبعة دار الكتب المصرية على النحو التالي:

سبقت يديَّ يدا نصير هاشميٌّ المحتدِ
وأنا ابن أحمد لم أقل كذباً ولم أتزيَّدِ

وهما من مجزوء الكامل.

ثم بَثّ القرمطيّ عمّاله في البلاد والنواحي وكاتبهم وكاتبوه. فمن رسائله إلى بعض عماله:

«من عبد الله المهديّ[١] المنصور بالله، الناصِر لدين الله، القائم بدين الله، الحاكم بحكم الله، الداعي لكتاب الله، الذابّ عن حَرَم الله، المختار من ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أميرِ المؤمنين، وإمام المسلمين، ومُذِلّ المنافقين، وخليفة الله على العالمين، وحاصد الظالمين، وقاصم المعتدين، ومُهلك المفسدين، وسراج المستبصرين، وضياء المبصرين، ومشتّت المخالفين، والقيّم بسنة المرسلين، وولد خير الوصيّين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين [إلى][٢] جعفر بن حميد[٣] الكردي: سلام عليك، فإني أحمدَ إليك الله الذي لا إلـه إلا هو وأسأله أن يصلّي على محمد جدّي. أما بعد، ما هو كيت وكيت». فهذه صورة مكاتبته إلى الأقطار. انتهى.

وأما محمد بن سليمان الكاتب، فإنّ القاسم بن عبيد الله وزيرَ المكتفي كتب إليه بطلب القرمطيّ المذكور والجدّ في أمره، فسار محمد بن سليمان بعساكره نحوه فالتَقْوا بموضع دون حَمَاة، وكان القَرْمطيّ قد قدّم أصحابَه أمامه وتخلّف هو في نفر ومعه المال الذي جمعه، فوقع بين محمد بن سليمان وبين أصحاب القرمطيّ وقعةٌ آنهزم فيها أصحابُ القرمطيّ أقبح هزيمة، وكان ذلك في المحرّم سنة إحدى وتسعين ومائتين. فلما علِم القرمطيّ [بـ]ـهزيمة أصحابه أعطَى أخاه أمواله وأمره بالنفوذ إلى بعض النواحي التي يأمَن على نفسه فيها إلى أن يتهيّأ له ما يجب؛ ثم مضى هو وآبن عمه المُدَّثِّر[٤] وغلام له يسمّى المُطوَّق وغلام آخر يسمّى دليلاً[٥]،

(١) في الطبري: «من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي... إلخ». وقد أورد الطبري نص هذا الخطاب ببعض اختلاف عما هو هنا فلينظر. كما أورد الطبري نسخة كتاب من عامل له إليه.

(٢) زيادة عن الطبري يقتضيها السياق.

(٣) كذا في الطبري. وفي الأصل: «أبي جعفر أحمد».

(٤) هو عيسى بن المهدي المسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل. لقبه القرمطي بالمدثّر وزعم أنه المدثّر الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. (ابن الأثير).

(٥) عبارة الطبري: «وابن عمه المسمى المدثّر، والمطوّق صاحبه، وغلام له رومي. وأخذ دليلاً وسار يريد الكوفة».

وطلب القرمطيّ بهم طريقَ الكوفة وسار حتى آنتهى إلى قرية تعرف بالداليّة[١]. وعجزوا عن زادهم فدخل أحدهم إلى القرية ليشتري لهم زاداً[٢] [فأنكروا زيَّه وسُئل عن أمره فمَجْمَج[٣]، فأُعلم المتولّي مَسْلحةَ هذه الناحية بخبره وهو رجل يُعرف بأبـي خُبْزَة خليفةِ أحمد بن محمد بن كُشْمَرْد] فأقبل عليه أبو خُبْزَة المذكور مع أحداث[٤] ضيعته فقاتله وكسره وقبض عليه وعلى من معه. فانظر إلى هذا الأمر الذي عَجز عنه الملوك حتى كانت منيّته على يد هذا الضعيف. ولله درّ القائل: [الطويل]

وقد يَسْلَم الإنسانُ ممّا يخافُه ... ويُؤْتَى الفتَى من أَمْنه وهو غافلُ

(١) الدالية: مدينة صغيرة على شاطىء الفرات في غربيه، بين عانة والرحبة. (معجم البلدان).

(٢) ما أثبتناه بين معقوفين هو عبارة الطبري، وهي موافقة لما جاء في ابن الأثير. وعبارة الأصل: «فنظر إليه من يعرفهم فأقبل الرجل إلى صاحب مصلحة هناك رجل يقال له أبو جيزة وعرفه خبره».

(٣) مجمج في خبره: أي لم يبينه.

(٤) الأحداث: جماعات محلّيّة مسلحة، من الطبقات الشعبية الفقيرة. وقد تكاثرت هذه الطوائف (الأحداث) باعتبارها قوى محلية شعبية، مع ظروف بلاد الشام في العهد العباسي، وقد أرادت أن تعبر بشكل أو بآخر عن رفضها للقوى الخارجية (عباسية، فاطمية، قرمطية، رومية) وعن إرادتها الذاتية في إقامة حكم محلي شعبي. وقد عرفتهم مدن الشام منذ أواسط القرن الثالث الهجري كجماعات شعبية عسكرية، مؤقتة أولاً، ثم مستمرة فيما بعد، شكلت نوعاً من الحرس الشعبي المحلي إبان المحن والأزمات والفتن. وكلمة «الأحداث» ترددت لأول مرة في تاريخ الشام وصفاً لجماعة مستخدمة لحرس أميري خاص، غير أنهم سرعان ما تحولوا إلى جماعات شعبية مسلحة ليست حرة الارتباط إلا ببلدها واتجاهاته وتجارب من أجله؛ وكان هذا شأنها طوال القرنين الرابع والخامس الهجريين، فقاومت الحكم الفاطمي مقاومة مستميتة لأسباب سياسية ومذهبية واقتصادية واجتماعية. وأثناء هذه المقاومة عاشت حركة «الأحداث» أخصب مراحل تطورها وبطولاتها الشعبية. على أن هؤلاء «الأحداث» لم يكن حظهم في التاريخ الرسمي المدوّن بأوفر من حظ نظرائهم من الشطّار والعيّارين. (راجع ص ١٠٢، حاشية ١).
وعن طائفة الأحداث هذه انظر حكايات الشطار والعيّارين في التراث العربـي للدكتور محمد رجب النجار: ص ١٦١ ـ ١٧٧، العدد ٤٥ من مجلة عالم المعرفة. ولعلّ أوفى دراسة بالعربية عن «أحداث» بلاد الشام تلك التي قام بها الدكتور شاكر مصطفى بعنوان «الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي ـ صفحات مجهولة من تاريخ دمشق» وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة كلية الآداب والتربية بجامعة الكويت في العددين الثالث والرابع، يونيو وديسمبر ١٩٧٣ ـ وانظر مصادر النقل هناك.

فقبض عليه المذكورُ. وكان أميرُ هذه النواحي القاسم بن[1] سِيمَا، فكتب بالخبر إلى الخليفة المكتفي وهو بالرَّقَّة، وقد كان رحَل في أثر محمد بن سليمان، وآتّفق مع هذا موافاة كتاب[2] محمد بن سليمان إلى القاسم بن عبيد الله بالفتح والنُّصْرَة على القَرْمطيّ. ثم أُحْضِر القرمطيّ إلى بين يدَي الخليفة المكتفِي، فأخذه الخليفة وعاد هو ووزيرُه القاسمُ بن عبيد الله من الرّقة إلى بغداد، وهو على جمل يُشهر به في كلّ بلد يمرّون به، ومعه أيضاً من أصحاب القرمطيّ [المدثر والمطوّق وجماعة من أسارى الواقعة][3]، ودخل بهم بغداد وقد زُيِّنت بغداد بأفخر الزينة، وكان لدخولهم يوم عظيم إلى الغاية. فلما كان يوم الاثنين الثالث والعشرون من شهر ربيع الأوّل جلَس الخليفة مجلساً عاماً، وأحضر القرمطيّ وأصحابه فقُطِعت أيديهم وأرجلُهم ثم رُمي بهم من أعلى الدكّة إلى أسفل، ولم يبق منهم إلّا ذو الشامة أعني القرمطيّ. ثم قُدّم القرمطيّ فضُرب بالسَّوْط حتى آسترخى، ثم قُطعت يداه ورجلاه ونُخِس في جنبه بخشب[4]، فلمّا خافوا عليه الموت ضربوا عنقه.

ثم حضر محمدُ بن سليمان، وخلَع عليه الخليفةُ المكتفِي، ثم خلع على القوّاد الذين كانوا معه، وهم محمد بن إسحاق بن كُنْداج[5] وحسين بن حمدان وأحمد بن إبراهيم بن كَيْغَلَغ[6] وأبو الأغرّ[7] ووَصيف، وأمر الجميعَ بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان.

---

(١) في الطبري وابن الأثير أن عامل أمير المؤمنين على هذه الناحية (الرحبة وطريق الفرات) كان أحمد بن محمد بن كشمرد، وأنه هو الذي توجه بالأسرى ـ ومن بينهم القرمطي أبو الشامة ـ إلى الخليفة المكتفي وهو بالرقة. أما القاسم بن سيما المذكور هنا فقد ذكره الطبري على أنه «وافى بغداد منصرفاً عن عمله بطريق الفرات ومعه رجل من بني العليص من أصحاب القرمطي دخل إليه بأمان» فأوصله ابن سيما ومن معه إلى مدينة السلام فأومنوا وأحسن إليهم.

(٢) انظر نص الكتاب في الطبري: حوادث سنة ٢٩١هـ.

(٣) زيادة عن الطبري يستقيم معها السياق.

(٤) عبارة الطبري وابن الأثير أوضح في المقام، وهي: «ثم أخذ خشب فأضرمت فيه النار، ووضع في خواصره وبطنه».

(٥) في الطبري: «كنداجيق».

(٦) في الطبري: «وابنا كيغلغ» ولعله أراد، أحمد وإبراهيم ابنا كيغلغ.

(٧) هو خليفة بن المبارك المعروف بابن الأغرّ، كما في الطبري.

ثم أمر الخليفةُ محمدَ بن سليمان بالتوجّه إلى مصر لقتال هارون بن خُمارويه صاحب الترجمة[١]، فسار محمد بن سليمان بمن معه في شهر رجب، وكتب إلى دَمْيَانة غلام يا زَمَان ــ وهو يومئذ أميرُ البحر ــ أن يقفُل بمراكبه إلى مصر؛ وسار الجيش قاصداً دمَشق، فلما قُربوا منها تلقّاهم بدرٌ وفائقٌ في جميع جيشهما لما في نفوسهما من هارون حسبما قدّمناه من تقديم مَنْ تقدّم ذكرُه عليهما؛ وصاروا مع محمد بن سليمان جيشاً واحداً؛ وساروا نحو مصر[٢]؛ فاتّصلت أخبارُهم بهارون بن خمارويه هذا، فتهيأ لقتالهم وجمع العساكر وأمر بمضْرَبه فضرب بباب المدينة بعد ان نعق[٣] في جنده وأمرهم بالتأهّب للرحيل، فاستعدّوا ثم رحلوا إلى العبّاسة[٤] يريدون الشأم.

وتربّص هارون بالعبّاسة أيّاماً، وكتَب لبدرٍ وفائق يستعطِفهما ويذكُر لهما الحُرْمة وما يجب عليهما من حفظ ذِمام الماضين من أبيه وجدّه، وصارت كتبُه صادرةً إليهم وإلى القوّاد بذلك؛ فبينما هو [ذاتَ] ليلة بالعباسة وقد شرِب وثمِل ونام آمِناً في مضْربه إذ وثَب عليه بعض غلمانه فذبحه، وقيل: إن ذلك كان بمساعدة بعض عمومته في ذلك؛ وأصبح الناس وأميرهم مذبوح وقد تفرّقت الظنون في قاتله؛

---

(١) السبب الظاهر والمعلن هو عجز الطولونيين وعلى رأسهم هارون في مواجهة القرامطة «لما تبيّن للخليفة من ضعف هارون وضعف من معه وذهاب رجاله بقتل من قتل منهم القرمطي» كما يذكر المؤرخون. ولعلّ السبب الحقيقي هو أن الخلافة العباسية رأت أنه قد آن الأوان وسنحت الفرصة للتخلص من الأسرة الطولونية في مصر، وإعادة ربط الحكم في هذا البلد بمركز الخلافة مباشرة، خاصة وأن أحوال الدولة في مصر: من تفكك الحكم، وصراعات القادة والأجناس، وضعف الحكام وعدم كفايتهم، وتبدد أموال الدولة منذ أيام خمارويه، كل ذلك أغرى الخلافة في توجيه ضربتها.

(٢) وكان قد انضم إلى محمد بن سليمان عاملُ هارون على فلسطين وصيف بن سوارتكين؛ كما لحق بمحمد بن سليمان كل من صافي مولى خمارويه والحسين بن أحمد الماذرائي.

(٣) أي: صاح فيهم. وفي الأصل: «نفق» ولا وجه له.

(٤) العباسة: قرية هي أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام. وقد قامت هذه القرية حول القصر الذي شيّده خمارويه عند سفر ابنته قطر الندى في طريقها إلى العراق، وكانت عمتها العباسة ترافقها في هذه الرحلة، فسمي القصر باسم العباسة، ثم شملت التسمية جميع ما عمر هناك فيما بعد. (انظر خطط المقريزي: ١/٢٣٢).

فنهض عمّه شيبانُ بن أحمد بن طولون ودعا لنفسه، وضمِن للناس حسن القيام بأمر الدولة والإحسان لمن ساعده، فبايعه الناس على ذلك. انتهى.

وقد ذكر بعضهم قصّة هارون هذا بطريق آخر قال[١]: وآستمرّ هارون هذا في إمْرَة مصر من غير منازع؛ لكن أحوال مصر كانت في أيّامه مضطربة إلى أن ورد عليه الخبر بموت الخليفة المعتضد بالله في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، وبويع لابنه محمد المكتفي بالخلافة. ثم خرج القرمطيّ بالشأم في سنة تسعين، فجهّز هارونُ لحربه القوّادَ في جيش كبير فهزمهم القرمطيّ؛ ثم وقَع بين هارون وبين الخليفة المكتفي وَحْشَةٌ وتزايدتْ إلى أن أرسل المكتفي لحربه محمدَ بن سليمان الكاتب؛ فسار محمد بن سليمان من بغداد إلى أن نزل حِمْصَ وبعث بالمراكب من الثغور إلى سواحل مصر وسار هو حتى نزل بِفلَسطين؛ فتجهّز هارونُ أيضاً لقتال محمد بن سليمان المذكور وسيّر المراكب في البحر لحربه وفيها المُقاتِلة، حتى التقَوْا بمراكب محمد بن سليمان وقاتلوهم فآنهزموا؛ وكان القتال في تِنّيس وملك أصحابُ محمد بن سليمان تِنّيس ودِمْياط؛ وكان هارون قد خرج من مصر يومَ التَّرْوِيَة[٢] لقتال محمد بن سليمان، فلما بلغه الخبر توجّه إلى العبّاسة ومعه أهله وأعمامُه في ضيق وجَهْد، فتفرّق عنه كثير من أصحابه وبَقِيَ في نفر يسير، وهو مع ذلك متشاغل باللهو والسكر؛ فآجتمع عمّاه شيبان وعَديّ آبنا أحمد بن طُولون على قتله، فدخلا عليه وهو ثمِل فقتلاه ليلة الأحد لإحدى عشرة بَقِيَت من صفر سنة آثنتين وتسعين ومائتين، وسنّه يومئذ آثنتان[٣] وعشرون سنة؛ وكانت ولايته على مصر ثمانيَ سنين وثمانيةَ أشهر وأيّاماً؛ وتولّى عمّه شَيْبان مصر بعده.

---

(١) الرواية الآتية توافق ما جاء في الكندي والمقريزي.

(٢) يوم التروية: هو اليوم الثامن من ذي الحجة، سمي بذلك لأن الحجيج يرتوون من الماء لما بعده، لأن منى لا ماء بها، فكانوا يحملون الماء معهم ويتوجهون به إليها. أو سمي بذلك لأن إبراهيم عليه السلام كان يتروى ويتفكر في رؤياه فيه.

(٣) كذا أيضاً في المقريزي. وفي الكندي: «ثمان وعشرون سنة».

وقال سِبط ابن الجَوْزيّ في تاريخه[1]: وفيها ــ يعني سنة آثنتين وتسعين ومائتين ــ في صفر سار محمد بن سليمان إلى مصر لحرب هارون بن خُمارويه، وخرج إليه هارون في القوّاد فجرت بينهم وَقَعات؛ ثم وقَع بين أصحاب هارون في بعض الأيام عصبيّة، فاقتتلوا، فخرج هارون ليُسكتهم فرماه بعض المغاربة بسهم فقتله[2] وتفرّقوا؛ فدخل محمد بن سليمان مصر وملكها وآحتوَى على دور آل طُولون وأسبابهم وأخذهم جميعاً، وكانوا بضعة عشر رجلاً، فقيّدهم وحبسهم وآستصفَى أموالَهم وكتب بالفتح إلى المكتفِي.

وقيل: إن محمد بن سليمان لمّا قرُب من مصر أرسل إلى هارون يقول: إن الخليفة قد ولّاني مصر ورسم أن تسير بأهلك وحَشَمِك إلى بابه إن كنتَ مطيعاً، وبعث بكتاب الخليفة إلى هارون؛ فعرضه هارون على القوّاد فأبَوْا عليه فخرج هارون؛ فلمّا وقَع المصافّ صاح هارون: يا منصور؛ فقال القوّاد: هذا يريد هلاكنا، فدسّوا عليه خادماً فقتله على فراشه وولَّوْا مكانه شيبان بن أحمد بن طُولون؛ ثم خرج شيبان إلى محمد مُسْتَأمِناً. وكتب الخليفة إلى محمد بن سليمان في إشخاص آل طُولون وأسبابهم والقوّاد وألّا يترك أحداً منهم بمصر والشأم؛ فبعث بهم إلى بغداد فحُبِسوا في دار صاعد. انتهى ما أوردناه من ترجمة هارون من عدّة أقوال بخُلْف وقع بينهم في أشياء كثيرة.

وأما محمد بن سليمان المذكور فأصله كاتبُ الخادم لؤلؤ الطولونيّ. قال القُضَاعِيّ: يقال: إن أحمد بن طولون جلس يوماً في بعض متنزّهاته ومعه كتاب ينظر فيه، وإذا بشابٍّ قد أقبل، فالتفت أحمد إلى لؤلؤ الطولونيّ وقال: اِذهب وأْتِني برأس هذا الشابّ؛ فنزل إليه لؤلؤ وسأله من أيّ بلد هو وما صنعته؟ فقال: من العراق من أبناء الكتّاب؛ فقال له: وما أَتيتَ تطلب؟ قال: رزقاً؛ فعاد لؤلؤ إلى أحمد بن طولون؛ فقال له: ضربتَ عنقه؟ فسكتَ، فأعاد عليه القول فسكتَ؛ فآستشاط

(١) هو يوسف بن قزأوغلي المتوفى سنة ٦٥٤هـ. وتاريخه هو «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان».

(٢) وهذه الرواية توافق رواية ابن سعيد في المغرب (قسم مصر) نقلاً عن القرطي في كتابه: تاريخ مصر.

أحمد بن طولون غيظاً ثم أمره بقتله؛ فقال لؤلؤ: يا مولاي بأيّ ذنب تقتله[١]؟ فقال: إني أرى في هذا الكتاب[٢] من منذ سنين أن زوال مُلْك ولدي يكون على يد رجل هذه صفته فقال: يا مولاي، أو هذا صحيح؟ قال: هذا الذي رأيته وتفرّسته؛ فقال: يا مولاي، لا يخلو هذا الأمر من أن يكون حقاً أو كذباً، فإن كان كذباً فما لنا والدخول في دم مسلم! وإن كان حقّاً فلعلّنا نفعل معه خيراً عَلّه يكافىء به يوماً، وإن كان الله قدّر ذلك فإنا لا نقدِر على قتله أبداً؛ فسكت أحمد بن طولون، فأضافه لؤلؤ إليه؛ وكان هذا الشابّ يسمى محمد بن سليمان الكاتب الحنيفيّ، منسوب إلى حنيفة السَّمَرْقَنْديّ. فلم تزل الأيام تنتقل بمحمد المذكور والدّهر يتصرّف فيه إلى أن بَقِيَ ببغداد قائداً من جملة القوّاد، وجرى من أمره ما تقدّم ذكرُه من قتال القَرَامِطة وهارونَ صاحبِ مصر، إلى أن ملَك الديار المصريّة وأمسك الطولونيّة وخرّب منازلَهم، وهدَم القصر المسمّى بالمَيْدان الذي كان سكنَ أحمد بن طولون، وتتبّع أساسَه حتى أخرب الديار ومحا الآثار، ونقَل ما كان بمصر من ذخائر بني طولون إلى العراق. وقال صاحب كتاب الذخائر[٣]: إن محمد بن سليمان المذكور رجع إلى العراق في سنة آثنتين وتسعين ومائتين ومعه من ذخائر بني طولون أموالٌ عظيمةٌ، يقال: إنّه كان معه أكثر من ألف ألف دينار عَيْناً، وأنّه حمَل إلى الخليفة الإمام المكتفي من الذخائر والحُليّ والفُرُش أربعةً وعشرين ألف حِمْل جمل، وحَمل آلَ طولون معه إلى بغداد، وأخذ محمدُ بن سليمان لنفسه وأصحابه غيرَ ذلك ما لا يُحصَى كثرة. ولما وصل محمد بن سليمان إلى حلَب متوجّهاً إلى العراق، كتب الخليفة المكتفي إلى وَصِيف مولى المُعْتَضد أن يتوكّل بإشخاص محمد بن سليمان المذكور، فأشخصه وصيف المذكور إلى الحضرة؛ فأخذه المكتفي وقيّده وصادره وطالبه بالأموال التي أخذها من مصر. ولم يزل محمد بن سليمان مُعْتَقَلاً إلى أن تولّى آبنُ الفرات للخليفة المقتدر جعفر، فأخرجه إلى قَزْوين والياً على الضِّيَاع

---

(١) في الأصل: «قتلت» وهي غير مناسبة.

(٢) في الأصل: «الكاتب».

(٣) ذكر صاحب كشف الظنون أكثر من كتاب بهذا الاسم لأكثر من مؤلف، فلينظر.

والأعشار بها. يأتي ذكرُ محمد بن سليمان هذا ثانياً بعد ذلك في حوادث هارون على الترتيب المقدّم ذكرهُ بعدُ في ولاية شيبان إن شاء الله تعالى.

* * *

السنة الأولى من ولاية هارونَ بن خُمَارويه على مصر

وهي سنة أربع وثمانين ومائتين:

فيها كانت وقعةٌ بين الأمير عيسى النُّوشَرِيّ، الآتي ذكرُه في أمراء مصر، وبين بكر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، وكان قد أظهر العصيان فهزمه النُّوشَرِيّ بقُرْب أصبهانَ وآستباح عسكرَه.

وفيها ظهرت بمصر حُمْرَةٌ عظيمة في الجوّ حتى إنه كان الرجل إذا نظر في وجه الرجل يراه أحمر وكذا الحيطانُ، فتضرّع الناسُ بالدعاء إلى الله، وكانت من العصر إلى الليل.

وفيها بَعث عمرُو بن الليث بألف ألف درهم لتُنْفَق على إصلاح درب مكّة من العراق، قاله ابن جرير الطبريّ.

وفيها عزم المعتضِد على لعن معاوية على المنابر، فخوّفه عبيد[1] الله الوزير بآضطراب العامة، فلم يلتفت وتقدّم إلى العامة بلزوم أشغالهم وترك الاجتماع بالناس، ومَنَع القُصّاص[2] من القعود في الأماكن، ثم مَنَع من آجتماعِ الحلَق في

---

(١) في الأصل: «عبد الله». وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير والوزراء والكتاب للجهشياري والفخري لابن الطقطقي. وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي. استوزره المعتمد العباسي، وأقره بعده المعتضد. واستمرت وزارته عشر سنين إلى وفاته سنة ٢٨٨هـ. وذكره أيضاً صاحب فوات الوفيات خطأ باسم «عبد الله».

(٢) في الأصل: «القضاة من العقود». والتصحيح عن الطبري.

الجوامع، وكتب المعتضد كتاباً[1] في ذلك وآجتمع الناس يوم الجمعة بناءً[2] على أنّ الخطيب يقرؤه فما قُرِىء.

وفيها ظهر في دار الخليفة المعتضد شخصٌ في يده سيف مسلول، فقصده بعض الخدّام فضرَّبه بالسيف فجرَحه وآختفى في البستان، فطُلِب فلم يوجد له أثر؛ فعظُم ذلك على المعتضد وآحترز على نفسه وساءت الظنون فيه فقيل هو من الجنّ، وقيل غيرُ ذلك؛ وأقام الشخص يظهر مراراً ثم يختفي؛ ولم يظهر خبرُه حتى مات المعتضد والمكتفي، فإذا هو خادم كان يميل إلى بعض الجواري التي في الدور. وكانت عادة المعتضد أنه من بلَـغ الحُلُمَ من الخدّام منعه من الدخول إلى الحُرَم، وكان خارجَ دور الحُرَم بستان كبير، فآتخذ هذا الخادم لِحية بيضاء وبَقِيَ تارة يظهَر في صورة راهب، وتارة يظهر بزيّ جنديّ بيده سيف، وآتخذ عِدّة لِحًى مختلفة الهيئات والألوان؛ فإذا ظهر خرجت الجارية مـع الجواري لتراه فيخلو بهـا بين الشجر، فإذا طُلِب دخل بين الشجر ونزع اللحية والبُرْنُس ونحو ذلك، وخبأها وترك السيف في يده مسلولاً كأنه من جملة الطالبين لذلك الشخص؛ وبقي كذلك إلى أن وَلِيَ المقتدر الخلافة وأُخْرج الخادم إلى طَرَسُوس، فتحدّثت الجارية بحديثه بعد ذلك.

---

(١) المراد به: كتاب لعن معاوية. قال الطبري: «ذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية، فأخرج له من الديوان، فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب، وذكر أنها نسخة الكتاب الذي أنشىء للمعتضد بالله»، ثم أورد الطبري نسخة هذا الكتاب، وهي مطوّلة مفندة (انظر الطبري: حوادث ٢٨٤هـ). . قال الطبري: وذكر أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضي وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم المعتضد عليه؛ فمضى يوسف بن يعقوب فكلم المعتضد في ذلك وقال له: يا أمير المؤمنين، إني أخاف أن تضطرب العامة، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة. فقال: إن تحركت العامة أو نطقت وضعت سيفي فيها، فقال: يا أمير المؤمنين، فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون، ويميل إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ومآثرهم، وفي هذا الكتاب إطراؤهم، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل، وكانوا هم أبسط ألسنة، وأثبت حجة منهم اليوم. فأمسك المعتضد فلم يردّ عليه جواباً، ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء.

(٢) في الأصل: «بغاء» والتصحيح عن شذرات الذهب.

وفيها في يوم الخميس رابع المحرّم قدِم [رسول][١] عمرو بن الليث الصفّار على المعتضد برأس رافع بن هَرْثَمة؛ فخلع على الرسول ونصب الرأسَ في جانِبَيْ[٢] بغداد.

وفيها وعَد المنجّمون الناس بغرق الأقاليم السبعة، ويكون ذلك من كثرة الأمطار وزيادة المياه في العيون والآبار، فآنقطع الغيث وغارت العيون وقلّت المياه، حتى آحتاج الناس إلى أن آستسقَوْا ببغداد حتى أُمْطِروا وكذّب الله المنجّمين.

وفيها حجّ بالناس محمد بن عبد الله بن ترنجة[٣].

وفيها توفّي أحمد بن المبارك، أبو عمرو المُسْتَمْلِي النَّيسابوريّ الزاهد العابد؛ كان يُسمَّى راهبَ عصره، يصوم النهار ويقوم الليل، وكانت وفاته بنَيْسابور في جمادى الآخرة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي إسحاق بن الحسن[٤] الحَرْبيّ، وأبو عمرو أحمد بن المبارك المُسْتَمْلِي، وأبو خالد عبد العزيز بن معاوية القرشيّ [العَتّابيّ][٥] ومحمود بن الفَرَج الأصبهانيّ الزاهد، وهشام بن علي السِّيرافيّ، ويزيد بن الهَيْثم أبو خالد الباديّ[٦].

---

(١) زيادة عن الطبري. والسياق يقتضيها.

(٢) في الطبري أنه أمر بنصبه في المجلس بالجانب الشرقي إلى الظهر، ثم تحويله إلى الجانب الغربي ونصبه هناك إلى الليل.

(٣) في الطبري وابن الأثير: «محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي المعروف بأترجّة».

(٤) في عقد الجمان: «إسحاق بن الحسين» وفي شذرات الذهب: «إسحاق بن الحرّ الحربي».

(٥) الزيادة عن عقد الجمان وتهذيب التهذيب. وفي ابن الأثير: «الغيائي» وهو تحريف. والعتّابي: نسبة إلى جده السادس عتّاب بن أسيد القرشي الأموي. (أنساب السمعاني).

(٦) كذا في القاموس وشرحه والذهبي بإثبات الياء. وقد سئل يزيد عن هذه النسبة فقال: «ولدت أنا وأخي توأمين وخرجت أولاً فسميت البادي». وروى السمعاني نفس هذا القول على لسان أبي الحسن أحمد بن علي البادي. وقال السمعاني: ووجدت خطه وقد نسب نفسه فقال: البادي بالياء. ويعرفه العامة بابن البادا. وفي الأصل: «باد».

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثلاثَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وتسعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية هارون على مصر

وهي سنة خمس وثمانين ومائتين:

فيها في يوم الأربعاء لآثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرّم قطع صالح بن مُدْرِك الطائيّ الطريقَ في جماعة من طيء على الحجّاج [بالأَجْفُر](١)، فأخذوا من الأموال والمماليك والنساء ما(٢) قيمته ألفُ أِلف دينار.

وفيها ولّى المعتضدُ آبنَ أبي الساج أرمِينِيَة وأذْرَبِيجان وكان قد غلّب عليهما.

وفيها غزا راغب الخادم مولى الموفَّق بلادَ الروم في البحر فأظفره الله بمراكبَ كبيرةٍ وفتح حصوناً كثيرة.

وفيها حجّ بالناس محمد بن عبد الله بن ترنجة(٣).

وفيها في شهر ربيع الأوّل هبّت ريح صفراء بالبصرة ثم صارت خضراء ثم سوداء وآمتدّت في الأمصار، ثم وقع عقيبَها مطر وبَرَد وَزْنُ البَرَدَة مائةٌ وخمسون درهماً، وقَطَعت الريحُ نحو ستمائة نخلة، ومُطِرت قريةٌ(٤) من القرى حجارةً سوداء

(١) زيادة عن الطبري وابن الأثير وعقد الجمان. والأَجْفُر: موضع بين فَيْد والخزيمية، بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة. وقال الزمخشري: هو ماء لبني يربوع انتزعته منهم بنو جذيمة. (معجم البلدان: ١/ ١٠٢). وفي شذرات الذهب والعبر أنه انتهب الركب العراقي.

(٢) العبارة متسرّعة: إذ كيف يمكن تقدير قيمة النساء والمماليك بمبلغ من المال. وعبارة الطبري أوضح في المقام: «فأخذوا ما كان في القافلة من الأموال والتجارات، وأخذوا جماعة من النساء الحرائر والمماليك، وقيل إن الذي أخذوا من الناس بقيمة ألفي ألف دينار». وذكر في شذرات الذهب والعبر ألف ألف دينار.

(٣) راجع ص ١٢٩، حاشية (٣).

(٤) في الطبري أن هذه القرية تسمى أحمداباذ. وفي معجم البلدان أن أحمداباذ قرية من قرى ريوند من =

وبيضاء. وفيها في ذي الحجة منها قدِم الأمير علي ابن الخليفة المعتضد بالله بغداد، وكان قد جهّزه أبوه لقتال محمد بن زيد العلويّ، فدفـع محمد بن زيد عن الجبال وتحيّز إلى طَبَرِسْتان، ففرِح به أبوه المعتضد وقال: بعثناك ولداً فرجَعتَ أخاً، ثم أعطاه ألفَ ألف دينار.

وفي ذي الحجة أيضاً خرج الخليفة المعتضد وٱبنه علي يريد آمِدَ[1] لمّا بلغه موت [أحمد بن][2] عيسى بن الشيخ بعد أن صلّى ٱبنُه عليّ المذكور بالناس يوم الأضحى ببغداد، وركِب كما يركَب وُلاةُ العهود.

وفيها توفي إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بَشير بن عبد الله، أبو إسحاق المَرْوَزِيّ الحربـيّ؛ كان إماماً عالماً فاضلاً زاهداً مصنّفاً؛ كان يقـاس بالإمـام أحمد بن حنبل في علمه وزهده.

وفيها توفي الأمير أحمد بن عيسى بن الشيـخ صاحب آمِد وديار بكر؛ كان ولّاه إيّاهما المعتزّ، فلما قُتِل المعتزّ ٱستولَى عليهما إلى أن مات في هذه السنة[3]، فٱستولى عليهما ٱبنُه محمد فسار المعتضد فأخذهما منه وٱستعمل عليهما نُوّابَه.

= نواحي نيسابور قرب بيهق. وأحمداباذ أيضاً قرية من قرى قزوين، على ثلاثة فراسخ منها، بناها أبو عبد الله أحمد بن هبة الله الكموني القزويني.

(١) هي أعظم مدن ديار بكر وأجلّها. (معجم البلدان) وتتبـع آمد في الحاضر تركيا، وموقعها في الشرق منها على خط عرض شمالاً ١٥. و٣٨° وطول شرقاً ٢٢. و ٤٠°؛ وتقوم آمد غربـي دجلة على يمينه.

(٢) الزيادة عن الطبري (حوادث سنة ٢٨٥هـ) والأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد: الجزء الثالث، القسم الأول، ص ٢٩٤. وهذه الزيادة ضرورية لتصحيح الخبر، ذلك أن عيسى بن الشيخ كان قد توفي سنة ٢٦٩هـ. وكان عيسى قد تغلّب على جميـع ديار بكر واستبد بها دون أمر الخليفة، ورتّب ولديه: محمد بن عيسى بآمد، وأحمد بن عيسى بميافارقين. وبعد وفاة عيسى بن الشيـخ استطاع ابنه أحمد أن يستولي على آمد ثم ولي ابنه محمد بن أحمد جميـع ديار بكر. قال ابن شداد: ولما وصل الخبر إلى المعتضد بموت أحمد بن عيسى بن الشيـخ وتولية ولده محمد ديار بكر، تجهز إلى ديار بكر في سنة ٢٨٥هـ، ونازل آمد وحاصرها، وهدم سوريا ودخلها عنوة؛ واستأمن إليه محمد بن أحمد وأهل بيته فأمنهم، ونفذ سرية إلى ميافارقين فدخلوا تحت الطاعة. وأقام بآمد مدة، وأقطـع ديار بكر وديار ربيعة ولده علياً المكتفي، وولى ميافارقين وآمد الفضل بن عمران وسلم إليه جميـع الثغور.

(٣) في الأعلاق الخطيرة أن المهتدي العباسي ولى عيسى بن الشيـخ ديار بكر، ثم انتقلت إلى ولديه محمد وأحمد ثم إلى محمد بن أحمد. راجـع الحاشية (٢).

وفيها توفّي إمامُ النحاة المبرّد؛ وآسمه محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عُمَيْر بن حَسّان بن سليمان، الإمامُ العلّامة أبو العبّاس البصريّ الأزديّ المعروف بالمبرّد؛ انتهت إليه رِياسة النحو واللغة بالبصرة؛ وُلد سنة ستّ ومائتين وقيل: سنة عشر ومائتين. وكان المبرّد وأبو العبّاس أحمد بن يحيى المُلَقّب بثعلب صاحبُ كتاب «الفصيح» عالِمَيْن مُتعاصرَيْن؛ وفيهما يقول أبو بكر بن أبي الأزهر[1]: [المتقارب]

أيا طالبَ العلم لا تَجْهَلَنْ ... وعُذْ بالمبرّد أو ثَعْلب
تَجِدْ عندَ هذَيْن عِلمَ الوَرى ... فلا تَكُ كالجمَل الأجرب
علومُ الخلائق مَقْرونةٌ ... بهذَيْنِ في الشرق والمغرب

وكان المبرّد يحبّ الاجتماع والمناظرة بثعلب وثعلب يكره ذلك ويمتنع منه. ومن شعر المبرّد: [البسيط]

يا من تَلَبّس أثواباً يتيه بها ... تِيهَ الملوك على بعض المساكينِ
ما غَيّر الجُلُّ[2] أخلاقَ الحمارِ ولا ... نقشُ البرادع أخلاقَ البراذِينِ[3]

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي إبراهيم الحَرْبِيّ، وإسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِيّ[4]، وعبيد [الله][5] بن عبد الواحد بن شَريك، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرّد.

---

(١) في «نور القبس» المختصر من المقتبس للمرزباني، من اختصار الحافظ أبي المحاسن اليغموري، نسبت هذه الأبيات لعبد الله بن الحسين بن سعد القطربلي صاحب التاريخ. (نور القبس ــ تحقيق رودلف زلهايم ــ بيروت ١٩٦٤).

(٢) الجلّ (بضم الميم وفتحها): ما تغطى به الدابة لتصان. ويقال له بالعامية: الجلال، وهي صيغة الجمع من «جلّ».

(٣) البراذين: جمع برذون، وهو يطلق على غير العربي من الخيل والبغال. وهو دون الخيل وأقدر من الحمر.

(٤) هذه النسبة إلى «الدَّبَر» وهي قرية من قرى صنعاء اليمن. قال في الأنساب: والمشهور بهذه النسبة أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري، راوي كتب عبد الرزاق بن همام.

(٥) الزيادة من طبعة دار الكتب المصرية عن المنتظم لابن الجوزي.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وستَّ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وتسعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية هارون على مصر

وهي سنة ستّ وثمانين ومائتين:

فيها أرسل هارون بن خمارويه صاحبُ الترجمة إلى الخليفة المعتضد يُعلمه أنه نزل عن أعمال قِنَّسْرِين والعواصِم، وأنَّه يحمِل إلى المعتضد في كلّ سنة أربعمائةِ ألف دينار وخمسين ألف دينار، وسأله تجديد الولاية له على مصر والشأم؛ فأجابه المعتضد إلى ذلك وكتب له تقليداً بهما.

وفيها في شهر ربيع الآخر نازل المعتضد آمِد وبها محمد بن أحمد بن [عيسى بن] الشيخ فحاصرها أربعين يوماً حتى ضعُف محمد وطلب[1] الأمان [لنفسه وأهل البلد فأجابه إلى ذلك فخرج إليه محمد ومعه أصحابه وأولياؤه فوصلوا إلى المعتضد][2] فخلع عليه المعتضد.

وفيها قبض المعتضد على راغب الخادم أمير طَرَسُوس وآستأصل أمواله فمات بعد أيّام.

وفيها التقى جيش عمرو بن الليث الصفّار وإسماعيلَ بن أحمد بن أسد [السامانيّ] بما وراء النهر فانكسر أصحاب عمرو، ثم التقى هو وعمرو ثانياً على بَلْخ، وكان أهل بلخ قد ملّوا عَمراً وأصحابه وضجِروا من نزولهم في دورهم وأخذِهم أموالَهم، فساعد أهلُ بَلْخ إسماعيلَ فآنكسر عمرو وآنهزم إلى بلخ، فوجد أبوابها مُغْلَقةً ثم فتحوا له ولجماعة معه؛ فلما دخل وثَب عليه أهل بلخ فأوثقوه وحملوه إلى إسماعيل فأكرمه إسماعيلُ ثم بعث به إلى المعتضد فخلع المعتضد

---

(١) في الأصل: «ونزل بالأمان» وما أثبتناه عن الطبري وعقد الجمان.

(٢) زيادة عن الطبري وعقد الجمان.

على إسماعيلَ خِلْعة السلطنة، وأُدخل عمرو بغدادَ على جمل ليشهّروه بها ثم حبسه المعتضد في مطمورة[١]، فكان يقول: لو أردت أن أعمَل على جَيْحونَ جسراً من ذهب لفعلتُ، وكان مطبخي يُحْمَل على ستمائة جمل، وأركب في مائة ألف، أصارني[٢] الدهرُ إلى القيد والذلّ! وقيل: إنه خُنِق قبل موت المعتضد بيسير.

وفيها ظهر بالبحرين أبو سعيد الجَنّابيّ[٣] القَرْمَطِيّ في أوّل السنة، وفي وسَطها قَوِيَتْ شوكتُه وانضمّ إليه طائفةٌ من الأعراب، فقتَل[٤] أهلَ تلك القرى وقصد البصرة، فبنى عليها المعتضد سوراً؛ وكان أبو سعيد هذا كَيّالاً[٥] بالبصرة. وجَنَّابَة من قُرى الأهواز، وقيل: من قرى البحرين[٦].

---

(١) المطمورة: سجن تحت الأرض.

(٢) في الأصل: «أصار في الدهر» وهو تحريف.

(٣) هو الحسن بن بهرام الجنّابي، أبو سعيد: كبير القرامطة ومعلن مذهبهم. كان أصحابه يسمونه «السيد». استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين. وكان شجاعاً داهية. قتله خادم له صقلبي في الحمام بهجر سنة ٣٠١هـ.

والقرمطي: نسبة إلى «قرمط». وقد اختلف في اسمه، فقيل: اسمه «حمدان» أو «الفرج بن عثمان» أو «الفرج بن يحيى» وقرمط لقبه. والنسّابون يضبطون لفظ «قرمط» بكسر القاف والميم بينهما راء ساكنة، واللغويون يفتحون القاف والميم. وقد عرف قرمط في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ فكان يظهر الزهد والتقشف واستمال إليه بعض الناس فأراهم كتاباً قيل أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم. يقول الفرج بن عثمان، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل». وفي الكتاب كثير من كلمات الكفر والتحليل والتحريم. وكثر أتباعه والسالكون في سبيله، فكان منهم زكرويه بن مهرويه وأبو سعيد الجنابي هذا، كلاهما في جهات القطيف والبحرين. وقام بنو القليص بن ضمضم (من بني كلب) بدعوته بين العراق والشام، وعلي بن الفضل في اليمن. ولا تزال بقايا القرامطة إلى اليوم في جبل «الكلبية» باللاذقية وفي «نجران» باليمن وفي «القطيف» غربي الخليج الفارسي. واندمج أكثرهم في الإسماعيلية والنصيرية وغيرهما من طوائف الباطنية. وقد تداخلت أخبار قرمط في كتب التاريخ بأخبار دعاته، والأرجح أنه هو الذي قبض عليه عامل الرحبة سنة ٢٩٣هـ وقتله المكتفي بالله العباسي. (الأعلام: ٢/١٨٥ و٥/١٩٤ وفيه ذكر مصادره).

(٤) في الأصل: «فقبل...» والتصحيح عن ابن الأثير وابن خلكان.

(٥) عبارة ابن الأثير، وعنه أخذ ابن خلكان: «وكان أبو سعيد المذكور يبيع للناس الطعام ويحسب لهم بيعهم».

(٦) في معجم البلدان: «من قرى بحر فارس». وفي ابن خلكان: «بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف».

قلت: وهذا أوّل(١) من ظهَر من القرامطة الآتي ذكرُهم في هذا الكتاب في عدّة مواطن. وهذا القَرْمَطِيّ هو الذي قتل الحَجِيجَ وآقتلع الحجر(٢) الأسود حسبما يأتي ذكرُه.

وفيها حضر مجلس القاضي موسى بن إسحاق قاضي الرَّيّ وكيلُ آمرأة آدّعى على زوجها صداقَها بخمسمائة دينار فأنكر الزوج؛ فقال القاضي: البيِّنة، فأحضرها الوكيلُ في الوقت، فقالوا: لا بدّ أن ننظر المرأة [وهي مُسْفِرَة لِتَصحّ عندهم معرفتُها](٣) فتتحقّق الشهادة؛ فقال الزوج: ولا بدّ؟ فقالوا: ولا بدّ؛ فقال الزوج: أيها القاضي عندي الخمسمائة دينار ولا ينظُر هؤلاء إلى آمرأتي [فأُخبرت بما كان من زوجها](٣)؛ فقالت المرأة: إني أُشهِد القاضيَ أنّني قد وهبت له ذلك وأبرأته منه في الدنيا والآخرة! فقال القاضي: تكتب هذه الواقعة في مكارم الأخلاق.

وفيها توفِّي إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم بن مِهْران، أبو بكر السرّاج النيسابوريّ مولى ثَقِيف؛ سمِع الإمام أحمد وصَحبه.

وفيها توفي الحسين(٤) بن سيّار، أبو علي البغداديّ الخيّاط؛ كان إماماً عارفاً بتعبير الرؤيا، وكانت وفاته في صفر؛ أسنَد عن أبي بلال الأشعريّ وغيره، وروَى عنه جماعة كثيرة.

وفيها توفي محمد بن يونس بن موسى بن سليمان بن عُبَيْد بن رَبيعة بن

---

(١) أبو سعيد الجنابي ليس أول من ظهر من القرامطة كما يذكر المؤلف هنا، بل أخذ الدعوة عن حمدان قرمط وإليه تنسب القرامطة. راجع الصفحة السابقة، حاشية (٣). وفي أصل القرامطة ومعتقدهم وتاريخهم انظر الفصل الذي عقده الدكتور علي سامي النشار في كتابه: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢/٤١٨ ـ ٤٦٥.

(٢) في شذرات الذهب ومعجم البلدان وابن الأثير أن الذي اقتلع الحجر الأسود وقتل الحجيج هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي وذلك في سنة ٣١٧هـ. وفي الطبري أن سليمان المذكور اقتلع الحجر الأسود في سنة ٣١٦هـ. وأبو سعيد المذكور توفي سنة ٣٠١هـ.

(٣) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية عن المنتظم لابن الجوزي.

(٤) كذا بالأصل. وفي عقد الجمان والبداية والنهاية: الحسن بن بشار. وفي المنتظم: الحسين بن بشار.

كُدَيم[١] أبو العباس الكُدَيْميّ القرشيّ البصريّ؛ حجّ أربعين حِجّة، وكان حافظاً مُتْقِناً وَرِعاً؛ مات ببغداد في نصف جُمادَى الآخرة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أحمد بن سَلَمة النَّيْسابوريّ الحافظ، وأحمد بن عليّ الخَزاز[٢]، وأبو سعيد الخَرْاز[٣] شيخ الصوفيّة، وأحمد بن المُعَلَّى [بن يزيد أبو بكر الأسديّ القاضي][٤] الدِّمَشْقيّ، وإبراهيم بن سُوَيْد الشاميّ، وإبراهيم [بن محمد][٥] بن بَرّة الصَّنْعانيّ، والحسن بن عبد الأعلى البَوْسِيّ أحد أصحاب عبد الرزّاق، وعبد الرحيم بن عبد الله البَرْقيّ، وعلي بن عبد العزيز البَغَويّ، ومحمد بن وضّاح القُرْطُبيّ[٦]، ومحمد بن يوسف البَنّاء الزاهد، ومحمد بن يونس الكُدَيْميّ، وأبو عُبَادة البُحْتُريّ الشاعر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وخمسَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وثماني أصابع.

* * *

السنة الرابعة من ولاية هارون على مصر

وهي سنة سبع وثمانين ومائتين:

فيها في المحرّم واقع صالح بن مُدْرِك كبيرُ عرب طيىء الحاجّ العراقيّ كما

---

(١) في الأصل: «ابن كريم» بالراء. وما أثبتناه عن أنساب السمعاني وعقد الجمان والبداية والنهاية والذهبي.

(٢) في الأصل: «الخرّاز» بالراء. والتصحيح من المشتبه في أسماء الرجال للذهبي.

(٣) هو أحمد بن عيسى الخرّاز. نسبته إلى خرز الجلود. قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. (الأعلام: ١/١٩١).

(٤) الزيادة عن تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٥) الزيادة عن الذهبي ومعجم البلدان.

(٦) في الأصل: «القرمطي». والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي. وهو محمد بن وضاح بن بزيع، أبو عبد الله، مولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام. من أهل قرطبة. (انظر الأعلام: ٧/١٣٣ ومصادره: بغية الملتمس: ١٢٣، وجذوة المقتبس: ٨٧، ولسان الميزان: ٥/٤١٦).

فعل بهم في العام الماضي، وكان في ثلاثة آلاف من عرب طيِّىء وغيرهم ما بين فارس وراجل، وكان أميرُ الحاج أبا الأغرّ، فأقاموا يقاتلونهم يوماً وليلة حتى هُزِم صالـح بن مدرك وقُتل معه أعيان طيّىء، ودخل الرّكب بغداد بالرؤوس على الرّماح وبالأَسْرى.

وفيها عظُم أمر القرامطة وأغاروا على البصـرة ونواحيهـا، فسار لحـربهم العبّاس بن عمرو الغَنَويّ فآلتقَوْا فأُسِر الغَنويّ وقُتِل خَلْق من جُنْده. ثم إنّ أبا سعيد القَرْمطيّ أطلَقه، وقال له: بلّـغ المعتضِدَ عنِّي رسالة ومضمونها: أنه يكُفّ عنه ويحفَظ حُرْمته، وقال: فأنا قَنِعت بالبرّيّة فلا يتعرّض لي[1].

وفيها مات صاحب طَبَرِسْتَانَ محمد[2] بن زيد العَلَويّ.

وفيها أوقـع بدر غلام الطائي بالقرامطة على غِرّة، فقتل منهم مَقْتلة عظيمة ثم تركهم خوفاً على السواد[3].

وفيها حـجّ بالناس محمد بن عبد الله بن ترنجة[4].

وفيها توفي أحمد بن عمرو بن [أبـي عاصم][5] الضحاك، القاضي أبو بكر الشَّيبانيّ الفقيه المحدّث وابن محدّث؛ ولي القضاء بأصبهان وصنّف علوم الحديث وكان عالماً بارعاً.

---

(١) قارن بابن الأثير (حوادث سنة ٢٨٧هـ). وقد ورد مضمون الرسالة باختلاف عما هنا.

(٢) هو محمد بن زيد بن إسماعيل بن الحسن العلوي الحسني: صاحب طبرستان والديلم. ولي الإمرة بعد وفاة أخيه الحسن بن زيد سنة ٢٧٠هـ وكانت في أيامه حروب وفتن، وطالت مدته. وكان شجاعاً فاضلاً عارفاً بالأدب والشعر والتاريـخ. أصابته جراحات قاتلة في واقعة له مـع محمـد بن هارون قـائد إسماعيل بن أحمد الساماني على باب جرجان. (انظر الطبري وابن الأثير: حوادث سنة ٢٨٧هـ. والوافي بالوفيات للصفدي: ٣/٨١).

(٣) في الأصل: «خوفاً على السودان» والتصحيـح من الطبري. وأضاف الطبري موضحاً ذلك: «... خوفاً على السواد أن يخرب، إذ كانوا فلاحيه وعماله، وطلب رؤساءهم في أماكنهم فقتل من ظفر به منهم...» والمراد بالسواد: قرى العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب.

(٤) راجـع ص ١٢٩، حاشية (٣).

(٥) زيادة عن شذرات الذهب وتاريـخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان.

وفيها توفي يعقوب بن يوسف بن أيوب، الشيخ أبو بكر المُطَّوِّعِيّ[١] الزاهد العابد، وعنه قال: كان وِرْدي في شبيبتي كلّ يوم وليلة أربعين ألف مرّة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نُبَيْط[٢]، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم أبو[٣] عليّ في [شهر] ربيع الآخر وله نيّف وثمانون سنة، ومحمد بن عمرو الحَوْشيّ[٤]، وموسى بن الحسن الجَلاجِليّ[٥]، وأبو سعد[٦] يحيى بن منصور الهَرَويّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وخمس وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الخامسة من ولاية هارون على مصر

وهي سنة ثمان وثمانين ومائتين:

فيها وقع وباء بأَذْرَبيجان فمات فيه خَلْق كثير وفُقِدت الأكفانُ فكُفِّن الناس في الأكسية واللُّبود ثم فُقِدت، وفُقِد من يَدفِنُ الموتى فكانوا يُطْرَحون على الطريق؛ ثم

---

(١) هذه النسبة إلى المطوّعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد ورابطوا في الثغور.

(٢) في الأصل: «يبنط» والتصحيح عن الذهبي.

(٣) كذا بالأصل. والمعروف أنه: أبو بكر، كما تقدم.

(٤) لم يذكره الذهبي في تاريخ الإسلام. والحوشي نسبة إلى «الحوش» وهي قرية من قرى اسفرايين. وفي أنساب السمعاني: ٢/٢٨٩، حاشية (٢) جاء ما نصّه: «أما من هو الحوشي حقاً فهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن الحوش الحوشي السعردي، نسب إلى (الحوش) في نسبه. راجع التعليق على الإكمال: ٢/١٦٥ و٣/٢٦٦».

(٥) كذا أيضاً في اللباب: بفتح الجيم. وفي أنساب السمعاني: بجيم أولى مضمومة. قال السمعاني: هذه النسبة إلى جلاجل، وهو شيء يصوّت. وفي معاجم اللغة أن الجلاجل: الصافي الصوت في شدّة، والغلام الخفيف الروح النشيط في عمله. قال السمعاني: وإنما قيل لأبي السريّ (موسى بن الحسن) الجلاجلي لحسن صوته. وقيل إن القعنبي قدمه في صلاة التراويح فأعجبه صوته. قال: فقال لي: كان صوتك به صوت الجلاجل فبقي عليه لقباً. قلت: والجلاجل جمع جلجل، وهو الجرس الصغير.

(٦) في الأصل: «أبو سعيد». وما أثبتناه عن الذهبي ومعجم البلدان.

وقـع الطاعون في أصحاب محمد بن أبـي الساج فمات لمحمد مائتا ولد وغلام[١]، ثم مات محمد بن أبـي السّاج المذكور بمدينة أَذْرَبِيجان، وكان يُلقّب بالأَفْشِين[٢]، فآجتمـع غِلمانُه وأمّروا عليهم آبنه ديوْدَاد فاعتزلهم أخوه يوسف بن أبـي الساج وهو مخالفٌ لهم.

وفيها حـجّ بالناس هارون[٣] بن محمد بن العباس بن إبراهيم بن عيسى بن أبـي جعفر المنصور.

وفيها كانت زَلزلة. قال أبو الفرج بن الجَوْزيّ: [ورد الخبر بأنه مات تحت الهدم في يوم واحد أكثرُ من ثلاثين ألفَ إنسان ودام عليهم هذا أيّاماً فبلَـغ من هلك خمسين ومائةَ ألفٍ][٤] وقيل: كان ذلك في العام الماضي.

وفيها قدِم المعتضدُ العراقَ ومعه وَصِيفٌ خادم محمد بن أبـي السَّاج، وكان قد عصَى عليه بالثغور، فأسَره وأُدخل على جمل، ثم توفِّي بالسجن بعد أيام فصُلِبتْ جثتُه على الجسر.

وفيها ظهر أبو عبد[٥] الله الشِّيعيّ بـالمغرب ونـزل بكُتَامَـة[٦] ودعاهم إلى

(١) في شذرات الذهب: «وسبعمائة من خواصه وأقربائه».

(٢) قال صاحب الأعلام: ١١٧/٧. حاشية: الإفشين ــ بكسر الهمزة ــ يونانية من فعل «إفخومية» ومعناه الدعاء والابتهال. وفي ابن خلكان أن همزة «الأفشين» تفتح وتكسر. والأفشين: لقب لقب به قبل الإسلام الأمراء الوطنيون لأشروسنة، وهي الكورة الجبلية التي بين سمرقند وخجندة. (دائرة المعارف الإسلامية: ٥٩١/٣، والألقاب الإسلامية: ١٦٣).

(٣) كذا في الطبري وابن الأثير وعقد الجمان والمسعودي. وفي الأصل: «محمد بن هارون» وهو خطأ.

(٤) زيادة عن المنتظم لابن الجوزي.

(٥) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، أبو عبد الله المعروف بالشيعي: ممهد الدولة للعبيديين وناشر دعوتهم بالمغرب. أمر عبيد الله المهدي بقتله سنة ٢٩٨هـ بعد أن استثقل وطأته وتحكمه وانقياد كتامة إليه: أمر المهدي اثنين من رجاله بقتله وقتل أخ له يعرف بأبـي العباس، فوقفا لهما عند باب القصر، وحمل أحدهما على الشيعي فقال له: لا تفعل! فقال: الذي أمرتنا بطاعته أمر بقتلك! وأجهز عليه. وكان ذلك في مدينة رقادة من أعمال القيروان. (ترجمة أبـي عبد الله الشيعي وأخباره تجدها في: البيان المغرب: ١٢٤/١ ــ ١٦٤، والحلّة السيـراء: ١٩٤/١ ــ ١٩٦، ووفيـات الأعيـان: ١٩٢/٢ ــ ١٩٣، وابن خلدون: ٣٦٢/٣ و ٣١/٤ ــ ٣٧).

(٦) قال القلقشندي في نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٣٦٣: «هم بطن من البرانس من البربر؛ =

المهديّ عبيد الله ــ أعني بعبيد الله جَدَّ الخلفاء الفاطميّة ــ.

وفيها توفي ثابتٌ بن قُرّة، العلامة أبو الحسن المهندس، صاحب التصانيف في الفلسفة والهندسة والطِّب وغيره؛ كان فاضلاً بارعاً في علوم كثيرة، ومولده في سنة إحدى و[عشرين][١] ومائتين.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي إسحاق بن إسماعيل الرَّمْلي[٢] بأَصْبهان، وبِشْر بن موسى الأَسَديّ، وجعفر بن محمد بن سوّار الحافظ، وأبو القاسم عثمان بن سَعيد بن بَشّار[٣] الأنْماطيّ شيخ ٱبن سُرَيج[٤]، ومُعَاذ بن المُثَنَّى العَنْبريّ، وخلق سواهم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستُّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وأربعُ أصابع.

* * *

السنة السادسة من ولاية هارون على مصر

وهي سنة تسع وثمانين ومائتين:

= وهم بنو كتامة بن برنس بن بربر. وقال الطبري: هم من حمير وليسوا من قبائل البربر، خلفهم إفريقس الذي تنسب إليه إفريقية، وحينئذ يكونون معدودين في جملة العرب» ــ كذلك عدهم السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول في كتابه «طرفة الأصحاب»، ص ٧١، من قبائل حمير. قال: وفي الغرب من قبائل حمير خلق كثير، ومنهم كتامة وعهامة وزناتة ولواتة وصنهاجة.

(١) زيادة ضرورية عن ابن خلكان وعقد الجمان.

(٢) نسبة إلى مدينة «الرملة» بفلسطين.

(٣) في الأصل: «يسار» وهو تصحيف. والتصحيح عن ابن خلكان وشذرات الذهب. والأنماطي: نسبة إلى الأنماط وبيعها، وهي البُسُط التي تفرش وغير ذلك من آلة الفرش من الأنطاع والوسائد.

(٤) هو أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس. فقيه الشافعية في عصره. له نحو ٤٠٠ مصنف. وكان يلقب بالباز الأشهب. قام بنصرة المذهب الشافعي فنشره في أكثر الآفاق حتى قيل: بعث الله عمر بن عبد العزيز على رأس المائة من الهجرة فأظهر السنّة وأمات البدعة، ومنّ الله في المائة الثانية بالإمام الشافعي فأحيى السنّة وأخفى البدعة، ومنَّ بابن سريج في المائة الثالثة فنصر السنن وخذل البدع.

فيها فاض البحر على الساحل فأخرب البلاد والحصونَ [التي عليه][١]. وفيها في [شهر] ربيع الآخر آعتلّ الخليفةُ المعتضِد بالله عِلّةً صعبةً وهي العلة التي مات بها؛ فقال عبد الله بن المعتزّ في ذلك: [الرمل]

طار قلبِي بجَناح الوَجِيبِ[٢] جزَعاً من حادثات الخطوبِ
وحِذَاراً أن يُشاكَ بسوء أسَدُ المُلك وسيفُ الحروبِ

ثم آنتكس ومات في الشهر، وتخلّف بعده ولدُه المكتفِي بالله أبو محمد عليّ. وليس في الخلفاء من آسمه عليّ غير عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ وهذا[٣].

وفيها في شهر رجب زُلْزِلت بغدادُ زلزلةً عظيمة دامت أيّاماً.

وفيها هَبَّت ريحٌ عظيمة بالبصرة قلعت عامّة نخلها ولم يُسمع بمثل ذلك.

وفيها آنتشرت القَرَامِطَةُ بسَوَاد الكوفة، وكان رئيسُهم يقال له آبن[٤] أبي الفوارس، فظفِر به عسكرُ المعتضد ــ أعني قبل موت المعتضد ــ فحُمل هو وجماعة معه إلى بغداد فعُذِّبوا بأنواع العذاب ثم صُلبوا وأُحرقوا؛ وأمّا كبيرُهم ابنُ أبي الفوارس المذكور فقُلعتْ أضراسُه ثم شُدّ في إحدى يديه بَكَرَةٌ وفي الأخرى صَخْرة، ورُفعت البكرة ثم لم يزل على حاله إلى وقت الظّهر؛ ثم قُطعت يداه ورِجلاه وضُربت عنقه.

وفيها حجّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك بن عبد الله العباسيّ.

وفيها توفِّي الخليفةُ أمير المؤمنين المعتضد بالله، أبو العباس أحمد ابن الأمير وليّ العهد أبي أحمد طلحة الموفَّق ابن الخليفة المتوكِّل على الله جعفر ابن الخليفة

---

(١) زيادة عن عقد الجمان.
(٢) في الأصل: «الرحيب» وهو تحريف. والتصحيح عن ديوان ابن المعتز وتاريخ الخلفاء للسيوطي.
(٣) لعله ينقل هنا عن الصولي الذي أضاف: «. . . ولا من يكنى أبا محمد سوى الحسن بن علي، والهادي، والمكتفي» (تاريخ الخلفاء للسيوطي).
(٤) كذا أيضاً في الطبري. وفي ابن الأثير: أبو الفوارس.

المعتصم بالله محمد آبن الخليفة الرشيد بالله هارون آبن الخليفة المهديّ محمد آبن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشميّ العباسيّ البغداديّ؛ ومولدُه في سنة آثنتين وأربعين ومائتين في ذي القَعْدة[١] في أيام جَدّه المتوكِّل؛ وآستُخلف بعده عمّه المعتمِد أحمد في شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. قال إبراهيم [بن محمد][٢] بن عرفة: وتوفِّي المعتضد في يوم الاثنين لثمانٍ بَقِين من [شهر] ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ودُفن في حُجرة الرخام[٣] وصلّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي، وكانت خلافتُه تسعَ سنين وتسعةَ أشهر ونصفاً. قلت: وبُويع بالخلافة بعده ولدُه عليّ بعهد منه، ولُقّب بالمكتفي. وكان المعتضد شجاعاً مَهيباً أسمر نحيفاً معتدِلَ الخَلْق ظاهرَ الجبروت وافرَ العقل شديدَ الوطأة، من أفراد خلفاء بني العباس وشجعانهم، كان يتقدّم على الأسد وحده [لشجاعته][٤].

وقال المسعوديّ[٥]: كان المعتضد قليلَ الرحمة، قيل: إنه كان إذا غضب على قائد أمر أن تُحفَر له حَفيرة ويُلقى فيها وتُطَمّ عليه، قال: شكّوا في موت المعتضد فتقدّم الطبيب فجسّ نبضَه[٦] ففتح عينه ورفَس الطبيبَ برجله فدَحاه أذرعاً فمات الطبيبُ، ثم مات المعتضدُ أيضاً من ساعته. هكذا نقل المسعوديّ. ورثاه الأمير عبد الله بن المعتزّ العبّاسيّ فقال: [البسيط]

---

(١) في ابن الأثير: «ذي الحجة». وفي تاريخ الخلفاء: «في ذي القعدة». وعن الصولي نقل السيوطي أنه ولد في ربيع الأول سنة ٢٤٣هـ.

(٢) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية عن المنتظم. ولعل المراد به إمام النحو المعروف بنفطويه. له «كتاب التاريخ» و«كتاب الوزراء». (الأعلام: ١/ ٦١).

(٣) في عقد الجمان والمسعودي: «وقد كان أوصى أن يدفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، في الجانب الغربي من الدار المعروفة بدار الرخام».

(٤) زيادة عن تاريخ الخلفاء.

(٥) مروج الذهب: ٤/ ٢٣٢. والمؤلف ينقل هنا عن المسعودي باختصار وببعض تصرف.

(٦) في الأصل: «نبطه». وعبارة المسعودي: «فتقدم الطبيب إلى بعض أعضائه فجسّه، فأحسّ به وهو على ما به من السكرات، فأنف من ذلك وركله برجله فقلبه أذرعاً».

يا(١) ساكنَ القبر في غَبْرَاء مُظْلِمةٍ ... بالظاهريّة(٢) مُقْصَى الـدار منفردا
أين الجيوشُ التي قد كنتَ تسحبها(٣) ... أين الكنوز التي لم تُحْصِها(٤) عَدَدا
أين السرير الذي قد كنت تملؤه ... مَهابـةً من رأتـه عينُـه آرتعـدا
أين الأعادي الأُلى ذلَّلت مُصْعَبَهم ... أين الليوث التي صيّرتها بَعَدا(٥)
أين الجِيَـادُ التي حجّلْتَهـا بـدَم ... وكنَّ يحمِلْنَ منك الضَّيْغَم الأسدا
أين الـرماح التي غَـذَّيتهـا مُهَجـاً ... مُذْ مِتَّ ما وردت قلبـاً ولا كِبدا
أين الجِنان التي تَجْرِي جداولُها ... وتَستجيب إليهـا الطائـرَ الغَـرِدا
أين الوصائف كالغِزلان رائحةً(٦) ... يَسحبن من حُلَلٍ مَـوشيّةٍ جُـدُدا
أين الملاهي وأين الراح تَحسَبها ... يـاقـوتـةً كُسِيَتْ من فِضّـةٍ زَرَدا
أين الـوثوبُ إلى الأعـداء مُبتغيـاً ... صلاَحَ مُلْكِ بني العبّاس إذ فسدا
مـا زلت تَقسِر منهم كـلَّ قَسْوَرَةٍ ... وتَخْبِط(٧) العـاليَ الجبّارَ معتمـدا
ثم آنقضيتَ فـلا عينٌ ولا أَثَـرٌ ... حتى كأنك يـوماً لم تكن أحـدَا

وفيها خرج يحيى بن زَكْرَوَيْهِ بن مَهْرَوَيْهِ داعيةُ قَرْمَط وجمع جموعاً كثيرة من الأعراب، وكانت بينه وبين طُغج بن جُفّ نائب هارون بن خمارويه على الشام وقَعاتٌ عديدة، تقدّم ذكر ذلك كله في أوّل ترجمة هارون المذكور.

---

(١) مطلع القصيدة:
يـا دهرُ ويحـك مـا أبقيتَ لي أحـدا ... وأنـت والـد سـوءٍ تـأكـلُ الـولـدا
أسـتـغـفـر الله، بـل ذا كله قـدرٌ، ... رضـيـتُ بـالله ربـاً واحـداً أحـدا

(٢) كذا في الأصل وفي ديوان ابن المعتز وتاريخ الخلفاء. وقد أثبتها محقق طبعة دار الكتب المصرية بـ «الطاهرية» بالطاء المهملة. قال: وهو الملائم، لأنه دفن بدار محمد بن عبد الله بن طاهر، وهو الحريم الطاهري في الجانب الغربي من بغداد.

(٣) في تاريخ الخلفاء: «تنجبها».

(٤) كذا في ديوانه. وفي الأصل وتاريخ الخلفاء: «أحصيتها».

(٥) كذا في الأصل. وبَعَد بالتحريك: جمع باعد، أي هالك. وفي ديوانه: «نقداً». والنَّقَد بالتحريك: جنس من الغنم قبيح الشكل صغير الأرجل. وفي تاريخ الخلفاء: «بَدَدَا».

(٦) في تاريخ الخلفاء: «راتعة».

(٧) كذا في ديوانه. وفي الأصل: «تحبط» بالحاء المهملة. وفي تاريخ الخلفاء: «وتحطم العاليَ». وفي البداية والنهاية: «وتحطم العاتي».

وفيها صلّى المكتفِي بالناس يوم عيد النحر وكان بين يديه ألويةُ الملوك، وترجّل الملوكُ والأمراءُ بين يديه ما خلا وزيرَه القاسم بن عُبَيد الله فإنه ركِب وسايرَه دون الناس؛ ولم يُرَ قبل ذلك خليفةٌ يسايره وزيرٌ غيره.

قلت: وهذا أوّل وَهْنٍ وقع في حقّ الخلفاء. وأنا أقول: إنّ المعتضِد هو آخر خليفة عقد ناموسَ الخلافة، ثم من بعده أخذ أمرُ الخلفاء في إدبارٍ إلى يومنا هذا.

وفيها توفِّي بدر[١] المعتضِديّ؛ كان يَخدُم المعتضِدَ والموفَّقَ وأباه المتوكِّل، وأصلُه من غِلْمان المتوكّل فرفعته السعادة. قال يحيى[٢] بن عليّ النّديم: كنتُ واقفاً على رأس المعتضِد وهو مُقطِّب فدخل بدر فأَسْفَر وجهُه لمّا رآه وضحِك، ثم قال لي: يا يحيى، من القائل: [البسيط]

في وجهه شافعٌ يمحو إساءتَه ... من القلوب وجيهٌ حيثما شَفَعَا

فقلت: الحَكَم[٣] بن قَنْبَر المازِنيّ؛ فقال: أنشدْني تَمَامَه، فأنشدتُه:

وَيْلِي على من أطارَ النومَ فأمتنعا[٤] ... وزاد قلبي على أوجاعه وجَعَا
كأنما الشمسُ من أعطافه لَمعتْ ... حُسْناً أوِ البدرُ من أزراره طلعَا[٥]

---

(١) وسبب موته أن القاسم بن عبيد الله الوزير كان قد عزم في حياة المعتضد على أن يصرف الخلافة عن أولاد المعتضد، وفاوض في ذلك بدراً لكونه رأس الجيش فامتنع عليه وأبى إلا البيعة لأولاد مولاه، فلما ولي المكتفي ــ وكان المكتفي مباعداً لبدر في حياة أبيه ــ خاف الوزير من غائلة ما كان أسرّ به إلى بدر، فعمل عليه في الباطن إلى المكتفي، ولم يزل حتى احتاط الخليفة على حواصله وأمواله وهو بواسط، ثم بعث إليه بالأمان فقدم، فأمر الوزير بقتله. (انظر الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية وعقد الجمان: حوادث سنة ٢٨٩هـ).

(٢) هو أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المعروف بالمنجم. كان في أول أمره نديم الموفق، ثم نادم الخلفاء بعد الموفق واختص بمنادمة المكتفي، وعلت رتبته عنده وتقدم على خواصه وجلسائه. وكان متكلماً معتزلي الاعتقاد. توفي سنة ٣٠٠هـ. (وفيات الأعيان: ١٩٨/٦).

(٣) في المسعودي: «الحكم بن قنبرة المازني» وفي ابن خلكان: «الحكم بن عمرو الشاري». وفي البداية والنهاية: «الحسن بن منير المازني البصري».

(٤) كذا في الأصل والمسعودي وابن خلكان. وفي البداية والنهاية: «لهفي... فامتنعا». وفي الأغاني: «وامتنعا».

(٥) رواية الأغاني:

=

مُسْتَقْبَلٌ بالذي يَهْوَى وإن كثُرتْ منه الذنوبُ ومعذورٌ بما صنعا
في وجهه شافعٌ يمحو إساءتَه من القلوب وجيهٌ حيثما شفعا

وكان بدرٌ هذا شجاعاً ممدَّحاً جواداً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبعُ أذرع سواء، مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وستَّ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة السابعة من ولاية هارون على مصر

وهي سنة تسعين ومائتين:

فيها في المحرّم قصد يحيى بن زَكْرَوَيْهِ القَرْمَطِيّ الرَّقَّةَ في جمع كثير؛ فخرج إليه أصحابُ السلطان فقتل منهم جماعةً وآنهزم الباقون؛ فبعث طُغْج بن جُفّ أمير دمشق من قِبل هارون بن خُمَارويه صاحب الترجمة جيشاً مع خادمه بَشير إلى القَرْمطيّ، فواقَعهم القَرْمطيّ وقتل بشيراً وهزَم الجيشَ.

وفيها أيضاً خلع الخليفةُ المكتفِي على أبي الأغَرّ وبعثه في عشرة آلاف لقتال القَرْمطيّ.

وفيها حصَر القرمطيُّ دمشق وفيها أميرُها طُغج بن جُفّ فعَجَز طغج عن مقاومته بعد أن واقعه غيرَ مرّة؛ وقُتِل يحيى بن زَكْرَوَيْهِ كبيرُ القرامطة؛ فأقاموا عليهم أخاه الحسين بن زكرويه؛ وبلغ المكتفي [ذلك] فآستحثّ العساكر المندوبة لقتال القرامطة بالخروج لقتالهم، فتوجه إليهم أبو الأغرّ وواقَع القرامطةَ فآنهزم أبو الأغرّ، وقُتل غالبُ أصحابه؛ وتَبِعه القرمطيّ إلى حَلَب، فقاتَله أهلُ حلب.

= كأنما الشمس في أثوابه بزغت حسناً أو البدر في أردائه طلعا

ورواية البداية والنهاية:

« .... من أردائه لمعا»

وفيها توفِّي عبد الله ابن الإمام أحمد بن محمد بن حَنْبل، أبو عبد الرحمن الشَّيْبانيّ؛ مولده سنةَ ثلاثَ عشرةَ ومائتين، ولم يكن في الدنيا أحد أروَى عن أبيه منه، وسمع منه المُسْنَد وهو ثلاثون ألفَ حديث، والتفسيرَ مائةً وعشرين ألفاً، والناسخَ والمنسوخ [والمقدَّمَ والمؤخرَ في كتاب الله][1]، وجوابات القرآن، والمناسك الكبير والصغير؛ وكان عالماً بفنون [كثيرة][1]؛ وكان أبوه يقول: لقد وَعَى عبدُ الله عِلْماً كثيراً.

وفيها توفِّي عبد الله بن أحمد بن أَفْلَح بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق، أبو محمد القاضي البكريّ؛ كان إماماً عالماً بارعاً.

وفيها توفّي محمدُ بن عبد الله، الشيخ أبو بكر الدّقاق؛ كان من كِبار مشايخ القوم وكان صاحبَ أقوال وكَرَامات.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أحمد بن علي الأَبَّار، والحسن بن سَهْل المُجَوِّز[2]، والحسين بن إسحاق التُّسْتَرِيّ، وعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، ومحمد بن زكريا الغَلابيّ الإخباري[3]، ومحمد بن العباس المؤدِّب، ومحمد بن يحيى بن المُنْذِر القَزّاز[4] أحد شيوخ الطّبراني.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستُّ أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثلاثَ عشرةَ ذراعاً وأربعُ أصابع.

* * *

(١) زيادة عن عقد الجمان والبداية والنهاية.

(٢) في الأصل: «المحوّز» بالحاء المهملة. والتصحيح عن الذهبي وأنساب السمعاني.

(٣) من كتبه: «الأجواد» و«أخبار فاطمة ومنشأها ومولدها» وكتاب «صفين».

(٤) في الأصل: «القراء». والتصحيح عن الوافي بالوفيات للصفدي وشذرات الذهب.

السنة الثامنة من ولاية هارون على مصر

وهي سنة إحدى وتسعين ومائتين:

فيها قُتل الحسين بن زَكْرَوَيْهِ القَرْمَطِيّ المعروف بصاحب الشامة.

وفيها زوّج المكتفي ولَده أبا أحمد[١] بآبنة وزيره القاسم بن عُبَيد الله؛ وخطب أبو عمر[٢] القاضي، وخَلَع على القاسم أربعمائة خلعة، وكان الصّداق مائة ألف دينار.

وفيها خرجت الترك إلى بلاد المسلمين في جيوش عظيمة، يقال: كان معهم سبعُمائة خركاة تركيّة[٣]، ولا تكون الخركاة إلا لأمير، فنادى إسماعيلُ بن أحمد في خُرَاسان وسِجِسْتان وطَبَرِسْتَان بالنَّفِير وجهَّز جيوشَه فوافَوْا التركَ على غِرّة سَحَراً فقتلوا منهم مَقْتلةً عظيمة وانهزم من بَقِي، وغنم المسلمون وسلِموا وعادوا منصورين.

وفيها بعث صاحبُ الروم جيشاً مبلغُه مائة ألف فوصلوا إلى الحَدَث[٤] فنهبوا وسبَوْا وأحرقوا.

وفيها غزا غلام زُرافة من طَرَسُوس إلى الروم فوصل إلى أَنْطَاكيَة. وهي تعادل[٥] قُسْطَنْطِينِيَة ــ فنازَلها إلى أن آفتتحها عَنْوة وقتل نحواً من خمسة آلاف وأسر أضعافهم وآستنقذ من الأسر أربعة آلاف مسلم، وغنِم من الأموال ما لا يُحصى بحيث إنه أصاب سهمُ الفارس ألفَ دينار.

وفيها خلَع المكتفِي على محمد بن سليمان الكاتب وعلى محمد بن

---

(١) واسمه محمد، كما في الطبري.

(٢) كذا في الطبري وابن الأثير وعقد الجمان. وفي الأصل: «عمرو».

(٣) الخركاه: الخيمة. انظر ص ٣٦٩ من هذا الجزء، حاشية (٣).

(٤) الحدث، بالتحريك: مدينة صغيرة وقلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور الشامية. ويقال لها: الحدث الحمراء لأن تربتها جميعاً حمراء.

(٥) في الأصل: «فوصل إلى أنطاكية ثم إلى قسطنطينية» وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير. ولم يذكر أحد من المؤرخين أنه وصل إلى القسطنطينية.

إسحاق بن كُنْداج وعلى أبـي الأغرّ[١] وعلى جماعة من القوّاد، وأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان المذكور، وندَب الجميعَ بالمسير إلى دِمَشق لقبض ما كان بيد هارون بن خُمارويه صاحب الترجمة من الأعمال، لأنه كانت الوحشةُ قد وقعت بينهما.

وفيها حَجّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك الهاشميّ العباسيّ.

وفيها تُوفِّي إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل[٢]، الشيخ أبو إسحاق الخَوّاص البغداديّ؛ كان أوْحَدَ أهل زمانه في التوكُّل، صحِب أبا عبد الله المَغرِبـيّ، وكان من أقران الجُنَيْد، وله في الرياضاتِ والسياحات[٣] مقاماتٌ.

وفيها توفِّي أحمد بن يحيى بن زيد بن سَيّار[٤] أبو العبّاس الشَّيْباني مولاهم، ثعلب النحويّ إمام أهل الكوفة؛ مولدُه في سنة مائتين.

وفيها توفِّي الوزير القاسم بنُ عبيد الله وزير المعتضد والمكتفي؛ كان شابًّا[٥] غِرًّا قليلَ الخِبرة بالأمور[٦] مستهتِكاً للمَحَارم؛ وإنما آستوزره المكتفِي لأنه أخذ له البيعة وحفِظ عليه الأموالَ.

---

(١) واسمه خليفة بن المبارك السلمي، كما في الطبري والمسعودي.

(٢) كذا في الأصل وعقد الجمان والأعلام (عن تاريخ بغداد وطبقات الصوفية). وسماه الشعراني في طبقاته: إبراهيم بن إسماعيل. وفي تاريخ الإسلام للذهبي: «إبراهيم بن أحمد بن إسحاق». وفي المنتظم لابن الجوزي: «إبراهيم بن أحمد بن سليمان».

(٣) الرياضات والسياحات: مصطلحان صوفيان.

(٤) في الأصل: «ابن سنان» وهو تحريف. وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان. وفي بغية الوعاة للسيوطي ومعجم الأدباء لياقوت: «ابن يسار» وفي شذرات الذهب: «أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني».

(٥) في الأصل: «شاعراً باغزاً» وهو تحريف. وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي.

(٦) لعل هذا رأي الذهبي. ويقول ابن الطقطقي في الفخري ٢٥٧: «كان القاسم بن عبيد الله من دهاة العالم ومن أفاضل الوزراء. وكان شهماً فاضلاً لبيباً محصلاً كريماً مهيباً جباراً. وكان يُطعن في دينه». وعنه يقول المسعودي في مروج الذهب ٢٨١/٤: «كان عظيم الهيبة شديد الإقدام، سفاكاً للدماء. وكان الكبير والصغير على رعب وخوف منه، لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه».

وفيها توفِّي هارون بن موسى بن شَرِيك، أبو عبد الله التَّغْلَبيّ[١]، الأخفش الشاميّ النحويّ اللغويّ؛ ولد سنةَ مائتين، سمِع هشامَ بن عَمّار وطبقتَه، وكان إماماً في فنون كثيرة بارعاً مفنِّناً؛ ولما مات جلس مكانه محمد بن نُصَيْر بن أبي حَمْزة. وهذا هو الأخفش الشاميّ[٢]. وأما الأخفش البَصْريّ فآسمُه سعيد[٣] بن مَسْعَدة. قلت: وثَمّ أخفش[٤] ثالث وفاته سنةَ خمسَ عشرةَ وثلاثمائة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو العبّاس ثعلب ــ واسمه أحمد بن يحيى ــ في جُمَادَى الأولى وله إحدى وتسعون سنة، وهارونُ بن موسى بن شَرِيك الأخفش المُقْرِىء، وعبد الرحمن بن محمد بن مُسْلِم[٥] الرّازي، ومحمد بن أحمد بن النَّضْر آبن بنت معاوية، ومحمد بن إبراهيم البُوشَنْجِيّ الفقيه، ومحمد بن علي الصائغ[٦] المكيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعُ أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وإصبعٌ واحدة ونصف إصبع.

---

(١) في الأعلام (عن مصادره): «التغلبي».

(٢) ويعرف بالأخفش الدمشقي، وأخفش باب الجابية (من أحياء دمشق). كان شيخ القراء بدمشق، قيماً بالقراءات السبع، عارفاً بالتفسير والنحو والمعاني والغريب والشعر.

(٣) وهو الأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة المجاشعي المتوفى سنة ٢١٥هـ. نحوي عالم باللغة والأدب. وهو الذي زاد في العروض بحر «الخبب» أو المتدارك. وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر.

(٤) هو الأخفش الأصغر: علي بن سليمان بن الفضل. نحوي من العلماء، من أهل بغداد. له تصانيف منها: شرح سيبويه، والأنواء، والمهذب. قلت: وثَمَّ أخفش رابع، وهو الأخفش الأكبر: عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة. من كبار العلماء بالعربية. وهو أول من فسّر الشعر تحت كل بيت؛ وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها. والأخفش الأكبر هذا توفي سنة ١٧٧هـ.

(٥) في الأصل: «سالم» وهو تحريف. وما أثبتناه من تاريخ الإسلام للذهبي والوافي بالوفيات للصفدي.

(٦) في الأصل: «ابن الصانع» وهو تحريف. وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام والبداية والنهاية. وفي شذرات الذهب: «محمد بن علي بن زيد الصائغ».

ذكر ولاية شيبان بن أحمد بن طولون على مصر[١]

هو شَيْبان بن أحمد بن طولون الأمير أبو المَقَانب[٢] التركيّ المصري؛ وَلِيَ إمْرةَ مصر بعد قتل ابن أخيه هارون بن خُمَارويه لإحدى[٣] عشرةَ بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

قال صاحب البُغْية[٤]: ولما تم أمرُه أقرّ شيبانُ المذكور موسى [بن طونيق][٥] على شُرطة مصر، وخرج من الفُسطاط ليلةَ الخميس لليلةٍ خلَت من [شهر] ربيع الأوّل سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فكانت ولايتُه اثنيْ عشرَ يوماً. انتهى.

قلت: ونذكر أمرَ شيبان هذا بأوسعَ مما ذكره صاحبُ البغية فنقول: ولما قُتل هارون بن خُمارويه ورجع الناس إلى مصر وهم بغير أمير نهض شيبانُ هذا ودعا لنفسه وضمِن لهم حسنَ القيام بأمر الدولة والإحسان إليهم، فبايَعه الناسُ وهو لا يَدري بأن الدولة الطُّولُونية قد انتهى أمرها. وما أحسن قولَ من قال في هذا المعنى: [البسيط]

أصبحتَ تطلبُ أمراً عَزَّ مطلبُه   هيهات! صَدْعُ زُجاجٍ ليس يَنْجبِرُ

---

(١) ولاة مصر للكندي: ٢٧٠، وخطط المقريزي: ٣٢٢/١، وحسن المحاضرة: ١٣/٢، والمغرب في حلى المغرب (قسم مصر): ١٤٥/١، ومعجم زامباور: ٤٢، ١٤٣، وكتب التاريخ العام.

(٢) كذا أيضاً في الكندي. وفي المقريزي: «أبو المواقيت». وفي حسن المحاضرة: «أبو المغانم»، وفي معجم زامباور: «أبو المناقب».

(٣) في الكندي والمقريزي: «لعشر بقين من صفر».

(٤) وهو كتاب «البغية والاغتباط فيمن ولي مصر الفسطاط» لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد الهاشمي الإخباري.

(٥) زيادة عن الكندي.

وقام شيبانُ بالأمر ودخل المدينةَ وطاف بها حتى وصل إلى الموضع المعروف بمسجد الرُّمْح، فصدم الرمحُ الذي فيه لِواؤُه سقفَ الدّرب فآنكسر، فتطيّر الناسُ من ذلك وقالوا: أمر لا يتمّ. وقيل: إن شيبان المذكور كان أسَرّ في نفسه قتلَ آبن أخيه هارون المقدّم ذكرُه، فتهيّأ لذلك وواطَأ عليه بعضَ خاصّة هارون، فكان شيبانُ ينتظر الفرصةَ؛ وبينما شيبانُ على ذلك إذ صار إليه بعضُ الخدم الذين واطَأهم على أمر هارون، وبايَعوه على قتله وأعلموه أن هارونَ قد غطّ في نومه من شدّة السُّكْر، وأنه لم يُرَ في مثل حالته تلك قطُّ من شدّة السكر الذي به، وقالوا له: إن أردتَ شيئاً فقد أمكنك ما تُريد؛ فقام شيبان ودخل من وقته على آبن أخيه هارون بن خمارويه، فوافاه في مَرْقَده غاطًّا مُثْقَلاً من سكره، فذَبحه[١] بسِكّين كان معه في مَرْقده بالعَبّاسة، وكان ذلك في ليلة الأحد لإحدى عشرةَ ليلةً بقيت من صفر سنة آثنتين وتسعين ومائتين؛ وعرَف الناسُ بقتله في غَدِ ليلته، وآستولى شيبانُ على المُلك كما ذكرناه؛ وبُويع في يوم الاثنين لعشر ليالٍ بَقِين من صفر من السنة المذكورة؛ وعلم أبو جعفر بن أَبَّـى ونَجِيح الروميّ القائد ما كان من أمر هارون وقَتْله، فرحلا من موضعهما من العَبّاسة مع نفر من خاصّة أصحابهما وتركا بقيّة عسكرهما، ولحِقا بعسكر طُغْج بن جُفّ الذي كان نائب دمشق؛ وقد وصل محمد بن سليمان الكاتب وفائق ويُمْن وغيرُهم من موالي خمارويه وأخبروهم بذلك، ثم جاءهم الخبرُ بأن الحسين بن حَمْدان قد دخل الفَرَما[٢] يريد جَرْجِيرَ[٣] وكانوا بها فرحلوا بعساكرهم حتى نزلوا العَبّاسةَ، وذلك بعد رَحيل شيبان بن أحمد بن طولون المذكور عنها إلى مدينة مصر.

وأما شيبان فإنه لما دخل مصر مع جميع إخوته وبني عمّه والعسكر الذي كان

---

(١) ليست هذه الرواية الوحيدة عن مقتل هارون، فقد ذكر أبو المحاسن غيرها. (راجع ص ١٢٤ ــ ١٢٥) وهو هنا يتفق مع رواية الكندي الذي ذكر أن شيبان وعديّ ابني أحمد بن طولون اشتركا في قتل هارون.

(٢) الفرما: مدينة قديمة بين العريش والفسطاط، قرب قطية وشرقي تنّيس على ساحل البحر على يمين القاصد لمصر، وبينها وبين بحر القلزم (الأحمر) أربعة أيام.

(٣) موضع بين مصر والفرما.

بَقِي من عسكر آبن أخيه هارون تهيّأ لقتال القوم. وكان شيبان أهوجَ جسوراً جسيماً جَلْداً شديدَ البدن في عُنْفوان شبابه، فصار يُسرع في أموره وذلك بعد أن تمّ أمرُه، وخُطب له يوم الجمعة على سائر منابر مصر. ثم أخَذ في العطاء للجند، فلم يجد من المال سَعَةً فقلِق. فسعى إليه ساعٍ بأن أمَّ هارون المقتول أودعت ودائـعَ لها في بعض الدُّور التي للتّجار بمدينة الفُسْطَاط ــ أعني مصرَ ــ فوجّه شيبانُ بأبـي جيشون أحد إخوته إلى هذه الدّور حتى آستخرج منها خبايا كانت لأُمّ هارون، وحمَل ذلك إلى أخيه شيبان في أَعْدالٍ محزومـة لا يُدْرَى مـا فيها[1]؛ وآنتهى الخبـرُ إلى الحسين بن حَمْدان بأن هارون صاحب مصر قد قُتِل، وكان على مقدِّمة عسكر محمد بن سليمان الكاتب وهو بجَرْجِير، فرحَل عنها يريد العَبّاسةَ، فلَقِيه في طريقه محمد بن أَبّـى مـع جميـع الرؤساء الذين كانوا معه، فصار الحسين في عسكر كبير؛ وبلَـغ ذلك أيضاً محمدَ بن سليمان الكاتب فحَثّ في مسيره حتى لَحِق بمقدِّمة

(١) نقل ابن سعيد في المغرب ــ قسم مصر ــ ١٤٥/١ عن تاريخ مصر للقرطي ما نصه: «وبادر شيبان إلى أموال كان هارون قد جمعها من التجار والمعونة برسم محاربة محمد بن سليمان الكاتب الذي ولاه المكتفي عمل مصر، فأباح للجند نهبها، فحلا لهم تقديمه. وكان في طيّ ذلك مضرّة عظيمة لو تنبه لها ما فعلها، وذلك أنه أمر بنهب تلك الأموال التي جمعت بالشدائد في مدة طويلة، فنهبت في ساعة واحدة؛ ثم إنها تقسمت من غير عدل ولا ترتيب ولا رضا. ولما تمت طلب الجند أرزاقهم المستحقة قبل الدولة فلم يجد شيبان ما يرضيهم به، ورام جمع أموال غيرها فلم يستطع، فاضطربت حاله وفسد تدبيره، واختل عسكره، وفرّ رجاله شيئاً فشيئاً إلى محمد بن سليمان. فلما أعيته الحيل جمع وجوهاً من أصحاب دولته وقال لهم: إني أرى هذه الدولة قد نادى غرابها بالرحيل، ولم يبق منها إلا قدر التقاء الجمعين، فما ترون؟ فقد فرغت الأموال وفرّت الرجال ونفد الاحتيال. فبكى الأولياء بين يديه وقالوا: بل نصبر حتى نموت كراماً. دولة قد تأثّلت وتوورثت يأتي كاتب من صنائعها يريد ذهاب رسومها بالكلية؟! لا يُتحدَّث عنا بذلك. فقال: إنما تكون الحيلة والتجلد عند تقدير المنفعة، وأما الآن ــ ولا تقدير لمنفعة، وقد تحققنا الخذلان ــ فلأي شيء نلقي بأيدينا إلى التهلكة؟! فقام أحد المتكلمين من أصحاب الدولة، وأراد عتب شيبان على ما كان منه من بذل الأموال في ساعة واحدة، وسوء التدبير في ذلك. فقال: على رسلك، فذلك عين الصواب، لأني أحرزت بذلك المال حصول الملك، ولو يوماً واحداً، فكفاني من الفخر ان أكون ثابت الاسم في صحيفة الدولة على أي حال. وأيضاً فإني تيقنت ان الدولة مدبرة، فقلت: أهب هذه الأموال وأبدي من سعة الصدر والإحسان ما أن ملكت معه، وتراجعت الدولة كان ذلك عاضداً لما أستقبله من تشييد حسن الأحدوثة، وإن انقطع ملكي لم ينقطع عني حسن القالة وكنت محبباً للناس، وربما نظروا إليّ قبل أنفسهم في السلامة».

الحسين بن حَمْدان المذكور، وقد آنضاف إليه غالبُ عسكر مصر الذي وصل مع أبي جعفر بن أبّي وغيره؛ وعندما آجتمع الجميعُ وصل إليهم أيضاً دَمْيانة البحريّ في ثمانيةَ عشرَ مركباً حربيًّا مشحونة[١] بالرجال والسّلاح وذلك في يوم الثلاثاء ثامن عشرين صفر، فضرب جسر مصرَ الشرقيّ بالنار وأحرقه عن آخره وأحرق بعضَ الجسر الغربيّ، ثم وافى محمد بن سليمان الكاتب بعسكره حتى نزل بباب مصر، فضرَب خيامَه بها في يوم الأربعاء تاسع عشرين صفر، كل ذلك في سنة آثنتين وتسعين ومائتين. ولما بلغ ذلك شيبانَ خرج بعساكره من مدينة مصر، وقد آجتمع معه من الفُرْسان والرَّجّالة عِدّةٌ كثيرة، ووقف بهم لممانعة محمد بن سليمان من دخول المدينة، وعبّأ أيضاً محمدُ بن سليمان عسكره للمَصَافّ لمُحَاربة شيبان، والتقى الجَمْعَان وكانت بينهم مناوشة ساعةً؛ ثم كتب محمد بن سليمان إلى شيبان والحرب قائمة يؤمّنه على نفسه وجميع أهله ومالِه وولدِه وإخوته وبني عمّه جميعاً؛ ونظر شيبان عند وصول الكتاب[٢] إليه قِلّةَ من معه من الرجال وكثرة جيوش محمد بن سليمان مع ما ظنّ من وفاء محمد بن سليمان له، فآستأمن إلى محمد بن سليمان وجمع إخوته وبني عمّه في الليل وتوجّهوا إلى محمد بن سليمان وصاروا في قبضته ومَصَافّ شيبان على حاله. لكن الفُرْسان علِموا بما فعل شيبان فكفّوا عن القتال، وبقِيت الرجّالة على مَصَافّها ولم تعلم بما أحدثه شيبان. وأصبحت الرجّالةُ غداةَ يوم الخميس وليس معهم حامٍ ولا رئيسٌ، فالتقوا مع عسكر محمد بن سليمان فآنكسروا، وآنكبت خيلُ محمد بن سليمان على الرجّالة فأزالتهم عن مواقفهم، ثم آنحرفت الفُرْسان إلى قطائع السودان الطولونيّة وصاروا يأخذون مَنْ قَدروا عليه منهم فَيصيرون بهم إلى محمد بن سليمان، وهو راكب على فرسه في مصافّه، فيأمر بذبحهم فيُذْبَحون بين يديه كما تُذْبح الشاةُ.

ثم دخل محمد بن سليمان بعساكره إلى مدينة مصر من غير أن يمنَعه عنها

(١) في الأصل: «مشحنة».

(٢) في الأصل: «الكاتب». والذي يذكره سائر المؤرخين أن شيبان هو الذي طلب الأمان لنفسه وأهله فأجابه محمد بن سليمان إلى ذلك.

مانِع، وكان ذلك في يوم الخميس سَلْخ صفر المذكور، فطاف محمد بن سليمان وهو راكب بمدينة مصر ومعه محمد بن أَبّى وجماعةٌ من جند المصريّين من الفُرْسان والرّجالة إلاّ مَنْ هرَب منهم، وصار كلّ مَن أُخِذ من المصريين ممّن هرَب أو قاتل ضُرِبت عنقُه؛ وأُحرقت القطائع التي كانت حول المَيْدان من مساكن السودان بعد أن قُتِل فيها منهم خَلْق كثير، حتى صارت خراباً يباباً، وزالت دولة بني طولون كأنّها لم تكن.

وكانت مدّة تغلّب شيبانَ هذا على مصر تسعةَ[١] أيّام، منها أربعة أيّام كان فيها أمرُه ونهيُه.

ثم دخَلت الأعرابُ الخُرَاسانيّة من عساكر محمد بن سليمان الكاتب إلى مدينة مصر فكسروا جيوشها وأخرجوا مَن كان بها. ثم هجموا [على] دور الناس فنهبوها وأخذوا أموالهم وآستباحوا حريمَهم وفَتكوا في الرعيّة وآفتضّوا الأبكارَ وأسروا المماليك والأحرارَ من النساء والرجال، وفعلوا في مصر ما لا يُحِلّه الله من آرتكاب المآثم. ثم تعدَّوْا إلى أرباب الدولة[٢] وأخرجوهم من دورهم وسكنوها كَرْهاً، وهرَب غالب أهلِ مصر منها، وفعلوا في المصريّين ما لا يفعلونه في الكفَرَة؛ وأقاموا على ذلك أيّاماً كثيرة مُصِرِّين على هذه الأفعال القبيحة. ثم ضُرِبت خيام محمد بن سليمان على حافة النيل بالموضع المعروف بالمَقْس[٣]، ونزلت عساكرُه معه ومن آنضم إليه من عساكر المصريّين بالعبّاسة. ثم أمر محمد بن سليمان أن تُحْمل الأُسارَى من المصريّين من الذين كان دَمْيانة أسرهم في قدومه من دِمْياط على الجمال، فحُمِلوا عليها وعليهم القلانِسُ الطوال وشهّرهم وطِيف بهم في عسكره من أوّله إلى آخرة.

ثم قلّد محمد بن سليمان أصحابَه الأعمال بمصر، فكان الذي قلّده شُرْطة

(١) في الكندي والمقريزي: «كانت ولايته عليها اثني عشر يوماً».
(٢) في الأصل: «أرباب الدور».
(٣) المقس: كان واقعاً على النيل، وكان قبل الإسلام يسمى أم دنين. ويقع في موضعه الآن جامع أولاد عنان وشارع كامل وحديقة الأزبكية.

العسكر رجلاً يقال له غليوس، وقلّد شُرْطة المدينة رجلاً يقال له وَصِيف البُكْتُمريّ(١)، وقلّد أبا عبد الله محمد بن عبدة قضاءَ(٢) مصر، كلّ ذلك في يوم الخميس لسبع خَلَوْن من شهر ربيع الأول؛ ثم قَبض أيضاً على جماعةٍ من أهل مصر من الكتّاب وغيرهم، فصادرهم وغرّمهم الأموالَ الجليلةَ بعد العذاب والتهديد والوعيد؛ ثم أمسك محمد بن أَبّـى خليفةَ(٣) هارون بن خمارويه على مصر ــ أعني الذي كان توجّه إليه من العبّاسة ــ وصادره وأخذ منه خمسمائة ألف دينار من غير تجشيم. ومحمد بن أَبّـى هذا هو الذي قدّمنا ذكره في ترجمة جيش بن خمارويه وما وقع له مع بَرْمَش.

وكان محمد بن سليمان هذا لا يُسمّى باسمه(٤) ولا بكنيته وما كان يُدْعَى إلا «بالأستاذ»؛ وكان حكمُه في أهل مصر بضرب أعناقهم وبقطع أيديهم وأرجلهم جَوْراً وتمزيقِ ظهورهم بالسياط وصَلْبِهم على جذوع النخل ونحوِ ذلك من أصناف النَّكال؛ ولا زال على ذلك حتى رحل عن مدينة مصر في يوم الخميس مُسْتهلّ شهر رجب من سنة آثنتين وتسعين ومائتين، وآستصحب معه الأميرَ شيبان بن أحمد بن طولون صاحب الترجمة وبني عمّه وأولادَهم وأعوانَهم، حتى إنّه لم يَدع من آل طُولون أحداً، والجميع في الحديد إلى العراق وهم عشرون إنساناً؛ ثم أخرج قوّادَهم إلى بغداد على أقبح وجه، فلم يبق بمصر منهم أحدٌ يُذْكر؛ وخلَت منهم الديار وعفَتْ منهم الآثار، وحل بهم الذلّ بعد العزّ والتطريدُ والتشريدُ بعد اللّذ(٥)، ثم سِيق جماعة من أصحاب شيبان إلى محمد بن سليمان ممّن كان أمّنهم فذُبِحوا بين يديه.

---

(١) جعله مكان موسى بن طونيق، كما جاء في الكندي.

(٢) وذلك بعد أن صرف القاضي أبا زرعة محمد بن عثمان. والواقع أن القاضي ابن عبدة قد أعيد إليه القضاء. (راجع ص ١١٣، حاشية ٥).

(٣) أي الوصيّ عليه، إذ كان هارون صغيراً حين تولى الإمارة على مصر.

(٤) في الأصل: «لا يسمى إلا باسمه».

(٥) في الأصل: «اللز» وليس لها معنى مناسب هنا. وعبارة الكندي: «والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونضرة الملك ومساعدة الأيام».

وزالت الدولة الطولونية، وكانت من غُرر الدول، وأيامُهم من محاسن الأيام، وخُرِّب الميدان والقصورُ التي كانت به، التي مدحتها الشعراء. قال القاضي أبو عمرو عثمانُ النابلسيّ في كتاب «حسن السيرة في آتخاذ الحصن بالجزيرة»: رأيت كتاباً قدرَ آثنتي عشرةَ كرّاسة مضمونُه فهرست شعراء المَيْدان الذي كان لأحمد بن طولون؛ قال: فإذا كانت أسماء[1] الشعراء في آثنتي عشرة كرّاسة فكم يكون شعرهم!. انتهى.

وقال آبن دِحْية في كتابه[2]: وخُرِّبت القطائعُ التي لأحمد بنِ طولون في الشدّة العُظْمَى[3] زمن الخليفة المستنصر العُبَيْديّ أيّام القحط والغلاء المُفْرِط الذي كان بالديار المصريّة؛ قال: وهلَك مَن كان فيها من السكان، وكانت نَيِّفاً على مائة ألف دار. قلت: هذا الذي ذكره آبن دِحْية هو الذي بقِي بعد إتلاف محمد بن سليمان المذكور.

ومما قيل في مَيْدان أحمد بن طولون وفي قصوره من الشعر من المراثِي على سبيل الاقتصار؛ فمما قاله إسماعيل بنُ أبي هاشم[4]: [الكامل]

قِفْ وقفةً بِفَناء[5] باب السّاج ... والقصرِ ذي الشُّرُفاتِ والأبراجِ

وربوع قومٍ أُزْعِجوا عن دارهم ... بعد الإقامةِ أيَّما إزعاجِ

كانوا مَصابيحاً لدَى ظُلَمِ الدجَى ... يَسرِي بها السارون في الإدْلاجِ

ومنها:

---

(١) في الأصل: «فإذا كان اسم الشعراء... إلخ» وما أثبتناه عن المقريزي. وعنه ينقل المؤلف هنا.

(٢) في المقريزي: «وقال أبو الخطاب بن دحية في كتاب: «النبراس». وكتابه المذكور هو النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس. وابن دحية هو عمر بن الحسن بن علي بن محمد، أبو الخطاب، ابن دحية الكلبي. أديب مؤرخ حافظ للحديث، من أهل سبتة بالأندلس. استقر بمصر وتوفي بها سنة ٦٣٣هـ. (له ترجمة في وفيات الأعيان ونفح الطيب وشذرات الذهب وحسن المحاضرة).

(٣) انظر تفاصيل تلك الشدّة في خطط المقريزي: ١/٣٣٥ ــ ٣٣٩.

(٤) الأبيات في المقريزي: ١/٣٢٢، والكندي: ٢٧٤. وقد أوردا سبعة أبيات.

(٥) في المقريزي: «بقباب».

كـانـوا ليـوثـاً لَا يَـرامُ حِمـاهُـمُ في كـلّ مَلْحَمـةٍ وكـلّ هِيَـاجِ
فـآنـظر إلى آثـارهم تَلقَى لهمْ عَـلَمـاً بكـلّ ثَـنيّـةٍ وفِجَـاجِ

وقال سعيد القاصّ(١): [الطويل]

جَرى دمعُه ما بين سَحْرٍ(٢) إلى نَحْرِ ولم يَجْرِ حتّى أَسْلمتْه يدُ الصبْرِ

ومنهـا:

وهل يستطيع الصبرَ مَن كان ذا أَسًى يَبيتُ على جَمْرٍ ويُضْحِي على جمْرِ
تتـابُـعُ أحـداثٍ تَحيَّفْنَ(٣) صبـرَه وغدرٌ من الأيّام والدهرُ ذُو غَـدْرِ
أصاب على رَغْم الأنوف وجَدْعِها ذَوِي الدّين والدّنيا بقاصِمة الظهْرِ
طوى زينةَ الـدنيا ومِصْبـاحَ أهلِها بفَقْد بني طُولونَ والأنجم الزُّهْـرِ

ومنهـا:

وكـان أبو العبّـاس أحمدُ مـاجدًا جميلَ المُحيّا لا يَبيتُ على وِتْـرِ
كأنّ ليالي الـدّهر كـانتْ لحُسْنها وإشراقها في عَصْره ليلةَ القدر(٤)
يَدُلّ على فضل آبن طُولون هِمّةٌ مُحَلِّقـةٌ بَين السِّمـاكَيْنِ والغَفْـر(٥)
فإن كنتَ تَبْغِي شاهداً ذا عَدَالـةٍ يُخَبِّـر عنه بـالجَلِيّ من الأمـر
فبالجبل الغَـربـيّ خِطّة يَشْكُـرٍ(٦) له مسجدٌ يُغْنِي عن المنطق الهَذْرِ

وهي طويلة(٧) جدّاً كلّها على هذا المنوال.

ولما أُمِر الحسين بنُ أحمد الماذرائيّ متولّي خراج مصر من قِبَل المكتفي بهَدْم

---

(١) كذا في المقريزي والكندي. وفي الأصل: «القاضي».

(٢) السحر: الرئة. والمراد ما يحاذيها من الصدر. ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: «مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري».

(٣) كذا في الكندي. وتحيفن: أنقصن. وفي الأصل: «تخيفن» بالخاء المعجمة وهو تصحيف. وفي المقريزي: «يضيعن».

(٤) في الكندي: «ليلة البدر».

(٥) السماكان: كوكبان نيران. والغفر: ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر، وهي من الميزان.

(٦) كذا في الكندي والمقريزي. وفي الأصل: «خط ليشكر».

(٧) أوردها كل من الكندي والمقريزي في ثلاثة وأربعين بيتاً.

المَيْدان آبتدأ بهدمه في أوّل شهر رمضان من سنة ثلاث وتسعين ومائتين وبِيعتْ أنقاضُه، حتّى دَثَر وزال مكانُه كأنّه لم يكن. فقال فيه محمد بن طَشْوَيه[١]: [البسيط]

من لم يَرَ الهدْمَ للمَيْدان لم يَرَهُ تبارك اللّهُ ما أعلاه[٢] وأقْدَرَهُ
لو أنّ عينَ الذي أنشاه تُبْصِرهُ والحادثاتُ تُعاديه لأكْبَرَهُ

ومنها:

وأينَ مَن كان يَحْمِيه ويحرُسه من كلّ ليثٍ يَهاب الليثُ منظَرَه
صاح الزمانُ بمن فيه ففرّقهم وحطّ رَيْبُ البِلَى فيه فدَعْثَره[٣]

ومنها:

أين ابنُ طُولون بانيه وساكنُه أماته الملِكُ الأعْلَى فأقْبَرَه
ما أوضحَ الأمرَ لو صحّتْ لنا فِكَرٌ طُوبَى لمن خصّه رُشْدٌ فذكّرَه[٤]

وقال أحمد[٥] بن إسحاق: [الخفيف]

وكأنّ المَيْدانَ ثَكْلَى أُصِيبتْ بحبيبٍ صباحَ ليلة عُرْسِ
تتغشّى الرياحُ منه مُحَلاً كان للصون في ستور الدِّمَقْس

ومنها:

ووجوهٍ من الوجوه حسانٍ وخدودٍ مثل اللآلىء[٦] مُلْسِ

---

(١) كذا أيضاً في الكندي. وفي المقريزي: «طسويه» بالسين المهملة. على أن المقريزي نسب الشعر إلى سعيد القاص.

(٢) كذا أيضاً في الكندي. وفي المقريزي: «ما أعلى وأقدره».

(٣) أي هدمه.

(٤) والشعر في الكندي والمقريزي في ثلاثة عشر بيتاً.

(٥) نسب الكندي هذه الأبيات إلى سعيد القاص، ونسبها المقريزي لمحمد بن طسويه. وأورد كل من الكندي والمقريزي أبياتاً لأحمد بن إسحاق أولها:

وإذا ما أردت أعجوبة الدهـ ـر تراها فانظر إلى الميدان

(٦) في الأصل: «اللبائل» وهو تحريف. والتصحيح عن الكندي والمقريزي.

كـلّ كحلاءَ كـالغـزال ونَجْـلا ءَ رَدَاحٍ من بين حُور ولُعْسِ[١]
آلَ طُـولـون كنتمُ زينـةَ الأر ضِ فأضحَى الجديد اهْدَامَ لُبْسِ[٢]

وقال آبن أبِـي هاشم: [البسيط]

يـا منزِلاً لبني طُـولون قـد دَثَـرَا سقاك صَوْبُ الغَوادِي القَطْرَ والمطرَا
يـا منزلاً صِـرتُ أجْفُـوه وأهجُـره وكان يعدِل عندِي السمْـعَ والبصرا
بـالله عنـدك عِلمٌ مِـن أحبّتنـا أم هل سمِعتَ لهم من بعدِنا خبرا

(١) الرداح: الثقيلة الأوراك. واللعس: السود الشفاه في جمال.
(٢) كذا في الكندي والمقريزي. وفي الأصل: «فأضحى الحرير أهدام لبس» وهو تحريف. والأهدام: الأثواب البالية، جمع هدم بالكسر. يريد: لبستم المقطّع البالي بعد أن كنتم تلبسون الجديد.

ذكر أوّل مَنْ ولِي مصر بعد بني طُولون وخراب القَطائع إلى الدولة الفاطمية العُبَيْديّة وبناء القاهرة على الترتيب المقدّم ذكرُه

فأوّل من حكَمها محمد بن سليمان الكاتب المقدّم ذكرُه، أرسله الخليفة المكتفِي بالله عليٌّ العباسيّ حسبما ذكرناه في غير مَوضِع؛ وملّك محمد بن سليمان الديار المصريّة، بعد قتل شيبان بن أحمد بن طُولون، في يوم الخميس مُسْتَهلّ شهر ربيع الأوّل سنة آثنتين وتسعين ومائتين، ودعا على منابر مصر للخليفة المكتفي بالله وحدَه؛ وولّى محمد بن سليمان أبا عليّ الحسين بن أحمد الماذرائيّ على الخراج عِوضاً عن أحمد بن عليّ الماذرائيّ. فلم تطل مدّة محمد بن سليمان بمصر حتى قدِم عليه كتاب الخليفة المكتفي بالله بولاية عيسى بن محمد النُّوشَرِيّ؛ ودخل خليفةُ عيسى المذكور إلى مصر لأربعَ عشرةَ ليلة خلتْ من جُمادى الأولى، فتسلّم من محمد بن سليمان المذكور الشُّرْطَتَيْن وسائرَ الأعمال؛ فكان مُقام محمد بن سليمان المذكور الكاتب بمصر أربعةَ أشهر.

وفي ولايته أقوال كثيرة: فمن الناس من لا يَعُدّه[١] من الأمراء بمصر، بل ذكر دخوله لفتح مصر، وأنّه كان مقدَّم العساكر لا غير؛ وقائلو هذه المقالة هم الأكثرُ، ووافقتُهم أنا أيضاً على ذلك، لأن المكتفِي لما خلَع عليه أمره بالتوجُّه لقتال مصر وأمر أصحابه بالسمع والطاعة ولم يُوَلِّه عملَها[٢]؛ وعندما بلغ الخليفةَ المكتفِي

---

(١) في الأصل: «من لا عدّه».

(٢) اعتبر المقريزي أن محمد بن سليمان الكاتب كان أول من ولي مصر بعد زوال دولة بني طولون. وذكر الكندي أن الخليفة المكتفي بعث بكتاب بولاية الحسين بن أحمد الماذرائي على الخراج، وجعل إليه النظر في أمر بني طولون وضياعهم. ثم ورد كتاب المكتفي بولاية النوشري عليها. كما أن السيوطي في حسن المحاضرة أشار إلى ولاية محمد بن سليمان بكتاب من قبل المكتفي.

فتحُ مصر ولَّى عليها في الحال عيسى النُّوشَرِيّ؛ ولهذا لم نَفْتَتِح ترجمته بآفتتاح تراجم ملوك مصر على عادة ترتيب هذا الكتاب؛ ومن الناس من عدّة من جملة أمراء مصر بواسطة تحكُّمِه وتصرّفه في الديار المصرية.

ذكر ولاية عيسى النُّوشَرِيّ على مصر[١]

هو عيسى بن محمد، الأمير أبو موسى النوشريّ؛ ولّاه الخليفة المكتفي من بغداد على مصر[٢]، فأرسل عيسى خليفته على مصر فآستولَى عليها إلى حين قدِمها لسبع خلَوْن من جُمَادى الآخرة من سنة آثنتين وتسعين ومائتين. وكان محمد بن سليمان لما وصَل إلى مصر بالعساكر كان الأمير عيسى النوشريّ المذكور من جملة القوّاد الذين قدموا معه، فلما آفتتح محمد بن سليمان مصرَ أرسل عيسى هذا إلى الخليفة رسولاً يُخْبِره بفتح مصر، لأنه كان من كِبار القوّاد الشاخصين معه إلى مصر، وتوجّه عيسى إلى نحو العراق؛ فلما وصَل إلى دِمَشق وافاه كتاب الخليفةِ المكتفِي بها بولايته على إمْرة مصر، فعاد من وقته إلى أن دخل مصر في التاريخ المقدّم ذكرُه؛ فخَلع عليه محمد بن سليمان الكاتب وطاف به مدينة مصر وعليه الخِلْعة، وآستمر على عمل مَعُونة مصر وجندِها؛ ثم ورد عليه أيضاً كتاب الخليفة إلى جماعة من القوّاد ممن كان في عسكر محمد بن سليمان: منهم عليّ بن حسّان[٣] بتقليده أعمالَ الإسكندريّة، وإلى مُهاجِر بن طليق بتقليده ثغر تِنِّيسَ ودِمياطَ[٤]، وإلى رجل يُعْرَف بالكِنْديّ بتقليده الأحْوَافَ، وإلى رجل يقال له موسى بن أحمد بتقليده بَرْقَة وما والاها، وإلى رجل يعرف بمحمد بن ربيعة بتقليده الصعيدَ وأُسْوان، وإلى رجل يعرف بأبي زُنْبور الحسين بن أحمد الماذرائيّ بتقليده

(١) ولاة مصر للكندي: ٢٧٨، وخطط المقريزي: ١/٣٢٧، وحسن المحاضرة: ٢/١٢، ومعجم زامباور: ٤٢.

(٢) في الكندي والمقريزي أن ولايته كانت على صلاتها فقط.

(٣) في الكندي: «علي بن وَهْسُوذان».

(٤) في الكندي: «على أسفل الأرض».

أعمالَ الخراج بمصر، وجلس في ديوان الخراج لخمس بَقِين من جُمادى الآخرة، ثم إلى دَمْيانة البَحْرِيّ(١) بالانصراف عن مصر، فآنصرف دميانة عنها لثمانٍ بَقِين من جُمادَى الآخرة.

ونزل عيسى النُّوشَرِيّ المذكور في الدار التي كانت سُكْنَى بدر الحمّاميّ بمصر، وكانت بالمَوْقِف بسوق الطير، وهي الدار التي كان نزل بها محمد بن سليمان الكاتب لما آفتَتَح مصر. وكان خروج محمد بن سليمان من مصر في مُسْتَهلّ شهر رجب من السنة، وأخرج معه كلَّ مَن بَقِي من الطُّولونيّة بمصر، كما ذكرناه في ترجمة شيبان بن أحمد بن طُولون، وآستصحب معه أيضاً جماعةً بعد(٢) رَحيله عنها، فخرج الجميع إلى الشام، وهم: أبو جعفر محمد بن أَبّـى، وآبنُـه الحسن، وطُغْـج بن جُفّ الذي كان نائبَ دِمَشق وولدُه وأخوه، وبدر، وفائق الروميّ الخازن(٣)، وصافي الروميّ وغيرُهم من موالي أحمد وخُمارَوَيه، وخرج الجميـع مُوَكّلاً بهم. وأخرَج معهم أيضاً جماعةً كثيرة ممن هم أقلُّ رتبةً ممّن ذُكِر، غير أنّهم أيضاً من أعيان الدولة وأكابِرِ القوّاد، وهم: محمد بن عليّ بن أحمد الماذرائيّ وزيرُ هارونَ بن خمارويه، وأبو زرعة(٤) القاضي، وأبو عبد الله محمد بن زرعة القاضي وخلق كثير من آل طُولون وغيرهم من الجند، وضمّهم إلى عسكره وقت خروجه من مصر؛ فتخلّف عنه جماعة بِدِمَشق وغيرِها وسار معه بعضهم إلى حَلَب في الحديد، وهم: موسى بن طُرنيق(٥) وأحمد بن أعجر ــ وكانا على شُرْطَتَي مصر كما تقدّم ذكرُه ــ وابن بايَخْشِي(٦) الفرغانيّ ــ وكان عاملاً على سيادة أسفل الأرض ــ ووصيف

(١) نسبة إلى البحر. فقد كان قائداً للقوة البحرية التي أرسلها المكتفي إلى مصر لمحاربة الطولونيين. وقد انضم إلى محمد بن سليمان، كما سبق ورأينا.

(٢) عبارة الأصل: «وصحب معه أيضاً جماعة وبعد رحيله...».

(٣) في الكندي: «الخادم».

(٤) هو القاضي أبو زرعة، محمد بن عثمان الدمشقي. ولي قضاء مصر ثمان سنين، وعزل في صفر سنة ٢٩٢هـ. (حسن المحاضرة: ٢/١١٩).

(٥) في الكندي: «موسى بن طونيق».

(٦) في الكندي: «حماد بن مايخشي» وفي بعض النسخ: «حمار بن مايخشي».

القاطرميز[١] وخصيف[٢] البربريّ مولى أحمد بن طُولون.

فلما استقر قرار محمد بن سليمان بحلَب وافاه رسول الخليفة بأن يسلّم ما كان معه من الأموال والخيل والطُّرُز[٣] والذهب وغيرِ ذلك مما كان حمله من مصر إلى من أُمِر بتسليمه إليه، فقدّر المقدّرون فيه ما حملَه من الأموال مع الذي أخذه من الناس ألفَيْ ألف دينار.

وتفرّق من كان معه من الجند من المصريّين، فمنهم من سار إلى العراق، ومنهم من رجَع يريد مصر إلى من خلّفه من أهله بها؛ فممّن رجَع إلى مصر شفيع اللؤلئي الخادم ورجل شابّ يقال له محمد بن علي الخَلَنْجِيّ[٤] من الجند من المصريّين، ومحمد هذا ممن كان في قِيادة صافيّ الرّوميّ ــ أعني أنه كان مُضافَه ــ فرجَع محمد هذا يريد أهلَه وولَده، فخطَر له خاطر ففكّر فيما حلّ بآل طُولون وإزالةِ ملكهم وإخراجِهم عن أوطانهم، فأظهر النُّصْرَة لهم والقيامَ بدولتهم وأعلن ذلك وأبداه، وذكَر الذي عزَم عليه لجماعة من المصريّين فبايعوه على ذلك وعضَدوه على عِصْيانه؛ وآنضمّ عليه شِرْذمة من المصريّين، فسار على حَمِيَّـةٍ حتّى وافَى الرّملة في شعبانَ من سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فنزَل محمد المذكور بمن معه بناحية باب الزيتون؛ وكان بالرملة وصيف بن صَوَارتَكِين الأصغر فآستعدّ لقتاله، فقدّم وصيف جماعةً مع محمد بن يَزْدَاد، ثم خرج وصيف ببقيّة جماعته فرأى محمد بن عليّ الخلنجيّ المذكور في نفر يسير من الفُرسان، فزحف محمد بن عليّ الخلنجيّ بمن معه على وصيف بن صوارتكين فهزَمه وقتَل رجالَه وهرَب مَن بَقِي بين يديه.

---

(١) كذا في الطبري أيضاً. وفي الكندي: «وصيف قطرميز».

(٢) في الكندي: «خصيب» بالباء الموحدة.

(٣) الطرز: جمع طراز، وهو ثوب ينسج للسلطان خاصة.

(٤) اختلف المؤرخون فيه كثيراً، فجعله المقريزي: «محمد بن الخليج» والكندي: «ابن الخليج» وابن الأثير وعقد الجمان: «إبراهيم الخلنجي» والطبري: «إبراهيم الخليجي». ولعل الصواب ما أورده الكندي والمقريزي، إذ أورد الكندي شعراً للحبيشي في مدح الحسين بن أحمد الماذرائي يذكر فيه اسم «ابن الخليج» صراحة:

إليكِ من الإكثار لا تتزيَّدي ... فما الفتح إلا للحسين بنِ أحمد

ولما تمادى ابن الخليج بغيِّهِ ... وكان إلى سبل الهدى غير مُرشَد

وملَك محمد الرملة ودعا على منابرها في يوم الجمعة للخليفة وبعدَه لإبراهيم بن خُمارويه ثم بعدَهما لنفسه؛ وتسامع الناس به فوَافَوْه من كلّ فجّ لما في نفوسهم من تشتّتهم عن بلادِهم وأولادِهم وأوطانِهم، وصار الجميعُ من حزب محمد المذكور من غير بَذل دينار ولا دِرْهم. وبلغ عيسى النُّوشَرِيَّ صاحبَ الترجمة وهو بمصر ما كان من أمر محمد بن عليّ الخلنجيّ، فجهّز عسكراً إلى العريش في أسرع وقت من البحر، وساروا حتى وافَوْا غزّة، فتقدّم إليهم محمد بن عليّ الخلنجيّ بمن معه، فلما سمعوا به رجَعوا إلى العريش، فسار محمد الخلنجيّ بمن معه خلفَهم إلى العريش، فآنهزموا أمامه إلى الفَرَمَا ثم ساروا من الفرما إلى العبّاسة، ونزل محمد الخلنجيّ الفرما مكانهم؛ فلما سمِع عيسى النوشريّ ذلك خرج من مصر بعسكر ضَخْم حتى نزل العبّاسة، ومعه أبو منصور الحسين بن أحمد الماذرائيّ عاملُ خراج مصر وشفيعٌ اللؤلئيّ صاحبُ البريد، ورحَل محمد الخلنجيّ حتى نَزل جَرْجِيرَ؛ فلما سمِع عيسى النوشريّ قدومه إلى جرجير كرّ راجعاً إلى مصر ونزل على باب مدينة مصر، فأتاه الخبر بقدوم محمد بن علي الخلنجيّ المذكور، فدخل إلى المدينة ثم خرج منها ومعه أبو زُنْبُور وعَدَا جسرَ مصر في يوم الثلاثاء رابعَ عشرَ ذي القعدة سنة آثنتين وتسعين ومائتين؛ ثم أحرقَ عيسى النوشريّ جِسْرَي المدينة الشرقيَّ والغربيَّ جميعاً حتّى لم يُبْقِ من مراكبهما مركباً واحداً ـ يَعْنِي أنّ الجسر كان معقوداً على المراكب ـ وهذه كانت عادة مصر تلك الأيّام. ونزل عيسى النوشِريّ وأقام ببرّ الجيزة، وبقِيت مدينة مصر بلا والٍ عليها ولا حاكمٍ فيها. وصارتْ مصرُ مأكلةً للغوغاء يهجُمون [على] البيوت ويأخذون الأموال من غير أن يردّهم أحد عن ذلك، فإنّ عيسى النوشريّ ترك مصر وأقام ببرّ الجيزة خوفاً من محمد المذكور؛ فقوي لذلك شَوْكةُ محمد الخلنجيّ وآستفحل أمره، وسار من جَرجير حتى دخل مدينة مصر في يوم سادِس عشرين ذي القَعْدة من السنة من غير ممانع. وكان محمد المذكور شابًّا شجاعاً مِقْداماً مُكِبّاً على شرب الخمر واللهو عاصياً ظالماً، ومولده بمدينة مصر ونشأ بها؛ فلما دخَلها طاف بها ودخَل الجامع وصلّى فيه يوم الجمعة، ودعا له الإمام على المنبر بعد الخليفة وإبراهيم بن خُمارويه، ففرح به أهل مصر إلى الغاية وقاموا معه، فمهّد أمورها وقمعَ المفسدين

وتخلّق[١] أهل مصر بالزعفران، وخلّقوا وجهَ دابّته ووجوهَ دوابّ أصحابه فَرَحاً به. ولم يشتغل محمد الخلنجيّ المذكور بشاغل عن بَعْثِهِ في أثر عيسى النوشريّ وجهّز عسكراً عليه رجلٌ من أصحابه يقال له خفيفٌ النوبيّ ـ وخفيف من الخفة ـ وأَمَره باقتفاء أثر عيسى النوشريّ حيث سلَك؛ فخرج خفيف المذكور وتتابع مجيء العساكر إليه في البرّ والبحر. وبلغ عيسى النوشريَّ مسيرُ خفيف إليه فرحَل من مكانه حتى وافى الإسكندريّة وخفيف من ورائه يتبعه.

وأما محمد الخَلَنْجِيّ فإنّه قلّد وزارته. . .[٢]ابن موسى النصراني، وقلّد أخاه إبراهيم بن موسى على خراج مصر، وقلَّد شُرْطَة المدينة لإبراهيم بن فيروز، وقلّد شُرْطَة العسكر لعبد الجبّار بن أحمد بن أعجر؛ وأقبل الناس إليه من جميع البُلْدان حتّى بلغت عساكرُه زيادةً على خمسين ألفاً، وفَرض لهم الأرزاق السنيّة، فآحتاج إلى الأموال لإعطاء الرجال، وكان في البلد نحو تِسْعمائة ألفِ دينار، وكانت مُعَبّاة في الصناديق للحمل للخليفة، وهي عند أبي زُنْبُور وعيسى النُّوشَرِيّ صاحب الترجمة؛ فلما خرجا من البلد وزّعاها فلم يُوجد لها أثر عند أحد بمصر. وعمَد الحسين بن أحمد إلى جميع علوم دواوين الخراج فأخرجها عن الدواوين قبل خروجه من مصر لئلاّ يُوقف على معرفة أصول الأموال في الضياع فيُطَالَب بها أهل الضِّياع بما عليهم من الخراج؛ وحملَ معه أيضاً جماعة من المتقبّلين ـ أعني المدركين والكتّاب ـ لئلا يطالَبُوا بما عليهم من الأموال، منهم: وهب بن عيّاش المعروف بآبن هانىء، وآبن بِشْر المعروف بآبن الماشطة، وإسحاق بن نُصَير النصراني، وأبو الحسن المعروف بالكاتب، وتَرَكَ مصر بلا كتّاب. فلم يلتفت محمد الخلنجيّ إلى ذلك وطلب المتقبّلين وأغلَظَ عليهم؛ ثم وجد من الكتّاب من أَوْقَفه على أمور الخراج وأمرِ الدواوين؛ ثم قلّد لأحمد بن القُوصِيّ ديوانَ الإعطاء. وتحوّل من خَيْمته من ساحل النيل وسكَن داخل المدينة في دار بدر الحماميّ التي كان سكنها عيسى

(١) أي تطيَّبوا. والخَلوق هو الطيب.

(٢) بياض بالأصل.

النوشريّ بعد خروج محمد بن سليمان الكاتب من مصر، وهي بالحمراء[١] على شاطىء النيل. وأجرى محمد الخلنجيّ أعماله على الظلم والجَوْر وصادر أعيانَ البلد فَلقِيَ الناسُ منه شدائدَ، إلا أنّه كان إذا أخذ من أحد شيئاً أعطاه خطّه ويَعِده أن يردّ له ما أخذ منه أيّام الخراج.

وأما عيسى النوشريّ صاحب الترجمة وأبوزُنْبُور الحسين بن أحمد فإنّهما وصلا بعسكرهما قُرَيْبَ الإسكندرية وخفيفُ النوبيّ في أثرهما لا قريباً منهما؛ وكان أبو زنبور قد أرسل المتقلّبين والكتّاب إلى الإسكندرية ليتحصنوا بها. وتابع محمد الخلنجيّ العساكر إلى نحو خفيف النوبيّ نجدةً له في البرّ والبحر؛ فكان ممن ندّبه محمد الخلنجي محمدُ بن لَمْجُور في ستّ مراكب بالسلاح والرجال، فسار حتى وافَى الإسكندريّة في يوم الخميس نصف ذي الحجة، وكان بينه وبين أهل الإسكندرية مناوشة حتى دخَلها وخلّص بعض أولئك المتقبّلين والكتّاب وحَملهم إلى مصر؛ وأخذ أيضاً لعيسى النوشريّ ولأبي زنبور ما وجده لهما بالإسكندريّة وفرّقه على عساكره؛ وأقام بعسكره مُوَاقِفاً[٢] عيسى النوشريّ خارجاً عن الإسكندرية أياماً، ثم آنصرف إلى مصر، وآنصرف عيسى النوشريّ إلى ناحية تَرُوجَة[٣]، فوافَاه هناك خفيفُ النوبيّ وواقعه، فكانت بينهما وقعة هائلة آنهزم فيها خفيف النوبيّ وقُتِل جماعة من أصحابه، ولم يزل خفيف في هزيمته إلى أن وصَل إلى مصر بمن بَقِيَ معه من أصحابه؛ فلم يكترِث محمد الخلنجيّ بذلك وأخذ في إصلاح أموره؛ وبينما هو في ذلك وردَ عليه الخبر بمجيء العساكر إليه من العراق صحبة فاتكٍ [المعتضدي][٤] وبدرٍ الحمّاميّ وغيرِهما؛ فجهّز محمد الخلنجيّ عسكراً لقتال النوشريّ وقد توجّه

(١) من خطط الفسطاط. انظر الكلام عليها في المقريزي: ١/٢٩٨.

(٢) يقال: واقف الرجل مواقفة ووقافاً إذا وقف معه في حرب أو خصومة.

(٣) كانت قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. (معجم البلدان: ٢/٢٧). وموضعها اليوم كوم تروجة الواقع بحوض تروجة بأراضي ناحية زاوية صقر، بمركز أبي المطامير من مديرية البحيرة. (ولاة مصر: ١٠٢، حاشية ١).

(٤) زيادة عن الكندي والمقريزي.

النوشريّ نحو الصعيد، ثم خرج هو في عساكره إلى أن وصل إلى العريش، ثم وقَع لَه مع عساكر العراق وجيوشِ النوشريّ وقائعُ يطول شرحها، حتى أجدبت مصر وحصَل بها الغلاء العظيم، وعُدِمت الأقوات من كثرة الفتن، وطال الأمر حتى ألجأ ذلك [إلى] عَوْدِ محمد بن عليّ الخلنجيّ إلى مصر عجزاً عن مُقَاومة عساكر العراق وعساكر أبـي الأغرّ بمُنْيَة الأَصْبَغِ[١] بعد أن واقعهم غير مرّة وطال الأمرُ عليه؛ فلمّا رأى أمرَه في إدبار، وعلِم أنّ أمرَه يطول ثم يؤول إلى آنهزامه، دبَّر في أمره ما دام فيه قوّة، فأطلع[٢] عليه محمد بن لَمْجُور المقدّمَ ذكرُه وهو أحد أصحابه، وعرّفه سِرّاً بأشياء يعمَلها، وأمَره أن يركب بعض المراكب الحربيّة، وحمَل معه ولدَه وما أمكنه من أمواله وواطأه على الركوب معه وأمَره بآنتظاره ليتَوَجّه صحبتَه في البحر إلى أيّ وجه شاء هارباً؛ فشحَن محمد بن لمجور مركَبَه بالسلاح والمال وصار يَنتظِر محمداً الخلنجيّ صاحبَ الواقعة، ومحمد الخلنجيّ يدافع عسكر عيسى النوشريّ تارة وعسكر الخليفة مرّة إلى أن عجَز وخرَج من مصر إلى نحو محمد بن لمجور حتّى وصَل إليه؛ فلما رآه محمد بن لمجور قد قرُب منه رفَع مراسيَه وأوهمه أنه يريده، فلما دنَا منه ناداه محمد بن عليّ الخلنجيّ ليصير إليه ويحملَه معه في المركب، فلما رآه محمد بن لمجور وسمِع نداءه سبّه وقال له: مُتْ بغيظك قد أمكن الله منك! وتأخّر وضرب بمَقَاذِيفه وآنحدر في النيل، وذلك لِما كان في نفس محمد بن لمجور من محمد بن عليّ الخلنجيّ مما أسمعه قديماً من المكروه والكلام الغليظ؛ فلمّا رأى محمد الخلنجيّ خذلان محمد بن لَمَجْوُر له ولم يتمّ له الهرب، كرّ راجعاً حتى دخَل مدينة مصر وقد آنفلّ[٣] عنه عساكره، فصار إلى منزل رجل كان يُعْنَى[٤] بإخفائه ويأمنُه على نفسه ليَخْتفِيَ عنده؛ فخافه[٥]

---

(١) شرقي مصر، منسوبة إلى الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أخي عمر بن عبد العزيز.

(٢) في الأصل: «فاخلع على محمد. . . إلخ» وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية، وهو ما يقتضيه سياق الكلام..

(٣) انفلّ القوم: انهزموا.

(٤) في الأصل: «يعي» وما أثبتناه يقتضيه السياق. وذكر الكندي أن هذا الرجل يدعى «تريك».

(٥) في الأصل: «فأخافه» وهي غير مناسبة.

المذكور وتركه هارباً وتوجّه إلى السلطان فتنصّح[١] إليه وأعلمه أنّه عنده؛ فركِب السلطان وأكابرُ الدولة والعساكر حتّى قبضوا عليه، وكان ذلك في صبيحة يوم الاثنين ثامِن[٢] شهر رجب من سنة ثلاث وتسعين ومائتين؛ فكانت مدّة عِصْيانه منذ دخل إلى مصر إلى أن قُبِض عليه سبعةَ أشهر واثنين[٣] وعشرين يوماً.

ودخَل فاتك وبدرٌ الحماميّ بعساكرهما وعساكرِ العراق حتى نزلا بشاطىء النيل، ثم وافاهم الأمير عيسى النّوشريّ من الفيّوم حسبما يأتي ذكرُهُ في ترجمته في ولايته الثانية على مصر ـ أعني عودَه إلى مُلكه بعد الظفَر بمحمد بن عليّ الخلنجيّ ـ ونزل عيسى بدار فائق، فإن بدراً كان قد قدِم إلى مصر ونزل في داره التي كان النوشريّ نزلَ فيها أوّلاً، ودعا للخليفة على منابر مصر ثم من بعده لعيسى النوشريّ. هذا وأمور مصر مُضْطربة إلى غاية ما يكون. وقلّد عيسى شُرْطَة العسكر لمحمد بن طاهر المغربيّ، وشُرْطةَ المدينة ليوسف بن إسرائيل، وتقلّد أبو زُنْبُور[٤] الخراج على عادته. وأخذ النوشريّ في إصلاح أمور مصر والضِّياع وتتبّع أصحاب محمد الخلنجيّ من الكتّاب والجند وغيرِهم، وقبَض على جماعة كثيرة منهم، مثل: السَّرِيّ بن الحسين الكاتب وأبي العباس أحمد بن يوسف كاتب ابن الجَصّاص ـ وكان على نفقات محمد الخلنجيّ ـ وجماعةٍ أُخَر يطول الشرح في ذكرهم. وأما محمد بن لمجور وكَيْغَلَغ وبدر الكريميّ وجماعة أخر من أصحاب محمد الخلنجيّ فإنهم تشتّتوا في البلاد. ثم دخل محمد بن لمجور مصر مُتنَكِّراً، فقُبِض عليه وطِيف به ومعه غلام آخر لمحمد الخلنجيّ، ثم عوقب محمد بن لمجور حتى استخلِص منه الأموال؛ ثم جهّز الأمير عيسى النوشريّ محمداً الخلنجيّ في البحر إلى أنطاكيّة، فخرجوا منها ودخلوا العراق إلى عند الخليفة. ثم بعد ذلك ورد كتاب الخليفة على عيسى النوشريّ في شهر رمضان باستقراره في أعمال مصر جميعاً قِبلِيّها وبحريّها حتى الإسكندريّة وإلى النُّوبة والحجاز.

(١) تنصّح: تشبّه بالنصحاء.

(٢) في الكندي والمقريزي: «لست خلون من رجب».

(٣) في الكندي والمقريزي: «سبعة أشهر وعشرين يوماً».

(٤) أي الحسين بن أحمد الماذرائي.

ذكر ولاية محمد بن عليّ الخَلَنْجِيّ (١) على مصر

هو محمد بن عليّ الخلنجيّ، الأمير أبو عبد الله المصريّ الطُّولونيّ؛ مَلَك الديار المصريّة بالسيف وآستولَى عليها عَنْوةً من الأمير عيسى بن محمد النُّوشَرِي. وقد مرّ من ذكرِه في ترجمة عيسى النوشريّ ما فيه كِفايةٌ عن ذكره هنا ثانياً، غير أنّنا نذكره على حِدَته لكونه مَلَك مصر؛ وذكَره بعضُ أهل التاريخ في أمراء مصر، فلهذا جعلنا له ترجمة مُستقلّة خوفاً من الاعتراض والاستدراك علينا بعدم ذكره.

ولما مَلك محمد بن عليّ الخلنجيّ الديار المصريّة، مهّد البلاد ووطّن الناس ووضَع العطاء وفرَض الفُروض؛ فجهّز الخليفةُ المكتفِي بالله جيشاً لقتاله وعليهم أبو الأغرّ(٢)، وفي الجيش الأمير أحمد بن كَيْغَلَغ وغيرُه؛ فخرج إليهم محمد بن علي الخلنجيّ هذا وقاتلهم في ثالث المحرّم من سنة ثلاث وتسعين ومائتين فهزَمهم أقبَح هزيمة وأسر من جماعة أبي الأغرّ خَلْقاً كثيراً، وعاد أبو الأغرّ لثمانٍ بقِين من المحرّم حتى وصَل إلى العراق؛ فعظُم ذلك على الخليفة المكتفِي وجهّز إليه العساكر ثانياً صحبة فاتك المعتضدِيّ في البرّ، وجهّز دَمْيانةَ في البحر؛ فقدِم فاتك بجيوشه حتى نزل بالنُّوَيْرَة (٣). وقد عظُم أمرُ الخلنجيّ هذا، وأخرج عيسى النّوشريّ عن مصر وأعمالها بأمور وقعت له معه ذكرناها في ترجمة عيسى النوشريّ، ليس لذكرها هنا ثانياً محلّ.

---

(١) راجع ص ١٦٤، حاشية (٤).

(٢) راجع ص ١٤٨، حاشية (١).

(٣) النويرة: ناحية من عمل البهنسا كما في لب اللباب للسيوطي. وهي الآن من أعمال مديرية بني سويف. (طبعة دار الكتب المصرية ــ حاشية ص ١٥٤).

ولما بلغ الخلنجيّ مجيءُ عسكر العراق ثاني مرّة صحبة فاتك، جمع عسكره وخرج إلى باب المدينة وعَسْكَر به. وقام بالليل بأربعة آلاف من أصحابه ليُبَيِّت(١) فاتكاً وأصحابَه، فضلّوا عن الطريق وأصبحوا قبل أن يصلوا إلى النويرة؛ فعلم بهم فاتك فهَضّ(٢) أصحابَه وآلتقى مع الخلنجيّ قبل أن يصلوا إلى النويرة، فتقاتلا قتالاً شديداً آنهزم فيه الخلنجيّ، بعد أن ثبت ساعة بعد فِرار أصحابه عنه، ودخل إلى مصر وآستتر بها لثلاث خَلَوْن من شهر رجب، ثم قُبِض عليه وحُبِس، حسبما ذكرناه في ترجمة النوشريّ؛ ثم دخَل دَمْيانةُ بالمراكب إلى مصر وأقبل عيسى النوشريّ من الصعيد ومعه الحسين الماذرائيّ ومن كان معهما من أصحابهما لخمسٍ خلون من رجب المذكور؛ وعاد النوشريّ إلى ما كان عليه من وِلاية مصر، والحسين الماذرائيّ على الخراج؛ وزالت دولة محمد بن عليّ الخلنجيّ عن مصر بعد أن حكمها سبعة أشهر وآثنين وعشرين يوماً، كلّ ذلك ذكرناه في ترجمة النوشريّ ولم نذكره هنا إلا لزيادة الفائدة، وأيضاً لِما قدّمناه في أوّل ترجمته. ثم إنّ عيسى النوشريّ قيّد محمد بن عليّ الخلنجيّ هذا وجماعةً من أصحابه، وحمَلهم في البحر إلى أنطاكيَة ثم منها في البرّ إلى العراق إلى حضرة الخليفة، فأُوقِف بين يديه فوبّخه ثم نكّل به، وطِيف به وبأصحابه على الجمال، ثم قُتِل شرّ قِتْلة، وزالت دولته وروحُه بعد أن أفسد أحوال الديار المصريّة وتركها خراباً يباباً من كثرة الفتن والمصادرات. قلت: وأمر محمد هذا من العجائب، فإنّه أراد أخذ ثأر بني طُولون والانتصار لهم غَيْرةً على ما وقع من محمد بن سليمان الكاتب من إفساده الدّيارَ المصريّة، فوقع منه أيضاً أضعافُ ما فعلَه محمد بن سليمان الكاتب، وكان حاله كقول القائل: [الخفيف]

رام نَفْعاً وضَرّ من غير قَصْدٍ ... ومِن البِرّ ما يكون عُقُوقَا

---

(١) أي ليوقع به ليلاً.

(٢) أي حضّهم على السرعة.

ذكر عود عيسى النوشريّ إلى مصر

دخلها بعد آختفاء محمد بن عليّ الخلنجي بيَوْميْن، وذلك في خامس شهر رجب سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ثم دخل فاتك بعساكره إلى مصر في يوم عاشر رجب، وتسلّم الخلنجيَّ وأرسله[1] في البحر لست خلَوْن من شعبان ووقَع ما حكيناه في ترجمته من قتله وإشهاره[2].

وأما عيسى النوشِريّ فإنه آبتدأ في أوّل شهر رمضان بهَدْم مَيْدان أحمد بن طُولون، وبِيعت أنقاضُه بأبخس ثمن، وكان هذا الميدان وقصوره من محاسن الدنيا. وقد تقدّم ذكرُ ذلك في عدّة أماكن في ترجمة ابن طولون وابنه خُمارويه وغير ذلك. ودام فاتك بالديار المصريّة إلى النصف من جُمادى الأولى سنة أربع وتسعين ومائتين [و] خرَج منها إلى العراق.

ثم أمر الأمير عيسى النوشريّ بنفي المؤنّثين من مصر، ومنَع النَّوْح والنداء على الجنائز، وأمر بإغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتَيْن، ثم أمرَ بفتحه بعد أيّام.

ثم ورَدَ عليه الخبر بموت الخليفة المكتفِي بالله عليّ في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين؛ فلما سمِع الجند بموت الخليفة شغَبوا على عيسى النوشريّ، وطلَبوا منه مال البيعة بالخلافة للمُقْتَدِر جعفر، وظفِر النوشريّ بجماعة منهم؛ ولما آستقرّ المقتدر في الخلافة أقرّ عيسى هذا على عمله بمصر.

---

(١) ومعه ثلاثون رجلاً من وجوه أصحابه. (الكندي: ٢٨٢).

(٢) أشهر الشيءَ: شهره أي أعلنه وأذاعه، ومنه الإشهار. وشهَّره (بالتشديد): مبالغة في شهره (بالتخفيف)، ومنه التشهير.

ثم قدِم على عيسى زيادةُ الله [بن أبـي العباس عبد الله](١) بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية مهزوماً من أبـي عبد الله الشيعيّ في شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين، ونزل بالجيزة وأراد الدخول إلى مصر فمنعه من الدخول إليها؛ فوقـع بين أصحابه وبين جند مصر مناوشة وبعض قتال إلى أن وقَـع الصلـح بينهم على أن يَعْبُرها وحدَه من غير جند، فدخلها وأقام بها(٢).

ولم تطُل أيام الأمير عيسى بعد ذلك، ومرِض ولزِم الفراش إلى أن مات، في يوم سادس عشرين من شعبانَ سنة سبـع وتسعين ومائتين وهو على إمْرة مصر. وكانت ولايته على مصر خمس سنين وشهرين ونصف شهر؛ منها ولاية الخلنجيّ على مصر سبعة أشهر وآثنان(٣) وعشرون يوماً. وقام من بعده على مصر ابنه أبو الفتـح محمد بن عيسى، إلى أن وُلّي تكين الحربـيّ؛ وحُمِل عيسى النوشريّ إلى القُدْس ودُفِن به. وكان عيسى هذا أميراً جليلًا شجاعاً مِقداماً عارفاً بالأمور، طالت أيامه في السعادة، ووِلي الأعمال مثل إمْرَة دِمَشق(٤) من قبل المنتصـر والمستعين، ووَلِي شرطة بغداد أيام المكتفِي، ثم ولِي أَصْبَهانَ والجبالَ، إلى أن ولّاه المكتفِي إمرة مصر.

* * *

---

(١) هذه الزيادة ضرورية لصحة السياق التاريخي. إذ المراد بزيادة الله الأغلبـي الذي لجأ إلى مصر في أيام عيسى النوشري هو آخر أمراء الدولة الأغلبية بتونس المتوفى سنة ٣٠٤هـ. في حين أن زيادة الله بن إبراهيم هو رابـع الأغالبة أصحاب أفريقية، وقد توفي سنة ٢٢٣هـ. (انظر البيان المغرب: ١/١٣٤، وابن خلدون: ٤/٢٠٥، والحلة السيراء: ١/١٧٥).

(٢) قارن بابن خلدون: ٤/٢٠٥، والبيان المغرب: ١/١٣٤ ــ ١٧٣.

(٣) في الكندي والمقريزي: «وعشرون يوماً».

(٤) نرى أن أبا المحاسن هنا قد وقـع في الوهم، وتابعه في ذلك من المؤرخين المحدثين خيرالدين الزركلي صاحب الأعلام. فالذي ولي إمرة دمشق من قبل المنتصر والمستعين، وذلك من سنة ٢٤٧ إلى سنة ٢٥٦هـ، هو أبو منصور عيسى بن محمد بن السليل الشيباني النوشري المعروف بابن الشيـخ النوشري والذي توفي بالقاهرة سنة ٢٦٩هـ. وسبب الوهم هو تطابق اسمي أبـي منصور هذا وأبـي موسى صاحب الترجمة. والمعروف أن المستعين خلـع في أول سنة ٢٥٢هـ. (انظر معجم زامباور: ١٨).

السنة التي حكم فيها أربعة أمراء على مصر

وهي سنة آثنتين وتسعين ومائتين:

والأمراء الأربعة: شيبان بن أحمد بن طُولون، ومحمد بن سليمان الكاتب، وعيسى النُّوشَرِيّ، ومحمد بن عليّ الخلنجيّ.

فيها (أعني سنة آثنتين وتسعين ومائتين) قدِم بَدْر الحَمّاميّ الذي قتَل القَرْمَطِيّ[١]، فتلقّاه أربابُ الدولة، وخلَع عليه الخليفة وخلَع على آبنه أيضاً، وطُوِّق بدر المذكور وسُوِّر وقُيِّدت بين يديه خيل الخليفة جنائبَ وحُمِل إليه مائةُ ألف درهم.

وفيها وافت هديّة إسماعيل بن أحمد أمير خُراسان إلى بغداد. كان فيها ثلاثمائة جمل عليها صناديقُ فيها المِسْك والعنبر والثيابُ من كلّ لَوْن ومائةُ غلام وأشياءُ كثيرة غير ذلك.

وفيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وفيها في ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلةً خلَت من رجب ولتسعَ عشرةَ خلت من أيّار، ــ وهو بشنس بالقبطيّ ــ طلع كوكبُ الذنب في الجوزاء[٢].

---

(١) القرمطي الذي قتله بدر الحمامي غلام ابن طولون هو يحيى بن زكرويه المعروف بالشيخ وذلك سنة ٢٨٩هـ، وذلك بعد انضمام بدر إلى والي الشام طغج بن جف. وفي سنة ٢٩٠هـ واقع بدر الحمامي الحسين بن زكرويه (صاحب الشامة) وهو أخ القرمطي السابق. غير أن الذي قتل صاحب الشامة القرمطي هو محمد بن سليمان سنة ٢٩١هـ. (انظر الطبري في حوادث السنوات: ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١هـ) ولم نعثر على هذا الخبر في السياق الذي يورده أبو المحاسن هنا في المصادر التاريخية التي بين أيدينا. والذي ذكره الطبري أنه في هذه السنة «ولسبع خلون من شوال خلع على فاتك وبدر الحمامي لما ندبا إليه من الخروج إلى مصر، وأمرا بسرعة الخروج، ثم شخص فاتك وبدر الحمامي لاثنتي عشرة خلت من شوال».

(٢) في ابن الأثير: «وفيها في العشرين من أيار طلع كوكب له ذنب عظيم جداً في برج الجوزاء». أما شهور القبط فهي: توت (أيلول) وبَابَهْ (تشرين الأول) وهَتُور (تشرين الثاني) وكَيْهَك (كانون الأول) وطُوبَه (كانون الثاني) وأمشير (شباط) وبَرْمَهَات (آذار) وبَرْمُوده (نيسان) وبِشْنِس (أيار) وبَـؤُونه (حزيران) وأبيب (تموز) ومسري (آب). قال المقريزي: كل شهر منها عدده ثلاثون يوماً سواء. فإذا تمت الأشهر الاثنا =

وفيها في جُمادى الأولى زادت دِجلةُ زيادةً لم يُرَ مثلُها حتّى خَرِبت[١] بغداد، وبلغت الزيادة إحدى وعشرين ذِراعاً.

وفيها تُوُفِّي إبراهيم بن عبد الله بن مُسْلم، الحافظ أبو مسلم الكَجِّيّ[٢] البصريّ؛ ولد سنة مائتين، وقدِم بغداد وكان يُمْلِي برَحبَة غسان؛ وكان يُمْلي على سبعة، كلّ واحد منهم يُبلِّغ الذي يليه. وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابرُ[٣]، ومُسِح المكان الذي كانوا قِياماً فيه، فَحَزرُوا[٤] نَيِّفاً وأربعين ألف مِحْبَرة؛ وكانت وفاته ببغداد لتسعٍ خَلَوْن من المحرّم.

وفيها توفي إدريس بن عبد الكريم، أبو الحسن الحدّاد المقرىء؛ وُلِد سنة تسع وتسعين ومائة، ومات ببغداد يوم الأَضْحَى وهو ابن [نحو من] تسعين سنة؛ سُئِل عنه الدارقطنيّ فقال: هو ثِقة وفوق الثقة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفِّي أحمد بن الحسين المصريّ الأَيْلِيّ[٥]، وأبو بكر أحمد بن عليّ بن سعيد قاضي حِمْص، وأحمد بن

= عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها وسموا هذه الخمسة أيام «أبو عمنا» وتعرف اليوم بأيام النسيء، فيكون الحال في النسيء على ذلك ثلاث سنين متواليات، فإذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسيء ستة أيام، فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ٣٦٥ يوماً والرابعة يصير عددها ٣٦٦ يوماً. (خطط المقريزي: ١/٢٦٣ – ٢٧٠).

(١) في ابن الأثير: «حتى تهدمت الدور التي على شاطئها».

(٢) في الأصل: «الكنجي» وهو تحريف. والتصويب عن ابن الأثير وأنساب السمعاني وشذرات الذهب والبداية والنهاية. وأورد السمعاني نسبته على النحو التالي: «البصري الكَجّي الكشي». والكَجّي: نسبة إلى «الكجّ» وهي لفظة فارسية معناها الجصّ. وسمّي بذلك لأنه كان يبني داراً بالبصرة فكان يقول: هاتوا الكجّ، وأكثر من ذلك فلقب بالكجي. قال السمعاني: وظني أن الكشي منسوب إلى جدّه الأعلى: كشّ. قال الحافظ الأصبهاني: ولا أرى لما ذكره السمعاني من نسبته إلى الكجّ أصلاً، ولو كان كذلك لما قيل له إلا الكجي بالجيم، وأظنه منسوباً إلى ناحية بخوزستان يقال لها: زِيرَكَج. وذهب ياقوت في معجم البلدان إلى هذا الظن الأخير.

(٣) في البداية والنهاية: «كان يحضر مجلسه خمسون ألفاً ممن معه محبرة سوى النظارة؛ وكان كلما حدّث بعشرة آلاف حديث تصدّق بصدقة».

(٤) في الأصل: «وكان فيه نيفاً... إلخ» وسياقها اللغوي غير مستقيم.

(٥) نسبة إلى «أيلة» على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. وهي العقبة.

عمرو أبو بكر البَزّار[١]، وأبو مسلم الكَجِّيّ[٢]، وإدريس بن عبد الكريم المقرىء؛ وأسلم بن سهل الواسطيّ، وأبو حازم القاضي عبد الحميد بن عبد العزيز، وعليّ بن محمد بن عيسى الجَكَّانِيّ[٣]، وعلي بن جَبَلة الأصبهانيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وستَّ عشرةَ إصبعاً مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وإصبعٌ واحدة ونصف.

* * *

السنة الثانية من ولاية عيسى النُّوشَرِيّ على مصر

وهي سنة ثلاث وتسعين ومائتين:

فيها توجّه القَرْمَطِيّ[٤] إلى دِمَشق وحارب أهلها، فغلب عليها ودخلَها وقتَل عامّة أهلها من الرجال والنساء، ونهَبها وآنصرف إلى ناحية البادِية.

وفيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميّ،

وفيها عُمِل على دجلة من جانبيها مِقْياس مثلُ مِقياس مصر، طولُه خمس وعشرون ذراعاً، ولكلّ ذراع علامات يَعْرِفون بها الزيادة، ثم خرب بعد ذلك.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد، أبو العباس الأنباريّ الناشي الشاعر المشهور؛ كان فاضلاً بارعاً، وله تصانيف ردّ فيها على الشعراء وأهل المنطق، وعَمِل قصيدةً واحدة في قافية واحدة ورويّ واحد أربعةَ آلاف بيت، ومات بمصر.

---

(١) في الأصل: «البزاز» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب.

(٢) في الأصل هنا: «اللخمي» وهو تحريف. راجع ص ١٧٥، حاشية (٢).

(٣) في الأصل: «الحكاني» بالحاء المهملة. والتصحيح عن معجم البلدان. قال: جكان، بالفتح ثم التشديد، محلة على باب مدينة هراة، منها أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الهروي الجكاني.

(٤) في الطبري والبداية والنهاية أن هذا القرمطي هو أخ للحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة والذي قتل سنة ٢٩١هـ. وفي ابن الأثير أنه رجل كان يعلم الصبيان بالزابونة من الفلوجة يسمى عبد الله بن سعيد، ويكنى أبا غانم، أنفذه زكرويه بن مهرويه بعد قتل صاحب الشامة.

ومن شعره: [الطويل]

عذلتَ على ما لـو علِمت بقدرِه بسطت فكان العَذْلُ واللوم من عذرِي

جهِلتَ ولم تعلم بـأنّـك جـاهـلٌ فمَن لِي بأن تَدْرِي بأنّك لا تَدْرِي

ومن شعره قوله: [المتقارب]

وكـان لنـا أصـدِقـاءُ حُمـاةٌ وأعـداءُ سَـوْءٍ فمـا خُـلِّدُوا

تسـاقَوْا جميعـاً بكـأس الـردَى فمـات الصديقُ ومـات العَـدُو

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي إبراهيم بن علي الذُّهْلي، وداود بن الحسين البَيهَقيّ، وعَبْدَان[1] المَرْوَزِيّ، وعيسى بن محمد [بن عيسى][2] بـن طَهْمَان المروزِيّ، والفضـل بن العبّاس بن صفـوان الأصبهانيّ، ومحمد بن أسد المدنيّ[3]، ومحمد بن عَبْدُوس بن كامل السرّاج، وهُمَيْم بن هَمّام الطبريّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربـع أذرع وسبـع أصابـع ونصف. مبلـغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وسبـع أصابـع.

* * *

السنة الثالثة من ولاية عيسى النُّوشَرِيّ على مصر

وهي سنة أربـع وتسعين ومائتين:

فيها خرج زَكْرويه القَرْمَطِيّ من بلاد القَطِيف[4] يُريد الحاجّ، فوافاهم وقاتَلهم حتّى ظفِر بهم، وواقـع الحاجَّ وأخَذ جميـعَ ما كان معهم، وكان قيمةُ ذلك ألفَيْ ألف

(١) في شذرات الذهب والأعلام هو: عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي المعروف بعبدان. وفي المنتظم لابن الجوزي: عبدان بن محمد بن عيسى بن محمد المروزي.

(٢) زيادة عن شذرات الذهب.

(٣) في شذرات الذهب: «محمد بن أسد المديني أبو عبد الله».

(٤) القطيف: مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها. وكان القطيف قديماً اسم لكورة هناك غلب عليها الآن اسم هذه المدينة. (معجم البلدان).

دينار بعد أن قتل من الحاجّ عشرين ألفاً. وجاء الخبر إلى بغداد بذلك، فعظُم ذلك على المكتفِي وعلى المسلمين، ووقَع النَّوْح والبكاءُ. وآنتدب جيشٌ لقتاله، فساروا، وسار زَكْرويه إلى زُبَالَة[١] فنزلها؛ وكانت قد تأخرت القافلة الثالثة وهي مُعْظَم الحاجّ، فسار زكرويه المذكور ينتظرها، وكان في القافلة أعْيُنُ[٢] أصحاب السلطان ومعهم الخزائن والأموال وشَمْسَة[٣] الخليفة، فوصَلوا إلى فَيْد[٤] وبلغهم الخبر فأقاموا ينتظِرون عسكر السلطان فلم يَرد عليهم الجند، فساروا فوافَوْا الملعونَ بالهَبِير[٥] فقاتلهم يوماً إلى الليل ثم عاودهم الحربَ في اليوم الثاني، فعَطِشوا وآستسلَمُوا، فوضع فيهم السيفَ فلم يُفْلت منهم إلا اليسير، وأخَذ الحريمَ والأموالَ؛ فندب المكتفِي لقتاله القائد وصيفاً[٦] ومعه الجيوش، وكتب إلى شيبان أن يُوَافُوا فجاؤوا في ألفين ومائتي فارس، فلقِيه وصيف يوم السبت رابعَ شهر ربيع الأوّل، فاقتتلوا حتى حَجز بينهم الليل، وأصبحوا على القتال فنصَر الله وصيفاً وقَتل عامّةَ أصحاب زَكْرويه المذكور، الرجال والنساء، وخلّصوا مَن كان معه من النساء والأموال. وخلَص بعضُ الجند إلى زكرويه فضرَبه وهو مُوَلٍّ على قفاه[٧]، ثم أسره وأسروا خليفته وخواصَّه وآبنَه وأقاربَه وكاتبَه وآمرأته؛ فعاش زكرويه خمسة أيام ومات من الضربة، فشقّوا بطنه وحُمِل إلى بغداد، وقُتِل الأُسارَى وأُحْرِقوا. وقيل: إن الذي جرَح زَكْرويه هو وصيف بنفسه. قلت: لا شلَّت يداه. وتفرّق أصحاب زكرويه في البَرِّيّة وماتوا عطشاً.

---

(١) زبالة (بضم أوله): منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية. (معجم البلدان).

(٢) أعين: جمع عين ــ كأعيان وعيون ــ والعين: السيد والشريف من القوم.

(٣) كذا أيضاً في الطبري. وعبارة الطبري: «وكانت الشمسة جعل فيها المعتضد جوهراً نفيساً» وذكر ابن الأثير والطبري أنه كان في جملة ما أخذوه من هذه القافلة أموال بني طولون.

(٤) فَيْد: بليدة في منتصف طريق مكة من الكوفة.

(٥) الهبير: رمل زرود في طريق مكة.

(٦) هو وصيف بن صوارتكين.

(٧) في الطبري: «ضربه بعض الجند بالسيف على قفاه وهو مولٍّ ضربة اتصلت بدماغه»، وفي ابن الأثير: «ضربه بعض الجند وهو مولٍّ بالسيف على رأسه، فبلغت الضربة دماغه».

وفيها تُوفّي محمد بن نصر، أبو عبد الله المَرْوَزِيّ الفقيه أحدُ الأئمة الأعلام وصاحب التصانيف الكثيرة والكتبِ المشهورة؛ مولده ببغداد في سنة آثنتين ومائتين ونشأ بنيسابور وآستوطن سَمَرْقَند، وكان أعلمَ الناس بآختلاف الصحابة ومَنْ بعدَهم في الأحكام.

وفيها توفّي صالح[1] بن محمد بن عمرو بن حبيب بن حسان بن المنذر بن أبي الأبرش عمّار، مولى أسد بن خُزَيْمَة، الحافظ أبو عليّ الأسديّ البغدادي المعروف بجَزَرة نزيل بُخَارَى؛ ولد سنة خمس ومائتين ببغداد. قال أبو سعيد[2] الإدريسيّ الحافظ: صالح بن محمد جزرة ما أَعْلَمُ في عصره بالعراق وخُراسانَ في الحفظ مثلَه. ولُقِّب «جزرةَ» لأنه جاء في حديث عبد الله بن بشر أنه كانت عنده خَرَزة يَرْقِي بها المَرْضَى، وكانت لأبي أُمامة الباهليّ، فصحّفها جزرة (بجيم وزاي معجمتين).

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفِّي الحسن بن المثَّنى العَنْبريّ، وأبو علي صالح بن محمد جَزَرة، وعُبَيد[3] العِجْليّ، ومحمد بن إسحاق بن [إبراهيم بن مَخْلَد المعروف بابن][4] رَاهْوَيه الفقيه، ومحمد بن أيوب بن الضُّرَيْس الرازيّ، ومحمد بن معاذ الحَلَبِيّ[5] «دران»، ومحمد بن نصر المَرْوَزِيّ الفقيه، وموسى بن هارون الحافظ.

أمر النيل في هذه السنة:

(١) تقدم ذكر هذا الاسم في وفيات سنة ١٩٣هـ، والصحيح أنه مات في هذه السنة أو التي قبلها، كما أجمعت عليه المصادر.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، صاحب «تاريخ سمرقند». انظر الجزء الرابع من هذا المطبوع: أخبار سنة ٤٠٥هـ.

(٣) هو الحسين بن محمد بن حاتم، أبو علي، كما في شذرات الذهب وعقد الجمان.

(٤) زيادة عن شذرات الذهب وتقريب التهذيب وابن خلكان. والمعروف بابن راهويه هو والده.

(٥) في الأصل: «الجيلي». والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي، وشذرات الذهب. وفي حاشية شذرات الذهب: «ودران لقب له. وفي كنيته اختلاف، فقيل أبو علي، وقيل أبو بكر، على ما في النزهة لابن حجر».

الماء القديم أربع أذرع وإصبع واحدة. مبلغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وإحدى عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من ولاية عيسى النُّوشَريّ على مصر

وهي سنة خمس وتسعين ومائتين:

فيها كان الفِداء بين المسلمين وبين الروم، فكانت عِدّة مَن فُودِيَ من المسلمين ثلاثةَ آلاف إنسان.

وفيها بعث الخليفة المكتفِي خاقانَ البَلْخِيّ إلى إقليم أذْرَبيجان لحرب يوسف بن أبي الساج فسار في أربعة آلاف.

وفيها في ذي القَعْدة مات الخليفة المكتفِي بالله، أبو محمد عليّ بن المعتضِد بالله أحمد ابن وليّ العهد طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن الرشيد هارون بن المهديّ محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس العباسيّ الهاشميّ أمير المؤمنين؛ وُلِد سنة أربع وستين ومائتين، وكان يُضرب المَثَل بحسنه في زمانه؛ كان معتدلَ القامة دُرّيّ[1] اللون أسودَ الشعر حسَنَ اللحية جميلَ الصورة، وأمّه أمّ ولد تُسمّى «خاضعَ»[2]. بويع بالخلافة بعد موت والده المعتضِد في جُمادى الأولى سنة تسع وثمانين ومائتين، وكانت خلافته ستة أعوام ونصفاً، وبويع بالخلافة بعده أخوه جعفر المقتدر. وخلّف المكتفِي في بيت المال خمسةَ عشرَ ألفَ ألفِ دينار، وهو الذي خلّفه المعتضد وزاد على ذلك المكتفِي أمثالَها.

وفيها توفّي إبراهيم بن محمد بن نوح بن عبد الله، الحافظ أبو إسحاق

---

(١) في الأصل: «ذريّ» بالذال المعجمة. والتصحيح عن شذرات الذهب وفوات الوفيات. قال ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات: «وكان يلقب (المترف) لنعمة جسمه وحسنه».

(٢) كذا بالأصل. وفي الطبري وابن الأثير وتاريخ الخلفاء للسيوطي: «وأمه أم ولد تركية اسمها جيجك».

النَّيْسابوريّ؛ كان إمام عصره بنيسابور في معرفة الحديث والعِلل والرجال والزهد والورع، وكان الإمام أحمد بن حنبل يُثْنِي عليه.

وفيها توفي أبو الحسين أحمد بن محمد [بن الحسين][1] النُّورِيّ البغداديّ المولد والمنشأ[2]، وأصله من خراسان من قرية بين هَرَاةَ ومَرْو الروذ. وإنما سُمّي النُّورِيَّ لأنه كان إذا حضر في مكان يُنوّر[3]؛ كان أعظم مشايخ الصوفيّة في وقته؛ كان صاحب لسان وبيان، كان من أقران الجُنَيد بل أعظم.

وفيها توفّي إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامانَ أحد ملوك السامانية، وهم أرباب الولايات بالشاش[4] وسَمَرْقَند وفَرْغَانة وما وراء النهر؛ وَلِي إمرةَ خُراسان بعد عمرو بن الليث الصفّار، وكان مِلِكاً شجاعاً صالحاً، بنى الرُّبُط[5] في المفاوز وأوقف عليها الأوقاف، وكل رِباط يسع ألفَ فارس؛ وهو الذي كسر الترك؛ ولمّا توفِّي تمثّل الخليفةُ [المكتفي] بقول أبي نُوَاس: [مجزوء البسيط]

لم يَخلُقِ[6] الدهرُ مِثْلَه أبداً هيهاتَ هيهاتَ شأنُه عَجَبُ

وفيها توفي أبو حمزة الصُّوفيّ الصالح الزاهد الورع؛ كان من أقران الجنيد وأبي تراب النَّخْشَبِيّ[7]؛ كان من كِبار مشايخ القوم وأزهدِهم وأورعِهم

(١) زيادة عن عقد الجمان. وذكره السمعاني في الأنساب باسم محمد بن محمد بن الصوفي النوري. قال ابن كثير في البداية والنهاية: اسمه أحمد بن محمد، ويقال: محمد بن محمد والأول أصح، ويعرف بابن البغوي.

(٢) في الأصل: «والمنشأ خراسان وأصله...» والتصحيح عن المنتظم لابن الجوزي.

(٣) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل: «في مكان النور».

(٤) الشاش: بلد فيما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون، متاخمة لبلاد الترك وأهلها شافعية المذهب. (معجم البلدان).

(٥) الربط والرباطات: جمع رباط؛ وهي تبنى للفقراء.

(٦) رواية البداية والنهاية: «لن يخلف الدهر مثلهم أبداً».

(٧) هذه النسبة إلى «نَخْشَب» ويقال لها أيضاً: «نَسَف» وهي بلدة كبيرة بين جيحون وسمرقند. وفي النسبة إليها يقال أيضاً: النَّسفي. قال السمعاني: أبو تراب النخشبي هو شيخ عصره بلا مدافعة. اختلف في اسمه، والأشهر أن اسمه عسكر بن حصين، وقيل: عسكر بن محمد بن حصين. كان من جلّة المشايخ والمذكورين بالعلم والفتوّة والتوكل والزهد والورع».

وأفتاهم[١]، وله المجاهدات والرياضات المشهورة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو الحسين النُّوريّ شيخ الصوفيّة أحمد بن محمد، وإبراهيم بن أبي طالب الحافظ، وإبراهيم بن مَعْقل قاضي نَسَف[٢]، والحسن بن علي المَعْمَرِيّ[٣]، والحكم بن مَعْبد[٤] الخُزَاعِيّ، وأبو شُعيب[٥] الحَرّانيّ، والمكتفي بالله بن المعتضد، وأبو جعفر محمد بن أحمد التِّرْمِذِيّ الفقيه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وستَّ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة من ولاية عيسى النُّوشَرِيّ على مصر

وهي سنة ستّ وتسعين ومائتين:

فيها خُلِع الخليفة جعفرٌ المقتدِر من الخلافة وبُويع عبد الله بن المعتزّ بالخلافة؛ وسبب خَلْعه صِغَرُ سنّه وقصورُه عن تدبير الخلافة واستيلاءُ أمّه والقَهْرَمَانةِ[٦] على الخلافة؛ وكانت أمّه أمّ ولد تُسمّى شَغَب[٧]؛ فآتفق الجند على

(١) أفعل تفضيل من «الفتوّة» وليس من «الفتيا».

(٢) راجع الحاشية (٧) في الصفحة السابقة. وذكر السمعاني أنه توفي سنة ٢٩٤هـ.

(٣) في شذرات الذهب والبداية والنهاية أن هذه النسبة إلى جدّه لأمه محمد بن سفيان بن حميد المعمري صاحب معمر بن راشد. وفي أنساب السمعاني أنه اشتهر بهذه النسبة لأنه عني بجمع حديث معمر بن راشد.

(٤) كذا أيضاً في شذرات الذهب. وفي تاريخ الإسلام والمنتظم: «الحكم بن سعيد بن أحمد الخزاعي».

(٥) هو كما في تاريخ الإسلام وشذرات الذهب: «عبد الله بن الحسن بن أبي شعيب». وفي البداية والنهاية: «عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب. واسم أبي شعيب: عبد الله بن مسلم» وفي عقد الجمان: «عبد الله بن مسلم».

(٦) القهرمانة: مدبّرة البيت ومتولية شؤونه. ومنه القول المأثور: «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة».

(٧) وقيل: أمه تركية تسمى «غريب». (تاريخ الخلفاء).

قتله وقتل وزيره العبّاس [بن الحسن][1] وقتل فاتك المعتضِديّ، ووَثَبُوا على هؤلاء وقتلوهم. وكان المقتدر بالحَلْبَة يلعَب بالصَّوَالجة[2] ــ أعني بالكُـرَة على عادة الملوك ــ فلما بلغه قتلُهم نزل وأغلَق باب القصر؛ فبايعوا عبدَ الله بن المعتـزّ بشروط[3] شرَطها عبدُ الله عليهم، وكان عبد الله بن المعتزّ أشعرَ بني العباس و[من] خيارهم، ولقّبوه بالمُنْصِف بالله، وقيل: بالغالب بالله، وقيل: بالراضي بالله، وقيل: بـالمرتضى؛ وآستـوزر محمدَ بن داود بن الجـرّاح. ولما بُلِّـغَ هـذا الخبـرُ إلى أبـي جعفر الطبريّ قال: ومن رُشِّـح للوزارة؟ قالوا: محمد بن داود؛ قال: ومن ذُكِر للقضاء؟ قالوا: أبو المثنّى أحمد بنُ يعقوب؛ ففكّر طويلاً وقال: هذا أمر لا يتمّ؛ قيل: ولِمَ؟ قال: لأن كلّ واحد من هؤلاء الذين ذكرتُم مقدّم في نفسه عالي الهمة رفيـعُ الرتبة في أبناء جنسه، والزمان مُدبِر والدولة مُولّية. وكان كما قال. وخُلِـع عبد الله بن المعتزّ من يومه وقُتِل من الغد؛ وكانت خلافته يوماً وليلة، وقيل: بل نصفَ نهار وهو الأصـحّ. وقُتِل آبن المعتزّ ووصيف بن صَوَارتكين ويُمْن الخادم وجماعة من القضاة والفقهاء الـذين آتفقوا على خلـع آلمقتـدر، قتَلهم مؤنس الخادم[4]، وأُعيد جعفر المقتدِر إلى الخلافة[5].

وفيها آستوزر المقتدِر أبا الحسن عليَّ بن محمد بن الفُرات.

وفيها أمر المقتدر ألاّ يُستخدَم أحدٌ [من] اليهود والنصـارى إلا في الطب

(١) زيادة عن ابن الأثير وشذرات الذهب وتاريخ الخلفاء للسيوطي. وذكر السيوطي أن الوزير العباس بن الحسن عمل أولاً على خلـع المقتدر، فبلـغ المقتدر ذلك فأصلـح حال العباس ودفـع إليه أموالاً أرضته فرجـع عن ذلك.

(٢) في الأصل: «الصالجة» وهو تحريف. والصوالجة: جمـع صولـج وصولجانة، وهي العود المعوج يضرب به الكرة على الخيل... وفي تاريخ الخلفاء «يلعب الأكرة» وفي ابن الأثير: «يلعب بالكرة».

(٣) كان شرطه ألا يكون في الأمر سفك دم ولا حرب.

(٤) في تاريـخ الخلفاء: «يونس الخازن»، وفي الطبري وابن الأثير: «مؤنس الخازن» قال ابن الأثير: ومؤنس الخازن هو غير مؤنس الخادم؛ وكان المقتدر قد قلّد مؤنساً الخازن الشرطة في تلك الساعة.

(٥) قال ابن الأثير: «وكان في هذه الحادثة عجائب: منها أن الناس كلهم أجمعوا على خلـع المقتدر والبيعة لابن المعتز فلم يتم ذلك، بل كان على العكس من إرادتهم. ومنها أن ابن حمدان ــ على شدّة تشيّعه وميله إلى عليّ عليه السلام وأهل بيته ــ يسعى في البيعة لابن المعتز، على انحرافه عن عليّ وغلوّه في النصب».

والجهبذة[١] فقط، وأن يُطالَبوا بلُبْس العسليّ وتعليقِ الرِّقاع المصبوغة بين أظهرهم[٢].

وفيها وقَع ببغداد ثلج في كانون في أوّل النهار إلى العصر وأقام أيّاماً لم يذُب.

وفيها آنصرف أبو عبد الله الداعيّ[٣] إلى سِجِلْمَاسة[٤] فآفتتحها وأخرج المهديّ عُبَيدَ[٥] الله وولدَه من حبس اليسع [ابن مدرار][٦] وأظهر أمره وأعلم أصحابه أنّه صاحب دعوته وسلّم عليه بأمير المؤمنين، وذلك في سابع ذي الحجة من سنة ستٍّ هذه. وعبيد الله هذا هو والد الخلفاء الفاطميّين وهو أوّل من ظهر منهم كما سيأتي ذكرُه إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب في ترجمة المُعِزّ وغيرِه.

---

(١) الجهبذة: هي عملية نقد الذهب والفضة. (صبح الأعشى: ١٦/١٠) والجهبذ: بكسر الجيم وسكون الهاء وكسر الباء، كاتب يرسم الاستخراج والقبض ويقوم بكتابة الوصولات وعمل المخازيم والختمات، ويطالب بما يقتضيه تخريج ما يرفعه من الحساب اللازم له. وهذا اللفظ قديم الاستعمال في مصطلح الدواوين الإسلامية؛ وقد أبدل بلفظ الصيرفي في أيام الدولة الفاطمية. ويعرف اليوم بأمين الصندوق، والخازن، وأمين المال، والصرّاف. (انظر صبح الأعشى: ٤٦٦/٥، وقوانين الدواوين لابن مماتي: ٩، وإغاثة الأمة للمقريزي: ٢١، ومعجم متن اللغة: مادة جهبذ).

(٢) في الأصل: «على ذراريهم» وما أثبتناه من عقد الجمان. وكتب المقتدر في ذلك كتاباً إلى الأمصار، أورد القلقشندي نسخته في صبح الأعشى: ٣٦٨/١٣، وذكر أن تاريخه سنة ٢٩٥هـ. وانظر فيما يأتي ص ٢٤٩ من هذا الجزء، حاشية (٢).

(٣) هو أبو عبد الله الشيعي، الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا. (ابن الأثير).

(٤) مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان. (معجم البلدان) وقد عقد ابن عذاري في البيان المغرب: ١٥٦/١ فصلاً خاصاً في التعريف بأمر سجلماسة من حين ابتدائها إلى سنة ٢٩٧هـ.

(٥) في اسمه ونسبه خلاف أورده ابن الأثير بالتفصيل في حوادث سنة ٢٩٦هـ. وأورد ابن الطقطقي في الفخري اسمه ونسبه على النحو التالي: «أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثالث بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق» قال: وقد روي نسبهم على صورة أخرى وفيه اختلاف كثير، والصحيح أنهم علويون إسماعيليون صحيحو الاتصال. وهذه الصورة التي أوردتها ها هنا هي المعوّل عليها وبها خطوط مشايخ النسّابين».

(٦) زيادة عن ابن الأثير والبيان المغرب لابن عذاري. وفيه أن عبيد الله وولده أبا القاسم كانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار وهي أخت اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة.

وفيها توفِّي أحمد بن محمد بن هانىء، أبو بكر الطائي الأثرم الحافظ؛ سمِع الكثير ورحَل [إلى] البلاد وصنّف عِلَل الحديث والناسخَ والمَنسوخ في الحديث؛ وكان حافظاً ورعاً مُتْقِناً.

وفيها توفّي أمير المؤمنين أبو العبّاس عبد الله ابن الخليفة المعتزّ بالله محمد ابن الخليفة المتوكّل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة محمد المهديّ ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس الهاشميّ العباسيّ البغداديّ، الشاعرُ الأديب صاحب الشعر البديع والتشبيهات الرائقة والنثر الفائق؛ أخَذ العربية والأدب عن المبرّد وثعلب وعن مؤدّبه أحمد بن سعيد الدمشقيّ؛ ومولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين، وأمّه أمّ ولد تُسمّى خاينَ(1). بويع بالخلافة بعد خلع المقتدِر وكاد أمره أن يتمّ ثم تفرّق عنه جمعُه فقُبِض عليه وقُتِل سرّاً في شهر ربيع الآخر، كما ذكرناه في أوّل هذه السنة. ومن شعره: [البسيط]

انظر إلى اليوم ما أَحْلَى شمائِلَه ... صَحْوٌ وغَيْمٌ وإبراقٌ وإرْعادُ
كأنّه أنتَ يا من لا شبيهَ له ... وصلٌ وهجرٌ وتقريبٌ وإبعاد

وله في خال مليح: [السريع]

أسْفَرَ ضوْءُ الصبح من وَجْهِه ... فقام خالُ الخدّ فيه بلالْ
كأنّما الخالُ على خدّه ... ساعةُ هجرٍ في زمان الوِصَالْ

قلت: ويُعجِبني في هذا المعنى قول السَّروجيّ(2): [السريع]

في الجانب(3) الأَيْمَن من خدّها ... نقطةُ مِسكٍ أَشتَهِي شَمَّهَا
حَسِبتُه لما بَدَا خالَها ... وجدتُه من حسنِهِ عَمَّها

---

(1) كذا بالأصل. وفي عقد الجمان: «حايز». والواضح أن أحد الاسمين تحريف للآخر.

(2) هو عبد الله بن علي بن منجد السروجي، تقي الدين. شاعر فيه فضل وأدب. ولد في سروج وتوفي بالقاهرة سنة ٦٩٣هـ. (فوات الوفيات: ٢/١٩٦).

(3) في المرجع السابق: «بالجانب».

وأخذ في هذا المعنى المُعِزّ المَوْصِلِيّ[١] فقال: [السريع]

لَحظتُ من وجْنَتِها شامةً فابتسمتْ تَعْجَبُ مِن حالِي
قالتْ قِفُوا واسمعوا ما جَرى قد هام عمِّي الشيخُ في خالِي

ومن شعر ابن المعتزّ أيضاً بيت مفرد: [الوافر]

فنون[٢] والمُدامُ ولَوْنُ خَدِّي شقيقٌ في شقيقٍ في شقيقِ

قلت: ويُشْبه[٣] هذا قولَ ابن الروميّ حيث قال: [الوافر]

كأنّ الكأسَ في يدِهِ وفِيه[٤] عقيقٌ في عقيقٍ في عقيقِ

قلت: ومن تشابيه ابن المعتز البديعةِ قوله ينعَتُ البَنَفْسَج: [البسيط]

ولازَوَرْدِيّةٍ[٥] تَزْهو بزُرْقَتِها وسْطَ الرياضِ على حُمْر اليواقيتِ
كأنّها وضعاف القُضْب تحملها أوائلُ النار في أطراف كِبريتِ

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفِّي أحمد بن نَجْدَة الهَرَويّ، وأحمد بن يحيى الحُلْوَانِيّ، وخلف بن عمرو العُكْبُرِيّ، وعبد الله بن المعتزّ، وأبو الحصين الوادِعِيّ[٦] محمد بن الحسين، ومحمد بن محمد بن شِهاب البَلْخِيّ، ويوسف بن موسى القطّان الصغير.

---

(١) هو عز الدين الموصلي، علي بن الحسين بن علي المتوفى سنة ٧٨٩هـ. شاعر أديب من أهل الموصل. أقام مدة في حلب، وسكن دمشق وتوفي بها. (الأعلام: ٤/ ٢٨٠).

(٢) كذا. وفي حاشية طبعة دار الكتب المصرية: «لعله: فدمعي والمدام ولون خدّك».

(٣) في الأصل: «وتشبه هذا القول الرومي» وفيه تحريف.

(٤) في الأصل: «وفيها».

(٥) كذا في طبعة دار الكتب عن معاهد التنصيص. ورواية الأصل:

ولازوردية أوفت بزرقتها بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق باقات نهضن بها أوائل النار في أطراف كبريت

(٦) في الأصل: «الرادعي» بالراء. والتصحيح من شذرات الذهب وعقد الجمان والبداية والنهاية. وأنساب السمعاني. وهذه النسبة إلى «وادعة» وهم بطن من همدان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وتسعَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وتسعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة السادسة من ولاية عيسى النُّوشَرِيّ على مصر

وهي سنة سبع وتسعين ومائتين:

فيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميّ.

وفيها وصَل الخبر إلى العراق بظهور عُبَيْد الله المسمى بالمهديّ ــ أعني جدّ الخلفاء الفاطميّين ــ وأخرج الأغلبَ من بلاده وبَنَى المَهْدِيّة[١]. وخرجت بلاد المغرب عن حكم بني العباس من هذا التاريخ؛ وهرَب آبن الأغلب وقصَد العراقَ، فكتب إليه الخليفة أن يصير إلى الرقّة ويُقيمَ بها.

وفيها أُدخل طاهر ويعقوب آبنا محمد بن عمرو بن الليث الصفّار بغدادَ أسيريْنِ.

وفيها توفِّي الجُنَيْد بن محمد بن الجنيد الشيخ الزاهد الورع المشهور، أبو القاسم القوارِيريّ الخزّاز[٢]؛ وكان أبوه يبيع الزجاج وكان هو يبيع الخزّ؛ وأصله من نَهَاوَنْد[٣] إلا أنّ مولده ومنشأه ببغداد؛ وكان سيِّد طائفة الصوفيّة من كِبار القوم

---

(١) المهديّة: مدينة استحدثها عبيد الله المهدي سنة ٣٠٠هـ وجعلها قاعدة حكمه. وبينها وبين القيروان مرحلتان، القيروان في جنوبيها. وهي على طرف داخل في البحر كهيئة كف متصلة بزند. قال الحميري: «وكانت المهدية مدينتين: المهدية يسكنها السلطان وجنوده، وزويلة يسكنها الناس. والمهدية كانت قاعدة البلاد الإفريقية وقطب مملكتها». انظر: الروض المعطار للحميري، وتقويم البلدان لأبي الفدا، ومعجم البلدان لياقوت، ومعجم ما استعجم للبكري.

(٢) في الأصل: «الجزاز» بالجيم المعجمة، وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وعقد الجمان.

(٣) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام. (معجم البلدان).

وساداتِهم، مَقبولَ القول على جميع الألسن؛ وكان يتفقّه على مذهب أبي ثور[١] الكلبيّ؛ أفتى في حَلْقَته وهو ابن عشرين سنة؛ وأخذ الطريقة عن خاله سَرِيّ السَّقَطِيّ، وكان سريّ أخذها عن معروف الكَرْخِيّ، ومعروف الكرخيّ أخذها عن عليّ بن موسى الرِّضَا. قال الجنيدُ: ما أخرج الله إلى الناس عِلماً وجعل لهم إليه سبيلاً إلّا وقد جعل لي فيه حظّاً ونصيباً. وقيل: إنه كان إذا جلس بدكّانه كان وِرْدُه في اليوم ثلاثمائة ركعة وكذا وكذا ألف تسبيحة. وقيل: إنه كان يفتح دكّانه ويُسبِل الستر ويُصلّي أربعمَائة ركعة. وقال الجَرِيرِيّ[٢]: سمعته يقول: ما أخذنا التصوّف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات [والمستحسنات][٣]. وذكر أبو جعفر الفَرْغانِيّ أنه سمع الجنيد يقول: أقلّ ما في الكلام سقوط هيبة الرب سبحانه وتعالى من القلب، والقلب إذا عَرِي من الهيبة عَرِي من الإيمان. ويقال: إنّ نقش خاتم الجنيد: «إن كُنْتَ تَأْمُلُه فلا تَأْمنْه». وعن الخُلْدِيّ[٤] عن الجنيد قال: أُعْطِي أهلُ بغداد الشطْحَ[٥] والعبادةَ، وأهلُ خُراسان القلبَ والسخاءَ، وأهلُ البصرة

---

(١) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي. من أصحاب الإمام الشافعي. توفي سنة ٢٤٠هـ. وقال ابن خلكان: «أخذ الجنيد الفقه عن أبي ثور، ويقال: كان يتفقّه على مذهب سفيان الثوري».

(٢) في الأصل: «الحريري» بالحاء المهملة، وهو تصحيف. والتصحيح عن المشتبه للذهبي وشذرات الذهب.

(٣) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية عن الرسالة القشيرية.

(٤) بالأصل هنا، وفي حوادث سنتي ٣٢٨ و٣٤٨هـ: «الخالدي» وهو تحريف. والتصحيح عن معجم البلدان وأنساب السمعاني وابن الأثير. وهو جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم الخواص الخُلدي أبو محمد. والخُلدي (بضم الخاء المعجمة وسكون اللام) تطلق عادة نسبة إلى محلة الخلد وهي على شاطىء دجلة، سميت باسم قصر الخلد الذي بناه المنصور. أما جعفر الخلدي المذكور هنا فنسبته ليست إلى محلة الخلد المعروفة وإنما هو اسم جرى عليه خاطبه به الجنيد. قال: والله ما سكنت الخلد ولا سكن أحد من آبائي. (انظر الحكاية في أنساب السمعاني ومعجم البلدان).

(٥) الشطحة والشطحات من اصطلاحات الصوفية. يقال: للصوفي أحوال وشطحات. وشطح في السير أو في القول: تباعد واسترسل (المعجم الوسيط). وفي معجم متن اللغة: الشطحة «دخيلة آرامية» وشطحات الصوفية كلمات تصدر عنهم في حال الغيبوبة وغلبة شهود الحق جلّ وعلا عليهم بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق. قال في التاج: وكأنها عامية، وتستعمل في اصطلاح التصوّف. قال الشيخ محمد رضا في معجمه: والشطح عند العامة: مصدر شطح إذا ذهب بعيداً، وهي مقلوب شحط، وهو شحط النوى.

الزهدَ والقَنَاعة، وأهلُ الشأم الحلمَ والسلامةَ، وأهلُ الحجاز الصبرَ والإنابة. وقال إسماعيل بن نُجَيْد[١]: هؤلاء الثلاثة لا رابعَ لهم: الجنيد ببغداد، وأبو عثمان[٢] بنيسابور، وأبو عبد الله[٣] بن الجَلّي بالشأم. وقال أبو بكر العَطَوِيّ: كنت عند الجنيد حِين احتُضِر فختم القرآن، قال: ثم ابتدأ فقرأ من البقرة سبعين آية ثم مات. وقال أبو نعيم: أخبرنا الخُلْدِيّ كتابة قال: رأيت الجنيد في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفَنِيت تلك العلوم، ونَفِدَت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعتان[٤] كنا نركعهما في الأسحار. قال أبو الحسين [بن][٥] المنادي: مات الجنيد ليلة النَّوْرُوز[٦] في شوّال سنة ثمان وتسعين ومائتين، قال: فذُكِر لي أنهم حَزَرُوا[٧] الجمع الذين صَلَّوْا عليه نحوَ ستين ألف إنسان، ثم ما زالوا يتعاقبون قبره في كلّ يوم نحو الشهر. ودُفِن عند قبر سَرِيّ[٨] السَّقَطِيّ. قال الذهبيّ: وورَّخه بعضهم في سنة سبع فوَهِم. قلت: ورّخه صاحب المرآة وغيره في سنة سبع.

---

(١) هو إسماعيل بن نجيد بن أحمد المتوفى سنة ٣٦٦هـ. زاهد عابد. كان شيخ الصوفية في نيسابور. (الأعلام: ١/٣٢٨).

(٢) أبو عثمان هو سعيد بن إسماعيل الحيري المقيم بنيسابور مع شاه الكرماني. أقام عنده وتخرّج به. (طبعة دار الكتب المصرية عن الرسالة القشيرية).

(٣) أبو عبد الله هو أحمد بن يحيى بن الجلّي. بغدادي الأصل أقام بالرملة ودمشق. من أكابر مشايخ الشام. صحب أبا تراب النخشبي وذا النون المصري وأبا عبيد الله البسري وأباه يحيى الجلّي. (المرجع السابق).

(٤) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل: «وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها وقت السحر».

(٥) زيادة عن معجم البلدان والمنتظم.

(٦) النوروز أو النيروز بالفارسية: اليوم الجديد، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس (آذار) من السنة الميلادية. وعيد النوروز أو النيروز هو أكبر الأعياد القومية للفرس.

(٧) حزر الشيء: قدّره بالتخمين.

(٨) وهو خال الجنيد.

وفيها توفِّي عمرو[١] بن عثمان أبو عبد الله المكيّ، سكن بغداد وكان شيخ القوم في وقته، صحِب الجنيد وغيره.

وفيها توفِّي الشيخ أبو الحارث الفيض بن الخضر أحمد، وقيل: الفيض بن محمد الأولاسيّ[٢] الطَّرَسُوسِيّ أحدُ الزهاد ومشايخ القوم؛ مات بطرسوس وكان صاحبَ حالٍ وقَالٍ، وله إشاراتٌ ولسانٌ حُلْوٌ في عِلم التصوّف.

وفيها توفِّي محمد بن داود [بن عليّ][٣] بن خلف، الشيخ أبو بكر الأَصْبَهانِيّ الظاهِرِيّ صاحب كتاب «الزهرة»[٤]؛ كان عالماً أديباً فصيحاً، وكان يلقّب بعصفور الشوك لنحافته وصُفْرة لونه؛ ولما جلَس محمد هذا بعد وفاة أبيه في مجلسه آستصغروه عن ذلك، فسأله رجل عن حدّ السكْر ما هو، ومتى يكون الرجل سكرانَ؟ فقال محمد على البديهة: إذا عَزَبت عنه الهمومُ، وباح بسرّه المكتوم؛ فآستحسنوا منه ذلك.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي إبراهيم بن هاشم البَغَوِيّ، وإسماعيل بن محمد بن قِيراط، وعبد الرحمن بن القاسم [بن][٥] الروّاسيّ [الهاشميّ][٥]، وعُبَيْد بن غنّام[٦]، ومحمد بن عبد الله مُطَيّنٌ، ومحمد بن عثمان بن [محمد بن][٧] أبي شَيْبة، ومحمد بن داود الظاهريّ، ويوسف بن يعقوب القاضي.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم تسع أذرع وإحدى عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً، وإحدى عشرة إصبعاً.

---

(١) في حاشية طبعة دار الكتب أن وفاته في الرسالة القشيرية سنة ٢٩١هـ. وفي المنتظم لابن الجوزي: «توفي ببغداد سنة ٢٩٧هـ وقيل سنة ٢٩١هـ والأول أصحّ».

(٢) هذه النسبة إلى «أولاس» بلدة على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس.

(٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان. وفي المسعودي أن وفاته سنة ٢٩٦هـ.

(٤) هو كتاب «زهرة العلوم والأدب» (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: ص ٦٢٠).

(٥) زيادة عن الذهبي.

(٦) في الأصل: «غانام» وهو تحريف. والتصحيح عن الذهبي.

(٧) زيادة عن المنتظم.

ذكر ولاية تكين الأولى على مصر [١]

هو تَكِين بن عبد الله الحَرْبيّ، الأمير أبو منصور المُعْتضدِيّ الخَزَرِيّ؛ ولّاه الخليفة المقتدِر بالله على صلاة مصر بعد موت عيسى النُّوشريّ، فدُعي له بها في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من شوّال سنة سبع وتسعين ومائتين. ثم قدِم خلِيفته إلى مصر يوم الأربعاء في ثالث عشرين شوّال، ودام خليفتُه بها إلى أن قدِمها تكين المذكور في يوم ثاني ذي الحجّة من سنة سبع وتسعين ومائتين.

قال صاحب «البغية والاغتباط فيمن ولي الفُسْطاط»: «قدِم تكين يوم السبت لليلَتَيْن خلتا من ذي الحجّة» موافقاً لنا، لكنّه زاد: في يوم السبت.

وتكين هذا مولى المعتضِد بالله؛ نشأ في دَوْلته حتى صار من جملة القوّاد، ثم ولّاه المقتدِر دِمَشق ومصرَ وأقرّه عليهما القاهِرُ. وكان تكين جبّاراً مَهيباً، ولكنّه كانت لديه فضيلة. وحدّث عن القاضي يوسف وغيره. ودام تكين على إمْرة مصر مدّة إلى أن بَعث للخليفة في سنة تسعٍ وتسعين ومائتين هدايا وتُحَفاً، وفي جملة الهدايا ضِلْعُ إنسان طولُه أربعةَ عشرَ شبراً في عَرْض شبر، زعموا أنّه من قوم عاد؛ وفي جملة الهدايا أيضاً تَيْس له ضَرْع يحلُب لبناً، وخمسمائة ألف دينار، ذكر تكين أنه وجدَها في كنز بمصر. وآستمر تكين بعد ذلك على إمْرة مصر حتّى خَرج عليها جماعة من الأعراب والأحواش[٢] فجهّز تكين لحربهم جيشاً إلى بَرْقَة، وجعل على

(١) خطط المقريزي: ١/٣٢٧، وولاة مصر: ٢٨٦، وحسن المحاضرة: ٢/١٣، ومعجم زامباور: ٤٢.

(٢) لعله يريد أراذل الناس. وهي كلمة عامية.

الجيش المذكور أبا اليمني[١] وخرج الجيش إلى برقة ـ وكان هؤلاءِ الأعرابُ من جملة عساكر المهديّ عُبَيْد الله الفاطميِّ الذي آستولى على بلاد المغرب ـ فلما قارب الجيشُ برقةَ خرَج إليهم حُبَاسَةُ[٢] بن يوسف بعساكر المهديّ عبيد الله الفاطميّ المقدّم ذكرُه، وقاتل أبا اليمني المذكور حتّى هزمه وآستولى على برقة؛ ثم سار إلى الإسكندرية في زيادة على مائة ألف مُقاتل. ولما عاد جيش تكين مُنْهَزِماً إلى مصر، أرسل تكين إلى الخليفة يطلب منه المَدَد، فأمدّه الخليفة بالعساكر، وفي العسكر حسين [بن أحمد][٣] المَاذَرَائِيّ وأحمد بن كَيْغَلَغ في جمع من القوّاد، وسار الجميع نحو مصر. وكان دخول عسكر المهديّ إلى الإسكندريّة في أوّل المحرم سنة آثنتين وثلاثمائة. ووصلت عساكر الخليفة من العراق إلى مصر في صفر ونزلت بها، فتلقّاهم تكين وأكرم نُزْلَهم؛ ثم تهيّأ تكين بعساكره إلى القتال، وخرج هو بعساكر مصر ومعه عساكر العراق وسار الجميع نحو الإسكندريّة، ونزلوا بالجيزة في جمادى الأولى، ثم سار الجميع حتى وافَوْا حُبَاسَةَ بعساكره وقاتلوه؛ فكانت بينهم وقعة عظيمة قُتِل فيها آلاف من الناس من الطائفتين، وثبتَ كلّ من العسكرَيْن حتى آستظهر عسكرُ الخليفة على جيش حُبَاسَة العُبَيْديّ الفاطميّ وكسره وأجلاه عن الإسكندريّة وبرقة؛ وعاد حُباسةُ بمن بَقِي معه من عساكره إلى المغرب في أسوإ حال[٤]. وهذا أوّل عسكر ورد إلى الإسكندرية من جهة عُبَيْد الله المهديّ الفاطميّ.

---

(١) في المقريزي: «أبو اليمن» وفي الكندي: «أبو النمر، أحمد بن صالح، من الأبناء» ونرجح نسبته إلى بلاد اليمن، كما تشير رواية الكندي. فالأبناء: كل من ولد باليمن من أبناء الفرس وليس بعربي. وقيل: هم من ولد الفرس الذين وجههم كسرى مع سيف بن ذي يزن إلى ملك الحبشة باليمن فغلبوا الحبشة وأقاموا باليمن.

(٢) اختلفت المراجع في اسم هذا القائد. ففي الأصل ومعجم البلدان وبعض روايات الكندي والحلة السيراء: «حباشة» بالحاء المهملة والشين المعجمة. وفي المشتبه للذهبي والطبري: «حباسة» بالحاء المهملة المفتوحة والسين المهملة. وما أثبتناه (بالحاء المهملة المضمومة والسين المهملة) عن ابن الأثير والبيان المغرب لابن عذاري. وهو حُباسة بن يوسف.

(٣) زيادة عن الكندي.

(٤) ذكر ابن عذاري في البيان المغرب: ١/١٧١ ـ ١٧٢ أن عبيد الله المهدي أمر على أثر ذلك بقتل حُباسة بن يوسف وعروبة بن يوسف. وفي سبب ذلك يقول إن الذي دخل الإسكندرية على رأس جيش المهدي هو ابنه أبو القاسم بن عبيد الله ومعه حُباسة القائد فاحتوى أبو القاسم وحباسة على جميع =

ثم عاد تكين إلى مصر بعساكره بعد أن مهّد البلاد. وعندما قدِم تكين إلى مصر وصل إليها بعدَه مُؤْنِسٌ الخادم مع جَمْع من القوّاد ــ أعني الذين قدِموا معه من العراق ــ ونزَلوا بالحمراء في النصف من شهر رمضان ولِقي الناس منهم شدائد إلى أن خرج الأمير أحمد بن كَيْغَلَغ إلى الشأم في شهر رمضانَ المذكور، فلم تطُل مدّة تكين بعد ذلك على مصر وصُرِف عن إمرتها في يوم الخميس لأربعَ عشرةَ ليلة خلت من ذي القَعْدة، صرفَه مؤنس الخادم المقدّم ذكرُه وأرسل إلى الخليفة بذلك، فدام تكين بمصر إلى أن خرج منها في سابع ذي الحجة سنة آثنتين وثلاثمائة.

وأقام مؤنس الخادم بمصر يُدْعَى له بها ويُخَاطب بالأستاذ[1] إلى أن ولّى

= ما فيها، ووصل أبو القاسم إلى الفيوم. ثم إن أبا القاسم بعث إلى حُباسة من الفيوم أبا فريدون القائد، وأمره أن يستخلفه على الجيوش ويلحق حباسة به في الفيوم، فأغضبه ذلك وقال: «لما أشرفت على أخذ البلد يفوز أبو فريدون بخيره وذكره» فركب حباسة في نحو ثلاثين فارساً من بني عمه وخرج هارباً إلى جهة المغرب. ثم إن أصحاب المهدي استطاعوا بعد ذلك أن يلقوا القبض على حباسة وساقوه إلى المهدي فأمر بقتله وجميع قرابته.

والمؤرخون مختلفون في شأن إمرة جيوش المهدي التي دخلت الإسكندرية والفيوم. فبعضهم، مثل الطبري والكندي وابن الأبار، يقولون إن القائد كان حُباسة بن يوسف، وبعضهم الآخر ــ مثل عريب بن سعد وابن خلكان والمقريزي وابن عذاري ــ يقولون إن القائد كان القاسم بن عبيد الله. وانفرد أوتيخا بالقول بأن عبيد الله المهدي أرسل ابنه القاسم بجيش مدداً لحباسة بعد استيلائه على الإسكندرية والفيوم. (انظر الحلة السيراء: ١/٢٨٦ حاشية (٥) وتاريخ الدولة الفاطمية لحسن إبراهيم حسن، ص ١١٣، حاشية: ١) وسوف يذكر ابن تغري بردي في حوادث سنة ٣٠٢هـ أن الجيش الذي دخل الإسكندرية كان بقيادة عبيد الله المهدي نفسه، وهو خطأ.

(١) الأستاذ: من الألقاب العامة التي استعملت منذ العصر العباسي، حيث كان يطلق على الخصيان من الغلمان المعبّر عنهم في عصر المماليك بالطواشية.

ومن أمثلة استعماله في العصر العباسي مخاطبة كافور الإخشيدي به لما عظم أمره في زمن أونوجور وظل محتفظاً به بعد أن أتاه التقليد من الخليفة المطيع سنة ٣٥٥هـ. واستمر استعمال هذا اللقب في الدولة الفاطمية جرياً على عادتها في اتخاذ التقاليد والألقاب العباسية. ومن الشخصيات البارزة في هذا العصر الأستاذ برجوان الذي كان وصياً على الحاكم واستبد بالحكم دونه بعد ابن عمار. أما في العصر التركي فكان هذا اللقب يستعمل ليشير إلى رب النعمة، إذ كان يطلقه المملوك على من جلبه وهو طفل أو تعهده وقام بتربيته. وقد أطلق أيضاً على الصانع. ولقب «الأسطى» المعروف في عصرنا الحاضر، والذي يطلق على بعض الصناع الحرفيين ما هو إلا تحريف للأستاذ. والأسطى لقب فارسي هو أصل الأستاذ. (انظر الألقاب الإسلامية للدكتور حسن الباشا: ص ١٤٠).

الخليفةُ المقتدِر ذَكَا الروميّ إمرةَ مصر عِوضاً عن تكين المذكور. فكانت ولايته على مصر خمس سنين وأياماً.

* * *

السنة الأولى من ولاية تكين الأولى على مصر

وهي سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين:

فيها قدِم الحسين بن حَمْدان من قُمّ[١]، فولّاه المقتدِر ديار بكر ورَبيعة.

وفيها توفِّي محمد بن عَمْرويه صاحب الشُّرْطة؛ توفّي بآمِد وحُمِل إلى بغداد.

وفيها توفّي صافي الحُرَمِيّ[٢] فقلّد المقتدِرُ مكانَه مؤنساً الخادم المقدّمَ ذكرُه.

وفيها خرج على عبيد الله المهديّ داعياه[٣] أبو عبد الله الشِّيعيّ وأخوه أبو العباس، وجرت لهما وقعة هائلة، وذلك في جُمَادَى الآخرة، فقتِل الداعيان في جندهما[٤]. ثم خالف على المهديّ أهلُ طرابُلُس المغرب، فجهّز إليهم آبنه

---

(١) قُمّ: مدينة بإيران. قال ياقوت: وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأهلها كلهم شيعة إمامية. وأول من مصّرها طلحة بن الأحوص الأشعري. والحسين بن حمدان بن حمدون هو أول من ظهر أمره من ملوك بني حمدان. قتله المقتدر سنة ٣٠٦هـ. وانظر الأعلاق الخطيرة لابن شداد: ٣/٣٢، ١٢٦، ١٢٧.

(٢) كذا في المشتبه والطبري وابن الأثير والمنتظم. وفي الأصل: «الخرّمي» بالخاء والراء المشددة، وهو تحريف. وفي البداية والنهاية: «الحربي».

(٣) في الأصل: «كانت وقعة بالمغرب بين أبي محمد داعية عبيد الله المهدي وبين داعية أبي عبد الله بإفريقية... إلخ» وما أثبتناه رواية شذرات الذهب وهي توافق بمضمونها روايات سائر المؤرخين.

(٤) لم نقف في المراجع التاريخية التي بين أيدينا على وقعة هائلة أو وقعات جرت بين الطرفين؛ والذي ذكره المؤرخون أن قتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس كان شبه غيلة: فقد أمر المهدي عروبة بن يوسف الملوسي وجبر بن تُماسِب الميلي أن يكمنا خلف قصر الصحن، فإذا مرّ بهما أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس طعنوهما بالرماح حتى يموتا، فكمنا لهما هناك مع جماعة من كتامة. وكان الأمر كذلك. قلت: وعروبة بن يوسف الملوسي الكتامي كان من رجال أبي عبد الله الشيعي، وقد اشترك معه في معظم غزواته، ولكنه كان يحسده ويحسد أخاه أبا العباس، فظل يسعى بهما، مع نفر آخر من رجال كتامة حتى حفز عبيد الله على قتلهما. وقد مرّ معنا أن عبيد الله المهدي قتل بعد ذلك عروبة واستأصل أهل بيته. ولم يقدم عبيد الله على قتلهما إلا بعد أن تخلص من نصيرهما الأكبر بين شيوخ كتامة وهو أبو زاك، تمام بن معارك الأجاني: أمر واليه على طرابلس بقتله. (انظر ابن الأثير: حوادث ٢٩٦، والبيان المغرب: ١/١٦٤، والحلة السيراء: ١/١٩٥).

أبا القاسم القائمَ بأمر الله فأخذها عَنْوةً في سنة ثلاثمائة، وتمهّد بأخذها بلادُ المغرب للمهديّ المذكور.

وفيها قدم القاسم بن سِيما من غزوة الصائفة بالروم ومعه خَلْق من الأسَارى وخمسون عِلْجاً قد شُهِّروا على الجمال وبأيديهم صُلبان الذهب والفضة.

وفيها آستُخلِفَ على الحُرَم بدار الخليفة نظيرُ الحُرَميّ.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن مسروق الشيخ أبو العباس الصوفيّ الطُّوسِيّ، أحد مشايخ القوم وأصحاب الكرامات، قدِم بغداد وحدّث بها.

وفيها توفّي أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين البغداديّ المعروف بآبن الرّاوَنْديّ[١] الماجِن المنسوب إلى الهزل والزندقة؛ كان أبوه يهودياً فأسلم [هو][٢]؛ فكانت اليهود تقول للمسلمين: احذَروا أن يُفْسِد هذا عليكم كتابَكم كما أفسد أبوه علينا كتابنا. وصنّف أحمدُ هذا في الزندقة كتباً كثيرة[٣]، منها: كتاب «نعت[٤] الحكمة»، وكتاب «الدامغ[٥] للقرآن» وغير ذلك؛ وكان زِنْديقاً، وكان يقول: إنا نَجِد في كلام أكثم[٦] بن صَيْفِيّ أحسن من ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ و ﴿قُلْ

(١) هذه النسبة إلى «راوند» وهي قرية من قرى قاسان بنواحي أصبهان. قال ابن خلكان: «وقاسان، بالسين المهملة، هي غير قاشان ــ بالشين المعجمة ــ المجاورة لقم». وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاة ابن الراوندي فقال المسعودي إنه توفي سنة ٢٤٥هـ، وذكر ابن خلكان سنتين: ٢٤٥ و٢٥٠هـ، وفي تاريخ ابن الوردي كما في كتاب ابن الشحنة أن وفاته سنة ٢٩٣هـ. وفي البداية والنهاية: «وهم ابن خلكان وهماً فاحشاً في تأريخ وفاته سنة ٢٤٥هـ والصحيح أنه توفي سنة ٢٩٨هـ كما أرخه ابن الجوزي». وفي شذرات الذهب أنه توفي سنة ٣٠١هـ، وجزم ابن خلدون أنه مات سنة ٣٠٠هـ.

(٢) زيادة عن المنتظم لابن الجوزي.

(٣) ذكر مترجموه أن له ١١٤ كتاباً.

(٤) كذا بالأصل وفي الأعلام. وفي حاشية طبعة دار الكتب المصرية عن كتاب المنية والأمل لابن المرتضى: هو كتاب بعث الحكمة في تقوية القول بالاثنين.

(٥) قال ابن كثير: طلبه السلطان فهرب، ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي بالأهواز وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه «الدامغ للقرآن».

(٦) هو حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين. أدرك الإسلام، وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق. قيل: وهو المعني بالآية الكريمة: ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله. توفي سنة ٩هـ.

أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وإنّ الأنبياء وقعوا بطِلَّسْمات[١] كما أنّ المغناطيس يَجذِب الحديد؛ وقوله ﷺ لعمّار: «تقتُلك الفئةُ الباغيةُ»، قال: فإنّ المنجّم يقول مثل هذا إذا عَرف المولدَ والطالع. ولهذا التعيس الضالّ أشياء كثيرةٌ من هذا الكفر البارد الذي يُسْئِم أسماعَ الزنادقة لعدم طلاوة كلامه. وأمرُه في الزندقة والمَخْرَقة[٢] أشهر من أن يذكر؛ عليه اللعنة والخِزْي. ولما تزايد أمره صلّبه بعض السلاطين وهو ابن ستّ وثمانين[٣] سنة.

وفيها توفّي أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد النيسابوريّ الحِيريّ الواعظ الإمام؛ مَوْلِدُه بالرَّي ثم قدِم نيسابورَ وسكنها. وكان أوحدَ مشايخ عصره، وعنه انتشرت طريقة التصوّف بنيسابور.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو العباس أحمد بن محمد بن مَسْرُوق، وبُهْلول بن إسحاق الأنباريّ[٤]، والجُنَيْد شيخ الطائفة، والحسن بن علويه القَطّان، وأبو عثمان[٥] الحِيريّ الزاهد، ومحمد بن عَليّ بن طَرْخان البَلْخيّ الحافظ، ومحمد بن سليمان المَرْوَزِيّ، ومحمد بن طاهر الأمير، ويوسف بن عاصم.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) الطلسمات: واحدها طِلَّسم، وهي خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى. وهو لفظ يوناني لكل ما هو غامض ومبهم كالألغاز والأحاجي. والشائع على الألسنة «طلسم» كجعفر. (المعجم الوسيط). والطلسم: السرّ المكتوم. نقوش تنقش على أجساد خاصة في ساعات مناسبة بكيفيات ملائمة لحوائج معلومة. (معجم متن اللغة).

(٢) خرَّق الكذبَ: أكثر اختلاقه.

(٣) في المنتظم: ٦٦ سنة. وفي البداية والنهاية قال: «ورأيت في كتاب محقق أنه عاش ٣٦ سنة مع ما انتهى إليه من التوغل في المخازي في هذا العمر القصير». وفي ابن خلكان: ٤٠ سنة.

(٤) في المنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب: هو أبو محمد بهلول بن إسحاق بن بهلول بن حسّان التنوخي، قاضي الأنبار وخطيبها البليغ المصقع.

(٥) هو سعيد بن إسماعيل، شيخ نيسابور وواعظها وكبير الصوفية بها، كما جاء في شذرات الذهب.

الماء القديم ثماني أذرع وأربع أصابع. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وثماني أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية تكين الأولى على مصر

وهي سنة تسع وتسعين ومائتين.

فيها قَبض المقتدِر على وزيره أبي الحسن عليّ بن الفُرات ونُهِبت دورُه وهُتِكت حُرَمُه، بسبب أنه قيل للخليفة: إنه كاتَبَ الأعراب أن يَكْبِسوا بغداد؛ ونُهِبت بغدادُ عند القبض عليه؛ وآستوزر المقتدرُ أبا عليّ محمد بن عُبيد الله بن يحيى بن خاقانَ.

وفيها سار عبيد الله المهديّ الفاطميّ إلى المهدِيّة ببلاد المغرب ودُعِي له بالخلافة بِرَقَّادة والقَيْروان وتلك النواحي؛ وعظُم ملكُه فشقَّ ذلك على الخليفة المقتدر العباسيّ.

وفيها توفّي أحمد بن نصر بن إبراهيم[1] الحافظ أبو عمرو الخَفَّاف؛ رحل في طلب الحديث ولقي الشيوخ؛ وكان زاهداً متعبّداً صام نَيِّفاً وثلاثين سنة وتصدّق سرّاً وعلانية بأموال كثيرة.

وفيها توفّي الحسين بن عبد الله بن أحمد الفقيه أبو علي الخِرَقيّ[2] والد الإمام عمر مصنف كتاب «[مختصر][3] الخِرَقِيّ» في مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ وكان زاهداً عابداً؛ مات يوم عيد الفطر.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن كَيْسَان الإمام أبو الحسن النحويّ اللغويّ أحد الأئمة النحاة؛ كان يحفَظُ مذاهب البصريّين والكوفيّين في النحو، لأنه أخذَ عن المبرّد وثعلَب.

---

(١) في الأصل هنا: «إسماعيل» وما أثبتناه عن عقد الجمان والبداية والنهاية والمنتظم. وأورده صاحب شذرات الذهب كما ورد هنا برواية عن ابن ناصر الدين.

(٢) هذه النسبة إلى بيع الخرق والثياب.

(٣) زيادة عن كشف الظنون لحاجي خليفة.

وفيها توفّي محمد بن إسماعيل الشيخ أبو عبد الله المغربيّ الزاهد، أستاذ إبراهيم الخوّاص وإبراهيم بن شَيْبان وغيرهما؛ كان كبيرَ الشأن في عِلم المعاملات والمكاشفات، وحجّ على قدميه سبعاً وتسعين حِجَّة. قال إبراهيم بن شيبان: توفّي أبو عبد الله علَى جبل الطور[١] فدفنته إلى جانب أستاذه عليّ بن رَزِين بوصيّة منه، وعاش كلّ واحد منهما عشرين ومائة سنة. قلت: ولهذا حجّ سبعاً وتسعين حِجّة.

وفيها توفّي محمد بن يحيى بن محمد البغداديّ المعروف بـ «حامل كَفَنِه»؛ كان فاضلاً؛ وقع له غريبة وهو أنّه مرِض فأُغْمِي عليه فغُسّل وكُفّن ودُفِن، فلمّا كان الليل جاءه نبّاش فنبَش عنه، فلما حلّ أكفانَه ليأخذها آستوَى قائماً، فخرَج النبّاش هارباً؛ فقام هو وحمل أكفانه وجاء إلى منزله وأهله وهم يبكون عليه، فدقّ الباب، فقالوا: من؟ قال: أنا فلان؛ فقالوا: يا هذا، لا يحِلّ لك أن تَزِيدنا على ما نحن فيه! قال: آفتحوا فوالله أنا فلان؛ فعرَفوا صوته ففتحوا له وعاد حزنُهم فرحاً، ويسمّى من حينئذ «حاملَ كفنه»؛ سكَن «حاملُ كفنه» دِمَشق وحدّث بها. قال أبو بكر الخطيب: ومثل هذا سعيد [بن الخمس][٢] الكوفيّ فإنّه لمّا دُلّي في قبره آضطرب فحُلّت عنه أكفانه فقام ورجع إلى منزله، ثم وُلِد له بعد ذلك آبنُه مالك.

وفيها توفّي مِمْشَاد الدِّينَوَرِيّ الزاهد المشهور؛ كان من أولاد الملوك فتزهّد وترك الدنيا وصحِب أبا تراب النَّخْشبيّ وأبا عُبَيْد [البُسْرِيّ][٣] وغيرَهما، وكان عظيم الشأن؛ يُحكى عنه خوارقُ، قيل: إنه لما آحتُضِر قالوا له: كيف تجِدك؟ فقال: سلوا العِلّة عنّي؛ فقيل له: قل لا إله إلا الله؛ فحوّل وجهَه إلى الحائط فقال: [المجتث]

أفْنَيْتُ كلِّي بكُلّكْ   هذا جزا مَنْ يُحِبّكْ

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أحمد بن

(١) وهو طور سينا.
(٢) زيادة عن شذرات الذهب.
(٣) زيادة عن عقد الجمان.

أَنَس[١] بن مالك الدمشقيّ، وأبوعمرو الخَفّاف الزاهد أحمد بن نصر الحافظ، والحسين بن عبد الله الخِرَقيّ والد مصنّف «[مختصر] الخِرَقِيّ» وعليّ بن سعيد بن بَشير الرازيّ، ومحمد بن يزيد بن عبد الصمد، ومِمْشَاد الدينَورِيّ الزاهد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وإحدى عَشْرَة إصبعاً. مبلـغ الزيادة سَبـعَ عشرةَ ذراعاً وثماني أصابـع.

* * *

السنة الثالثة من ولاية تكين الأولى على مصر

وهي سنة ثلاثمائة.

فيها تتّبـع الخليفة أصحابَ الوزير أبـي الحسن بن الفُرات وصودروا وخُرّبت ديارُهم وضُرِبوا، وعُذّب آبنُ الفرات حتى كاد يتلَف؛ ثم رفَقُوا به بعد أن أُخِذت أموالُه. ثم عُزِل الخاقانيّ عن الوزارة ورُشّـح لها عليّ بن عيسى[٢].

ويقال: فيها ولَدت بغلة، فسبحان الله القادر على كلّ شيء!.

وفيها ظهرَ محمد بن جعفر بن عليّ بن محمد بن موسى بن جعفر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبـي طالب في أعمال دِمَشْق، فخرج إليه أميرُ دِمَشق أحمدُ بن كَيْغَلَـغ، ثم آقتتلا فقُتِل محمد في المعركَة وحُمِل رأسُه إلى بغداد فنُصِب على الجسر.

---

(١) في الأصل: «أحمد بن إدريس». والتصحيح عن الذهبي. وسيأتي ذكره في وفيات سنة ٣٠٩هـ.

(٢) الخبر بهذا الشكل مبتور. وللتوضيح ننقل عن المسعودي: «واستوزر المقتدر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان في اليوم الذي سخط فيه على علي بن محمد بن موسى بن الفرات، وهو يوم الأربعاء لأربع خلون من ذي الحجة سنة ٢٩٩هـ، وخلع عليه، ولم يخلع على أحد غيره، وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنة ٣٠١هـ. ثم خلع على علي بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣٠١هـ».

وفيها وقَع ببغداد والبادية وباءٌ عظيم وموتٌ جارِف، فمات الناس على الطريق.

وفيها ساخ جبل بالدِّينَوَر في الأرض وخرَج من تحته ماء كثير غرّق القُرَى.

وفيها وقَعت قطعة عظيمة من جبل لُبْنان في البحر، وتناثرت النجوم في جُمادَى الآخرة تناثراً عجيباً وكلّه إلى ناحية المشرق.

وفيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميّ.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مَرْوان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة الأُمويّ المغربي أميرُ الأندلُس؛ وأمّه أمّ ولد يقال لها عشار[1]؛ بويع بالإمْرة في صفر سنة خمس وسبعين ومائتين في السنة التي توفّي فيها أخوه المُنْذِر في أيّام المعتمِد؛ وكان زاهداً تالياً لكتاب الله تعالى؛ بنَى السَّاباط[2] بقُرْطُبَة ولزِم الصلواتِ الخمس بالجامع حتى مات في شهر ربيع الأوّل[3]، وكانت أيّامه على الأندلُس خمساً وعشرين سنة وستّة أشهر وأياماً[4]؛ وتولّى مكانه ابنه عبدُ الرحمن بن محمد بن عبد الله في اليوم الذي مات فيه جدّه المذكور، وكنيته أبو المُظَفّر فلَقَّب نفسه بالناصر؛ وتوفّي عبد الرحمن هذا في سنة خمسين وثلاثمائة. وقد تقدّم الكلام في ترجمة جدّ هؤلاء الثلاثة عبد الرحمن الداخل أنّه فرّ من الشأم

---

(١) في البيان المغرب ٢/ ١٢٠: «أمه تسمى «بَهار» وقيل: عشار».

(٢) في الأصل وطبعة دار الكتب المصرية: «الرِّباط» وهو خطأ. والتصحيح عن البيان المغرب والعقد الفريد. قال ابن عذاري: «وهو ابتنى الساباط بين القصر والجامع بمدينة قرطبة، رغبة في شهود الجمعة ومحافظة على الصلوات. وكان يقعد في الساباط قبل صلاة الجمعة وبعدها، فيرى الناس ويشرف على أخبارهم وحركاتهم». والساباط: سقيفة بين حائطين تحتها ممر نافذ.

(٣) في العقد الفريد: «لليلة بقيت من صفر» وفي البيان المغرب وأعمال الأعلام لابن الخطيب: «في مستهل ربيع الأول»، وفي شذرات الذهب: «في ربيع الآخر».

(٤) في ابن الأثير: «٢٥ سنة و ١١ شهراً» وفي البيان المغرب وأعمال الأعلام: «٢٥ سنة و ١٥ يوماً»، وفي الحلة السيراء: «٢٥ سنة»، وفي نفح الطيب: «نحواً من ٢٥ سنة».

جافلاً من بني العبّاس ودخَل المغرب وملَكها، فسُمِّي لذلك عبدَ الرحمن الداخل.

وفيها توفِّي عُبيد الله [بن عبد الله][1] بن طاهر بن الحسين الأمير أبو محمد الخُزاعيّ؛ كان من أجلّ الأمراء، ولي إمْرة بغداد[2] ونيابتَها عن الخليفة وعدّةَ ولايات جليلة؛ وكان أديباً فاضلاً شاعراً فصيحاً؛ وقد تقدّم ذكر والده في أمراء مصر في هذا الكتاب، وأيضاً نبذةٌ من أخبار جدّه في عدّة حوادث؛ وفي الجملة هو من بيت رياسة وفضل وكرم.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو العباس أحمد بن محمد البَرَاثِيّ[3]، وأبو أميّة الأحْوَص بن الفضل[4] الغَلّابيّ، والحسين بن عمر بن أبي الأحوص، وعليّ بن سعيد العسكريّ الحافظ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الأمير، وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأُمَويّ صاحب الأندلُس، ومحمد بن أحمد بن جعفر أبو العَلاء الوَكِيعيّ، ومحمد بن الحسن بن سماعة، ومسدَّد بن قَطَن.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وإصبع واحدة. مبلغ الزيادة ثمانيَ عشرةَ ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

(١) زيادة عن ابن الأثير وعقد الجمان والمنتظم.

(٢) ولي إمرة بغداد للمرة الأولى من سنة ٢٥٣هـ إلى سنة ٢٥٥هـ، وللمرة الثانية من ٢٦٥ — ٢٧١هـ، وللمرة الثالثة سنة ٢٧٦هـ. (معجم زامباور: ٢٩٩).

(٣) في الأصل: «البراني» بالنون، وهو تصحيف. وما أثبتناه عن أنساب السمعاني ومعجم البلدان. والبراثي: نسبة إلى براثا، وهي محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محول.

(٤) كذا أيضاً في تاريخ الإسلام للذهبي وأنساب السمعاني. وفي المنتظم: «الأحوص بن المفضل بن غسان بن المفضل». وفي عقد الجمان: «الأحوص بن المفضل بن غسان بن الفضل». وفي البداية والنهاية: «الأحوص بن الفضل بن معاوية بن خالد بن غسان الغلابي».

السنة الرابعة من ولاية تكين الأولى على مصر

هي سنة إحدى وثلاثمائة.

فيها قَبَض المقتدِر على وزيره الخاقانيّ[١] في يوم الاثنين لعشر خَلَوْن من المحرّم، وكانت مدّة وزارته سنة واحدة وشهراً وخمسة أيام؛ وكان المقتدر قد أرسل يلبقَ المُـؤْنسيّ في ثلاثمائة غلام إلى مكّة لإحضار عليّ بن عيسى للوزارة، فقدِم آبن عيسى المذكورُ في المحرّم وتولّى الوزارة.

وفيها في شعبان ركِب الخليفة المقتدر من داره إلى الشمَّاسِيّة[٢] ثم عاد في دِجلة، وهي أوّل رَكْبة ظهر فيها للعامّة منذ ولِي الخلافة.

وفيها في يوم الاثنين سادس شهر ربيع الأول أُدخل الحسين بن منصور المعروف بالحلّاج مشهوراً على جمل إلى بغداد وصُلِب وهو حيّ في الجانب الغربيّ وعليه جُبّة عَوْدِيّة[٣]، ونُودِي عليه: هذا أحد دُعاةِ القرامطة؛ ثم أنزلوه وحُبِس وحدَه في دار ورُمِي بعظائم، نسأل الله السلامة في الدين؛ فأحضره عليّ بن عيسى الوزير وناظره فلم يجِد عنده شيئاً من القرآن ولا من الفقه ولا من الحديث ولا من العربيّة؛ فقال له الوزير: تعلُّمُكَ الوضوء والفرائضَ أولى من رسائل ما تَدْري ما فيها ثم تدّعي الإلـهية! فردّه إلى الحبس فدام به إلى ما يأتي ذكره في محلّه[٤].

وفيها أفرج المقتدِر عن الوزير الخاقانيّ فأُطلِق وتوجّه إلى داره.

وفيها في شعبان خلَع المقتدر على آبنه أبي العبّاس وقلّده أعمال الحرب بمصر والغرب، وعمرُه أربع سنين، وآستُخْلِف له [على مصر][٥] مُـؤْنسٌ الخادم.

---

(١) هو محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

(٢) الشمّاسية: منسوبة إلى بعض شماسي النصارى، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى بغداد، وإليها ينسب باب الشماسية ببغداد. (معجم البلدان).

(٣) نسبة إلى العَوْد، جبل باليمن.

(٤) سيأتي ذلك في أخبار سنة ٣٠٩هـ.

(٥) زيادة عن ابن الأثير وعقد الجمان.

وفيها توفّي الحسن بن بَهْرام، أبو سعيد القرمطيّ المُتغلِّب على هَجَر؛ كان أصله كيّالاً فهرَب وآستغوَى خَلْقاً من القرامطة والأعراب وغلَب على القَطِيف وهجر، وشغَل المعتضِدَ عنه الموتُ، فآستفحل أمره ووقع له مع عساكر المكتفي وقائع وأمور، وقتَل الحجِيجَ وأفسد البلادَ، وفعل ما لا يفعله مسلم، حتّى قتله خادم صَقْلَبِيّ في الحمّام أراده على الفاحشة فخنَقه الخادم وقتله وذهبت روحه إلى سقر.

وفيها توفّي حَمْدويه بن أسد الدمشقيّ المعلم؛ كان من الأبدال[1] [و]كان مجاب الدعوة وله كرامات وأحوال، مات بدمشق.

وفيها توفي عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب القاضي؛ كان إماماً فاضلاً عالماً، استقضاه الخليفة المكتفي على مدينة المنصور في سنة آثنتين وتسعين ومائتين إلى أن نقله المقتدِر إلى الجانب الشرقيّ في سنة ست وتسعين ومائتين فأصابه فالج ومات منه. وتوفّي آبنه[2] بعده بثلاثة وسبعين يوماً وكان يخلُفه على القضاء.

وفيها توفّي عليّ بن أحمد الراسبيّ الأمير أبو الحسن؛ كان متولّياً من حدود واسط إلى جُنْدَيْسَابُور[3] ومن السوس[4] إلى شَهْرَزُور[5]؛ وكان شجاعاً مات بجُنْدَيْسَابُور وخلّف ألف ألف دينار و[من][6] آنية الذهب والفضة [ما قيمتُه][6] مائةُ ألف دينار [ومن الخزّ ألف ثوب][6] وألف فرس وألفَ بغل وألفَ جمل، وكان له ثمانون طِرازاً تُنْسَجُ فيها الثياب التي لملبوسه.

وفيها تُوُفّي محمد بن عثمان[7] بن إبراهيم بن زُرْعَة الثَّقَفِيّ مولاهم؛

---

(١) راجع ص ٤٥ من هذا الجزء، حاشية (٧).
(٢) هو محمد بن عبد الله، ويعرف بالأحنف.
(٣) مدينة بخوزستان. بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه.
(٤) السوس: بلدة بخوزستان، فيها قبر دانيال النبي عليه السلام.
(٥) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان.
(٦) زيادة عن عقد الجمان.
(٧) كذا في عقد الجمان وشذرات الذهب، وهو الموافق لما تقدم في ص ١١٣ من هذا الجزء. وفي الأصل هنا: «محمد بن عمار» وهو تحريف.

كان قاضيَ دِمَشق ثم ولِي قضاء مصر؛ كان إماماً عالماً عفيفاً؛ ولما أراد أحمدُ بن طُولون خلْعَ المُوفَّق من ولاية العهد أمَره بخلعه، فوقَف بإزاء مِنْبر دِمَشق وقال: قد خلعتُ أبا أحمق (يعني [أبا][1] أحمد) كما خلعتُ خاتَمِي من إصبعي. ومضى سنون إلى أن وَلِي المعتضِدُ بن الموفّق الخلافةَ ودخل الشأم يطلُب من كان يُبْغِض أباه، فأحضر القاضي هذا وجماعة فحُمِلوا في القيود معه وسافر؛ فلما كان في بعض الأيام رآهم المعتضد في الطريق فطلبهم وأراد الفتكَ بهم، فقال: من الذي قال «أبا أحمق»؟ فخرِس القوم؛ فقال له القاضي: يا أمير المؤمنين، نسائي طوالق وعبيدي أحرارٌ ومالي في سبيل الله إن كان في هؤلاء القوم مَن قال هذه المقالة؛ فآستظرفه المعتضد وأطلَق الجميعَ؛ ومشى له ذلك في باب المُمَاجَنَة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد الوَشّاء، وأبو بكر أحمد بن هارون البَرْذَعِيّ[2]، وإبراهيم بن يوسف الرازيّ، والحسين بن إدريس الأنصاريّ الهَرَوِيّ، وعبد الله بن محمد[3] بن ناجِيةَ في رمضان، وعمرو بن عثمان المكيّ الزاهد، ومحمد بن العبّاس بن الأخرم الأصبهانيّ، ومحمد بن يحيى بن مَنْدَه العبديّ[4].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وآثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

(١) زيادة عن عقد الجمان.

(٢) يقال: «البردعي» و«البرذعي» بالدال المهملة والذال المعجمة. نسبة إلى «بردعة» أو «برذعة» وهي بلدة بأقصى أذربيجان. ويقال له أيضاً: «البرديجي» ولعله الأشهر، نسبة إلى «برديج» بينها وبين بردعة أربعة عشر فرسخاً. (أنساب السمعاني).

(٣) كذا أيضاً في شذرات الذهب. وفي المنتظم: «عبد الله بن أحمد بن ناجية».

(٤) في الأصل: «العنباري» وهو تحريف. وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان. وهذه النسبة إلى أخواله بني عبد ياليل.

السنة الخامسة من ولاية تكِين الأولى على مصر

وهي سنة آثنتين وثلاثمائة:

فيها عاد المهديّ عُبَيْد الله الفاطميّ من المغرب إلى الإسكندريّة ومعه صاحبه حُبَاسة(١) المقدّم ذكرُه، فجرت بينه وبين جيش الخليفة حروب قُتِل فيها(٢) حُبَاسة، وعاد مولاه عبيد الله إلى القَيْرَوان.

وفيها في المحرّم ورد كتاب نصر بن أحمد السامانيّ أميرِ خُراسان أنّه واقع عمَّه إسحاقَ بن إسماعيل وأنّه أسره؛ فبعث إليه المقتدِر بالخِلَع واللواء.

وفيها صادر المقتدر أبا عبد الله الحسين بن عبد الله بن الجَصّاص الجوهريّ، وكُبِست دارُه وأُخذ من المال والجوهر ما قيمتُه أربعةُ آلاف ألفِ دينار. وقال أبو الفرج ابن الجَوْزيّ: أخذوا منه ما مقداره ستّةَ عشرَ ألفَ ألفِ دينار عيناً وورقاً [وآنية](٣) وقُماشاً وخيلاً [وخدماً](٣). قال أبو المظفّر في مرآة الزمان: وأكثر أموال آبن الجصّاص المذكور من قَطْر النَّدَى بنتِ خُمَارَوَيْه صاحبِ مصر، فإنّه لما حَملها من مصر إلى زوجها المعتضد كان معها أموالٌ وجواهرُ عظيمةٌ؛ فقال لها آبن الجصّاص: الزمان لا يدوم ولا يُؤْمن على حال؛ دَعِي عندي بعضَ هذه الجواهر تَكُنْ ذخيرةً لك، فأودعته، ثم ماتت فأخذ الجميع.

وفيها خرج الحسن بن عليّ العلويّ الأُطْرُوش(٤)، ويُلقّب بالداعي؛ ودعا الديلَم إلى الله، وكانوا مجوساً، فأسلموا وبنَى لهم المساجدَ، وكان فاضلاً عاقلاً أصلَح الله الديلَم به.

---

(١) راجع ص ١٩٢، حاشية (٢).

(٢) لم يقتل حُباسة في هذه المعركة، وإنما أمر المهدي بقتله بعدما فرّ من هذه المعركة لخلاف وقع بينه وبين أبي القاسم بن عبيد الله المهدي. انظر ص ١٩٢، حاشية (٤).

(٣) زيادة عن المنتظم لابن الجوزي.

(٤) وهو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كما ذكر المسعودي. وقد روى المسعودي في مروج الذهب خبر خروجه مطولاً فلينظر: ٤/٣٧٣ ـ ٣٨٤، وفي الأعلام: ٢/٢٠٠ (انظر مصادره) هو الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وسمي بالأطروش لصمم أصابه من ضربة سيف في معركة. ورواية الأعلام توافق رواية صاحب أعيان الشيعة: ٣/٤٦٧.

وفيها قلّد المقتدر أبا الهَيْجَاء عبدَ الله بن حَمْدان المَوْصِلَ والجزيرةَ.

وفيها صُلِّي العيدُ في جامع مصر، ولم يكن يُصلّى فيه العيد قبل ذلك، فصلّى بالناس عليُّ بن أبي شَيْخَة، وخطَب فغلِط بأن قال: اتقوا الله حقّ تُقاتِهِ ولا تموتُنّ إلا وأنتم مشركون. نقلها عليّ[١] بن الطحّان عن أبيه وآخر.

وفيها في الرجعة قطعَ الطريقَ على الحاجّ العراقيّ الحسنُ بن عمر الحسينيّ مع عرب طيّىء وغيرِهم، فآستباحوا الوفد وأسروا مائتين وثمانين آمرأة، ومات الخَلْق بالعطش والجوع.

وفيها توفّي العبّاس بن محمد أبو الهَيْثم كاتب المقتدر؛ كان كاتباً جليلاً؛ كان يَطْمَع في الوزارة؛ ولما وَلِي عليّ بن عيسى الوزارةَ آعتقله فمات يوم الأحد سَلْخَ ذي الحِجّة، وأوصى أن يُصَلِّي عليه أبو عيسى البَلْخِيّ وأن يُكَبِّر عليه أربعاً وأن يُسَنِّم[٢] قَبْرُه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وإحدى عشرة إصبعاً.

---

(١) في تاريخ الإسلام للذهبي: «يحيى بن الطحان».

(٢) سنّم القبر: رفعه وعلاه عن وجه الأرض كالسنام ولم يسطحه.

ذكر ولاية ذَكا الروميّ على مصر(١)

الأمير أبو الحسن ذَكا الروميّ الأعور؛ ولِي إمْرة مصر بعد عزل تكين الحربـيّ عن مصر؛ ولّاه الخليفة المقتدر على الصلاة؛ فخرج من بغداد وسافر إلى أن قدِم مصر في يوم السبت لاثنتَيْ عشْرَةَ خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة؛ فجعل على الشُّرْطة محمد بن طاهر مدّة ثم عزله بيوسف(٢) الكاتب؛ وقدِم بعده الحسين بن أحمد المَاذَرائِيّ على الخراج؛ ثم ردّ محمد بن طاهر على الشرطة. ثم بعد قدوم ذكا إلى مصر خرج منها مؤنس الخادم بجميـع جيوشه لثمانٍ خلَوْن من شهر ربيـع الآخر من سنة ثلاث وثلاثمائة؛ وكان ورَد على مؤنس كِتاب الخليفة المقتدر يعرّفه بخروج الحسين بن حَمْدان عن الطاعة وأن يعود إلى بغداد ويأخذ معه من مصر أعيان القوّاد: مثل أحمد بن كَيْغَلـغ وعلي بن أحمد بن بِسطام والعبّاس بن عمرو وغيرِهم ممن يخاف منهم؛ ففعَل مؤنس ذلك. وآستمرّ ذكا بمصر على إمْرتها من غير منازع إلى أن خرج إلى الإسكندرية في أوّل المحرّم سنة أربع وثلاثمائة؛ فلم تطُل غَيْبتُه عنها وعاد إليها في ثامن شهر ربيـع الأوّل؛ فبلَغه أنّ جماعة من المصريّين يكاتبون المهدِيّ، فتتبّـع كلّ من آتُّهِم بذلك، فقبض على جماعة منهم وسجنهم وقطَـع أيدي أُناس(٣) وأرجلَهم، فعظُمت هيبتُه في قلوب الناس. ثم أجلى

(١) خطط المقريزي: ٣٢٨/١، وولاة مصر للكندي: ٢٩١، وحسن المحاضرة: ١٣/٢، ومعجم زامباور: ٤٢.

(٢) في الكندي: «وجعل مكانه وصيفاً الكاتب».

(٣) في الأصل: «أيدي أخر» وهي غير مستقيمة في السياق. وما أثبتناه عن المقريزي.

أهل لُوبِيَة[١] ومَرَاقِيَة من مصر إلى الإسكندرية [خوفاً من ابن المهدي صاحب برقة][٢]. ثم فسَد بعد ذلك ما بينه وبين جُنْد مصر والرعيّة، بسبب ذكر الصحابة رضي الله عنهم بما لا يليق[٣]، ونَسَب القرآنَ الكريم إلى مقالة المعتزلة وغيرهم. وبينما الناس في ذلك قدِمت عساكر المهديّ عبيد الله الفاطميّ من إفريقيّة إلى لُوبِيَة ومَراقِية، وعلى العساكر أبو القاسم[٤]، فدخَل الإسكندريّة في ثامن صفر سنة سبع وثلاثمائة؛ وفرّ الناس من مصر إلى الشأم في البرّ والبحر فهلك أكثرُهم؛ فلما رأى ذَكا ذلك تجهّز لقتالهم، وجمع العساكر وخرج بهم وهم مخالفون عليه، فعسكر بالجيزة، وكان الحسين بن أحمد المَاذَرائِيّ على خراج مصر فجدّد العطاء للجند وأرضاهم، وتهيّأ ذَكا للحرب وجدّ في ذلك وحفَر خندقاً على عسكره بالجيزة؛ وبينما هو في ذلك مرِض ولزم الفراش حتى مات بالجيزة في عَشيّة الأربعاء لإحدَى عشرةَ خلت من شهر ربيع الأوّل[٥] سنة سبع وثلاثمائة، فغُسّل وصُلّي عليهِ وحُمِل حتى دُفِن بالقرافة. وكانت ولايته على مصر أربع سنين وشهراً واحداً. وتولّى تكين الحربيّ عِوَضه مصر إمْرةً ثانية. وكان ذكا أميراً شجاعاً مِقداماً، وفيه ظلم وجَوْر مع آعتقاد سيىء على معرفة كانت فيه وعقلٍ وتدبير.

* * *

(١) لوبية: مدينة بين الإسكندرية وبرقة. ومراقية: أول بلد في طريق القاصد من الإسكندرية إلى إفريقية ثم لوبية.

(٢) زيادة عن الكندي والمقريزي.

(٣) عبارة المقريزي: «بسبب سب الصحابة رضي الله عنهم وسب القرآن». وجاء في الكندي: «وذلك أن الرعيّة كتبوا على أبواب المسجد الجامع ذكر الصحابة والقرآن [بما لا يليق] فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون. وكان محمد بن طاهر صاحب الشرط معيناً لأهل المسجد والرعية على ذلك. فاجتمع الناس لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ٣٠٥هـ إلى دار ذكا بالمصلى القديم، يتشكرونه على ما أذن لهم فيه، فوثب الجند بالناس، وحرضهم على ذلك محمد بن إسماعيل بن مخلد، فنُهب قوم وجرح آخرون. وأقبل ابن مخلد من الغد إلى المسجد الجامع، فلم يترك شيئاً مما كتب عليه حتى محاه، ونهب الناس في المسجد والأسواق، وأفطر الجند يومئذ».

(٤) هو ابن عبيد الله المهدي.

(٥) كذا أيضاً في المقريزي. وفي الكندي: «ربيع الآخر».

السنة الأولى من ولاية ذَكاء الروميّ على مصر

وهي سنة ثلاث وثلاثمائة:

فيها وُلِد سيف الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان[1].

وفيها كاتب الوزير عليّ بن عيسى القرامطةَ وأطلق لهم ما أرادوا من البيع والشراء، فنسبه الناس إلى موالاتهم، وليس هو كذلك، وإنما قصَد أن يتألّفهم[2] خوفاً على الحاجّ منهم.

وفيها تواترت الأخبار أنّ الحسين بن حَمْدان قد خالف، وكان مؤنس الخادم مشغولاً بحرب عسكر المهديّ بمصر، فندَب عليّ بن عيسى الوزيرُ رائقاً الكبيرَ لمحاربته؛ فتوجّه إليه رائق بالعساكر وواقعه فهزمه آبن حَمْدان، فسار رائقٌ إلى مؤنس الخادم وآنضم عليه، وكان بين مؤنس وابن حَمْدان خُطُوب وحروب.

وفيها توفي أحمد [بن عليّ] بن شُعَيْب بن عليّ بن سِنان بن بحر، الحافظ أبو عبد الرحمن القاضي النَّسَائِيّ[3] مصنِّف «السنن»[4] وغيرها من التصانيف؛ وُلِد سنة خمسَ عشرةَ ومائتين، وسمِع الكثير، ورحل إلى نيسابور والعراق والشأم ومصر والحجاز والجزيرة؛ وروَى عنه خَلْق وكان فيه تشيّع حسن. قال أبو عبد الله بن مَنْدَه عن حمزة العُقْبيّ المصريّ وغيره: إن النَّسّائيّ خرج من مصر في آخر عمره إلى دِمَشق، فسُئِل بها عن معاوية وما رُوي من فضائله؛ فقال: أمَا[5] يرضى [معاوية أن

---

(١) هو صاحب المتنبي الشاعر وممدوحه. يقال: لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر. ولد في ميافارقين بديار بكر ونشأ شجاعاً عالي الهمة. وملك واسطاً وما جاورها، ومال إلى الشام فامتلك دمشق، وعاد إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣هـ. توفي سنة ٣٥٦هـ.

(٢) أي يستميلهم. وفي الأصل: «يتلافاهم» أي يتداركهم، وهي غير مناسبة. ولعله أراد بـ«يتلافاهم» يتجنبهم، وهو تعبير عامي.

(٣) نسبة إلى «نَسَا» بخراسان. وفي الأعلام عن «مجلى المساند» أنه النَّسَئي كعربي. وفي التاج: نسبة إلى «نسأ» كجبل. وهو في تذكرة الحفاظ وعبر الذهبي: «أحمد بن شعيب بن علي» نسبة إلى جده.

(٤) وهي «السنن الكبرى» في الحديث. وله «المجتبى» وهو السنن الصغرى، من الكتب الستة في الحديث.

(٥) كذا في شذرات الذهب وعقد الجمان وابن خلكان. وفي الأصل والمنتظم: «لا يرضى» وكلاهما صحيح.

يَخرجَ][١] رأساً برأس حتّى يُفَضَّل[٢]! انتهى. وقال الدَّارَقُطْنيّ: إنّه خرج حاجّاً فامتُحِن[٣]، بدمشق وأدرك الشهادة، فقال: آحمِلوني إلى مكّة، فحُمِل وتوفّي بها، وهو مدفون بين الصفا والمروة؛ وكانت وفاته في شعبان، وقيل في وفاته غير ذلك: إنه مات بفِلَسطين في صفر.

وفيها توفّي جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، أبو محمد النيسابوريّ الحُصْرِيّ[٤] أحد أركان الحديث، كان ثقة عابداً صالحاً.

وفيها توفّي الحسن[٥] بن سُفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان الشيبانيّ النَّسَوِيّ الحافظ أبو العبّاس مصنِّف المُسْنَد؛ تفقَّه على أبي ثور إبراهيم بن خالد وكان يُفتِي على مذهبه، وسمع أحمد بن حنبل ويحيى بن مَعِين وإسحاق بن إبراهيم الحنظليّ وغيرَهم.

وفيها توفّي محمد بن عبد الوهاب بن سلّام أبو عليّ الجُبّائِيّ[٦] البصريّ شيخ المعتزلة؛ كان رأساً في علم الكلام وأخذ هذا[٧] العلم عن أبي يوسف يعقوب[٨] بن عبد الله الشحّام البصريّ، وله مقالات مشهورة وتصانيفُ؛ وأخذ عنه

(١) زيادة عن شذرات الذهب وعقد الجمان والمنتظم وابن خلكان.

(٢) في البداية والنهاية: «حتى يُروى له فضائل». وفي بعض الروايات: «ما أعرف له فضيلة إلا: لا أشبع الله بطنك».

(٣) أي أصيب بمحنة وبليّة. قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدَّوس وهو منقول. وكان قد صنف كتاب «الخصائص» في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل البيت، وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن حنبل، فقيل له: ألا تصنف كتاباً في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن علي كثير، فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب.

(٤) في الأصل: «الحضرمي» وهو تحريف. والتصحيح عن أنساب السمعاني وشرح القاموس. وهذه النسبة إلى الحصر وهي جمع الحصير.

(٥) كذا في المنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان والبداية والنهاية. وفي الأصل: «الحسين» وهو تحريف.

(٦) نسبة إلى «جُبَّى» بلد من عمل خوزستان. وفي أنساب السمعاني أنها من قرى البصرة. وقد خطَّأ ياقوت الحموي في معجم البلدان رأي السمعاني ومن ذهب مذهبه بقوله: «وجبَّى في طرف من البصرة والأهواز، حتى جعل من لا خبرة له جبَّى من أعمال البصرة، وليس الأمر كذلك».

(٧) في الأصل: «وأخذ عنه» وهو خطأ. والتصحيح عن ابن خلكان.

(٨) كذا أيضاً في ابن خلكان. وفي الفرق بين الفرق ودائرة المعارف الإسلامية والأعلام: «أبو يعقوب يوسف بن عبد الله الشحّام» وهو الصحيح.

ابنُه أبو هاشم[١] والشيخ أبو الحسن الأشعريّ. قال الذهبيّ: وجدتُ على ظهر كتاب عتيق: سمِعت أبا عمرو يقول سمِعت عشرة من أصحاب الجُبّائيّ يَحْكُون عنه، قال: الحديثُ لأحمد بن حنبل، والفقه لأصحاب أبي حنيفة، والكلام للمعتزلة، والكذِب للرافضة.

وفيها توفي رُوَيْم بن أحمد ـ وقيل: آبن محمد بن رُوَيْم ـ الشيخ أبو محمد[٢] الصوفيّ؛ قرأ القرآن وكان عارفاً بمعانيه، وتفقّه على مذهب داود الظاهريّ، وكان مجرّداً من الدنيا مشهوراً بالزهد والورع والدّين.

وفيها توفّي عليّ بن محمد بن منصور بن نصر بن بسّام البغداديّ الشاعر المشهور؛ وكان شاعراً مُجيداً، إلا أن غالب شعره كان في الهجاء حتّى هجا نفسه وهجا أباه وإخوتَه وسائرَ أهل بيته، وكان يُكنى أبا جعفر[٣]، فقال[٤]: [البسيط]

---

(١) وهو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجُبّائي المتوفى سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م. وإليه تنسب الفرقة «البهشمية» من المعتزلة، كما تنسب إلى أبيه «الجُبّائية». وقد أخذ أبو الحسن الأشعري مذهب الاعتزال عن أبي علي الجبّائي، غير أنه وقعت له معه مناظرة مشهورة في مسألة الإخوة الثلاثة الذين مات أحدهم طفلاً وأنسأ الله في أجل الآخرين، فماذا يكون شأنهم مع الله تعالى؟ وفيها أن الجبائي لما انقطع عن الإجابة شتم تلميذه الأشعري وقال له: إنك مجنون، فقال له الأشعري: لا، بل وقف حمار الشيخ في العقبة (انظر ابن خلكان) وكان بعد هذا ما نعرف من أن الأشعري ترك الاعتزال وصار إمام أهل السنة والجماعة.

وللمعتزلة أصول خمسة لا يستحق في رأيهم أن يوصف بالاعتزال من لم يقل بها جميعها، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فمن كملت فيه هذه الخصال كان معتزلياً. (انظر الانتصار للخياط المعتزلي، نشر الدكتور نيبرج ص ١٢٦ ومقالات الإسلاميين للأشعري، ص ٢٧٨) إلا أنهم بعد الاتفاق على هذه الأصول اختلفوا في كثير من التفاصيل والفروع المتعلقة بها اختلافاً يسيراً أو كبيراً، فكان من هذا أن افترقوا إلى اثنتين وعشرين فرقة كلها تستحق الوصف بالإسلام إلا اثنتين هما الحائطية والحمارية. (انظر الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ١٨).

(٢) ويقال: أبو الحسن. (انظر البداية والنهاية). قال ابن كثير: كان رويم يكتم حب الدنيا أربعين سنة ـ ومعناه أنه تصوّف أربعين سنة ـ ثم لما ولي إسماعيل بن إسحاق القضاء ببغداد جعله وكيلاً في بابه، فترك التصوّف ولبس الخزّ والقصب والدبيقي وركب الخيل وأكل الطيبات وبنى الدور.

(٣) في ابن خلكان وعقد الجمان: «أبو الحسن». وورد اسمه في البداية والنهاية: «علي بن أحمد بن منصور». وفي مروج الذهب: «علي بن محمد بن نصر بن منصور» ورواية أبي المحاسن توافق رواية ابن خلكان.

(٤) وهو مما قاله في أبيه، كما جاء في المسعودي.

بنَى أبــو جَعْفرٍ داراً فشَيّــدَهَــا ومِـثـلُه لـخيــار الــدُّورِ بــنّــاءُ
فـآلجوعُ داخلَهـا والذلّ خـارجَها وفـي جـوانِبـهــا بـؤسٌ وضَــرّاء
[ما ينفـع الدار من تشييد حائطها وليس داخلها خبزٌ ولا مـاء][1]

وله يهجو المتوكّل على الله لما هدَم قبورَ العلويّين: [الكامل]
تـاللّهِ إن كـانَتْ أُمَيَّــةُ قـد أتتْ قَتْــلَ آبنِ بنتِ نبيّهـا مـظلومَـا
فـلقــد أتــاه بنــو أَبِيــهِ بمـثله هــذا لعمــرُك قبــرُه مهــدومـا
[أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتـتبّعــوه رميـمـا][2]

ومن شعره في الزهد: [الكامل]
أقْصَرْتُ عن طَلَب البَطالةِ والصِّبَا لـمّــا عَــلاَنِي لـلمَشيبِ قِنــاعُ
لــلّهِ أيّــامُ الـشبــاب ولَـهْــوِهِ لــو أنّ أيّــامَ الـشبــاب تُـبَــاع
فدَعِ الصِّبَا يا قلبُ وآسلُ عن الهوَى مـا فيكَ بَعْـدَ مَشِيبِـكَ آستِمتـاع
وآنـظُر إلى الـدنيـا بعين مُـودِّعٍ فلقــد دنَــا سفَــرٌ وحَــانَ وَدَاع
[وآلحـادِثـاتُ مُــوَكّـلاتٌ بــالفَتَى والناسُ بعدَ الحادثاتِ سَمَـاع][2]

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلـغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وثمانِيَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية ذَكا الروميّ على مصر

وهي سنة أربـع وثلاثمائة:
فيها في المحرّم عاد نصر الحاجب من الحـجّ ومعه العلويّ[3] الذي قَطَـع الطريق على ركب الحاجّ عام أوّل، فحُبِس في المُطْبِق[4].

(١) زيادة عن مروج الذهب للمسعودي.
(٢) زيادة عن ابن خلكان.
(٣) هو الحسن بن عمر الحسيني، كما تقدم في حوادث ٣٠٢هـ.
(٤) سجن تحت الأرض.

وفيها غزا مؤنس الخادم بلاد الروم من ناحية مَلَطْيَة وفتح حصوناً كثيرة وآثاراً جميلة وعاد إلى بغداد فخلَع المقتدر عليه.

وفيها وقع ببغداد حيوان يسمَّى الزَّبْزَب[١]، وكان يُرَى في الليل على السطوح[٢]، وكان يأكل أطفال الناس، وربّما قطع يدَ الإنسان وهو نائم وثَدْيَ[٣] المرأة فيأكلهما، فكانوا يتحارسون طول الليل ولا ينامون ويضرِبون الصوانيَ والهواوينَ ليُفزعوه فيهرُب. وآرتجّت بغداد من الجانبيْن وصَنَع[٤] الناس لأطفالهم مَكَابَّ من السَّعف يَكُبّونها عليهم بالليل، ودام ذلك عدّة ليالٍ[٥].

وفيها عزَل المقتدِر الوزيرَ عليّ بن عيسى، وكان قد ثقُل عليه أمر الوزارة وضجِر من سوء أدب الحاشية وآستعفَى غيرَ مرّة؛ ولما عزله المقتدر لم يتعرّض له بسوء؛ وكانت وزارتُه ثلاثَ سنين وعشرةَ أشهر وثمانيةَ عشرَ يوماً؛ وأعيد أبو الحسن بن الفُرات إلى الوزارة.

وفيها توفّي زِيَادةُ الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغْلَب الأمير أبو نصر، وقيل: أبو منصور، صاحب القَيْرَوان. قال الحِمْيَرِيّ: يقال له زيادة الله الأصغر وجدّ جدّه زيادة الله الأكبر. ورُدّ زيادة الله إلى مصر منهزماً من عُبَيْد الله المهديّ الخارجيّ فأُكْرِم، وقيل: إنه مات في بَرْقَة، وقيل: بالرملة[٦].

---

(١) الزبزب: دابة كالسنّور، وهي بلقاء بسواد، قصيرة اليدين والرجلين، كما في حياة الحيوان الكبرى للدميري وشرح القاموس. ووقع في البداية والنهاية: «الزرنب» وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «الأسطحة» وهو ما لم نجده في معاجم اللغة.

(٣) كذا في ابن الأثير وعقد الجمان والبداية والنهاية. وفي الأصل: «ويد المرأة».

(٤) في الأصل: «وأصلح».

(٥) أضاف ابن الأثير: «ثم إن أصحاب السلطان صادوا ليلة حيواناً أبلق بسواد، قصير اليدين والرجلين، فقالوا: هذا هو الزبزب، وصلبوه على الجسر، فسكن الناس: وهذه دابة تسمى طبرة. وأصاب اللصوص حاجتهم لاشتغال الناس عنهم». وقال ابن كثير: «وأمر الخليفة بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيصلب على الجسر ليسكن الناس عن ذلك» ويفهم من ذلك أن هذا الخبر هو أقرب إلى الشائعة غير الصحيحة منه إلى الحقيقة، وذلك بهدف تخريبي لعل وراءه اللصوص أنفسهم.

(٦) هذه رواية ابن عذاري في المغرب. وقد جعل وفاته سنة ٣٠٣هـ.

وفيها توفّي يَمُوتُ بن المُزَرَّع بن يموت، أبو بكر العبديّ من عبد القيس؛ كان من البصرة ثم رحَل عنها. ونزل بغداد ثم قدِم دِمَشق ثم سكن طَبَرِيّة؛ وكان حافظاً ثِقة محدّثاً أخبارياً.

وفيها توفي يوسف بن الحسين بن عليّ، الحافظ أبو يعقوب الرازيّ شيخ الريِّ والجبال[١] في وقته؛ كان عالماً زاهداً ورعاً كبير الشأن.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ستُّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وثمانِيَ عشْرةَ إصبعاً مثل الماضية.

* * *

السنة الثالثة من ولاية ذَكا الروميّ على مصر

وهي سنة خمس وثلاثمائة:

فيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميّ، وهي تمام ستَّ عشرةَ حِجّة حجّها بالناس.

وفيها خلَع الخليفةُ المقتدر على أبي الهيجاء عبد الله بن حَمْدان وإخوته خِلعة الرضا.

وفيها قدِمت رُسلُ[٢] ملك الروم بهدايا تطلب عقدَ هدنة، فَشُحِنَتْ[٣] رَحَبات دارِ الخلافة والدهاليزِ بالجند والسلاح، وفُرِشَت سائر القصور بأحسنِ الفُرُش، ثم أحضِرَ الرسل والمقتدر على سريره والوزير ومؤنس الخادم قائمان بالقرب منه. وذكر الصُّوليّ آحتفال المقتدر بمجيء الرسل فقال: أقام المقتدر العساكر وصفَّهم

---

(١) الجبال: هو اسم علم يطلق على البلاد المعروفة اليوم باصطلاح العجم بالعراق؛ وهي ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والريّ. (معجم البلدان ودائرة المعارف الإسلامية).

(٢) في ابن الأثير والبداية والنهاية وابن العبري: «وصل رسولان من ملك الروم».

(٣) في الأصل: «فاشحنت» وهو خطأ.

بالسلاح، وكانوا مائة وستين ألفاً، وأقامهم من باب الشّماسِيَّة إلى دار الخلافة، وبعدهم الغلمان وكانوا سبعة آلاف خادم وسبعمائة حاجب؛ ثم وصَف أمراً مهولاً قال: كانت الستور [التي نصبت على حيطان دار الخلافة][1] ثمانيةً وثلاثينَ ألف سِتْر من الديباجِ، ومن البُسُط اثنان وعشرون ألفاً، وكان في الدار مائةُ سَبُـع في السلاسل، ثم أُدخلوا دار الشجرة وكان في وسطها بركةٌ والشجرة فيها، ولها ثمانيةَ عشرَ غُصْناً عليها الطيور المَصُوغَة تصفِر، ثم أُدخِلوا إلى الفِرْدَوس وبها من الفُرُش ما لا يُقَوّم، وفي الدهاليز عشرةُ آلاف جَوْشَن[2] مذهَّبة مُعَلَّقة وأشياء كثيرة يطول الشرح في ذكرها.

وفيها ورَدت هدايا صاحب[3] عُمَـان، فيها طيـر أسودُ يتكلّم بـالفارسيّـة والهندية[4] أفصـحُ من البَبَّغاء، وظِباءٌ سود.

وفيها توفِّي الأمير غريب خال الخليفة المقتدر بالله بعِلّة الذَّرَب[5]؛ كان محترماً في الدولة، وهو قاتل عبد الله بن المعتزّ حتّى قرّر جعفراً المقتدِرَ.

وفيها توفّي سليمان بن محمد[6] بن أحمد أبو موسى النحويّ. كان يُعرَف بالحامض[7]، وكان إماماً في النحو وغيـرِه وله تصـانيفُ كثيرة، منهـا: «خلق الإنسـان»، و«كتابُ الـوحـوش والنبـات»[8]، و«غـريبُ الحـديث» ومـات في ذي الحجّة.

---

(١) زيادة عن تاريخ الخلفاء للسيوطي، وهو ينقل عن الصولي. وانظر أيضاً البداية والنهاية وفيه تفاصيل أخرى مهولة أيضاً في وصف مقام الخليفة لدى وصولهم إليه.

(٢) الجوشن: الدرع.

(٣) هو أحمد بن هلال، كما في عقد الجمان. وفي معجم زامباور أن صاحب عمان في هذه المدة كان أحمد بن الخليل، وهو من بني سامَة.

(٤) كذا في عقد الجمان وشذرات الذهب. وفي الأصل: «العربية».

(٥) الذَّرَب: داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه.

(٦) كذا في ابن خلكان وعقد الجمان والمنتظم. وفي الأصل: «سليمان بن أحمد بن محمد بن أبي موسى».

(٧) كان ضيّق الصدر، سيىء الخلق، فلقب بالحامض. (الأعلام: ١٣٢/٣).

(٨) كذا بالأصل. والصواب أنهما كتابان: كتاب الوحوش وكتاب النبـات. (انظر ابن خلكـان وكشف الظنون).

وفيها توفّي عبد الصمد بن عبد الله، القاضي أبو محمد القرشيّ قاضي دِمَشق؛ حدّث عن هشام بـن عَمّار وغيرِه، ورَوى عنه أبو زُرْعة الدِّمَشقيّ وجماعةٌ أُخر.

وفيها توفّي الفضل بن الحُبَاب بن محمد بن شعيب، أبو خَليفة الجُمَحِيّ البصريّ؛ كان رُحْلَة[1] الآفاق في زمانه، واسم أبيه عمرو ولقبه الحُبَاب؛ وُلِد سنة ستّ ومائتين؛ وكان محدّثاً ثِقَةً راوية للأخبار فصيحاً مُفوّهاً أديباً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربـع أذرع وعشرُ أصابـع. مبلـغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الرابعة من ولاية ذَكا الروميّ على مصر

وهي سنة ستّ وثلاثمائة:

فيها فُتـح بِيمَارِسْتان[2] السيدة أمّ المقتدِر ببغداد، وكان طبيبُه سِنانَ بن ثابت، وكان مبلـغ النفقة فيه في العام سبعةَ آلاف دينار.

وفيها أمرت أمّ المقتدر «ثملَ» القَهْرَمَانَةَ أن تجلِس بالتُّرْبَة التي بنتها بالرُّصافة

(١) الرُّحلة (بالضم): الذي يرحل إليه من الآفاق.

(٢) البيمارستان: وتختصر في كثير من الأحوال فيقال «مارستان» وهي مأخوذة من الفارسية «بيمار» بمعنى مريض، و «إستان» بمعنى مكان. وتدل على المستشفى. والبيمارستان في الاصطلاح الحديث يطلق خاصة على مكان يأوي المجانين. (انظر دائرة المعارف الإسلامية).

وهذا البيمارستان هو أول مارستان نسوي ــ أي من إنشاء النساء ــ أسس ببغداد، وهو مارستان السيدة «شغب» أم المقتدر وزوجة المعتضد. وقد اشتهرت بلقب «السيدة» على الإطلاق، فإذا قيل في التاريخ «السيدة» فقد أريد به شغب المذكورة. وقد أمرت بفتح هذا المستشفى في سوق يحيى على دجلة من الجانب الشرقي ببغداد ــ ويقدّر الدكتور مصطفى جواد أن سوق يحيى هذا كان في محلة السفينة بالأعظمية الحالية ــ وقد تولى فتحه وترتيب الأطباء فيه: سنان بن ثابت الصابي، أحد كبار الأطباء المشهورين. وكان مبلغ النفقات الشهرية عليه ستمائة دينار (أي ما يعادل ستة آلاف دينار عراقي من دنانير اليوم من حيث القيمة الشرائية للدينار). انظر الدكتور مصطفى جواد في كتابه: في التراث العربي: الجزء الأول، ص ١١٦ وما بعدها.

للمظالم وتنظُرَ في رِقاع الناس في كلّ يوم جُمُعة(١)؛ فكانت «ثملُ» المذكورة تجلِس ويَحْضُرُ الفقهاء والقضاة والأعيان وتبرز التواقيع وعليها خطّها.

وفيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميّ؛ وقيل: أحمد بن العباس أخو أمّ موسى القهرمانة.

وفيها توفّي أحمد بن عمر بن سُرَيج، القاضي أبو العبّاس البغداديّ الفقيه العالم المشهور. قال الدارقطنيّ: كان فاضلاً لولا ما أحدث في الإسلام مسألةَ الدوْر(٢) في الطلاق.

وفيها توفّي أحمد بن يحيى، الشيخ أبو عبد الله بن الجَلَّى، أحد مشايخ الصوفيّة الكِبار، صحِب أباه وذا النون المصريّ وأبا تراب النَّخْشَبيّ؛ قال الرَّقّي(٣): [لَقِيتُ نيّفاً وثلاثمائة من المشايخ المشهورين فما لَقِيت أحداً بين يدي الله وهو يعلم أنه بين يدي الله أهيبَ من ابن الجَلَّى](٤).

وفيها توفّي الأمير أبو عبد الله الحسين بن حَمْدان بن حَمْدون التَّغْلِبيّ(٥) عمّ السلطان سيف الدولة بن حَمْدان. كان مُعَظَّماً في الدول؛ ولّاه الخليفةُ المكتفي

(١) قال في شذرات الذهب: «في هذه السنة وقبلها أمرت أم المقتدر في أمور الأمة ونهت لركاكة ابنها، فإنه لم يركب للناس ظاهراً منذ استخلف إلى سنة ٣٠١هـ، ثم ولى ابنه علياً إمرة مصر وغيرها وهو ابن أربع سنين، وهذا من الوهن الذي دخل على الأمة».

(٢) صورة مسألة الدور في الطلاق المنسوبة إليه هي أن يقول الزوج لزوجته: إن طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثاً، فطلقها طلقة أو أكثر، وقع المنجز فقط ولا يقع معه المعلق لزيادته على المملوك. وقيل: لا يقع شيء، لأنه لو وقع المنجز لوقع المعلق قبله بحكم التعليق، وإذا وقع المعلق لم يقع المنجز، وإذا لم يقع المنجز لم يقع المعلق. قال ابن الصباغ: وددت لو محيت هذه المسألة، وابن سريج بريء مما ينسب إليه فيها ــ عن حاشية ص ١٩٤ من طبعة دار الكتب المصرية عن شرح العلامة الخطيب على أبي شجاع بحاشية النبراوي (ج ٢، ص ١٩٦) طبع المطبعة الأميرية ببولاق. وانظر الكليات للكفوي: ٢/٣٣٤ ــ ٣٣٥.

(٣) هو محمد بن داود. كان تلميذاً لأبي عبد الله بن الجلّى.

(٤) عبارة الأصل: «ما رأيت أهيب منه لقيت بثلاثمائة شيخ» وما أثبتناه بين معقوفين هو عبارة ابن عساكر.

(٥) في الأصل: «الثعلبي». وما أثبتناه عن ابن الأثير وشذرات الذهب.

محاربة الطُّولونيَّة، ثم ولِي حربَ القَرامطة في أيام المقتدر؛ ثم ولي ديارَ ربيعة فغزا وافتتح حصوناً وقتل خلقاً من الروم؛ ثم خالف وعصَى على الخلافة فسار لحربه رائقٌ الكبير فآنكسر فتوجّه رائقٌ إلى مؤنس الخادم وانضم إليه وعاد إليه وقاتله حتى ظفِر به وأسره ووجّهه إلى الخليفة فحبَسه إلى أن قُتِل في مَحْبَسِه ببغداد؛ وكان من أجلّ الأمراء بأساً وشجاعةً؛ وهو أوّل من ظهرَ أمرُه من ملوك بني حَمْدان.

وفيها توفّي عَبْدان بن أحمد بن موسى بن زياد، أبو محمد الأهوازيّ الجَواليقيّ الحافظ؛ وكان آسمه عبدَ الله فخفّف بعَبْدان؛ وهو أحد مَن طاف البلاد في طلب الحديث وسمِع الكثيرَ وصنّف التصانيف ورحلَ الناسُ إليه، وكان أحدَ الحفّاظ الأثبات.

وفيها توفّي محمد بن خلَف بن حَيّان بن صَدَقة، أبو بكر القاضي الضَّبّيّ ويُعرف بوَكِيع؛ كان عالماً نبيلاً فصيحاً عارفاً بالسِّيَر وأيامِ الناس، وله تصانيفُ كثيرة في أخبار القضاء وعدد آيات القرآن وغيرِ ذلك.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسُ أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وتسعَ عشرةَ إصبعاً.

ذكر ولاية تكين الثانية على مصر

وَليها من قبل المقتدِر بعد موت ذَكَا الروميّ في شهر ربيع الأوّل سنة سبع وثلاثمائة، وسار من بغداد إلى مصر؛ وكان المقتدِر قد جهّز جيشاً إلى مصر نَجْدَة لذكا وعلى الجيش الأمير إبراهيم بن كَيْغَلغ والأمير محمود بن جمل[1] فدخلوا مصر قبل تَكِين في شهر ربيع الأوّل المذكور؛ ثم دخَل تكين بعدهم بمدّة في حادي عشرين[2] من شعبان من السنة؛ فلما وصل تكين إلى مصر أقرّ على شُرْطته آبنَ طاهر، ثم تجهّز بسرعة وخرجَ من الديار المصريّة بجيوش مصر والعراق ونزل بالجيزة وحفَر بها خَنْدقاً ثانياً غيرَ الذي حفره ذَكَا قبل موته

وأما عسكر المغاربة فإنّ مُقدّمة القائم[3] آبن المهديّ عبيدِ الله الفاطميّ دخلتِ الإسكندريّةَ في صفر هذه السنة، فآضطرب أهل مصر ولحِق كثير منهم بالقُلْزُم والحجاز لا سيما لمّا مات ذكا؛ فلما قدم تكين هذا تراجع الناس. ثم إنّ تكين بلغه أنّ القائم محمداً قد آعتلّ بالإسكندريّة عِلّة صَعْبةً وكَثُرَ المرضُ في جُنْده فمات داودُ بن حُبَاسة ووجوه من القوّاد، ثم تحاملوا وَمَشَوا إلى جهة مصر، فآستمرّ تكين بمنزلته من الجيزة إلى أن أقبلت عساكر المهديّ، فآستقبله المذكور فتقاتلا قتالاً شديداً آنتصر فيه تكين وظفِر بالمراكب في شوّال من السنة؛ وتوجّهت عساكر المهديّ إلى نحو الصعيد، وعاد تكين إلى مصر مؤيّداً منصوراً، ودام بها إلى أن

---

(١) كذا بالأصل. وفي المقريزي: «حمل» وفي الكندي: «حمك». وذكر زامباور الروايتين: «حمل» و«حمك».

(٢) في الكندي: «لإحدى عشرة خلت من شعبان».

(٣) هو أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي الفاطمي.

حضَر إليها مؤنسٌ الخادم في نحو ثلاثة آلاف من عساكر العراق في المحرّم سنة ثمان وثلاثمائة، وخرج تكين إلى الجيزة ثانياً وبعث آبنَ كَيْغَلَـغ إلى الأُشْمُونَيْن[١] لقتال عساكر المهديّ (أعني المغاربةَ) فتوجّه إليه آبنُ كيغلـغ المذكور فمات بالبَهْنَسا في أوّل ذي القَعْدة.

ثم بلـغ تكين أنّ آبن المدينيّ القاضي وجماعةً بمصر يَدْعُونَ إلى المهديّ، فأخذهم وضرب أعناقَهم وحبَس أصحابه.

ومَلَك أصحابُ المهديّ الفيّومَ وجزيرةَ الأُشْمُونين وعدّة بلاد، وضعُف أمرُ تكين عنهم؛ فقَدِم عليه نجدةٌ ثانيةٌ من العراق عليها جِنّيّ الخادم [المعـروف بالصفواني][٢] في ذي الحِجّة من السنة؛ [ثم] خرج جنّيّ أيضاً بمن معه إلى الجزيرة؛ وتوجّه الجميعُ لقتال عساكر المهديّ، فكانت بينهم حروب وخطوب بالفيوم والإسكندريّة، وطال ذلك بينهم أياماً كثيرة إلى أن رجـع أبو القاسم القائم محمد بن المهديّ عبيد الله بعساكره إلى بَرْقَة. وأقام تكين بعد ذلك مدّةً، وصرَفه مؤنسٌ الخادم عن إمْرة مصر في يوم الأحد لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلت من شهر ربيـع الأوّل من سنة تسـع وثلاثمائة، ووَلّى مكانَه على مصر أبا قابوس محمود بن جمل؛ وكانت ولاية تكين هذه الثانية على مصر نحو السنة وسبعةِ أشهر تخميناً[٣].

* * *

(١) الأشمونين: مدينة قديمة بالبرّ الغربي من النيل. ولا تبعد عن محطة الروضة إلا قليلاً. وهي من مدن مركز ملوي من أعمال مديرية أسيوط. وهذه المدينة التي ليس لها شأن كبير اليوم، كانت فيما مضى من أهم مدن مصر. والاسم «أشمونين» بصيغة المثنى يطابق الاسم المصري القديم «خمونو» والاسم القبطي «شمون». وأطلق اليونان والرومان عليها اسم «هرموبوليس ماجنا». (معجم البلدان: ١/ ٢٠٠، ودائرة المعارف الإسلامية: ٣/ ٤٤١، وصبح الأعشى: ٣/ ٤٥٢).

(٢) زيادة عن الكندي وابن الأثير.

(٣) يستحسن مراجعة الكندي (ولاية تكين الثانية) ففيه تفاصيل وافية عن المواجهات مع عساكر المغاربة؛ هذا إلى اختلافات غير يسيرة عما ورد هنا.

السنة التي حكم فيها ذكا وفي آخرها تَكين على مصر

وهي سنة سبع وثلاثمائة:

فيها اجدَبتِ العراقُ فخرج أبو العباس أخو أمّ موسى القَهْرَمَانة والناسُ معه فاسْتَقَوْا[١].

وفيها خلع المقتدرُ على نازوك الخادِم وولّاه دمشقَ.

وفيها خلع المقتدر على أبي منصور بن أبي دُلَف وولّاه ديارَ بكر وسُمَيسَاط.

وفيها دخلت القرامطةُ البصرةَ فنهبوها وقَتلوا وسَبَوْا.

وفيها تُوفِّي الفضلُ بن عبد الملك الهاشميّ العباسيّ البغداديّ بها؛ وكان صاحبَ الصلاة بمدينة السلام وأميرَ مكّةَ والموسِم؛ وقد تقدّم ذكر أنه حجّ بالناس نحوَ العشرين سنة، وتولّى آبنُه عمرُ مكانه، وكانت وفاته في صفر.

وفيها توفّي أحمد بن عليّ بن المُثَنَّى بن يحيى بن عيسى بن هلال، أبو يَعْلَى التميميّ المَوْصِليّ الحافظ صاحب المسند؛ وُلد في شوّال سنةَ عشرين ومائتين، وكان إماماً عالماً محدّثاً فاضلاً؛ وثّقه آبن حِبّان[٢] ووصفه بالإتقان والدّين، وقال: بينه وبين النبيّ ﷺ ثلاثةُ أنفسٍ. وقال الحاكم: هو ثقة مأمون، سمِعتُ أبا عليّ الحافظ يقول: كان أبو يَعْلى لا يخفَى عليه من حديثه إلا اليسيرُ.

وفيها توفّي عليّ بن سهل بن الأزهر أبو الحسن الأصبهانيّ؛ كان أوّلاً من أبناء الدنيا المُتْرَفِين فتزهّد وخرج عما كان فيه، وكان يكاتب الجنيدَ فيقول الجنيدُ: ما[٣] أشبه كلامَه بكلام الملائكة!.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) أي أقاموا صلاة الاستسقاء.

(٢) انظر فيما سيأتي: حوادث سنة ٣٥٤هـ.

(٣) في الأصل: «لا أشبه كلامه إلا بكلام الملائكة» وما أثبتناه هو عبارة عقد الجمان.

الماء القديم ثلاثُ أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وتسعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية تكين الثانية على مصر

وهي سنة ثمان وثلاثمائة،

فيها غَلتِ الأسعارُ ببغدادَ وشغَبت العامّة ووقع النهبُ، فركبت الجند؛ وسبب ذلك ضمان[١] حامد بن العباس السوادَ وتجديدُ المظالم لمّا وَلِيَ الوزارةَ[٢]، وقصدوا دارَ حامد فخرج إليهم غلمانُه فحاربوهم ودام القتالُ بينهم أياماً وقتِل منهم[٣] خلائقُ. ثم آجتمع من العامّة نحوُ عشرة آلاف، فأحرقوا الجسر وفتحوا السجونَ ونهبوا الناسَ، فركب هارونُ[٤] في العساكر وركب حامدُ بنُ العباس في طَيّارٍ[٥] فرجَمُوه، وآختلّت أحوالُ الدولة العبّاسية وغلبتِ الفِتَنُ ومُحِقتِ الخزائنُ.

---

(١) ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٠٧هـ أن حامد بن العباس ضمن أعمال الخراج والضياع الخاصة والعامة والمستحدثة والفراتية بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والأهواز وأصبهان. وقال ابن كثير في البداية والنهاية أن الأسعار غلت في هذه السنة (٣٠٨هـ) بسبب ضمان حامد بن العباس لبراثى (أراضٍ سهلة حسنة خصبة) من الخليفة فاضطربت العامة. . . ثم إن الخليفة نقض الضمان فانحطت الأسعار وبيع الكُرّ بناقص خمسة دنانير، فطابت أنفس الناس بذلك وسكنوا.

(٢) في الأصل: «الوزر». وجاء في الفخري أن المقتدر العباسي «لما عرف قلة فهم حامد وقلة خبرته بأمور الوزارة أخرج إليه علي بن عيسى بن الجراح من الحبس وضمّه إليه وجعله كالنائب له، فكان علي بن عيسى لخبرته هو الأصل، فكل ما يعقده ينعقد وكل ما يحلّه ينحلّ، وكان اسم الوزارة لحامد وحقيقتها لعلي بن عيسى. وكان حامد يلبس السواد ويجلس في دست الوزارة، وعلي بن عيسى يجلس بين يديه كالنائب وليس عليه سواد ولا شي من زيّ الوزارة، فقال بعض الشعراء:

أعجب من كل ما رأينا أنّ وزيرين في بلاد
هذا سوادٌ بلا وزير وذا وزيرٌ بلا سواد

ثم عزل حامد واستوزر المقتدر بعده علي بن الفرات وسلمه إليه فقتله سراً».

(٣) في الأصل: «بينهم».

(٤) هو هارون بن غريب. كان أبوه خال الخليفة المقتدر، فعرف بابن الخال. كانت إقامته ببغداد، ينتدبه الخليفة للمهمات، إلى أن مات أبوه سنة ٣٠٥هـ فقلده المقتدر أعمال أبيه وخلع عليه وعقد له اللواء بذلك. (انظر ابن الأثير: حوادث سنة ٣٢٢هـ وصلة تاريخ الطبري: ٦٩، وانظر فهرسته).

(٥) الطيّار: زورق خفيف سريع الجريان، استعمله العظماء في العصر العباسي. واللفظ على سبيل المجاز. (معجم متن اللغة).

وفيها آستولى عبيدُ الله الملقّب بالمهديّ الداعي على بلادِ المغرب وعَظُم أمرُه؛ ومن يومئذ أخذ أمرُ عبيد الله هذا في إقبال، وأخذتِ الدولةُ العباسيَّةُ في إدبار.

وفيها توفّي جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن[١] بن جعفر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب العَلَويّ؛ كان فاضلاً وَرِعاً، مات في ذي القَعدة.

وفيها توفّي عبد الله بن ثابت بن يعقوب الشيخ أبو عبد الله التَّوَّزِيّ[٢] (بزاي معجمة) وُلد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وسكن بغداد ومات غريباً بالرَّمْلة؛ وكان فاضلاً عالماً.

وفيها تُوفّي إمامُ جامع المنصور الشيخ محمد بن هارون بن العباس بن عيسى بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشميّ العباسيّ؛ كان مُعرِقاً في النسب، أمّ بجامع المنصور خمسين سنة، ووَلِيَ آبنُه جعفر بعده فعاش تسعة أشهر ومات.

وفيها توفّيت ميمونة بنت المعتضد[٣] بالله الهاشميّة العباسيّة عمّة الخليفة المقتدر، كانت من عظماء نساء عصرها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستُّ أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وعشرُ أصابع.

---

(١) كذا في المنتظم وعقد الجمان. وفي الأصل: «الحسين».

(٢) هذه النسبة إلى «توّز» ويقال لها أيضاً «توّج». مدينة بفارس قريبة من كازرون، بينها وبين شيراز اثنان وثلاثون فرسخاً. (معجم البلدان وأنساب السمعاني).

(٣) في تاريخ الإسلام للذهبي: «بنت المتوكل».

ذكر ولاية أبي قابوس محمود على مصر

هو محمود بن جمل[١] أبو قابوس؛ ولّاه مؤنسُ الخادمُ إمْرةَ مصر بعد عزل تكين عنها لأمرٍ ٱقتضى ذلك في يوم الأحد ثالثَ عشرَ[٢] شهر ربيع الأوّل سنةِ تسع وثلاثمائة، فلم يَنْجح أمرُه، وخالفت عليه جندُ مصرَ ٱستصغاراً له؛ فعزله مؤنسٌ بعد ثلاثة أيّام في يوم الثلاثاء لستٍّ عشرةَ خلتْ من شهر ربيع الأوّل المذكور؛ وعاد الأميرُ تَكين على إمْرة مصرَ لثالث مرّة. وكانت ولاية محمود هذا على مصر ثلاثةَ أيام، على أنه لم يَبُتّ فيها أمراً. قلت: ومتى تَفرّغ[٣] للنظر في الأمور! فإنه يومَ لبِس الخِلعةَ جلس فيه للتهانيّ، ويوم عُزِل للتآسِي؛ فإمرتُه على هذا يومٌ واحدٌ وهو يوم الاثنين، فما عسَى [أن] يَصنَع فيه!. وكان مؤنسٌ الخادمُ حضر إلى مصر في عسكر من قِبل الخليفة المقتدر سنة ثمانٍ وثلاثمائة، فصار يُدبِّر أمرَها ويراجعُ الخليفةَ.

---

(١) راجع ص ٢١٩، الحاشية (١).

(٢) كذا في الكندي والمقريزي وفيما سيأتي في الكلام على ولاية تكين الثالثة. وفي الأصل هنا: «ثالث عشرين».

(٣) في الأصل: «ومتى يفرغ».

ذكر ولاية تكين الثالثة على مصر(١)

ولما عَزَل مؤنسٌ الخادم تكين هذا بأبي قابوس في ثالثَ عشرَ شهر ربيع الأوّل سنة تسع وثلاثمائة بغير جُنحةٍ عَظُمَ ذلك على المصريين، فلم يلتفت مؤنسٌ لذلك وولّى أبا قابوس على إمرة مصر عِوَضَه، فكثُر الكلامُ في عزل تكين المذكور وولاية أبي قابوس حتى أُشِيع بوقوع فتنةٍ؛ وتكلّم الناسُ وأعيانُ مصرَ مع مؤنس الخادم في أمر تكين وخوّفوه عاقبةَ ذلك وألحّوا عليه في عوده، فأذعن لهم بذلك وأعاده في يوم الثلاثاء سادسَ عشرين شهر ربيع الأوّل على رَغْمه حتى أصلح من أمره ما دبّره من أمر المصريين، وقرّر مع القوّاد ما أراده من عزل تكين المذكور عن إمرة مصر، ولا زال بهم حتى وافقه الجميعُ؛ فلما رأى مؤنسٌ أن الذي رامه تمّ له عزَله بعد أربعة أيام من ولايته، وذلك في يوم تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل وهو يوم سَلْخه من سنة تسع وثلاثمائة. ثم بدا لمؤنسٍ إخراجُ تكين هذا من الديار المصريّة خوفَ الفتنة، فأخرجه منها إلى الشأم في أربعة آلاف من أهل الديوان(٢)؛ وبعث مؤنسٌ إلى الخليفة يُعرّفه بما فعل؛ فلما بلغ الخليفةَ ذلك ولّى على مصر الأميرَ هلالَ بن بدر الآتي ذكرُه، وأرسله إلى الديار المصرية(٣).

---

(١) ولاة مصر: ٢٩٦، وخطط المقريزي: ٣٢٨/١، وحسن المحاضرة: ١٣/٢، ومعجم زامباور: ٤٣.

(٢) أهل الديوان: هم الجند من العرب.

(٣) قال الكندي: «لما صُرف تكين عنها في سلخ ربيع الأول قال ابن مهران الشاعر:

وليتَ ولايةً وعزلتَ عنها ... كما قد كنتَ تعزل من تُولّي

رحمتك يا أبا منصور لما ... خرجتَ كذا بلا علم وطبلِ

فلما وليها تكين بعد ذلك (أي للمرة الرابعة) أمر فرّاشاً، فضمّ ابن مهران ضمّة كان فيها نفسه».

ذكر ولاية هلال بن بدر على مصر[١]

هو هِلال بن بدر الأمير أبو الحسن؛ وَلِيَ إمْرَةَ مصر بعد عزل تكين عنها في شهر ربيـع الآخر ـ أعني من دخوله إلى مصر؛ فإنه قَدِمها في يوم الاثنين لستّ خلون من شهر ربيـع الآخر من سنة تسـع وثلاثمائة، ولاّه الخليفةُ المقتدرُ على الصلاة. ولما دخل إلى مصر أقرّ آبنَ طاهر على الشُّرطة ثم صرَفه بعد مدّة بعليّ بن فارس. وكان هلالٌ هذا لمّا قدِم إلى مصر جاء معه كتابُ الخليفة المقتدر لمؤنسٍ بخروجه من مصرَ وعَوْده إلى بغدادَ، فلما وقَف مؤنس على كتاب الخليفة تجهّز وخرج من الديار المصريّة بعساكر العراق ومعه محمودُ بن جمل الذي كان وَلِيَ مصر. وكان خروجُ مؤنس من مصر في يوم ثامنَ عشرَ شهر ربيـع الآخر من سنة تسـع وثلاثمائة المذكورة. وأقام هلال بن بدر المذكور على إمرة مصرَ وأحوالُها مُضطربةٌ إلى أن خرج عليه جماعةٌ من المصريين وأجمعوا على قتاله، وتشعّبَتِ الجندُ أيضاً ووافقوهم على حَربه، وآنضمّ الجميـعُ بمن معهم وخرجوا من الديار المصرية إلى مُنية الأَصْبَغ ومعهم الأميرُ محمدُ بنُ طاهر صاحبُ الشرطة. ولمّا بلـغ هلالاً هذا أمرُهم تهيّأ وتجهّز لقتالهم، وجمـع من بقي من جند مصر وطلب المقاتِلَة وأنفق فيهم وضمّهم إليه وجهّزهم، ثم خرج بهم وحواشيه إلى أن وافاهم وقاتلهم أياماً عديدة؛ وطال الأمرُ فيما بينه وبينهم، ووقـع له معهم حروب، وكَثُر القتلُ والنهبُ بينهم، وفَشا الفسادُ وقُطِـعَ الطريقُ بالديار المصرية؛ فعظُم ذلك على أهل مصر، لا سيما الرعيّة. وضَعُفَ آبنُ هلالٍ هذا عن إصلاح أحوالِ مصر، فصار كلّما سدّ أمراً آنخرق عليه آخرُ؛ فكانت أيامُه على مصر شرَّ أيام. ولما تفاقمَ الأمرُ عزله

(١) ولاة مصر: ٢٩٦، وخطط المقريزي: ٣٢٨/١، وحسن المحاضرة: ١٣/٢، ومعجم زامباور: ٤٣.

الخليفةُ المقتدرُ بالله جعفر عن إمرة مصرَ بالأمير أحمدَ بن كَيْغَلَـغ. فكانت ولايةُ هلالٍ المذكور على مصر سنتين وأياماً، قاسى فيها خطوباً وحروباً ووقائـعَ وفِتَناً، إلى أن خَلَص منها كَفَافاً لا له ولا عليه.

* * *

السنة التي حكم في أوّلها تكينُ إلى ثالثَ عشرَ شهر ربيـع الأول، ثم أبو قابوس محمود ثلاثةَ أيام، ثم تكينُ المذكور أربعةَ أيام، ثم هلال بن بدر إلى آخرها

وهي سنة تسـع وثلاثمائة:

فيها كانت مَقتلة الحَلّاج؛ واسمه الحسينُ بنُ منصور بن مُحَمّى أبو مغيث، وقيل: أبو عبد الله، الحلّاج. كان جدّه مُحَمّى مجوسِيًّا فأسلم. ونشأ الحـلّاج بواسط، وقيل: بتُسْتَر، وتَلْمذ(١) لسهل بن عبد الله التُّسْتَريّ، ثم قدِم بغدادَ وخالط الصوفيّة ولقِي الجُنيدَ والنُّوريّ(٢) وآبن عَطَاء(٣) وغيرَهم. وكان في وقتٍ يَلبسُ المسُوحَ(٤) وفي وقتٍ الثيابَ المصبّغة وفي وقت الأَقبيةَ. وآختلفوا في تسميته بالحلّاج، قيل: إن أباه كان حَلّاجاً، وقيل: إنه تكلّم على الناس [وعلى ما في قلوبهم](٥) فقالوا: هذا حَلّاج الأسرار، وقيل: إنه مرّ على حلّاج فبعثه في شُغل له فلما عاد الرجلُ وجده قد حلَـج كلّ قطن في الدكان. وقد دخل الحلّاجُ الهندَ وأكثرَ الأسفارَ وجاورَ بمكةَ سنين، ثم وقـع له أمور يطول شرحُها، وتُكُلِّمَ في آعتقاده بأقوالٍ كثيرة حتى آتفقوا على زندقته، والله أعلم بحاله. وكان قد حُبِس في سنة إحدى وثلاثمائة فأُخرِج في هذه السنة من الحبس في يوم الثلاثاء لثلاث بقِين من

(١) تَلْمذ له وعليه: تعلم منه.

(٢) في الأصل: «الثوري» وهو تصحيف. وما أثبتناه عن شذرات الذهب والبداية والنهاية.

(٣) هو أحمد بن سهل بن عطاء الأدميّ، كما في عقد الجمان.

(٤) المسوح: جمـع مِسْح، وهو الكساء من الشعر، وثوب الراهب.

(٥) زيادة عن عقد الجمان.

ذي القَعْدة، وقيل: لستّ بقين منه، فضُرِب ألفَ سوطٍ ثم قُطِعت أربعته ثم حُزَّ رأسُه وأُحرِقَتْ جثّته، ونُصِبَ رأسُه على الجِسر أياماً، ثم أُرسِل إلى خُراسانَ فطِيفَ به.

وفيها وقع بين أبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ وبين السادة الحنابلة كلام، فحضر أبو جعفر عند الوزير عليّ بن عيسى لمناظرتهم ولم يَحضروا.

وفيها قدِم مؤنسُ الخادمُ على الخليفة من مصر فخلع عليه ولقّبه بالمظفّر. قلت: وهذا أوّل لقب سمعناه من ألقاب ملوك زمانِنا.

وفيها توفي محمد بن خلف بن المرزُبَان بن بسّام أبو بكر المُحَوَّليّ ــ والمُحوَّلُ: قرية غربيّ بغداد ــ كان إماماً عالماً، وله التصانيفُ الحِسان، وهو مصنّف كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبِس الثياب»[1]، وحدّث عن الزبير بن بكّار وغيرِه، وروَى عنه ابن الأنباريّ وغيرُه؛ وكان صدوقاً ثقة.

وفيها توفي محمد بن [أحمد بن][2] راشد بن مَعْدان، الحافظ أبو بكر الثقفيّ مولاهم؛ كان حفّاظاً محدّثاً؛ طاف البلاد ولقي الشيوخ وصنّف الكتب، ومات بشَرْوَانَ[3].

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أحمد بن أنس[4] بن مالك الدمشقيّ، وأبو عمرو أحمد[4] بن نصر الخَفّاف الزاهد، وعلي[4] بن سعيد بن بشير الرازيّ، ومحمد بن حامد بن سَرِيّ: يُعرَف[5] بخال

(١) جاء في حاشية طبعة دار الكتب المصرية: طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٣٤١هـ عن النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٢ مجاميع، واسمه «فضل الكلاب على كثير. . إلخ». ويقع في ٣٢ صفحة.

(٢) زيادة عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب.

(٣) شروان: مدينة من نواحي باب الأبواب الذي يسميه الفرس «الدربند» بناها أنوشروان فسميت باسمه. (معجم البلدان).

(٤) تقدمت وفاته في سنة ٢٩٩هـ نقلاً عن الذهبي.

(٥) في الأصل: «محمد بن حامد خال ولد البستي» وما أثبتناه عن تاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ القضاعي. وقد ذكره القضاعي في وفيات سنة ٢٩٩هـ، وذكره ابن عساكر في وفيات سنة ٢٧٩هـ.

السُّنِّيّ، ومحمد[١] بن يزيد بن عبد الصمد، ومِمْشَاد[١] لدِّينَوَرِيّ الزاهد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وثلاثَ عشرةَ إصبعاً. مبلـغ الزيادة سبـعَ عشرةَ ذراعاً وثلاث أصابـع.

* * *

السنة الثانية من ولاية هلال بن بدر على مصر

وهي سنة عشر وثلاثمائة:

فيها قبَض الخليفة المقتدِر على أمّ موسى القَهْرَمانةِ وصادر أخاها وحواشيَها وأهلَها؛ وسبب ذلك أنّها زوّجت بنت أخيها أبـي بكر[٢] أحمد بن العباس من أبـي العباس محمد بن إسحاق بن المتوكّل على الله، وكان من سادة بني العباس يترشّـح للخلافة، فتمكّن أعداؤها من السعي عليها، وكانت قد أسرفت بالمال في جهازها، وبلـغ المقتدِرَ أنها تعمَل له على الخلافة؛ فكاشفتها السيدة أمّ المقتدر وقالت: قد دبّرتِ على ولدي وصاهرتِ آبنَ المتوكّل حتى تُقْعِديه في الخلافة؛ فسلّمتها إلى ثمل القهرمانة ومعها أخوها وأختُها، وكانت ثمل مشهورة بالشرّ وقساوة القلب، فبسطَت عليهم العذابَ وآستخرجت منهم الأموال والجوهر؛ يقال: إنه حُصِّل من جهتهم ما مقدارُه ألفُ ألفِ دينار.

وفيها قلّد الخليفة المقتدِرُ نازوكَ الشُّرطةَ بمدينة السلام مكانَ محمـد بن عبد الصمد[٣].

---

(١) تقدم هذا الاسم في وفيات سنة ٢٩٩هـ نقلاً عن الذهبـي. ومثله في شذرات الذهب.

(٢) كذا في طبعة دار الكتب المصرية عن تجارب الأمم وما تفيده عبارة عقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبـي. وفي الأصل: «بأبـي بكر محمد بن إسحاق بن المتوكل». وفي ابن الأثير: «. . . زوجت أختها من أبـي العباس أحمد بن محمد بن إسحاق بن المتوكل».

(٣) في الأصل: «مكان محمد بن عبد الله بن طاهر» والصواب ما أثبتناه. ذلك أن محمد بن عبد الله بن طاهر توفي سنة ٢٥٣هـ، وكان قد ولي نيابة بغداد في أيام المتوكل العباسي. وكان محمد بن عبد الصمد متقلداً

وفيها توفّي بدر [بن عبد الله][(١)] الحماميّ الكبيرُ أبو النجم[(٢)] المعتضِديّ؛ كان أوّلاً مع آبن طولون فولّاه الأعمال الجليلة، ثم جهّزه خُمَارويه إلى الشأم لقتال القرمطيّ فواقعه وقتَله، ثم وَلِي من قبل الخلفاء أصبهانَ وغيرَها إلى أن مات على عمل مدينة فارس[(٣)]؛ وكان أميراً ديّناً شجاعاً وجواداً مُحبّاً للعلماء والفقراء؛ وقيل: إنّه كان مستجاب الدعوة؛ ولما مات ولّى المقتدرُ مكانَه آبنَه محمّداً.

وفيها توفّي محمد بن جرير بن يزيد بن كثير[(٤)] بن غالب، أبو جعفر الطبريّ العالمُ المشهور صاحب التاريخ وغيرِه؛ مولدُه في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين أو أوّل سنة خمس وعشرين ومائتين، وهو أحد أئمة العلم، يُحْكَم بقوله ويُرْجَع إلى رأيه، وكان مُتفنّناً في علوم كثيرة، وكان واحد عصره؛ وكانت وفاته في شوّال بخُراسان، وأصله من مدينة طَبَرِسْتان. قال أبو بكر الخطيب: «جمَع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني،

= شرطة بغداد قبل نازوك المذكور، فلما ضعف عن القيام بها لما حصل من العامة، وهو أن عروساً زفّت إلى زوجها بناحية سوق الشتاء، فخرج بعض الناس فأخذها وأدخلها إلى داره وفجر بها، فعزله السلطان وولى الشرطة نازوك المعتضدي، فبانت صرامته من أول يوم وقام بالأمر قياماً لم يقم مثله أحد. (ابن الأثير: حوادث سنة ٣١٠هـ ــ حاشية، والبداية والنهاية: حوادث نفس السنة).

(١) زيادة عن ابن الأثير.

(٢) في الأصل: «أبو المنجم» والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان واللباب، وفيه أن وفاته في ربيع الأول سنة ٣١١هـ.

(٣) كذا. وفي كتب التاريخ: شيراز؛ وهي قصبة فارس.

(٤) كذا أيضاً في البداية والنهاية. وفي ابن خلكان: «محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري. وقيل: يزيد بن كثير بن غالب» وفي عقد الجمان والمنتظم: «محمد بن جرير بن كثير».
قال ابن الأثير: ودفن ليلاً بداره لأن العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً، وادعوا عليه الرفض ثم ادعوا عليه الإلحاد. وكان علي بن عيسى يقول: «والله لو سئل هؤلاء عن معنى الرفض والإلحاد ما عرفوه ولا فهموه» هكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الأمم، وحاشى ذلك الإمام عن مثل هذه الأشياء. وأما ما ذكره من تعصّب العامة فليس الأمر كذلك، وإنما بعض الحنابلة تعصبوا عليه ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم، ولذلك سبب، وهو أن الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنّف مثله، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فقيل له في ذلك فقال: لم يكن فقيهاً، وإنما كان محدّثاً. فاشتدّ ذلك على الحنابلة، وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد، فشغبوا عليه وقالوا ما أرادوا.

فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنَن وطُرقِها، صحيحِها وسقيمها ومنسوخِها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيّام الناس وأخبارِهم؛ له الكتاب المشهور في تاريـخ الأمم [والملوك]، وكتابُ التفسير، وكتابُ تهذيب الآثار لكن لم يُتمّه؛ وله في الأصول والفروع كتب كثيرة». انتهى.

وفيها توفّي أحمد بن يحيى بن زُهير، أبو جعفر التُّسْتَرِيّ الحافظ الزاهد؛ سمِـع الكثير وحدّث وروَى عنه خلق كثير. قال الحافظ أبو عبد الله بن مَنْـدَه: ما رأيت في الدنيا أحفظ من أبـي زُرْعة الرازيّ؛ وقال أبو زرعة: ما رأيت في الدنيا أحفظ من أبـي بكر بن أبـي شَيْبة.

الذين ذكر الذهبي وفاتَهم في هذه السنة، قال: وفيها توفِّي إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن حنبل الأصبهانيّ، وأبو شيبة داود بن إبراهيم، وعلي بن عبّـاس المَقَانعيّ البَجَلِيّ، ومحمـد بن أحمد بن حمّـاد أبو بشـر الـدُّولَابِـيّ في ذي القَعْدة، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ في شوّال، وله أربـع وثمانون سنة، وأبو عِمران موسى بن جرير الرَّقِّيّ، والوليد بن أبَان أبو العباس الأصبهانيّ.

أمر النيـل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً. مبلـغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وتسـع أصابـع.

ذكر ولاية أحمد بن كَيْغَلَـغ الأولى على مصر(١)

هو أحمد بن كيغلـغ(٢) الأمير أبو العبّاس؛ ولّاه المقتدِر إمْرة مصر بعد عزل هلال بن بدر عنها في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرةَ وثلاثمائة؛ فلما وليها قَدِم آبنه العباس خليفته على مصر، فدخلها العباس المذكور في مستهلّ جُمادى الأولى من سنة إحدى عشرةَ وثلاثمائة، فأقرّ آبنَ مَنْجُور(٣) على الشرطة. ثم قدِم أحمد بن كيغلـغ إلى مصر ومعه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب الماذَرائيّ على الخراج؛ ولما دخلا إلى مصر أحضرا الجند ووضعا العَطاء لهم، وأسقطا كثيراً من الرَّجالة(٤)، وكان ذلك بمُنْيَة الأَصْبَـغ(٥)، فثار الرّجالة، ففرّ أحمد بن كيغلـغ منهم إلى فاقوس، وهرَب الماذرائيّ ودخل(٦) المدينة لثمانٍ خلَوْن من شوّال. وأما الأمير أحمد بن كيغلـغ هذا فإنه أقام بفاقوس إلى أن صُرِف عن إمرة مصر بتكِين في ثالث ذي القَعْدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة؛ فكانت ولايته على مصر نحواً من سبعة أشهر؛ وتولّى تكين مصرَ عِوضه وهي ولايته الرابعة على مصر. وشقّ ذلك على الخليفة، غيرَ أنه أطاع الجند وأرضاهم واستمالهم مخافةً من عساكر المهديّ الفاطميّ؛ فإن عساكره تَداوَل تحكّمهُم إلى نحو الديار المصريّة في كلّ قليل؛ وصار أمير مصر في حصر

(١) ولاة مصر: ٢٩٧، وخطط المقريزي: ٣٢٨/١، وحسن المحاضرة: ١٣/٢، ومعجم زامباور: ٤٣، ودائرة معارف البستاني: ٥٨١/٢، ويتيمة الدهر: ٦٥/١.

(٢) أورده الزركلي في الأعلام ٨٥/١: «أحمد بن إبراهيم بن كيغلـغ».

(٣) كذا أيضاً في المقريزي. وفي الكندي: «أقرّ كنجور».

(٤) في الأصل: «من الرجال». وما أثبتناه عن الكندي والمقريزي.

(٥) هي اليوم قرية الدمرداشي شرقي القاهرة خارج باب الفتوح.

(٦) عبارة الكندي: «وعزم الماذرائي على التوجه إلى الشام، فخرج إليه الجند فأدخلوه الفسطاط» وهي أوضـح.

من أجل ذلك وهو محتاج إلى الجند وغيرِهم، لأجل القتال والدفع عن الديار المصريّة. قلت: ويأتي بقيّة ترجمة أحمد بن كيغلغ هذا في ولايته الثانية على مصر إن شاء الله تعالى.

* * *

السنة التي حكم في غالبها الأمير أحمد بن كَيْغَلَغ على مصر

وهي سنة إحدى عشرةَ وثلاثمائة:

فيها صُرِف أبو عبيد[١] بن حَرْبويه عن قضاء مصر وتأسّف الناس عليه وفرِح هو بالعزل وآنشرح له؛ ووَلِي قضاء مصر بعده أبو يحيى عبد الله بن إبراهيم بن مُكْرَم.

وفي هذه السنة ظهر شاكر الزاهد صاحب حسين الحلّاج، وكان من أهل بغداد. قال السُّلَمِيّ في تاريخ الصوفيّة: شاكر خادم الحلّاج كان متّهماً مثلَ الحلّاج، ثم حكى عنه حكايات إلى أن قُتِل وضُرِبت رقبته بباب الطاق[٢].

وفيها صرَف المقتدِر حامدَ بن العبّاس عن الوزارة، وعليَّ بن عيسى عن الديوان؛ وكانت ولايتهما أربعَ سنين وعشرةَ أشهر وأربعةَ عشرَ يوماً. واستوزر المقتدر أبا الحسن عليَّ بن محمد بن الفُرَات الثالثةَ في يوم الخميس لسبع بقِين من شهر ربيع الآخر؛ وهذه ولاية ابن الفرات الثالثة للوزارة.

وفيها نكَب الوزيرُ أبو الحسن بن الفرات المذكورُ أبا عليّ بن مُقْلة كاتبَ حامد بن العبّاس وضيّق عليه. وابن مُقلة هذا هو صاحب الخطّ[٣] المنسوب [إليه]، يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في محلّه.

---

(١) هو علي بن الحسين بن حرب المعروف بابن حربويه، كما في حسن المحاضرة للسيوطي. قال: ولي القضاء في شعبان سنة ٢٩٣هـ ثم عزل في سنة ٣٠١هـ. قال ابن يونس في تاريخ مصر: كان أبو عبيد بن حربويه شيئاً عجباً، ما رأينا قبله ولا بعده مثله، وكان آخر قاض يركب إليه أمراء مصر، وكان لا يقوم للأمير إذا أتاه. ثم أرسل الإمام أبا بكر بن الحداد إلى بغداد سنة ٣٠١هـ في طلب إعفائه عن القضاء فأعفي. (حسن المحاضرة: ٢/ ١١٩).

(٢) باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي تعرف بطاق أسماء. (معجم البلدان).

(٣) نقل الزركلي في الأعلام عن ثمار القلوب للثعالبي: «كتب ابن مقلة كتاب هدنة بين المسلمين والروم =

وفيها دخل أبو طاهر سليمان بن الحسن آلجَنّابيّ القرمطيّ إلى البصرة ووضَع السيف في أهلها وأحرقَ البلد والجامع ومسجدَ طلحةَ وهرَب الناس وألقَوْا بأنفسهم في الماء فغرِق مُعظمُهم.

وفيها توفِّي إبراهيم بن السَّريّ بن سهل، أبو إسحاق الزجّاج الإمام الفاضل مُصنّف «كتاب معاني القرآن» و«الاشتقاق» و«القوافي والعروض» و«فعلت وأفعلت» ومختصراً في النحو، وغيرَ ذلك.

وفيها توفّي الوزير الأمير حامد بن العبّاس؛ كان أوّلاً على نظر فارس وأُضيف إليها البصرةُ، ثم آل أمرُه إلى أن طُلِب ووُلّي الوزارة للمقتدِر؛ وكان كثير الأموال والحَشَم بحيث إنه كان له أربعمائة مملوك يحمِلون السلاح وفيهم جماعة أمراء؛ كان جواداً ممدّحاً كريماً، غيرَ أنه كان فيه شراسة خُلُق، وكان ينتصِب في بيته كلّ يوم عِدّة موائدَ ويُطْعم كلّ من حضر إلى بيته حتى العامة والغِلْمان، فيكون في بعض الأيام أربعون مائدةً. ورأى يوماً في دِهْليزه قشر باقِلّاء، فأحضر وكيلَه وقال له: ويحك! يُؤكل في داري باقِلّاء! هذا فعل البوّابين؛ فقال: أو ليست لهم جِراية لحم؟ قال: بلى؛ [فقال: سَلْهم عن السبب؛ فسألهم](١) فقالوا: لا نتهنّأ بأكل اللحم دون عيالنا فنحن نبعثه إليهم ونجوع بالغداة فنأكل الباقِلّاء؛ فأمر أن يُجْرَى عليهم لحم لعيالهم. وقيل: إنه ركِب قبل الوزارة بواسِط إلى بستان له فرأى شيخاً يُولوِل وحوله نساء وصِبيان يبكون، فسأل حامد عن خبرهم؛ فقيل له: آحترق منزلُه وقماشُه فافتقر؛ فرقّ له حامد وطلَب وكيلَه وقال له: أُريد منك أن تضمنَ لي ألاّ أرجع عشيّةً من النزهة إلاّ وداره كما كانت مُجَصّصة، وبها المتاع والقماش والنُّحاس كما(٢) كانت، وتبتاع له ولعياله كسوة الشتاء والصيف مثل ما كانوا؛ فأسرع في طلب الصُّنّاع وبادروا في العمل، وصبّ الدراهم وأضعف الأجر حتى فرَغوا من الجميع بعد العصر،

= بخطه، وهو إلى اليوم ــ أي زمن الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ ــ عند الروم في كنيسة قسطنطينية، يبرزونه في الأعياد ويعلقونه في أخص بيوت العبادات ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنّه».

(١) زيادة عن المنتظم لابن الجوزي.

(٢) كذا في المنتظم. وفي الأصل: «أفضل ما كان وكسوة عياله».

فلما ردّ حامد وقت العتَمة شاهدها مفروغاً[١] منها بآلاتها وأمتعتها الجُدُد، وآزدحم الناس بتفرّجون وضجّوا لحامد بالدعاء؛ ونال[٢] التاجر من المال فوق ما ذهب له، ثم زاده بعد ذلك كلِّه خمسةَ آلاف درهم ليقوِّيَ بها تجارتَه.

وفيها توفِّي محمد بن إسحاق بن خُزَيْمة بن المغِيرة بن صالح بن بكر السُّلَمِيّ النيسابوريّ الحافظ أبوبكر. وُلِد في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين. قال الدارَقُطْني: كان آبن خزيمة إماماً ثَبْتاً معدوم النظير. توفّي ثانيَ ذي القَعْدة.

وفيها توفّي محمد بن زكريا، أبوبكر الرازيّ، الطبيب العلاّمة في علم الأوائل وصاحب المصنّفات[٣] المشهورة، مات ببغداد وقد آنتهت إليه الرياسة في فنون من العلوم، وكان في صباه مغنياً [يضرب] بالعود. قيل: إنه لما تَرَك الضرب بالعود والغِناءَ قيل له في ذلك؛ فقال: كل غِناء يطلُع بين شارب ولِحية لا يُسْتحسن.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أحمد بن محمد بن هارون[٤] أبوبكر الخلاّل الحنبليّ، وإبراهيم بن السَّريّ أبوإسحاق الزجّاج في جُمادى الآخرة، وحمّاد بن شاكر النَّسَفيّ، وعبدالله بن إسحاق المدائنيّ، وأبوحفص عمر بن محمد بن بُجَيْر[٥] السَّمَرْقَنْدِيّ، وأبوبكر بن إسحاق بن خُزَيْمَة السُّلَمِيّ في ذي القَعْدة، ومحمد بن زكريا الرازيّ الطبيب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وثلاثَ عشرةَ إصبعاً.

---

(١) في الأصل: «مفروغة بآلاتها».

(٢) في الأصل: «وقال».

(٣) سمى ابن أبي أصيبعة منها ٢٣٢ كتاباً ورسالة. وأجلّ كتبه «الحاوي» في صناعة الطب، ترجم إلى اللاتينية وطبع فيها. وتولى الرازي تدبير مارستان الريّ، ثم رياسة أطباء البيمارستان المقتدري في بغداد. (الأعلام: ٦/ ١٣٠).

(٤) في الأصل: «أحمد بن محمد بن مروان أبوبكر الحلال» بالحاء المهملة. والتصحيح عن عقد الجمان وشذرات الذهب والبداية والنهاية.

(٥) في الأصل «بحير» بالحاء المهملة. والتصحيح عن شرح القاموس.

ذكر ولاية تكين الرابعة على مصر(١)

قد تقدّم ذكره في ولايته على مصر، وأنه صُرِف عن إمْرة مصر في النَّوْبة الثالثة بهلال بن بدر، ثم ولِي بعد هلال بن بدر الأميرُ آبن كَيْغَلَغ؛ فلما وقَع لابن كيغلغ ما وقع من خروج جند مصر عليه وآضطربت أحوال الديار المصرية وبلَغ الخليفةَ المقتدِرَ ذلك صرَف آبن كيغلغ وأعاد تكينَ هذا على إمْرة مصر رابعَ مرّة. ووصل رسول تكين هذا إلى مصر بإمْرته يوم الخميس لثلاث خلون من ذي القَعدة سنة إحدى عشرةَ وثلاثمائة؛ وخلَفه آبنُ مَنْجور(٢) على الصلاة إلى أن قدِم مصر في يوم عاشوراء من سنة آثنتي عشرة وثلاثمائة،فأقرّ ابنَ منجور على الشُّرْطَة ثم عزله، وولى قراتكين(٣)، ثم عزَل قراتكين وولّى وصيفاً الكاتبَ، ثم عزله أيضاً وولّى بَجْكَم الأعورَ؛ كلّ ذلك من آضطراب المصريّين، حتى مهّد أمورَ الديار المصريّة وتمكّن [و] أسقط كثيراً من الجند(٤) وكانوا أهل شرّ ونَهْب ونِفاق؛ ثم نادى ببراءة الذمّة ممن أقام منهم بالديار المصريّة بعد ذلك؛ فخرج الجميع على حَمِيّة وأجمعوا على قتله؛ فتهيأ تكين أيضاً لقتالهم وجمعَ العساكر؛ وصلّى الجمعة بدار الإمارة بالعسكر وترك

(١) ولاة مصر: ٢٩٨، وخطط المقريزي: ٣٢٨/١، وحسن المحاضرة: ١٣/٢، ومعجم زامباور: ٤٣. وقد اعتبر أبو المحاسن الأيام الأربعة التي تولى فيها تكين أمر مصر بعد أبي قابوس ولاية، فجعل ولاياته أربعاً، وتابعه في ذلك المستشرق زامباور في معجم الأنساب والأسرات الحاكمة. أما الكندي والمقريزي والسيوطي فقد اعتبروا ولاياته ثلاثاً، أي أسقطوا الثالثة في ترتيب أبي المحاسن.

(٢) في الكندي: «كنجور».

(٣) في الكندي: «قزلتكين».

(٤) عبارة الكندي: «وأسقط كثيراً من الرجَّالة الذين أثبتهم هلال بن بدر، وهم كانوا أهل الشغب والنهب والشر. ونادى فيهم ببراءة الذمة ممن أقام بالفسطاط منهم، فاجتمع الناس إلى تكين يشكرونه على ما فعل بهم».

حضور الجماعة خوفاً من وقوع فتنة؛ ولم يصلِّ قبلَه أحد من الأمراء بدار الإمارة الجمعةَ؛ وأنكَر عليه أبو الحسن عليّ بن محمد الدِّينَوريّ ذلك وأشياءَ أُخَر؛ وبلغ تكين ذلك فأمر بإخراج الدينوريّ من مصر إلى القدس فخَرج منها؛ ولم يقع له مع الجند ما راموا من القتال. وأخذ في تمهيد مصر إلى أن حسن حالُها وتمكّنت قدمُه فيها ورسَخت، حتى ورَد عليه الخبر بموت الخليفة المقتدِر في شوّال سنة عشرين وثلاثمائة، وبُويع بالخلافة من بعده أخوه القاهر بالله محمد؛ فأقرّ القاهرُ تكينَ هذا على عمله بمصر وأرسل إليه بالخِلَع؛ ودام تكين علىٰ ذلك حتى مرِض ومات بها في يوم السبت لستٍّ عشرةَ خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وحُمِل في تابوت إلى بيت المقدس فدُفِن به. وتولّى[1] مصر بعده محمد بن طُغج. وكانت ولاية تكين هذه المرّة على مصر تسعَ سنين وشهرين وخمسةَ أيام. وكان تكين المذكور يُعرف بتكين الخاصّة وبالخَزَريّ؛ وكان أميراً عاقلاً شجاعاً عارفاً مدبراً؛ ولي الأعمال الجليلة، وطالت أيّامه في السعادة، وكان عنده سياسة ودُرْبة بالأمور ومعرفة بالحروب. رضي الله عنه.

* * *

السنة الأولى من ولاية تكين الرابعة على مصر

وهي سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة:

فيها حجّ بالناس الحسن[2] بن عبد العزيز الهاشميّ.

---

(١) في الكندي والمقريزي أن أبا منصور جعل ابنه محمداً في موضعه. وأقام أبو بكر محمد بن علي الماذرائي بأمر البلد كله ونظر في أعماله؛ فشغب الجند عليه في طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور أهله. وخرج محمد بن تكين فعسكر في منية الأصبغ ورحل إلى بلبيس، فبعث إليه محمد بن علي يأمره بالخروج عن أرض مصر. وعسكر الجند الذين بالفسطاط بباب المدينة وأقاموا هناك، وذلك في سلخ ربيع الأول سنة ٣٢١هـ. ولحق محمد بن تكين بالشام. ثم أقبل سائراً إلى مصر، يذكر ولايته من قبل القاهر، فامتنع محمد بن علي في ذلك، واستجاش بالمغاربة، ورئيسهم حبشي بن أحمد السلمي، فخرج حبشي يمنع محمداً من سيره إليها، وأقام بجرجير.

(٢) كذا أيضاً في مروج الذهب. وفي صلة تاريخ الطبري أن الذي حج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك، وهو خطأ، لأن الفضل مات سنة ٣٠٧هـ.

وفيها عارض أبو طاهر بن أبـي سعيد الجَنّابِـيّ القرمطيّ الحاجّ وهو في ألف فارس وألف راجِل، وكـان من جملة الحجّاج أبـو الهيجاء عبـد الله بن حَمْدان وأحمد بن بدر عمّ السيدة أمّ المقتدِر، وشقيقٌ(١) خادمها وجماعةٌ من الأعيان؛ فأسر القرمطيّ الجميعَ وأخذ جميـع أموال الحاج، وسار بهم إلى هَجَر؛ ثم بعد أشهر أطلق القرمطيُّ أبا الهيجاء عبدَ الله بن حَمْدان المذكور.

وفيها أرسَل القرمطيّ المقدّم ذكرُه يطلُب من المقتدِر البصرة والأهواز. وذكر ابن حَمْدان أنّ القرمطيّ قتل من الحاجّ من الرجال ألفين ومائتين ومن النساء ثلاثمائة، وبقِي عنده بهَجَر ألفان ومائتا رجل وخمسمائة آمرأة.

وفيها فُتِحت فَرْغَانة(٢) على يد أمير خُراسان.

وفيها أُطلِق أبو نصر وأبوعبد الله ولد أبـي الحسن بن الفُرات وخُلِع عليهما؛ وقد وُزِّر أبوهما آبن الفُرات ثالثَ مرّة، وملَك من المال ما يزيد على عشرة آلاف ألِف دينار، وأودع المال عند وجوه بغداد؛ وكان جبّاراً فاتِكاً، وفيه كرم وسياسة، ومات(٣) في هذه السنة.

وفيها توفّيت فاطمة بنت عبد الرحمن بـن أبـي صالـح الشيخة أمّ محمـد الصوفيّة؛ كانت من الصالحات المتعبّدات؛ طال عمرُها حتى جاوزت الثمانين، ولقِيت جماعة كثيرة من مشايـخ القوم، وكان لها أحوال وكرامات.

وفيها توفّي محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث، الحـافظ أبو بكـر

(١) كذا في الأصل. وفي تاريخ الإسلام للذهبي: «شفيق» بالفاء الموحدة. وفي ابن الأثير وصلة تاريخ الطبري: «ونحرير فتى السيدة».

(٢) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان على يمين القاصد لبلاد الترك. (معجم البلدان).

(٣) قتله نازوك التركي. انظر في سبب مقتله: صلة تاريخ الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية (حوادث سنة ٣١٢هـ، وابن خلكان: ٣/ ٤٢١.

الواسطيّ المعروف بابن الباغندي[١]. سمِع عليَّ بن المدِيني[٢] ومحمد بن عبد الله بن نُمَيْر وشيبانَ بن فَرُّوخ وغيرَهم بمصر والشام والعراق، وعُني بشأن الحديث أتمّ عِنايـة، وروَى عنه دَعْلَج ومحمدُ بن المُظَفَّر وعمرُ بن شاهين وأبو بكر بن المقرىء وخلق كثير. قال أبو بكر الأَبْهَرِيّ وغيرُه: سمِعنا أبا بكر الباغنديّ يقول: أجبت في ثلاثمائة ألف مسألة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الدارقطني: كان كثير التدليس يُحدّث بما لم يسمع. ومات في ذي الحجة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو الحسن عليّ بن محمد بن موسى بن الفُرات الوزير، وأبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغنديّ، وأبو بكر محمد بن هارون بن المُجدَّر.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمس أذرع وسبعُ أصابع. مبلغ الزيادة ثماني عشرةَ ذراعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية تكين الرابعة على مصر

وهي سنة ثلاثَ عشرةَ وثلاثمائة:

فيها سار الحاجّ من بغداد ومعهم جعفر بن وَرْقاء في ألف فارس، فلقِيَهم القرمطيّ فناوشهم بالحرب، فرجَع الناس إلى بغداد، ونَزل القرمطيّ على الكوفة، فقاتلوه فغلَبهم ودخل البلد ونَهب ما لا يُحْصى؛ فندَب المقتدر مؤنساً الخادمَ لحرب القرمطيّ، وجهّزه بألف ألف دينار.

وفيها عزل المقتدِر أبا القاسم[٣] الخاقانيّ الوزير عن الوزارة؛ فكانت وزارته

---

(١) كذا في الأصل وفي أنساب السمعاني. وفي المنتظم وعقد الجمان وابن الأثير والبداية والنهاية: «المعروف بالباغندي».

(٢) في الأصل: «المدائني». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان وتذكرة الحفاظ.

(٣) هو أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني، كما في الفخري: ص ٢٦٩. وفيه أنه توفي سنة ٣١٢هـ.

[سنة و][١] ستة أشهر؛ وآستوزر أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخَصِيب، فسلّم إليه الخاقانيَّ، فصادره وكُتّابه وأخذ أموالَهم.

وفيها كان الرُّطَب كثيراً ببغداد حتى أُبِيع كلّ ثمانية أرطال بحبّة[٢].

وفيها قدِم مصر عليّ بن عيسى الوزيرُ بن مكّة ليكشِفها وخرَج بعد ثلاثة أشهر للرملة.

وفيها عُزل عن قضاء مصر عبد الله بن إبراهيم [بن محمد][٣] بن مُكْرَم بهارونَ [ابن إبراهيم][٣] بن حَمّاد القاضي من قِبل المقتدِر.

وفيها توفِّي عليّ بن عبد الحميد [بن عبد الله بن سليمان][٤] بن سليمان أبو الحسن الغَضَائِريّ[٥] نزيل حَلَب؛ كان صالحاً زاهداً، حجّ أربعين حِجّة على أقدامه؛ قال: طرقتُ باب السَّرِيّ السَّقَطِيّ فسمعته يقول: «اللهم آشغَل من شغَلنِي عنك بك» [قال فنالني بركةُ هذه الدعوة فحجَجْتُ على قدمي من حلَب إلى مكّة أربعين سنة ذاهباً وآئباً][٦].

وفيها توفِّي عليّ بن محمد بن بشّار، الشيخ أبو الحسن الزاهد العابد البغداديّ صاحب الكرامات؛ كان من الأبدال؛ كان يتكلّم ويَعِظ الناس وكان لكلامه تأثير في القلوب؛ وكانت وفاته ببغداد ودُفِن غربيَّها، وقبرُه هناك يُقْصد للزيارة.

---

(١) زيادة عن عقد الجمان وصلة تاريخ الطبري والمنتظم. وفي رواية أبي المحاسن نظر: فهي تتفق مع ما يؤخذ من رواية الفخري إذ ورد فيه: «لم تطل أيامه ولم تكن له سيرة تؤثر وتسطر» ومدة سنة وستة أشهر في الوزارة في تلك الأيام المضطربة سياسياً وإدارياً ليست بالقصيرة.

(٢) مقدار الحبّة في النقود الإسلامية يساوي ١/٧٢ من المثقال وهو الدينار بوزن عبد الملك، أي ٠,٠٥٩ غرام. (انظر في ذلك النظم الإسلامية لصبحي الصالح: ٤٢٧ ومراجعه، ومقدمة ابن خلدون: ص ٢٢٠، ومعجم متن اللغة: مادة حبب).

(٣) زيادة عن الكندي.

(٤) زيادة عن عقد الجمان والمنتظم.

(٥) في الأصل: «القصائري» وهو تصحيف. وما أثبتناه عن عقد الجمان والمنتظم والمشتبه.

(٦) زيادة عن عقد الجمان والمنتظم.

وفيها توفّي محمد بن إسحاق بن إبراهيم الثَّقَفيّ مولاهم النَّيسابوريّ الحافظ أبو العبّاس السرّاج محدّث خُراسان ومُسْنِدها. قال أبو إسحاق المُزَكّي[1] سمعته يقول: «ختمتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آثنتَيْ عشرةَ ألفَ ختمة، وضحّيت عنه آثنتي عشرة ألف ضحيّة». قال محمد بن أحمد الدقّاق: رأيت السرّاج يضحّي في كل أسبوع أو أسبوعين أضْحِية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يَصِيح بأصحاب الحديث فيأكلون. وقال الحاكم[2]: سمعت أبي يقول: لمّا ورد الزعفرانيّ[3] وأظهر خَلْق القرآن سمِعتُ السرّاج غير مرّة إذا مرّ بالسوق يقول: «آلعنوا الزعفرانيّ»؛ فيَصِيح الناس بلعنه، حتى ضيّق عليه نيسابور وخرج إلى بُخارى. وكانت وفاة السرّاج في شهر ربيع الآخر، وله سبع[4] وتسعون سنة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو العباس أحمد بن محمد الماسَرْجِسِيّ[5]، وعبد الله بن زيدان بن يزيد البَجَلِي، وعلي بن عبد الحميد الغَضَائِرِيّ، وأبو لَبِيد[6] محمد بن إدريس الشاميّ السَّرْخَسِيّ[7]،

---

(١) في أنساب السمعاني ومعجم البلدان: «أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي». وفي الأصل: «أبو إسحاق الزكي» وهو تحريف.

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق، أبو أحمد النيسابوري الكرابيسي، ويعرف بالحاكم الكبير. توفي سنة ٣٧٨هـ. (الأعلام: ٧/ ٢٠).

(٣) الزعفراني: مقدم فرقة الزعفرانية، وهي فرع من فرقة النجارية المعتزلية أتباع الحسين بن محمد النجار. والمشهور من فرق النجارية ثلاث وهي: الزعفرانية، والبرغوثية (أتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث) والمستدركة.

ومن أقوال الزعفراني: إن كلام الله تعالى غيره، وكل ما هو غير الله فهو مخلوق. ثم يقول مع ذلك: «الكلب خير ممن يقول كلام الله مخلوق». قال البغدادي: كان يناقض بآخر كلامه أوله. (الفرق بين الفرق: ١٩٧، وأنساب السمعاني: ٣/ ١٥٤).

(٤) في ابن الأثير: «تسع وتسعون سنة».

(٥) هذه النسبة إلى «ماسرجس» وهو اسم لجد أبي علي الحسن بن عيسى بن ماسرجس النيسابوري الماسرجسي. وحمل هذه النسبة عدد من أبنائه وأحفاده، ومنهم أبو العباس المذكور هنا. (أنساب السمعاني).

(٦) في الأصل: «أبو الوليد» وما أثبتناه عن معجم البلدان.

(٧) نسبة إلى «سَرْخَس» بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة؛ ويقال أيضاً: «سَرَخَس» بالتحريك، والأول أشهر. وهي مدينة قديمة من نواحي خراسان (معجم البلدان).

ومحمد بن إسحاق أبو العباس السرّاج في [شهر] ربيع الآخر وله سبع[١] وتسعون سنة، وأبو قريش محمد بن جمعة القُوهِستَانِيّ[٢].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وثلاثُ أصابع. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وخمس أصابع.

* * *

السنة الثالثة من ولاية تكين الرابعة على مصر

وهي سنة أربعَ عشرةَ وثلاثمائة:

فيها جَمدت دِجْلة بالْمَوصِل وعبَرت عليها الدوابّ، وهذا لم يُعْهد مثلُه، وسقَطت ثلوج كثيرة ببغداد.

وفيها نَزَح أهل مكّة عنها خوفاً من القَرْمطِيّ، ولم يحُجّ الرَّكْب العراقيّ في هذين العامين.

وفيها دخلت الروم مَلَطْيةَ بالسيف فقتلوا وسبَوْا وبقُوا فيها أيّاماً.

وفيها رُدّ حُجّاج خُراسان خوفاً من القَرْمطيّ.

وفيها قبض المقتدِرُ على الوزير ابن الخَصِيب لاشتغاله باللهو[٣] وآختلال الدولة، فأُحضِر الوزير عليّ بن عيسى فأُعيد إلى الوزارة.

وفيها في شهر رمضان هبّت ريح عظيمة فقلعت شجر نَصِيبِين وهدَمت دورَها.

---

(١) في ابن الأثير: تسع وتسعون سنة.

(٢) نسبة إلى قوهستان: جبال بين هراة ونيسابور. (معجم البلدان).

(٣) ذكر أكثر المؤرخين أنه كان يكثر من شرب الخمر كل ليلة فيصبح مخموراً لا تمييز له، وقد وكل الأمور إلى نوابه فخانوا وعملوا مصالحهم. وأشار ابن الطقطقي في الفخري إلى سبب آخر وهو أن «السيدة أم المقتدر انحرفت عنه، وكان كاتبها قبل الوزارة، فعزل وقبضت أمواله».

وفيها توفّي الحسين[١] بن أحمد بن رُسْتَم أبو عليّ الكاتب، ويُعرف بأبي زُنْبُور الماذَرائي. كان من كِبار آل طُولون، وكان من الفضلاء. أحضره المقتدرُ لمناظرة ابن الفُرات، ثم قلّده خراجَ مصر، ثم سخِط عليه وأحضره إلى بغداد وأخذ خطَّه بثلاثة آلاف ألف دينار وستمائة ألف دينار؛ ثم أُخرج إلى مصر مع مؤنس الخادم فمات بدِمَشق؛ كان فاضلاً كاتباً؛ حدّث عن أبي حَفْص العطّار وغيرِه وحدّث عنه الدارَقُطْنيّ.

وفيها توفّي نصر بن القاسم [بن نصر][٢] بن زيد الشيخ الإمام أبو الليث الحنفيّ؛ كان عالماً فقيهاً ديّناً إماماً في الفرائض جليلاً نبيلاً ثِقة ثَبْتاً؛ حدّث عن القَوَارِيريّ وغيرِه، ورَوى عنه ابنُ شاهين وجماعة؛ وله مصنّفات كثيرة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو بكر أحمد بن محمد[٣] بن عمر القرشيّ المُنْكَدِرِيّ، ومحمد بن محمد بن [عبد الله] النفّاح[٤] الباهِلِيّ، ومحمد بن يحيى [بن عمر][٥] بن لُبَابة القُرْطُبيّ، وأبو الليث نصر بن القاسم الفرائضيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسُ أذرع وإصبعٌ واحدة. مبلغ الزيادة سبعَ عشرة ذراعاً وخمسُ أصابع.

* * *

(١) كذا في صلة تاريخ الطبري وابن الأثير والكندي. وفي الأصل: «الحسن».

(٢) زيادة عن عقد الجمان والمنتظم.

(٣) كذا في أنساب السمعاني وشذرات الذهب. وفي الأصل: «أحمد بن علي القرشي». والمنكدري: نسبة إلى المنكدر، أحد أجداده.

(٤) كذا في الوافي بالوفيات للصفدي. وفي الأصل: «التياح»، وفي شذرات الذهب: «النفاخ».

(٥) زيادة عن نفح الطيب للمقري: ١٧١/٣.

السنة الرابعة من ولاية تكين الرابعة على مصر

وهي سنة خمسَ عشرة وثلاثمائة:

فيها ظهرت الدَّيْلم على الريّ والجبال؛ وأوّل من غلبَ منهم لنكى[١] بن النعمان، فقتَل من أهل الجبال مَقْتَلة عظيمة وذبَح الأطفال في المهد؛ ثم غلب على قَزْوين أسفارُ بن شِيرَوَيْه[٢] وألزم أهلها مالاً؛ وكان له قائد يسمى مرداويج [بن زيار][٣]، فوثَب على أسفار المذكور وقتله وملَك البلاد[٤] مكانَه، وأساء السيرة بأصبهان، وجلَس على سريرٍ من ذهبٍ وقال: أنا سليمان بن داود وهؤلاء الشياطينُ أعواني. وكان مع هذا سيِّىء السيرةِ في أصحابه؛ فدخل الحمّامَ يوماً فدخَل عليه أصحابُه الأتراكُ فقتلوه ونهبوا خزائنه، ومشَى الدَّيْلم بأجمعهم حُفاةً تحت تابوته أربعةَ فراسخَ.

وفيها جاء أبو طاهر القَرْمطيّ في ألف فارس وخمسةِ آلاف راجِل؛ فجهّز المقتدرُ لحربه يوسفَ بن أبي الساج في عشرين[٥] ألفَ فارس وراجلٍ. فلما رآه يوسف آحتقره، ثم تقاتلا فكان بينهم مَقْتَلة عظيمة لم يقَع في هذه السنين مثلُها، أُسر فيها يوسفُ بن أبي الساج جريحاً وقُتِل فيها جماعة كثيرة من أصحابه. وبلَغ المقتدِرَ فانزعج وعزَم على النُّقلة إلى شَرْقِيّ بغداد[٦]. وخرج مؤنس بالعساكر إلى الأنبار في أربعين ألفاً، وآنضم إليه أبو الهَيْجاء عبد الله بن حَمْدان وإخوته: أبو الوليد

---

(١) كذا في الأصل. وفي ابن الأثير ومعجم زامباور: «ليلى بن النعمان» الديلمي قائد جيش الأطروش حاكم جرجان. توفي سنة ٣٠٩هـ. وفي تاريخ الإسلام للذهبي: «نكى بن النعمان». وفي شذرات الذهب: «لبكى بن النعمان».

(٢) توفي سنة ٣١٦هـ. وهو من بني السّاج. (معجم زامباور).

(٣) زيادة عن زامباور.

(٤) كانت أملاكه: الريّ وقزوين وهمذان وكنكور والدينور وبروجرد وقمّ وقاشان وأصبهان وجرباذقان وطبرستان وجرجان. (المرجع السابق).

(٥) في تاريخ أبي الفداء: «أربعين ألف».

(٦) قال ابن الأثير: وورد الخبر إلى بغداد فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفاً شديداً وعزموا على الهرب إلى حلوان وهمذان، ودخل المنهزمون أكثرهم رجالة حفاة عراة.

وأبو العَلاء وأبو السَّرَايا في أصحابهم وأعوانِهم[١]. وتقدّم نصر الحاجبُ، فأشار أبـو الهيجاء على مؤنس بقـطـع القنطرة، فتثـاقل مؤنس عن قـطعها؛ فقـال له أبو الهيجاء: أيها الأستاذ، إقطعها وآقطـع لِحيتي معها فقطعها. ثم صبّحهم القَرْمطيّ في ثاني عشرَ ذي القَعْدة فأقام بإزائهم يومين. ثم سار القرمطيّ نحوَ الأنبار، فلم يتجاسر أحد أن يتبَعه. ولولا قطـع القنطرة لكان القرمطيّ عبرَ عليها وهزَم عسكَر الخليفة وملَك[٢] بغدادَ. فانظر إلى هذا الخِذْلانِ، فإن القرمطيّ كان في دون[٣] الألف ومؤنسٌ الخادم وحدَه في أربعين ألفاً سِوَى من آنضـم إليه من بني حَمْدان وغيرِهم من الملوك مـع شدّة بأس مؤنس في الحروب. فما شاء الله كان. ووقـع في هذه السنة من القَرْمطيّ بالأقاليم من البلاء والقتل والسبـي والنهبِ ما لا مزيد عليه. قلت: وكيف لا وهو الذي آنزعـج منه الخليفة بنفسه وآنكسرت عساكره منه، وذَهب من بغداد ولم يَتْبَعه أحد؛ فحينئذ خلا له الجوّ وأخذ كلَّ ما أراد ممّا لم يدفـع كلّ واحد عن نفسه.

وفيها تشغّبت الجندُ على الخليفة المقتدِر ووقَـع أمور[٤].

وفيها في صفر قدِم عليّ بن عيسى الوزيرُ على المقتدِر، فزاد المقتدرُ في إكرامه وبعَث إليه بالخِلَـع وبعشرين ألفَ دينار. وركِب من الغد في الدَّسْت[٥]، ثم أنشد: [البسيط]

ما النّاسُ إلاّ مع الدنيا وصاحِبِها ... فكيفمـا آنقلَبَتْ يومـاً بـه آنقلبـوا
يُعَـظِّمُون أخـا الدنيـا فـإن وثَبَتْ ... يـوماً عليـه بمـا لا يَشتهِي وثبـوا

وفيهـا توفِّي الحسين بن عبـد الله أبوعبـد الله الجَوْهَـرِيّ، ويُعـرفَ بـابن

(١) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل: «وأعرابهم».
(٢) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل: «وعبر بغداد».
(٣) في الأصل: «في دور الألف».
(٤) قال ابن الأثير: وفيها شغب الفرسان ببغداد وخرجوا إلى المصلى، ونهبوا القصر المعروف بالثريا، وذبحوا ما كان فيه من الوحوش، فخرج إليهم مؤنس وضمن لهم أرزاقهم فرجعوا إلى منازلهم.
(٥) أي مجلس الوزارة والرياسة.

الجصّاص، التاجرُ الجَوْهَريّ صاحبُ الأموال والجوهر؛ كان تاجراً يَبيع الجوهر[(١)]؛ وقد تقدّم أنّ المقتدر صادره وأخذ منه ستة آلاف ألفِ دينار غيرَ المتاع والدوابّ والغِلمان؛ ومع هذا المال كان فيه سلامة باطن، يحكى عنه منها أمور، من ذلك: أنه دخل يوماً على الوزير ابن الفُرات فقال: أيها الوزير عندنا كلاب ما تَدعُنا ننام؛ قال: لعلهم جَرْبَى[(٢)]؛ قال: لا والله إلّا كلْب كَلِب مثلي ومثلُك. ونزل مرّة مع[(٣)] الوزير الخاقانيّ في المرْكَب وبيده بِطّيخة كافور، [فأراد أن يبصُق في دِجْلة ويُعطي الوزير البِطّيخة][(٤)]، فبَصق في وجه الوزير وألقى البِطّيخة في دِجْلة؛ [فارتاع الوزير وقال له: ويحك! ما هذا؟][(٤)]؛ ثم أخذ يعتذر للوزير فيقول: أردت أن أبصُق في وجهك وأُلقي البِطّيخة في الماء فغلِطت؛ فقال: كذا فعلتَ يا جاهل!. [فغلِط في الفعل وأخطأ في الاعتذار!][(٤)]. ومع هذه البليّة كان مُتجولاً[(٥)] محظوظاً عند الخلفاء والملوك.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن جعفر أبو القاسم القَزْوِينيّ الشافعيّ؛ ولي قضاء دِمشق نيابة عن محمد بن العبّاس الجُمَحِيّ، وكان محمود السيرة فقيهاً، وآخْتَلط قبل موته.

---

(١) وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون، فقد كان جعله جوهرياً له، يسوق له ما يقع لديه من نفائس الجوهر، فاكتسب بسبب ذلك أموالاً جزيلة. (البداية والنهاية).

(٢) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل: «لعلهم جرى».

(٣) في الأصل: «على» وما أثبتناه من عقد الجمان.

(٤) زيادة عن عقد الجمان.

(٥) في الأصل: «متمولاً» والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي. وقد ذكر عنه ابن سعيد في المغرب عدة نوادر من قبيل ما سبق. منها أنه لما سار إلى بغداد بمرافقة قطر الندى اتفق أن تقدم وهو في الركب يحادث خصياً من الخدم الموكلين بها؛ وهو أمام القبة التي كانت بها، جعلت بغلته تكثر الضرط، فقال له أحد الموكلين بالقبّة: قد نتنت على السيدة فتأخر. فقال: الذي تتوجه إليه أنتن من ذلك. وإنما أشار إلى ما كان المعتضد يشكوه من خصيته وخروج المادة منها وانتفاخها ونتنها.

وكان أول ما خرج من الديار المصرية بقطر الندى رأى كلباً على كلبة، فقال: بشرى خيرا ودلالة اجتماع. فضحك جميع من سمعه.

ولما دخل على المعتضد قال له: كيف وديعتك؟ قال: قد والله جئتك بزبدة إن وضعت عليها خصية من خصيتيك ذابت ــ يشير إلى ما كان بخصيي المعتضد من الانتفاخ ــ فاشتد ضحك المعتضد، على شدة قسوته. انتهى. (المغرب في حلى المغرب ــ قسم مصر: ١/١٣٥).

وفيها توفّي عليّ بن سليمان بن الفضل أبو الحسن البغداديّ النحويّ، ويُعْرَف بالأخفش الصغير[١]؛ كان مُتَفَنِّناً يضاهِي الأخفش الكبير[١] في فضله وسعة علمه؛ ومات ببغداد.

وفيها توفّي محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طَبَاطَبَا الحَسَنيّ العلويّ. وإنما سمّي جدّه «طَبَاطَبَا» لأن أمّه كانت تُرَقِّصهُ وتقول: طَبَا طَبَا (يعني نام نام) كان سيّداً فاضلاً جواداً، يسكن مصر، وكان له بها جاه ومنزلة، وبها مات، وقبره يُزار بالقرافة.

وفيها توفّي محمد بن المسيّب بن إسحاق بن عبد الله النيسابوريّ، ثم الأَرْغِيَانِيّ[٢]. وُلد سنة ثلاث وعشرين ومائتين وطاف البلاد في طلب العلم، وكان زاهداً عابداً؛ بكى حتى ذهبَ بصره؛ وكان يقول: ما بقي من منابر الإسلام مِنبر إلا دخلته لسماع الحديث؛ وكان يعرف بالكَوْسَج[٣].

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو بكر أحمد بن [علي بن][٤] الحسين الرازيّ الحافظ بنَيْسَابُور، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن جعفر القَزْوِينيّ القاضي، وعليّ بن سليمان النحويّ الأخفش الصغير، وأبو جعفر[٥] محمد بن الحسين الخَثْعَمِيّ الأُشْنانِي، وأبو الحسن محمد بن الفَيْض الغسّاني، ومحمد بن المسيّب الأَرْغِيَانيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وآثنتان وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة أربعَ عشرةَ ذراعاً وسبعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

(١) راجع ص ١٤٩، حاشية: ٢ و٣ و٤.

(٢) نسبة إلى أرغيان: كورة من نواحي نيسابور.

(٣) الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه. والناقص الأسنان. والبطيء من البراذين. (المعجم الوسيط). وكَيِسجَ الرجل: إذا لم تنبت له لحية. وقالوا: من طالت لحيته تكوسج عقله. (معجم متن اللغة).

(٤) زيادة عن شذرات الذهب ومعجم البلدان.

(٥) كذا في شذرات الذهب والمنتظم وأنساب السمعاني. وفي الأصل: «أبو حفص محمد بن الحسن الخثعمي الأشناني». والأشناني: نسبة إلى بيع الأشنان وشرائه. والأشنان: شجر من الفصيلة الرمرامية ينبت في الأرض الرملية، يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيادي.

السنة الخامسة من ولاية تكين الرابعة على مصر

وهي سنة ستَّ عشرةَ وثلاثمائة:

فيها في المحرّم دخل أبو طاهر القَرْمطِيّ الرَّحْبَة[١] بعد حروب ووضع فيها السيف؛ فبعث إليه أهل قَرْقِيسِيَاء يطلبون الأمان فأمّنهم؛ وبعث سراياه في الأعراب فقتلوا ونهبوا وسبَوْا؛ ثم دخل قرقيسياء ونادَى: لا يظهر أحد من أهلها نهاراً، فلم يظهر أحد. ثم توجّه إلى الرَّقة فأخذها. ولما رأى الوزيرُ عليّ بن عيسى أن الهَجَرِيّ ـ أعني القرمطيّ ـ آستولى على البلاد آستعفى من الوزارة[٢]. ولما رجع القرمطيّ من سفره بنَى داراً وسمّاها دار الهِجرة[٣]، ودعا إلى المهديّ العلويّ، وتفاقم أمرُه وكثُر أتباعُه؛ فعند ذلك نَدب الخليفة المقتدِر هارونَ بن غريب وبعثه إلى واسط وبعث صافياً إلى الكوفة؛ فوقع هارون بجماعة من القرامطة فقتلهم، وبعث بجماعة منهم أسارى على الجمال إلى بغداد ومعهم مائة وسبعون رأساً.

وفيها وقع بين نازوك وهارون حرب في ذي القعدة؛ وسببها أن سُوّاس نازوك وهارون تغايروا على غلام أمرد، وقُتِل من الفريقين جماعة؛ فركِب الوزير ابن مُقلة برسالة الخليفة بالكفّ عن القتال فكفّا.

---

(١) هي رحبة مالك بن طوق. بينها وبين دمشق ثمانية أيام، إلى بغداد مائة فرسخ؛ وهي بين الرقّة وبغداد على شاطىء الفرات أسفل قرقيسياء.

(٢) خبر استعفاء علي بن عيسى من الوزارة بهذا الشكل غير دقيق، وربما أثار الشبهة. وأورده ابن كثير في البداية والنهاية بشكل أوضح، قال: «ولما رأى علي بن عيسى ما يفعله هذا القرمطي في بلاد الإسلام، وليس له دافع، استعفى من الوزارة لضعف الخليفة وجيشه عنه» ـ وذكر ابن الأثير السبب على النحو التالي: قال: «وكان سبب ذلك أن علي بن عيسى لما رأى نقص الارتفاع واختلال الأعمال بوزارة الخاقاني والخصيبي، وزيادة النفقات، وأن الجند لما عادوا من الأنبار زادهم المقتدر في أرزاقهم مائتي ألف وأربعين ألف دينار في السنة. ورأى أيضاً كثرة النفقات للخدم والحرم، ولا سيما والدة المقتدر، هاله ذلك وعظم عليه. ثم إنه رأى نصراً الحاجب يقصده وينحرف عنه لميل مؤنس إليه فإن نصراً كان يخالف مؤنساً في جميع ما يشير به، فلما تبين له ذلك استعفى من الوزارة واحتج بالشيخوخة وقلة النهضة».

(٣) المراد أنه لما رجع إلى هجر (بالبحرين) ابتنى بها داراً سماها دار الهجرة، كما جاء في البداية والنهاية. أما ابن الأثير فقد ذكر أن الذي بنى دار الهجرة هو الحريث بن مسعود بسواد واسط؛ وهو من القرامطة الذين أظهروا أمرهم بسواد العراق بعد الانتصارات التي حققها أبو طاهر القرمطي. (انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٣١٦هـ).

وفيها سار مِلِك الروم الدُّمُسْتُق في ثلاثمائة ألف، فقصد ناحية خِلَاط[١] وبَدْلِيس فقتل وسَبَى، ثم صالحه أهل خِلَاط على قَطِيعة وهي عشرة آلاف دينار، وأخرَج المِنبر من جامعها وجعَل مكانه الصليب. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها توفِّي بُنَان بن محمد بن حَمْدان أبو الحسن الزاهد المشهور المعروف بالحَمّال؛ أصله من واسط ونشأ ببغداد وسمِع الحديث؛ ثم آنتقل إلى مصر وسكنها إلى أن مات بها؛ وهو أحد الأبدال؛ كان صاحب مقامات وكرامات؛ بزهده وعبادته يضرب المثل؛ صحِب الجُنَيْد وغيره؛ وهو أستاذ أبي الحسين النُّوريّ. قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ في مِحَن الصوفيّة: إنّ بُنَاناً الحمّال قام إلى وزير خمارويه فأنزله عن دابّته، وكان نصرانيًّا، وقال: لا تركَب الخيل، ويلزمك[٢] ما هو مأخوذ عليكم في ملّتكم؛ فأمر خُمارويه[٣] ببُنان المذكورِ بأن يُؤْخذ ويُطْرح بين يدي سبُـع، فطُرِح وبَقِي ليلتَه ثم جاء السبـع يَلْمسه[٤]؛ فلما أصبحوا وجدوه قاعداً مستقبل القبلة والسبعُ بين يديه؛ فأطلقه وآعتذر إليه. وذكر إبراهيم بن عبد الرحمن أنّ القاضيَ

---

(١) خلاط: قصبة أرمينية الوسطى. وبدليس: من نواحي أرمينية قرب خلاط.

(٢) في الأصل: «وغيرك ما هو مأخوذ عليكم» ومما يذكر هنا أن الخلفاء درجوا على عادة الكتابة إلى الأمصار في إلزام أهل الذمة من اليهود والنصارى ما يلزمهم بشريطة عقد الذمة وأخذهم بذلك. وأول ما كتب بذلك في خلافة المتوكل العباسي الذي أمر بأن يلبس النصارى واليهود ثياب العسلي، وأن لا يمكنوا من لبس البياض كي لا يتشبهوا بالمسلمين، وأن تكون ركبهم خشباً، وأن تهدم بيعهم المستجدة، وأن تطلق عليهم الجزية، ولا يفسح لهم في دخول حمامات خدمها من المسلمين، وأن تفرد لهم حمامات خدمها من أهل الذمة، وأن لا يستخدموا مسلماً في حوائجهم. (انظر نسخة الكتاب في صبح الأعشى: ١٣/٣٦٧، ومآثر الإنافة: ٣/٢٢٩ للقلقشندي). ثم لم يزل الخلفاء بعد المتوكل يتداولون كتابة مثل ذلك ويشددون فيه حتى أن المقتدر في سنة ٢٩٥هـ عزل كتاب النصارى وعمالهم وأمر بأن لا يستعان بأحد من أهل الذمة. (نسخة كتابه إلى الأمصار بهذا الشأن في صبح الأعشى: ١٣/٣٦٨ ومآثر الإنافة: ٣/٢٣٣) وكذلك وقع في أيام الآمر الفاطمي بالديار المصرية (نسخة كتابه في الصبح: ١٣/٣٧٠) وعلى ذلك جرى ملوك الديار المصرية إلى أن كان آخر ما كتب بمثل ذلك عن الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون في سنة ٧٥٥هـ. (الصبح: ١٣/٣٧٨).

(٣) في المنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان وحسن المحاضرة والبداية والنهاية: أن سبب إلقائه بين يدي الأسد أنه أنكر على ابن طولون يوماً شيئاً من المنكرات وأمره بالمعروف...

(٤) في المنتظم: «فجعل السبع يشمه ولا يضرّه» وفي البداية والنهاية: «فكان الأسد يشمّه ويحجم عنه».

أبا عبيد آحتال على بُنان ثم ضربه سبع درَر؛ فقال: حَبَسك الله بكلِ درّة سنة! ؛ فحبسه آبن طولون سبع سنين. ويُرْوَى أنه كان لرجل على رجل دَيْن مائة دينار بوثيقة، فطلبها الرجل ـ أعني الوثيقة ـ فلم يجدها؛ فجاء إلى بُنان ليدعو له؛ فقال له بُنان: أنا رجل قد كبِرتُ وأُحِبّ الحلواء، إذهب إلى عند دار قريج فاشتر رِطل حلواء وأْتني به حتّى أدعو لَك، ففعل الرجل وجاءه؛ فقال بُنان: اِفتح ورقة الحلواء، ففَتحها فإذا هي الوثيقة؛ فقال: هذه وثيقتي؛ فقال: خذها وأطعم الحلواء صِبيانك. وكانت وفاته في شهر رمضان؛ وخرج في جنازته أكثُر أهل مصر.

وفيها توفّي داود بن الهَيْثَم بن إسحاق بن البُهْلُول، أبو سعد[١] التَّنُوخِيّ؛ مولده بالأنبار وبها توفّي وله ثمانٍ وثمانون سنة؛ كان إماماً عارفاً بالنحو واللغة والأدب، وصنّف كُتُباً في اللغة والنحو على مذهب الكوفيّين، وله كتاب كبير في خلق الإنسان.

وفيها توفّي عبد الله بن سليمان بن الأشعث، الحافظ أبو بكر ابن الحافظ أبي داود السِّجِسْتانِي محدّث العراق وابن محدّثها؛ وُلد بسِجستان سنة ثلاثين ومائتين، ورحل به أبوه وطوّف به البلاد شرقاً وغرباً، وآستوطن بغداد، وصنّف السّنَن والمُسْند والتفاسيرَ والقراءاتِ والناسخ والمنسوخ وغير ذلك. قال أبو بكر الخطيب: سمِعت الحسن بن[٢] محمد الخَلّال يقول: كان أبو بكر بن أبي داود أحفظَ من أبيه. قلت: وأبوه أبو داود هو صاحب السنَن: أحد الكتب الستّة؛ وقد وقع لنا سماعه ثلاثاً حسبما ذكرناه في ترجمة أبيه رضي الله عنه.

وفيها توفّي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد أبو عَوَانة الاسْفَرَايِنِيّ[٣] النَّيْسابوريّ الحافظ المحدّث؛ كان إماماً، طاف البلاد وصنّف المُسْنَد الصحيح

(١) كذا في المنتظم وبغية الوعاة ومعجم الأدباء. وفي الأصل والجواهر المضيّة في طبقات الحنفية للقرشي: «أبو سعيد».

(٢) كذا في تاريخ بغداد للخطيب وتذكرة الحفاظ. وفي الأصل: «أبو محمد الحلال» بالحاء المهملة. وهو تحريف.

(٣) نسبة إلى أسفراين من نواحي نيسابور.

المخرّج على صحيح مسلم؛ حجّ عدّة حِجّات، وكان زاهداً عابداً. رضي الله عنه.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي بُنان الحَمّال أبو الحسن الزاهد، وأبو بكر عبد الله بن أبي داود السِّجِسْتانيّ وله ستّ وثمانون سنة، وأبو بكر محمد بن حريم[1] العُقَيْليّ، وأبو بكر محمد بن السَّرِيّ بن السرّاج صاحب المبرّد، ومحمد بن عَقِيل البَلْخِيّ، وأبو عَوَانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الاسْفَرايني.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثلاثَ عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثمانيَ عشرةَ ذراعاً سواء.

* * *

السنة السادسة من ولاية تكين الرابعة على مصر

وهي سنة سبعَ عشرةَ وثلاثمائة:

فيها خُلِع أمير المؤمنين المقتدرُ بالله جعفر من الخلافة؛ خلَعه مؤنس[2] الخادم ونازوك الخادم وأبو الهيجاء عبد الله بن حَمْدان، وأحضروا من دار الخلافة[3] محمد ابنَ الخليفة المعتضِد، وبايعوه بالخلافة ولقّبوه بالقاهر بالله؛ وذلك في الثّلث الأخير من ليلة السبت خامسَ عشرَ المحرّم من السنة المذكورة. وتولّى أبو عليّ بن مُقْلَة صاحب الخط المنسوب [إليه] الوزارةَ، وقلّد نازوك الحِجْبة مضافة إلى شُرْطَة بغداد، وأُضيف إلى أبي الهيجاء عبدِ الله بن حَمْدان ولايةُ حُلْوان والدِّينَور ونَهَاوَنْد

---

(١) كذا في الأصل. وفي شذرات الذهب: «محمد بن خريم» بالخاء المعجمة. وفي تذكرة الحفاظ: «محمد بن خزيم» بالخاء والزاي المعجمتين.

(٢) وذلك أنه بلغ مؤنساً الخادم أن المقتدر يريد أن يولي إمرة الأمراء هارون بن غريب مكان مؤنس، كما ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء.

(٣) في ابن الأثير: «من دار ابن طاهر».

وهَمَذان وغيرها مع ما كان بيده قبل ذلك من الولايات، مثل: المَوْصِل والجزيرة وميّافارِقِين. ووقع النهب في دار الخلافة؛ وكان لأمّ المقتدر ستمائة ألف دينار في الرُّصَافة فأُخِذت؛ وآستتر المقتدر عند أمّه[1]. وبعد ثلاثة أيّام حضرت الرَّجّالة من الجند وآمتلأت دار الخلافة وآزدحم الناس ودخلوا إلى المقتدر وحملوه على رقابهم، وصاحوا: يا مقتدر يا منصور، وخرجوا به وبايعوه ثانياً بالخلافة بعد أمور وقعت بين القوّاد والجند من وقائعَ وحروب؛ وقُتِل أبو الهيجاء عبد الله بن حَمْدان ونازوك، وخُلِع القاهر محمد، وأمّنه أخوه المقتدر هذا؛ وسكنت الفتنة بعد حروب وقعت ببغداد وقُتِل فيها عدّة من الأعيان والجند. قلت: وهذه ثاني مرّة خُلِع فيها المقتدِر من الخلافة؛ لأنه خُلِع أوّلاً بعبد الله بن المعتزّ في شهر ربيع الأول سنة ستّ وتسعين ومائتين، وهذه الثانية. ثم آستقر بعد هذه في الخلافة إلى أن مات، حسبما يأتي ذكرُه في محلّه.

وفيها ظهَر هارون بن غريب ودخل إلى مؤنس وسلّم عليه، وقُلِّد الجبل فخرج إليه. وقلَّد المقتدِرُ إبراهيم ومحمداً آبني رائق شُرْطَة بغداد، وقلّد مُظَفَّر بنَ ياقوت الحِجابة. وماتت ثمل القهرمانة وخلّفت أموالاً كثيرة.

وفيها سيّر المقتدِر ركب الحاجّ مع منصور الديلمِيّ فوصلوا إلى مكّة سالمين؛ فوافاهم يوم التَّرْوِية عدوّ الله أبو طاهر القرمطيّ فقتل الحجيج قتلاً ذريعاً في فِجاج مكّة وفي داخل البيت الحرام ــ لعنه الله ــ وقتل آبنَ محارِب أميرَ [مكّة][2]، وعَرّى البيت، وقلَع باب البيت، وآقتلع الحجرَ الأسود وأخذه، وطَرَح القتلى في بئر زمزم، وفعل أفعالاً لا يفعلها النصارى ولا اليهود بمكّة؛ ثم عاد إلى هَجَر ومعه الحجر الأسود؛ فدام الحجر الأسود عندهم إلى أن رُدّ إلى مكانه في خلافة

---

(١) في ابن الأثير وتاريخ الإسلام: «وحمل المقتدر وأمه وأولاده وخالته إلى دار مؤنس المظفر». وذكر السيوطي أيضاً أن المقتدر كان محتجزاً في دار مؤنس.

(٢) زيادة عن ابن الأثير وعقد الجمان والمنتظم وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب. وقد وقع اسمه في ابن الأثير: «ابن محلب». وذكره زامباور في معجمه بثلاثة أسماء: ابن محارب، أو ابن مخلّد أو ابن مجلب.

المطِيع، على ما سيأتي ذكرُه إن شاء الله تعالى[١]. [وجلس أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله في المسجد الحرام يوم التروية، الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول][٢]: [الرمل].

أنــا لله وبــالله أنــا يخلُق الخلقَ وأُفْنِيهِم أنا[٣]

ودخل رجل من القرامطة إلى حاشية الطواف وهو راكب سكران، فبال فرسه

---

(١) قال ابن الأثير: ولما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد الله العلوي بإفريقية كتب إلى أبي طاهر ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ويقول: «قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت، وإن لم تردّ على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم، وتردّ الحجر الأسود إلى مكانه، وتردّ كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة». واستدرك ابن خلكان على ابن الأثير بقوله: «إن كتاب المهدي إلى القرمطي لا يستقيم لأن المهدي توفي سنة ٣٢٢هـ وكان رد الحجر الأسود سنة ٣٣٩هـ.

وذكر ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات: ٦١/٢ روايتين: الأولى عن ابن أبي الدم في الفرق الإسلامية مفادها أن الخليفة راسل أبا طاهر في ابتياع الحجر الأسود فأجابه إلى ذلك فباعه من المسلمين بخمسين ألف دينار والثانية عن صلاح الدين الصفدي في تاريخه، قال: قال بعضهم إن القرامطة أخذوا الحجر الأسود مرتين، فيحتمل أن المرة الأولى ردّه بكتاب المهدي، والثانية ردّه لما اشتري منه. وإذا كان يُفهم من استدراك ابن الأثير أنه يشك في وجود الكتاب أصلاً، فقد حاول بعض المؤرخين القدامى والمحدثين أن يثبتوا أن اقتلاع أبي طاهر للحجر الأسود إنما كان بأمر عبيد الله المهدي وإيحائه، وأنه إنما أرسل رسالتين لأبي طاهر، إحداهما ظاهرية ينكر عليه فعله، والثانية سرّية يأمره فيها بعدم إعادة الحجر الأسود إلى مكانه. (الدكتور علي سامي النشّار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٤٥٤/٢) ويستبعد الدكتور النشّار هذه الروايات وتلك التي ذهبت إلى أن اقتلاع الحجر الأسود كان تدعيماً للفكرة الباطنية المجوسية في إبطال الحج وهدم الكعبة وإظهار عبادة النار. وملخص رأيه في غاية أبي طاهر الجنابي من اقتلاع الحجر الأسود أن أبا طاهر في ذلك الوقت كان يعتقد بأن الحج باطل بدون ظهور الإمام من آل محمد (وهي عقيدة كيسانية حنفية) والحج عندهم، وكل اجتماع من خطبة وصلاة الجمعة، إنما يقوم باسم الإمام؛ ولما كان الإمام لم يظهر بعد، فلا حج ولا جماعة. هذا مع عدم استبعاد وجود أعداد من القرامطة متأثرين بالإسماعيلية، وأخرى مجوسية بدليل ظهور زكريا المجوسي عام ٣١٧هـ الذي حكم القرامطة ثمانين يوماً إلى أن قام أبو طاهر نفسه بقتله.

(٢) ما بين المعكوفين عبارة عقد الجمان والبداية والنهاية وما تفيده عبارة شذرات الذهب. وعبارة الأصل: «وكان أبو طاهر القرمطي يقول في الملائكة المشرفة. . . إلخ».

(٣) كذا في عقد الجمان وشذرات الذهب. وفي الأصل:

«أنــا بــالله وبــالله أنــا نخــلق الخــلق ومـفـنـيـهـم أنــا»

وفي البداية والنهاية:

«أنــا الله وبــالله أنــا أخــلق الخــلق وأفــنــيــهــم أنــا»

عند البيت، ثم ضرب الحَجَر الأسود بدبّوس فكسره ثم ٱقتلعه. وكانت إقامة القرمطيّ بمكّة أحدَ عشرَ يوماً. فلما عاد القرمطيّ إلى بلاده رماه الله في جسده حتى طال عذابُه وتقطّعت أوصالُه وأطرافه وهو ينظر إليها، وتناثر الدود من لحمه. قلت: هذا ما عُذّب به في الدنيا، وأما الأخرى فأشدّ إن شاء الله تعالى وأدوم عليه وأعوانِه وذرّيته لعنة الله عليهم.

وفيها وقعت الوَحْشة بين الأمير تَكِين أميرِ مصر صاحب الترجمة وبين محمد بن طُغْج أمير الحَوْف، فخَرج محمد بن طُغْج من مصر سرّاً[١] خوفاً من تكين ولحِق بالشام.

وفيها[٢] هلَك القرمطيّ أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بَهْرام الجَنّابيّ القرمطيّ لعنه الله. وولِي أبو طاهر هذا أمرَ القرامطة بعد موت أبيه ــ عليهما اللعنة ــ بوصيّة أبيه إليه[٣]؛ وغلِط أبو القاسم السِّمْنَانيّ[٤] في تاريخه، قال: الذي

(١) في الأصل: «مستمراً» وهو تحريف. وما أثبتناه من تاريخ الإسلام للذهبي.

(٢) ذكر وفاته في هذه السنة خطأ. والصواب أن وفاته في سنة ٣٣٢هـ.

(٣) ذكر صاحب الأعلام: ١٢٣/٣ (انظر مصادره) أن الحسن بن بهرام والد أبي طاهر، توفي سنة ٣٠١هـ وقد عهد بالأمر إلى كبير أبنائه «سعيد» فعجز هذا عن الأمر، فغلبه سليمان أبو طاهر؛ وهذا الرأي كان قد ذهب إليه ابن خلدون في العبر: ٨٨/٤. وذهب النويري في نهاية الأرب (كتاب حسن إبراهيم حسن وطه شرف: عبيد الله المهدي، ص ٢١٦، ٢١٧). إلى أن سعيداً سلم الأمر إلى أخيه الأصغر أبي طاهر بناءً على وصية والده «أوصى إليهم. ــ أي أبو سعيد ــ إن حدث، أن يكون القيم بأمرهم ابنه سعيد إلى أن يكبر أبو طاهر، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبر لهم؛ ولما قتل أبو سعيد جرى الأمر على ما وصاهم به. وكان قد أخبرهم أن الفتوح تكون لأبي طاهر. فجلس سعيد يدبر الأمر بعد مقتل أبيه إلى سنة ٣٠٥هـ» وكان حكمُ سعيد حوالى أربع سنوات. وسعيد المذكور عندما تولى إمارة القرامطة سرعان ما أعلن عودته إلى حظيرة أهل السنة والجماعة في خطابه إلى علي بن عيسى وزير المقتدر، وفيه يعلن بوضوح تمسكه بشرائع الإسلام ويعلن تبرؤ القرامطة من أي مذهب إباحي أو اشتراكي اجتماعي (نص الرسالة في كتاب الدكتور علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الثاني، ص ٤٣٩ ــ ٤٤٠) ــ ونستنتج من بحث الدكتور النشّار أن ثمة ثورة حدثت داخل القرامطة على أثر ارتداد سعيد إلى مذهب أهل السنّة، فقام أبو طاهر وبايعه العقدانية (أي كبار مشايخ المذهب القرمطي) تمسكاً منهم بالعقيدة القرمطية، والتي هي في جوهرها كيسانية حنفية، كما أثبت ذلك الدكتور النشّار.

(٤) في الأصل: «وغلط السمعاني». وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام، وعقد الجمان، والأعلام (حاشية عن سير النبلاء).

قلع الحجَر الأسود أبو سعيد الجَنّابيّ؛ وإنما هو ابنه أبو طاهر هذا، عليهما اللعنة. ولما ولي أبو طاهر هذا أمرَ القرامطة قَوِي أمره وحارب عساكرَ الخليفة، واتسع ملكه وكثُرت جنوده ونال من الدنيا ما لم ينله أبوه ولا جدّه؛ وكان زِنْدِيقاً مُلْحِداً لا يُصلّي ولا يصوم شهر رمضان، مع أنه كان يُظْهر الإسلام ويزعمُ أنه داعية المهديّ عبيدِ الله. وقد تقدّم من أخباره ما فيه كفايةٌ عن ذكره هنا: من قَتْله الحُجّاج، وسفكِه الدماءَ، وأخذه أموالَ الناس، وأشياءَ كثيرةٍ من ذلك. وقد كان هذا الملعون أشدَّ ما يكون من البلاء على الإسلام وأهلِه، وطالت أيّامُه. ومنهم من يقول: إنه هلَك عَقِيبَ أخذه الحجرَ الأسود ـ أعني في هذه السنة ـ والظاهر[1] خلافُه. وكان أبو طاهر المذكورُ مع قِلّة دينه عنده فضيلةٌ وفصاحة وأدبٌ. ومن شعره القصيدة التي أوّلها[2]: [الطويل]

أغـرَّكُم مِنّي رُجـوعِي إلى هَجَـرْ ... فعَمّا قليلٍ سـوف يأتيكُمُ الخَبَـرْ
إذا طلَـع المرِّيـخُ من أرض بابِلٍ ... وقارنَه النجمان[3] فالحَـذَرَ الحذر
فمَنْ مُبْلِـغٌ أهـلَ العراق رِسـالـةً ... بأنّي أنا المَرْهُوبُ[4] في البدوِ والحَضَر

ومنهـا:

فيـا وَيْلَهم من وَقْعَـةٍ بعـد وَقْعـةٍ ... يُساقُون سَوْقَ الشاءِ للذَّبح والبَقَر
سأَصْرِف[5] خَيْلي نحوَ مِصر وبَرْقَةٍ ... إلى قَيْرَوَان التركِ والرومِ والخَزَر

---

(١) ذكر وفاته في هذه السنة خطأ. والصواب أن وفاته في سنة ٣٣٢هـ.

(٢) وجه أبو طاهر هذه القصيدة إلى المسلمين بعيد ارتداده إلى عاصمة ملكه هجر وفشله في مهاجمة العراق في عامي ٣١٥ ـ ٣١٦هـ.

(٣) كذا في الفرق بين الفرق: ٢٧٢، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص٤٥٦ عن الآثار الباقية للبيروني، ص ٢١٤. وفي الأصل: «كيوان». قال البغدادي: «أراد بالنجمين زحل والمشتري. وقد وجد هذا القران في سني ظهوره؛ ولم يملك سبع قرانات» ومن الواضح أن البغدادي يشير إلى أن أبا طاهر يعلن أنه هو الداعي إلى المنتظر أو المنتظر ذاته. وذهب البيروني (في الآثار الباقية) إلى نفس الأمر فقال: «إن القرامطة كانوا يتواعدون ظهور المنتظر في القران السابع».

(٤) في المراجع السابقة وتاريخ الإسلام: «الموهوب».

(٥) في تاريخ الإسلام: «سأضرب... إلخ». وفي البغدادي والبيروني: «سأملك أهل الأرض شرقاً ومغرباً».

ومنهـا:

أَكِيلُهُمْ بـالسيْف حتّى أُبِيـدَهم فلا أُبقِ مِنهمْ نَسْلَ أُنْثى ولا ذَكَرْ
أنا الدَّاعِ للمَهْدِيّ لا شَكَّ غَيرُه أنا الصارِمُ الضِّرْغَام والفارسُ الذكر[١]
أُعَمَّرُ حتى يأتِي عيسى ابنُ مَرْيَم فيَحْمَـدُ آثَارِي وأَرْضَى بما أَمَـر
ولـكِنّـه حَـتْـمٌ عـلينـا مُـقَـدَّرٌ فنَفْنَى ويَبْقَى خالقُ الخلق والبشر

وفيها توفّي أحمد بن الحسين، الإمام العلامة أبو سعيد البَرْدَعِيّ الحنفيّ، شيخ الحنفيّة في زمانه؛ آستُشْهِد بمكّة بيد القرامطة.

وفيها توفّي أحمد بن مهدي بن رُسْتَم؛ كان شيخاً صالحاً ذا مال كثير أنفقه كلّه على العلم، ولم يُعْرَف له فِراش أربعين سنة.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبَان بن شابور بن شاهنشاه، أبو القاسم البَغَوِيّ الأصل البغداديّ، مُسْنِدُ الدنيا وبقيّة الحفّاظ؛ وهو ابن بنت أحمد بن مَنِيع؛ وُلِد ببغداد في أوّل شَهر رمضان سنة أربعَ عشرةَ ومائتين، وسمِع الكثير ورحَل [إلى] البلاد، وروَى عنه خلائق لا يُحْصِيهم إلا الله، لأنه طال عمره وتفرّد في الدنيا بعلوّ السند، رضي الله عنه.

وفيها توفي نازوك الخادم قتيلاً في هذه السنة في واقعة خَلْع المقتدِر. كان نازوك المذكور شجاعاً فاتِكاً، غلَب على الأمر وتصرّف في الدولة. وعلِم مؤنس الخادم أنه متى وافقه على خلع المقتدر لم يبقَ له في الدولة أمر ولا نهي، فوافقه ظاهراً وواطأ عليه البَرْدَدَاريّة[٢] باطناً حتى تمّ له ذلك. وكان لنازوك أكثرُ من ثلاثمائة مملوك[٣].

---

(١) في البغدادي والبيروني:
أنا الداعِ للمهدي لا شك أنني أنا الضيغم الضرغام والفارس الذكر

(٢) جمع «بردَدار» أو «بردادار». وأصله «فردادار» وهو مركب من لفظين فارسيين: «فردا» ومعناه الستارة، و «دار» ومعناه ممسك. والمراد: الحاجب الذي يفتح الستارة ويغلقها على باب الوزير أو الأمير. (صبح الأعشى: ٥/٤٦٨، ٤٩٦ وتأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل للدكتور أحمد السعيد سليمان: ص ٧٠). وفي عقد الجمان: «وواطأ الرجالة على قتله حتى تم له ذلك».

(٣) كان على أبي المحاسن أن يذكر أمر الحج هذه السنة، إذ لم يتمّ حج فيها، أو كما قال المسعودي: =

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وثلاثَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة السابعة من ولاية تكين الرابعة على مصر

وهي سنة ثمانيَ عشرةَ وثلاثمائة:

فيها حجّ بالناس عبد السميع بن أيّوب بن عبد العزيز الهاشميّ، وقيل: عمر بن الحسن بن عبد العزيز. قال أبو المظفّر في مرآة الزمان: «والظاهر أنه لم يحجّ أحد منذ سنة سبعَ عشرةَ وثلاثمائة إلى سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة خوفاً من القرامطة»[1].

وفيها في المحرّم صرَف المقتدرُ آبني رائق عن الشُّرْطَة وقلّدها أبا بكر محمد بن ياقوت.

وفيها في شهر ربيع الآخر هبّت ريح شديدة حمَلت رملاً أحمر، قيل: إنه من جبل ذِرْوَد[2] فامتلأت به أزقّة بغداد وسطوحُها.

وفيها قَبض المقتدر على الوزير ابن مُقْلَة[3]، وأُحرقت دارُه وكانت عظيمة، وقد ظلَم الناس في عمارتها؛ وعزّ على مؤنس الخادم حتّى لم يشاوره المقتدر في

= ٤٠٨/٤ «ولم يتمّ حج في موسم سنة ٣١٧هـ هذه من أجل حادثة القرامطة إلا لقوم يسير غزواً، وأقيم حجهم دون إمام، وكانوا رجّالة».

(١) أكثر المؤرخين ذكروا أن الحج قد تمّ في هذه السنوات وذكروا أمراء الحج في كل سنة. غير أنه يفهم من رواياتهم أن الحج كان يتمّ في أجواء من الحيطة والحذر الشديدين.

(٢) جبل ذِرْوَد: من الهبير في طريق مكة. (معجم البلدان).

(٣) هو أبو علي محمد بن علي بن مقلة: صاحب الخط الحسن المشهور الذي تضرب بحسنه الأمثال، وهو أول من استخرج هذا الخط ونقله من الوضع الكوفي إلى هذا الوضع، وتبعه بعده ابن البواب. كان في ابتداء أمره يخدم في بعض الدواوين في كل شهر بستة دنانير، ثم إنه تعلق بابن الفرات الوزير واختص به، فرفع من قدره وأعلى من شأنه. (الفخري: ٢٧٠).

القبض عليه. ثم آستوزر المقتدر سليمانَ بن الحسن، فكان لا يصدر عن أمر حتّى يُشاوِر عليّ بن عيسى. وكانت وزارة ابن مُقْلة سنتين وأربعةَ أشهر وثلاثة أيّام.

وفيها توفّي جعفر[1] بن محمد بن يعقوب الشيخ أبو الفضل الصَّنْدَليّ البغداديّ؛ كان من الأبدال؛ سمِع عليّ بن حَرْب وغيرَه، وآتفقوا على ثِقته وصِدْقه.

وفيها توفّي سعيد بن عبد العزيز بن مَرْوان، الشيخ أبو عثمان الحَلَبِيّ الزاهد، وهو من أكابر مشايخ الشام، صحِب سَرِيّاً السَّقَطِيّ، وروَى عنه أبو الحسين الرازيّ وغيرُه، ومات بدِمَشق.

وفيها توفّي عبد الواحد بن محمد بن المُهتدِي، أبو أحمد الهاشميّ؛ سمِع يحيى بن أبي طالب، وروى عنه أبو الحسين الرازيّ وغيرُه.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن مسلم، أبو بكر الأَسْفَرَايِنِيّ؛ وُلِد بقرية من أعمال أسفرايِن يقال لها «جُورْبَذ»، وسافر في طلب الحديث، وكان من الأَثْبَات.

وفيها توفّي محمد بن سعيد بن محمد، أبو عبد الله المَيُورْقِيّ. قدِم بغداد وحدّث بها، وكان يتفقّه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة.

وفيها توفّي يحيى بن محمد بن صاعد، أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور؛ كان محدّثاً فاضلاً. قال الدارقطنيّ: بنو صاعد ثلاثة: يوسُف وأحمدُ ويحيى. وكانت وفاة يحيى هذا ببغداد.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن بُهلول الأنباريّ قاضي مدينة المنصور، وأبو عَرُوبة الحسين بن محمد بن أبي معشر الحرّانيّ، وسعيد بن عبد العزيز الحَلَبيّ الزاهد، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن مُسْلم الأَسفرايِنيّ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن فَيْرُوز[2] الأنماطيّ، ويحيى بن محمد بن صاعد في ذي القَعْدة وله تسعون سنة.

---

(١) في الأصل: «حفص بن محمد». والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان.

(٢) كذا في المنتظم والمشتبه في أسماء الرجال وشذرات الذهب. وفي الأصل: «ابن مروان الأنماطي».

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وإحدى عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الثامنة من ولاية تكين الرابعة على مصر

وهي سنة تسعَ عشرةَ وثلاثمائة.

فيها نزل القرامطة الكوفة فهرَب أهلها إلى بغداد.

وفيها دخل الديلم الدِّينَوَر وقتلوا أهلها وسبَوْا؛ فورَد بعضُ أهل دِينَوَر بغدادَ وقد سوّدوا وجوههم ورفعوا المصاحف على رؤوس القَصَب، وحضروا يوم عيد النحر إلى جامع بغداد وآستغاثوا ومَنَعوا الخطيب من الخُطبة والصلاةِ، وثار معهم عامّة بغداد، وأعلنوا بسبّ المقتدر؛ ولازم الناس المساجد وأغلقوا الأسواقَ خوفاً من القرمطيّ.

وفيها وُلِد المعِزُّ أبو تميم مَعَدّ العُبَيْدِيّ رابعُ خلفاء بني عُبَيْد وأوّل من ملك منهم ديارَ مصر الآتي ذكرُه في محلّه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وفيها قَبَض المقتدر على الوزير سليمان بن الحسن وحبَسه، وكانت وزارتُه سنة وشهريْن. وكان المقتدر يميل إلى وزارة الحسين بن القاسم فلا يُمَكّنه مؤنس، وأشار مؤنس بعبيد الله بن محمد الكَلْوَذَانِيّ، فاستوزره المقتدر مع مُشاورة عليّ بن عيسى في الأمور.

وفيها كانت وقعة بين هارون بن غريب وبين مرداويج الديلميّ بنواحي هَمَذان، فآنهزم هارون؛ وملكَ الديلمِيّ الجبل بأسره إلى حُلْوان.

وفيها أيضاً عزل المقتدر الكلوذانيّ، وآستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله؛ لأنه كتبَ إلى المقتدر وهو على حاجة: «أنا أقوم بالنفقات وزيادةِ ألفِ

ألفِ دينار في كلّ سنة». وكانت وزارة الكلوذانيّ شهرين[١].

وفيها في ذي الحِجّة آستوحش مؤنس من الخليفة المقتدر لأنه بلغه آجتماع الوزير والقوّاد على العمل على مؤنس، فعزَم خواصّ مؤنس على كبس الوزير؛ فعلِم الوزير فتغيّب عن داره؛ وطلَب من المقتدر عزلَ الوزير فعزَله، فقال: اِنْفِه إلى عُمَان، فآمتنع المقتدر. وأوقع الوزير في ذِهْن المقتدر أنّ مؤنساً يريد أن يأخذ أبا العباس[٢] من داره ويذهَب به إلى الشأم ومصرَ ويُبايعَه بالخلافة هناك. ثم وقعت أمور ألجأت مؤنساً إلى الخروج من بغداد إلى الشمّاسيّة، وكتب إلى المقتدر يطلُب منه مُفْلحاً[٣] الأسود؛ فقوِيت الوحشة بين المقتدر وبين مؤنس حتى أرسل المقتدر إلى قتاله ثلاثين ألفاً، وكان مؤنس في ثمانمائة، فانتصر عليهم وهزَمهم وملَك المَوْصِل.

وفيها كان الوباء المُفْرِط ببغداد حتى كان يُدْفَن في القبر الواحد جماعةٌ.

وفيها توفّي الحسن بن عليّ بن أحمد بن بشّار، أبو بكر الشاعر المشهور الضرير النَّهْرَوَانيّ المعروف بابن العلّاف؛ أحدُ ندماء المعتضد، وكان من الشعراء المُجِيدِين. قال: كنتُ في دار المعتضد مع جماعة من نُدَمائه، فأتى الخادم ليلاً فقال: أمير المؤمنين يقول لكم: أرقتُ الليلة بعد آنصرافكم، فقلت: [الطويل]

ولمّا آنتَبَهْنا للخَيَال الذي سَرَى ... إذا الدَّارُ قَفْرٌ والمَزارُ بعيدُ

وقد أُرتِج عليّ تمامُه. فمن أجازه بما يوافق غرضِي أمرتُ له بجائزة؛ قال: فأُرتج على الجماعة، وكلّهم شاعر فاضل، فآبتدرتُ وقلت:

فقلتُ لعينِي عاوِدِي النومَ وآهجَعِي ... لعلّ خَيَالاً طارقاً سيعودُ

---

(١) قال في الفخري ٢٧٣: «كثرت المصادرات في أيامه وشغب الجند عليه وشتموه ورجموه وهو في السفينة، فحلف أنه لا يدخل بعد ذلك في الوزارة، وانقطع بداره وأغلق بابه». وفي ابن الأثير وصلة الطبري أن وزارته كانت شهرين وثلاثة أيام.

(٢) وهو الراضي.

(٣) مفلح الأسود كان خصيصاً بالمقتدر، كما في ابن الأثير.

ومن شعر ابن العلّاف هذا قصيدتُه التي رثَى فيها [المحسن بن أبـي][1] الحسن بن الفرات الوزيرِ وكنى عنه بالهِرّ خوفاً من الخليفة، وعددها خمسة وستون بيتاً، وأوّلها: [المنسرح]

يـا هِـرُّ فـارقـتَنـا ولـم تَـعُـدِ وكنتَ منّـا[2] بِمَـنْـزِلِ الـوَلَـدِ

فكيف نَنْفَـكُّ عن هـواكَ وقـد كنـتَ لـنـا عُـدّة من العُـدَدِ

تـطرُد عـنّـا الأذى وتَحْـرُسـنـا بـالغيـب من حَيّـة ومن جـرد

وتُخْـرِج الفـأرَ من مَكَـامنهـا مـا بين مفتـوحهـا إلى السُّـدَدِ

وكلّها على هذا المنوال، وفيها حِكَم أضْربتُ عن ذكرها لطولها.

وفيها توفّي الحسن بن عليّ بن زكريا بن صالح بن عاصم بن زُفَر، أبو سعيد العدويّ البصريّ؛ روَى عنه الدارقطنيّ وغيرُه، وعاش مائة وثمانين[3] سنة.

وفيها توفّي عليّ بن الحسين بن حرب، أبو عُبَيد القاضي البغداديّ، ويعرف بابن حَرْبويه؛ ولي قضاء مصرَ وأقام بها دهراً طويلاً. قال الرَّقَاشيّ: سألت عنه الدارقطنيّ فقال: ذلك الجليل الفاضل.

وفيها توفّي محمـد بن سعيد، وقيـل: ابن سعد، أبـو الحسين[4] الورّاق النَّيسابوريّ صاحب أبـي عثمان الحِيرِيّ؛ كان من كِبار المشايـخ، عالماً بالشريعة والحقيقة.

وفيها توفّي محمد بن الفضل بن العباس، أبو عبد الله البَلْخِيّ الزاهد؛ كان أحدَ الأبدال وله كرامات؛ قال: ما خطوتُ أربعين سنة خطوةً لغير الله.

---

(١) زيادة عن ابن خلكان: ١٠٨/٢. وقد ذكر محاسن هذه القصيدة وسبب إنشائها بقوله: «هويت جارية لعلي بن عيسى غلاماً لأبـي بكر بن العلاف الضرير ففطن بهما فقتلا جميعاً وسلخا وحشيت جلودهما تبناً، فقال أبو بكر مولاه هذه القصيدة يرثيه بها وكنّى عنه بالهر»، ثم ذكر أسباباً أخرى.

(٢) في ابن خلكان: «عندي».

(٣) كذا في الأصل. وفي المنتظم أنه ولد سنة ٢١٠هـ ومات سنة ٣١٩هـ، فيكون قد عاش ١٠٩ سنوات.

(٤) كذا في البداية والنهاية وطبعة دار الكتب عن الرسالة القشيرية. وفي الأصل: «أبو الحسن».

وفيها توفّي المُـؤَمَّل بن الحسن بن عيسى بن ماسَرْجِس، أبو الوفاء النَّيْسابوريّ الماسَرْجِسِيّ شيخ نيسابور في عصره؛ وكان أبوه من بيت حِشْمة في النصارى فأسلم على يد آبن المبارك وهو شيخ. سمِع المُـؤمَّلُ هذا الكثيرَ ورحَل [إلى] البلاد، وروَى عنه آبناه أبو بكر محمد وأبو القاسم عليّ وغيرُهما. قال الحاكم: سمِعت محمد بن المؤمَّل يقول: حجّ جدّي وهو آبن نيّف وسبعين سنة فدعا الله تعالى أن يَرْزُقه ولداً، فلمّا رجع رُزِق أبي فسمّاه المؤمَّل، لتحقيق ما أمّله، وكنّاه أبا الوفاء لِيَفِيَ لله بالنُّذور، ووفّاها.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تـوفِّي أبو الجَهْم أحمد بن الحسين [بن أحمد][1] بن طَـلّاب خطيب مَشْغَـرَى[2]، وأبو إسحـاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مَرْوان في رجب، وأبو سعيد الحسن بن عليّ بن زكرياء العدويّ الكذّاب، وأبـو القاسم عبـد الله بن أحمد البَلْخِيّ رأس المعتزلة، وأبو عُبَيد عليّ بن الحسين بن حَرْبويه القاضي، وأبو الوفاء المؤمَّل بن الحسن الماسَرْجِسِيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسُ أذرع وتسـع أصابـع. مبلـغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وأربـع أصابـع.

* * *

السنة التاسعة من ولاية تكين الرابعة على مصر

وهي سنة عشرين وثلاثمائة:

فيها عزَل المقتدِرُ الحسينَ بن القاسم من الوزارة[3]، وآستوزر أبا الفتـح بن الفُرات.

---

(١) زيادة عن شذرات الذهب ومعجم البلدان والسمعاني.

(٢) كـذا في أنساب السمعـاني وشذرات الـذهب ومعجم البلدان. وفي الأصل: «خـطيب الشعـراء» وهو تحريف. ومشغرى: قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع على سفـح جبل لبنان (معجم البلدان). ويقال لها اليوم «مشغرة» وهي في البقاع الغربـي من سهل البقاع في لبنان.

(٣) وكانت وزارته سبعة أشهر. قيل إنه أعرق الناس في الوزارة: هو وزير المقتدر، وأبوه القاسم كان وزير =

وفيها بعث المقتدرُ بالعهد واللواء لمرداويـج الدَّيْلمِيّ على إمْرة أَذْرَبيجان وإرمينيَة وأَرّان وقُم ونَهاوَنْد وسِجِسْتان.

وفيها نهب الجند دورَ الوزيرِ الفضل بن جعفر بن الفُرات، فهرب الوزير إلى طيّار[1] له في الشّط فأغرَق الجندُ الطّيارات، وسخّم الهاشميّون وجوهَهم وصاحوا: الجوعَ الجوعَ!؛ وكان قد آشتدّ الغلاء لأن القرمطيّ ومؤنساً الخادم منعا الغلّاتِ من النواحي أن تصل. ولم يحجّ ركب العراق في هذه السنة.

وفيها في صفر غلّب مؤنس على المَوْصِل، فتسلّل إليه الجند والفرسان من بغداد وأقام بالموصل أشهراً؛ ثم تهيّأ المقتدر لقتاله وأخرج مِضْرَبَه إلى باب[2] الشمّاسيّة، وبعث أبا العلاء سعيدَ بن حَمْدان إلى سُرَّ مَنْ رأى في ألف فارس؛ فأقبل مؤنس في جمع كبير، فلمّا قارب [العُكْبَرا][3] آجتهد المقتدِر بهارون بن غريب أن يحارب مؤنساً فآمتنع وآحتجّ بأن أصحابه مع مؤنس في الباطن ولا يثِق بهم. وقيل: إنه عسكر هارونُ وابن ياقوت وآبنا رائقٍ وصافي الحُرَمِيّ ومُفْلِحٌ بباب الشمّاسيّة وانضمُّوا إلى المقتدر، وقالوا له: إنّ الرجال لا يقاتلون إلا بالمال، وإن أخرجتَ المال أسرع[4] إليك رجال مؤنس وتركوه؛ وسألوه مائتيْ ألف دينار فلم يرضَ، وأمر بجمع الطيّارات لينحدر فيها بأولاده وحُرَمه إلى واسط ويستنجدَ منها ومن البصرة وغيرِها على مؤنس. فقال له محمد بن ياقوت: إتّق الله في

= المعتضد والمكتفي، وجده عبيد الله كان وزير المعتضد، وأبو جده سليمان بن وهب كان وزير المهتدي. وفي ذلك يقول الشاعر له:

يا وزيرَ ابن وزيرِ ابـ ـن وزير ابن وزيرِ
نسقاً كالدر إذ نظـ ـم في عقد النحور

(الفخري: ٢٧٤)

(١) راجع ص ٢٢٢، حاشية (٥).

(٢) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل: «وأخرج المخيم على الشماسية وجعل يزكا على سامر ألف فارس مع أبي العلاء سعيد بن حمدان».

(٣) زيادة عن عقد الجمان وتاريخ الإسلام. وهي بلدة من نواحي دجيل قرب صريفين، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. (معجم البلدان).

(٤) في الأصل: «أرسل إليك».

المسلمين ولا تُسلّم بغداد بلا حرب، وأمعَن في ذلك؛ حتى قال له المقتدرُ: أنت رسول إبليس. وبنى عزمه وأصبح يقاتل مؤنساً، وأَبْلَى ابن ياقوت المذكورُ بلاء حسناً. وكان غالب عسكر مؤنس البَرْبَرَ؛ فلمّا آنكشف عن المقتدر أصحابُه جاءه واحد من البربر فضربه من خلفه ضربة سقَط منها إلى الأرض؛ فقال له: ويلك! أنا الخليفة؛ فقال: أنت المطلوب؛ وذبحه بالسيف وشال رأسَه على رُمح، ثم سلب ما عليه وتركه مكشوفَ العورة حتى سُتِر بالحشيش وحُفِر له في الموضع ودُفِن فيه وعُفِّي أثرُه، وذلك في شوّال. وبات مؤنس [بالشمّاسيّة][1]، ووقع له بعد قتل المقتدر أمورٌ، حتى أخرج القاهرَ وبايعه بالخلافة وتمّ أمرُه.

ذكر ترجمة المقتدر

اسمه جعفرٌ، وكنيته أبو الفضل، آبن الخليفة المعتضِد بالله أحمدَ ابن وليّ العهد طلحة المُوَفَّق آبن الخليفة المُتَوكِّل على الله جعفرٍ ابن الخليفة المعتصِم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهديّ محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، أمير المُؤمنين الهاشميّ العباسيّ البغداديّ. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي بالله عليٍّ في سنة خمس وتسعين ومائتين، وله ثلاث عشرة سنة، ولم يلِ الخلافةَ أحدٌ قبله أصغر منه. وخُلِع من الخلافة أوّلَ مرّة بعبد الله بن المعتزّ في شهر ربيع الأول في سنة ست وتسعين ومائتين، ثم أُعيد، وقُتل آبن المعتزّ؛ ثم خُلِع في سنة سبعَ عشرةَ وثلاثمائة بأخيه القاهر ثلاثة أيام؛ ثم أعيد إلى الخلافة إلى أن قُتِل في هذه السنة. وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه في الحوادث من هذا الكتاب كلّ واقعة في موضعها. وآستُخْلِف من بعده أخوه القاهر محمد، وكنيته أبو منصور، وعمره يومَ ولِي الخلافة ثلاثٌ وثلاثون سنة. وكانت خلافة المقتدِر خمساً وعشرين سنة إلّا بضعة عشرَ يوماً؛ وكانت النساء[2] قد غلَبن عليه؛ وكان سخيّاً مبذّراً يصرف في السنة للحجّ أكثرَ من

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام.

(٢) في الأصل: «الناس».

ثلاثمائة ألف دينار، وكان في داره أحدَ عشرَ ألفَ غلام خَصِيّ غيرَ الصَّقالِبة والروم؛ وأخرجَ جميعَ جواهر الخلافة ونفائِسها على النساء وغيرهنّ(١)؛ وأعطَى الدُّرَّة اليتيمة لبعض حَظَاياه، وكان زِنتُها ثلاثة مثاقيل؛ وأخذت زيدان القهرمانةُ سُبْحة جوهر لم يُر مثلُها، [قيمتها ثلاثمائة ألف دينار](٢)؛ هذا مع ما ضيِّع من الذهب والمسك والأشياء والتُّحَفِ. قيل: إنه فرّق ستين حُبّاً(٣) من الصينيّ. وقال الصوليّ: كان المقتدر يُفرِّق يومَ عرفةَ من الإبل والبقر أربعين ألفَ رأسٍ، ومن الغنم خمسين ألفاً. ويقال: إنه أتلف من المال في أيّام خلافته ثمانين ألفَ ألفِ دينار(٤). وخلّف المقتدِر عدّة أولاد ذكورٍ وإناث.

---

(١) كذا في عقد الجمان. وفي الأصل: «على النساء ومحقه».

(٢) زيادة عن عقد الجمان.

(٣) الحُبّ: الجرّة الضخمة والخابية. فارسي معرب خُنْب. (معجم متن اللغة).

(٤) أورد ابن مسكويه في تجارب الأمم: ١/٢٣٨ ـ ٢٤١ نسخة وثيقة سجلها أحد كتّاب الدواوين، وفيها بيان لواردات الدولة العباسية ونفقاتها طوال مدة خلافة المقتدر، وهي سجل رسمي لموازنة الدولة العباسية خلال تلك الفترة. والوثيقة تبيّن بالأرقام أن ما كان يجب أن يبقى في خزانة الدولة عشية مقتل المقتدر (بعد أن نطرح منه جميع النفقات المشروعة في مدة ٢٥ سنة، وهي مدة خلافة المقتدر) هو نيفٌ وسبعون ألف ألف دينار، وهو ما بذّر وأتلف على يد المقتدر. ونثبت هنا عرضاً لأهم بنود تلك الميزانية لأهميته الوثائقية:

١ ـ الذي كان في بيت مال الخاصة لما تقلّد المقتدر الخلافة: ١٤ ألف ألف دينار.

٢ ـ دخل إلى بيت المال خلال تلك المدة من أعمال فارس وكرمان: ٤٠٠ ألف ألف درهم، قيمتها ٢٨ ألف ألف دينار.

٣ ـ دخل من أموال مصر والشام: ٣ آلاف ألف و ٦٠٠ ألف دينار.

٤ ـ دخل من مصادرة أموال علي بن محمد بن الفرات ومصادرات كتابه وأسبابه مع ما أخذ من زوجة المحسِّن: ٤ آلاف ألف و ٤٠٠ ألف دينار.

٥ ـ دخل من ارتفاع ضياع ابن الفرات: ٤ آلاف ألف و ٢٥٠ ألف دينار.

٦ ـ دخل مما أخذ من أبي عبد الله الجصاص: ألفا ألف دينار.

٧ ـ دخل من ضياع العباس بن الحسن بعد مقتله في مدة ٢٤ سنة: ألفا ألف و ٨٠٠ ألف دينار.

٨ ـ ومما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه مع ما يرتفع من ضياعه إلى أن ردّت على ولده: ألفا ألف و ٢٠٠ ألف دينار.

٩ ـ ومما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن علي الماردانيين (الماذرائيين): ألف ألف و ٣٠٠ ألف دينار.

وفيها توفّي أحمد بن عُمَيْر[1] بن يوسف، الحافظ أبو الحسين بن جَوْصَى[2]؛ كان حافظَ الشام في وقته؛ كان إماماً حافظاً مُتْقِناً رحّالاً. قال الدارقطنيّ: تفرّد بأحاديث وليس بالقويّ.

وفيها توفّي الحسين بن صالح، أبو عليّ بن خَيْرَان[3] الفقيه الشافعيّ القاضي؛ كان من أفاضل الشيوخ وأماثل الفقهاء.

= ١٠ ــ ومما أخذ من أموال علي بن عيسى وابن الحواري وسائر الكتاب ووجوه العمال المصادرين: ألفا ألف دينار.

١١ ــ ومما أخذ من تركة الراسبي: ٥٠٠ ألف دينار.

١٢ ــ ومما أخذ من تركة إبراهيم السمعي: ٣٠٠ ألف دينار.

١٣ ــ ومما حصل من ثمن البيع في أيام الوزراء: ٣ آلاف ألف دينار.

١٤ ــ ومما حصل من أموال أم موسى وأخيها وأختها وأسبابها: ألفا ألف دينار.

فصار الجميع من العين: ٦٨ ألف ألف و ٤٣٠ ألف ألف دينار (وصوابه: ٧٠ ألف ألف و ٣٥٠ ألف دينار).

وضع من ذلك لارتفاع ما خرج عن المبيع من سنة ٣١٧ إلى آخر سنة ٣٢٠هـ: ٣ آلاف ألف و ٦٠٠ ألف دينار.

فيكون الباقي بعد ذلك مما حصل في خزانة المقتدر: ٦٤ ألف ألف و ٨٣٠ ألف دينار (وصوابه: ٦٦ ألف ألف و ٧٥٠ ألف دينار).

وقد كان كل واحد من المعتضد والمكتفي يستفضل في كل سنة من سني خلافته من أموال النواحي بعد الذي يصرف في أعطيات الرجال والغلمان والخدم والحشم وجميع النفقات الحادثة: ألف ألف دينار؛ وكان سبيل المقتدر أن استفضل مثلها، فيكون مبلغه في ٢٥ سنة: ٢٥ ألف ألف دينار.

فيكون ما يجب أن يحضر في بيت مال الخاصة للمقتدر بالله في هذه السنين إلى آخر سنة ٣٢٠هـ: ٨٩ ألف ألف و ٨٠٠ ألف دينار (وصوابه: ٩١ ألف ألف و ٧٥٠ ألف دينار) خرج من ذلك ما لا يجري مجرى التبذير، وهو ما أطلق في البيعة ثلاث دفعات، وما أنفق على فتح فارس وكرمان: بضعة عشر ألف ألف دينار. وبقي بعد ذلك ما بذّر وأتلف: نيف وسبعون ألف ألف دينار (وصوابه: حوالى ٨٠ ألف ألف دينار) ــ انتهى عن الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعهود العباسية المتتابعة: ص ٢٤٥ ــ ٢٤٨، نقلاً عن تجارب الأمم لابن مسكويه.

(١) كذا أيضاً في البداية والنهاية. وأثبته في الأعلام: ١/١٨٩ باسم «أحمد بن عنبر» قال: واسم أبيه «عنبر» واضح في «الأعلام» لابن قاضي شهبة بخطه. وفي شذرات الذهب: «أحمد بن عمر».

(٢) في القاموس وشرحه: «ابن جوصى، كسكرى، ويكتب أيضاً: جوصا، بالألف». وفي الأعلام: ابن جُوصا، بضم الجيم.

(٣) في الأصل: «أبو علي الخزاز» وهو تحريف. وما أثبتناه عن عقد الجمان والمنتظم وشذرات الذهب والبداية والنهاية.

وفيها توفّي عبد الوهّاب بن عبد الرزّاق بن عمر بن مسلم، أبو محمد القرشيّ مولاهم الدمشقيّ؛ حدّث عن هشام بن عمّار وطبقتِه، وروَى عنه أبو الحسين الرازيّ وغيرُه.

وفيها توفّي محمد بن يوسف بن إسماعيل، أبو عمر[1] القاضي الأزديّ مولى جرير بن حازم؛ ولي قضاءَ مدينة المنصور، وكان عالماً عاقلاً ديِّناً متفنناً.

وفيها توفّي أبو عمرو[2] الدمشقيّ أحد مشايخ الصوفيّة. صحِبَ ابن الجَلّى وأصحابَ ذي النون، وكان من عظماء مشايخ الفقه، وله مقالات وأحوال.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفِّي أبو الحسن أحمد بن القاسم الفرائضيّ، والمقتدر بالله جعفر بن المعتضد، قتل في شوّال عن ثمان وثلاثين سنة، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن يوسف الفَرَبْرِيّ، وأبو عمر محمد بن يوسف القاضي، وأبو عليّ بن خَيْرَان الشافعيّ الحسين بن صالح.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

---

(١) كذا في المراجع السابقة وابن الأثير. وفي الأصل: «أبو عمرو» بالواو.

(٢) في شذرات الذهب: «أبو عمر».

ذكر ولاية محمد بن طغج الأولى على مصر[١]

هو محمد بن طُغْـج بن جُفّ بن يَلْتِكِين[٢] بن فُورَان بن فُورى، الأميرُ أبو بكر الفَرْغَانِيّ التركيّ. مولدُه في يوم الاثنين منتصف شهر رجب سنة ثمانٍ وستين ومائتين ببغداد بشارع باب الكوفة. ولي إمْرَةَ مصر بعد موت تَكين؛ ولّاه أمير المؤمنين القاهر بالله على الصلاة بعد أن آضطربت أحوال الديار المصريّة؛ وخرج آبن تكين منها في سادس عشر [شهر] ربيـع الأول سنةَ إحدى وعشرين وثلاثمائة؛ فأرسل محمد بن طُغْـج هذا كتابَه بولايته على مصر في سابـع شهر رمضان من سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة المذكورة. ولم يدخل مصر في هذه الولاية، وما دخلها أميراً عليها إلا في ولايته الثانية من قِبَل الخليفة الراضِي بالله.

وقال آبن خلّكان بعـدما سمّاه وأباه إلى أن قال: «الفرغانيّ الأصل، صاحبُ سرير الذهب[٣]، المنعوت بالإخشيذ[٤] صاحب مصر والشام والحجاز. أصلُه من أولاد ملوك فَرْغَانَة؛ وكان المعتصم بالله بن هارون الرشيد قد جلبوا إليه من فرغانة جماعةً كثيرة، فوصفوا له جُفّ وغيرَه بالشجاعة والتقدّم في الحروب، فوجّه إليهم

(١) ولاة مصر للكندي: ٢٩٩، وخطط المقريزي: ١/٣٢٨، وحسن المحاضرة: ٢/١٤، ومعجم زامباور: ٤٢، والمغرب في حلى المغرب (قسم مصر): ١/١٤٨.

(٢) كذا في ابن خلكان مضبوطاً بالعبارة. وفي المغرب لابن سعيد: «بن بلتكين بن فورى بن خاقان».

(٣) سرير الذهب: إقليم من أقاليم بحر الخزر. انظر المسعودي في مروج الذهب: ٢/٤١، ومعجم البلدان: ٣/٢١٨.

(٤) كذا ضبطه المؤلف بالعبارة فيما سيأتي، وكذلك ضبطه ابن خلكان. وهو في معظم المراجع التاريخية بالدال المهملة.

المعتصم من أحضرهم؛ فلما وصلوا إليه بالغ في إكرامهم وأقطعهم قطائع بسُرّ مَنْ رأى، وقطائعُ جُفّ إلى الآن معروفة هناك؛ فلم[1] يزل جُفّ بها إلى أن مات ليلة قُتِل المتوكّل». إنتهى كلام آبن خلكان. قلت: ودُعِي له على منابر مصر وهو مقيم بدِمَشق نحواً من ثلاثين يوماً ـ وقال صاحب البغية: اثنين وثلاثين يوماً ـ إلى أن قدِم رسول الأمير أحمد بن كَيْغَلَغ بولايته على مصر ثاني مرّة من قِبَل الخليفة القاهر بالله في تاسع شوّال من السنة. وأما الأيّام التي قبل ولاية محمد بن طُغْج على مصر فكان يحكم[2] فيها ابن تكين باستخلاف والده تكين له، ويشاركه في ذلك أيضاً الماذَرَائيّ صاحب خراج مصر المقدّم ذكره.

ووقع في هذه الأيام بمصر أمور ووقائع، وكان الزمان مضطرباً لقتل الخليفة المقتدِر بالله جعفر وآشتغالِ الناس بحرب القرمطيّ. وكان في تلك الأيّام كلّ من غَلب على أمر صار له.

وفي ولاية محمد بن طُغْج هذا على مصر ثانياً ـ على ما سيأتي ذكرُه إن شاء الله تعالى ـ لُقّب بالإخشِيذ[3]. والإخشيذ بلسان الفَرْغانة: ملك الملوك. وطُغْج: عبد الرحمن. والإخشيذ: لقب ملوك فرغانة، كما أن أَصْبَهْبُذ[4]: لقب ملوك طَبَرِسْتان، وصُول: لقب ملوك جُرْجَان، وخاقان[5]: لقب ملوك الترك، والأَفْشِين: لقب ملوك أَشْرُوسَنَة، وسامان: لقب ملوك سَمَرْقَنْد، وقيصر: لقب ملوك الروم،

---

(١) عبارة ابن خلكان: «ولم يزل مقيماً بها، وجاءته الأولاد. وتوفي جفّ ببغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل».

(٢) في الأصل: «فكان يتكلم فيها...».

(٣) دخل هذا اللقب في الإسلام لما لقب به محمد بن طغج على يد الراضي بالله. انظر الألقاب الإسلامية: ١٣٦، وضوء الصبح للقلقشندي: ص ٣٣٩.

(٤) في الألقاب الإسلامية: «الإسبهبذ» وورد أيضاً «الأصبهبد» بالدال المهملة عن تاريخ مكة للأزرقي. وهو لقب فارسي بمعنى: قائد.

(٥) خاقان: تعريب لقب «فاغان» التركي. وأصل اللقب «قان قان» أي «قان القان» أو «قان القانات» (الألقاب الإسلامية).

وكسرى: لقب ملوك العجم، والنجاشي والحَطيّ[١]: لقب ملوك الحبشة، وفرعون قديماً: [لقب] ملوك مصر، وحديثاً السلطان.

ولما مات جدّه جُفّ في سنة سبع وأربعين ومائتين آتصل آبنه طُغْج أبو محمد هذا بالأمير أحمد بن طولون صاحب مصر، وكان من أكابر قوّاده؛ ودام على ذلك حتى قُتِل خُمارويه بن أحمد بن طُولون؛ فسار طُغْج إلى الخليفة المكتفِي بالله عليّ؛ فأكرم الخليفة مورِدَه. ثم بدا من طُغْج المذكور تكبُّر على الوزير[٢]، فحُبِس[٣] هو وابنه محمد إلى أن مات طُغْج المذكور في الحبس. وبعد مدّة أخرج محمد هذا من الحبس؛ وجرت له أمور يطول شرحها، إلى أن قدِم مصر في دولة تكين، ووُلِّيَ الأحواف بأعمال مصر وأقام على ذلك مدّة إلى أن وُقِّع بينه وبين تكين، وخرج من مصر مختَفِياً إلى الشام؛ ثم وُلِّي إمْرة الشام، ثم أُضيف إليه إمْرة مصر فلم يدخلها، على ما تقدّم ذكره، وعزل بالأمير أحمد بن كَيْغَلَغ. وتأتي بقيّة ترجمته في ولايته الثانية على مصر إن شاء الله تعالى.

* * *

السنة التي حكم فيها عدّة أمراء على مصر

(حكم في أوّلها تَكين إلى أن مات في شهر ربيع الأوّل، ثم آبنه من غير ولاية الخليفة بل باستخلاف أبيه، ثم الأمير محمد بن طُغْج من أواخر شعبان إلى أواخر شهر رمضان، وكانت ولايته آثنين وثلاثين يوماً ولم يدخلها، ثم الأمير أحمد بن كَيْغَلَغ من آخر [شهر] رمضان؛ ولم يصل رسوله إلا لسبع خلون من شوّال).

وهي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة:

---

(١) في صبح الأعشى للقلقشندي: ٥/٤٨٥ أن هذا اللقب استحدث في عصر المماليك.

(٢) الوزير المذكور هو العباس بن الحسن: وزّر للمكتفي ثم للمقتدر. قال ابن سعيد في المغرب: «فلما حصل طغج ببغداد، والوزير يومئذ العباس بن الحسن، كان يريد الوزير من طغج إذا لقيه في موكبه أن يترجّل له فلم يفعل، فعمل في تأليب المكتفي على طغج وأخافه منه بسبب آل طولون وحذره، وطغج ثابت على الترفع عن النزول للعباس والترجل له، فحبسه وحبس معه ابنيه الإخشيد وعبيد الله».

(٣) في الأصل: «فجلس هو...».

فيها شغَب الجند على الخليفة القاهر بالله وهجموا [على] الدار، فنزل في طيّار إلى دار مؤنس الخادم فشكا إليه، فصبّرهم مؤنس عشرة أيام. وكان الوزير آبن مُقْلَة منحرفاً عن محمد بن ياقوت، فنقَلَ إلى مؤنس أن ابن ياقوت يُدبّر عليهم؛ فاتّفق مؤنس وآبن مقلة ويلبق وآبنُه على الإيقاع بابن ياقوت، فعلم فاستتر. ثم جاء عليّ بن يلبق إلى دار الخلافة فوكل بها أحمد بن زيرك[١] وأمرَه بالتضييق على القاهر. وطالب[٢] آبنُ يلبق [القاهر] بما كان عنده من أثاث أمّ المقتدِر.

وفيها آستوحش المُظَفَّر مؤنس وآبنُ مقلة ويلبق من الخليفة القاهر.

وفيها أشيع ببغداد أن يلبق والحسنَ بن هارون كاتِبَه عزما على سبّ معاوية بن أبي سفيان على المنابر، فاضطربت الناس؛ وقَبض يلبق على جماعة من الحنابلة[٣] ونفاهم إلى البصرة.

وفيها تأكّدت الوحشة بين الخليفة القاهر وبين وزيره ابن مُقْلة ويلبقَ، وقبض على يلبقَ وعلى أحمد بن زيرك وعلى يُمْن المؤنسيّ صاحب شُرْطة بغداد وحُبِسوا، وصار الحبس كلّه في دار الخلافة. ثم طلب الخليفة مؤنساً فحضر إليه، فقبَض عليه أيضاً. وآختفَى الوزير ابنُ مُقْلة؛ فآستوزر القاهرُ عِوَضه أبا جعفرٍ [محمد][٤] بنَ القاسم بن عُبيْد الله، وأُحْرقت دار آبن مُقْلة كما أُحرقت قبل هذه المرّة. ثم ظفِر القاهر بعليّ بن يلبق بعد جمعة فحبسه بعد الضرب؛ ثم ذبحَ القاهر يلبقَ وآبنه عليّاً ومؤنساً وخُرج برؤوسهم إلى الناس وطِيف بها.

ووقع في هذه السنة أمور. وأطلق القاهر أرزاق الجند فسكنوا، وآستقامت له

---

(١) في الأصل هنا وفيما يأتي: «زريك». وما أثبتناه عن ابن الأثير.

(٢) في الأصل: «وطلب ابن يلبق بما... إلخ» والتصويب والتكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي.

(٣) في ابن الأثير: «وأراد علي بن يلبق أن يقبض على البربهاري رئيس الحنابلة [وهو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري، الفقيه شيخ الحنابلة بالعراق، المتوفى سنة ٣٢٩هـ] وكان يثير الفتن هو وأصحابه، فعلم بذلك فهرب؛ فأخذ ابن يلبق جماعة من أعيان أصحابه وحبسوا، وجعلوا في زورق وأحدروا إلى عمان» وفي البداية والنهاية أنه نفاهم إلى البصرة، كما ذكر المؤلف هنا.

(٤) زيادة عن ابن الأثير والفخري وعقد الجمان وتاريخ الإسلام.

الأمور وعظُم في القلوب، وزيد في ألقابه: «المنتقم من أعداء دين الله»، ونُقِش ذلك على السِّكّة.

وفيها أمر القاهر بتحريم القِيان والخمر، وقبَض على المغنّين، ونفى المخنّثين، وكسرَ آلات اللهو، وأمر بتتبّع المغنّيات من الجواري[1]، وكان هو مع ذلك يشرَب المطبوخ ولا يكاد يصحُو من السكر.

وفيها عزل القاهر الوزير محمداً، واستوزر أبا العباس بن الخَصِيب.

وفيها حجّ بالناس مؤنس الوَرقانِيّ[2].

وفيها توفّيت السيدة شَغَبُ أم الخليفة المقتدِر بالله جعفر؛ كان متحَصّلها في السنة ألفَ ألفِ دينار، فتتصدق بها وتُخرِج من عندها مثلَها؛ وكانت صالحة. ولما قُتِل آبنها كانت مريضة، فقوِي مرضها وآمتنعت من الأكل حتى كادت تهلِك؛ ثم عذّبها القاهر حتى ماتت. ولم يظهر لها إلا ما قيمتُه مائة وثلاثون ألفَ دينار؛ وكان لها الأمر والنهي في دولة آبنها.

وفيها قُتِل مؤنس الخادم؛ وكان لُقّب بالمُظَفَّر لمّا عظُم أمرُه؛ وكان شجاعاً مِقداماً فاتكاً مَهِيباً؛ عاش تسعين سنة، منها ستون سنةً أميراً، وكان كل ما له في علوّ ورفعة، وكان قد أبعده المعتضِد إلى مكة. ولما بويع المقتدِر بالخلافة أحضره وقرّبه وفوّض إليه الأمور، فنال من السعادة والوجاهة ما لم يَنَله خادم قبلَه.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن سلامة بن سَلَمة بن عبد الملك، أبو جعفر الأَزْدِيّ الحَجْرِيّ[3] المصريّ الطَّحَاوِيّ الفقيه الحنفي المحدّث الحافظ، أحد

---

(١) قال ابن الأثير: «وأما الجواري المغنيات فأمر ببيعهن على أنهن سواذج لا يعرفن الغناء. ثم وضع من يشتري له كل حاذقة في صنعة الغناء، فاشترى منها ما أراد بأرخص الأثمان. وكان القاهر مشتهراً بالغناء والسماع، فجعل ذلك طريقاً إلى تحصيل غرضه رخيصاً، نعوذ بالله من هذه الأخلاق التي لا يرضاها عامة الناس».

(٢) ذكر المسعودي أن الذي حج بالناس هذه السنة هو عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة لأبيه. قال: وقد حج بالناس من سنة ٣٢٠هـ إلى سنة ٣٣٥هـ.

(٣) الحجري: نسبة إلى حجر، بطن من الأزد، من قبائل اليمن.

الأعلام وشيخ الإسلام ــ وطَحَا[١]: قرية من قُرَى مصر من ضواحي القاهرة بالوجه البحريّ ــ قال آبن يونس: وُلِد سنة تسع وثلاثين[٢] ومائتين. وسمِع هارون بن سعيد الأَيْلِيّ وعبدَ الغنيّ بن رفاعة ويونسَ بنَ عبد الأعلى ومحمدَ بن عبد الله بن عبد الحَكَم وطائفةً غيرَهم؛ وروَى عنه أبو الحسن[٣] الإخْمِيمِيّ وأحمدُ بن القاسم الخشّاب وأبو بكر[٤] بنُ المقرىء وأحمدُ بن عبد الوارث الزجّاج والطبرانيّ وخلقٌ سواهم؛ ورحَل إلى البلاد. قال أبو إسحاق الشيرازيّ: انتهت إلى أبي جعفر رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. أخذ العلم عن أبي جعفر أحمد بن أبي عِمران وأبي حازم وغيرِهم؛ وكان إمام عصره بلا مدافعة في الفقه والحديث وآختلاف العلماء والأحكام واللغة والنحو، وصنّف المصنّفات الحِسان؛ وصنّف «اختلاف العلماء» و«أحكام القرآن» و«معاني الآثار» و«الشروط»، وكان من كِبار فقهاء الحنفيّة. والمُزَنِيّ الشافعيّ هو خالُ الطحاويّ، وقصّته[٥] معه مشهورة في آبتداء أمره. وكانت وفاة الطحاويّ في مُسْتهلّ ذي القعدة.

---

(١) الذي في معجم البلدان: ٢٢/٤، والانتصار: ١٥/٥، ٢٠، وصبح الأعشى: ٤٣٢/٣، وأنساب السمعاني: ٥٢/٤ أن «طحا» من صعيد مصر؛ وكانت في القديم مدينة ذات عمل، ولذلك تعرف بـ «طحا المدينة»، ثم أصبحت من عمل الأشمونين. وقال ياقوت: إنه ليس من نفس طحا، وإنما هو من قرية صغيرة قريبة منها يقال لها «طحطوط» فكره أن يقال له: طحطوطي، فيظن أنه منسوب إلى الضراط.

(٢) وذكر السمعاني أنه ولد سنة ٢٢٩هـ. قال ابن خلكان: وهو الصحيح.

(٣) هو محمد بن أحمد، أبو الحسن الإخميمي، كما في تذكرة الحفاظ.

(٤) هو أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرىء، كما في تذكرة الحفاظ.

(٥) مفاد هذه القصة أن أبا جعفر الطحاوي كان شافعي المذهب يقرأ على خاله المزني، فقال له يوماً: والله لا جاء منك شيء؛ فغضب أبو جعفر من ذلك، وانتقل إلى أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي، واشتغل عليه، فلما صنّف مختصره قال: رحم الله أبا إبراهيم ــ يعني المزني ــ لو كان حياً لكفّر عن يمينه. وذكر أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد في ترجمة المزني أن محمد بن أحمد الشروطي قال: قلت للطحاوي: لم خالفت خالك واخترت مذهب أبي حنيفة؟ فقال: لأني كنت أرى خالي يديم النظر في كتب أبي حنيفة، فلذلك انتقلت إليه. (انظر وفيات الأعيان: ٧١/١).

وفيها توفي محمد بن الحسن بن دُرَيد بن عَتَاهِيَةَ، العلّامة أبو بكر الأَزْدِيّ البصريّ نزيل بغداد؛ تنقّل في جزائر البحر وفارسَ، وطلب الأدبَ واللغةَ حتى صار رأساً فيهما وفي أشعار العرب، وله شعر كثير وتصانيفُ؛ وكان أبوه من رؤساء زمانه. وحدّث ابن دُرَيْد عن أبي حاتم السِّجِسْتانيّ وأبي الفضل العبّاس الرِّياشيّ وآبنِ[1] أخي الأصمعي؛ وروَى عنه أبو سعيد السِّيَرافِيّ[2] وأبو بكر بن شاذان[3] وأبو الفرج[4] صاحب الأغاني وأبو عبيد الله[5] المَرْزُبَانِيّ.

وعاش آبن دُرَيد بِضْعاً وتسعين سنة؛ فإنّ مولده في سنة ثلاث وعشرين ومائتين. وقال أبو حفص[6] بن شاهين: كنّا ندخل على ابن دريد، فنستحي مما نَرَى من العيدان المعلّقة والشرابِ [المصفّى][7] وقد جاوز التسعين. ولابن دريد من المصنّفات: كتاب «الجَمْهَرة» وكتاب «الأمالي» وكتاب «اشتقاق أسماء القبائل» وكتاب «المُجْتَبَى»[8] وهو صغير وكتاب «الخيل»[9] وكتاب «السلاح» وكتاب «غريب القرآن» ولم يتمّ، وكتاب «أدب الكاتب» وأشياء غير ذلك. وكان يقال: آبن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء. ولما مات دُفِن هو وأبو هاشم الجُبّائِيّ في يوم واحد

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب.

(٢) هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨هـ.

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان، أبو بكر البزاز، محدّث بغداد في عصره. توفي سنة ٣٨٣هـ.

(٤) هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني، المتوفى سنة ٣٥٦هـ.

(٥) هو محمد بن عمران بن موسى المتوفى سنة ٣٨٤هـ. وفي الأصل: «أبو عبيدة». وما أثبتناه من الأعلام: ٣١٩/٦ (انظر مراجعه).

(٦) في الأصل: «أبو جعفر بن شاهين» وهو خطأ. وما أثبتناه من المنتظم وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ ودائرة معارف البستاني وكشف الظنون. وهو عمر بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٣٨٥هـ.

(٧) زيادة عن ابن خلكان، بروايته عن ابن شاهين.

(٨) كذا أيضاً في فهرست ابن النديم. وطبع أيضاً بهذا الاسم في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٢هـ. وفي وفيات الأعيان وعقد الجمان: «المجتبى».

(٩) في الأصل: «الحيل» بالحاء المهملة. والتصحيح عن وفيات الأعيان، وفيه أنهما كتابان: كتاب الخَيْل الكبير، وكتاب الخيل الصغير. ومثله في إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي.

في مقبرة الخَيْزُرَان[١] لاثنتي عشرةَ ليلة بقيت من شعبان. ومن شعره قوله[٢]: [الطويل]

وحمراء قبل المَزْج صفراء بعده أتت بين ثَوْبَيْ نَرْجِسٍ وشقائق
حكَتْ وجنةَ المعشوقِ صِرفاً فسلّطوا عليها مِزاجاً فاكتستْ لونَ عاشق

وله: [البسيط]

ثوبُ الشبابِ عليَّ اليومَ بهجتُهُ فسوف يَنْزِعُه عنّي يدا الكِبَرِ
أنا ابن عشرين لا زادتْ ولا نقَصتْ إنّ ابنَ عشرين مِن شيب على خَطَر

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو حامد أحمد بن حَمْدون النَّيسابوريّ الأعمشيّ[٣]، وأحمد بن عبد الوارث العسّال، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاويّ في ذي القَعْدة عن اثنتين وثمانين سنة، وأبو هاشم عبد السلام بن أبي عليّ الجُبّائي، وأبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد الأزديّ ببغداد، ومكحول البيروتيّ محمد [بن عبد الله][٤] بن عبد السلام، ومحمد بن نوح الجُنْدَيْسابوريّ، ومؤنس الخادم الملقّب بالمظفّر، وأبو حامد محمد بن هارون الحضرميّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وستّ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعاً ونصف إصبع.

---

(١) من مقابر بغداد. وهي مجاورة لتربة الإمام أبي حنيفة. (في التراث العربي لمصطفى جواد: ١/٥٨). وفي ابن خلكان: «ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم».

(٢) ذكر ابن خلكان روايتين في نسبة هذا الشعر. الأولى عن المرزباني عن ابن دريد أن هذا الشعر لرجل دخل على ابن دريد يسمى أبا ناجية من أهل الشام؛ والثانية عن أبي علي الفارسي أن هذا الشعر لابن دريد نفسه.

(٣) في الأصل: «الأعشى» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ، وفيها أنه: أحمد بن حمدون بن أحمد بن عمارة بن رستم ــ وأنساب السمعاني، وفيه: أحمد بن حمدون بن أحمد بن رستم ــ وهو في طبقات الحفاظ: أحمد بن حماد بن حمدون. والأعمشي نسبة إلى الأعمش (أبي محمد سليمان بن مهران الكاهلي إمام أهل الكوفة). وإنما قيل له الأعمشي لأنه كان يحفظ حديث الأعمش.

(٤) زيادة عن تذكرة الحفاظ وأنساب السمعاني ومعجم البلدان وشذرات الذهب وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى.

ذكر ولاية أحمد بن كَيْغَلَـغ الثانية على مصر[١]

ولِي أحمدُ بن كَيْغَلَـغ المذكور مصرَ ثانياً من قِبَل القاهر محمد لمّا آضطربتْ أحوال الديار المصريّة بعد عزل الأمير محمد بن طُغْج بن جُفّ في آخر شهر رمضان؛ وقدِم رسولُه إلى الديار المصريّة بولايته لتسـع خلَون من شوّال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. وآستخلف ابنُ كيغلـغ المذكور أبا الفتـح [محمد][٢] بن عيسى النُّوشَرِيّ على مصر؛ فتشغّب عليه الجندُ في طلب أرزاقهم؛ وطلبوا ذلك من الماذَرَائيّ [٣] صاحب خراج مصر، فآستتر الماذرائيّ منهم، فأحرقوا دارَه ودُورَ أهله. ووقعت فتنة[٤] عظيمة وحروبٌ قُتِل فيها جماعة كثيرة من المصريّين. ودامت الفتنة إلى أن قدِم محمد بن تَكِين إلى مصر من فِلَسْطِينَ لثلاثَ عشرةَ خلت من شهر جُمادَى[٥] الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة؛ فظهر الماذرائيّ صاحب الخراج وأنكر ولاية آبن تكين على مصر؛ فتعصّب لمحمد المذكور جماعة من المصريّين ودُعي له بالإمارة على المنابر؛ ووقـع بين الناس بسبب ذلك، وصاروا فرقتين: فرقة تُنْكِر ولاية محمد بن تكين وتُثْبِت ولاية أحمد بن كيغلـغ، وفرقة تتعصّب لمحمد بن

(١) ولاة مصر: ٣٠٠، وخطط المقريزي: ٣٢٨/١، وحسن المحاضرة: ١٤/٢، والمغرب: ١٥٧/١، ومعجم زامباور: ٤٢.

(٢) زيادة عن الكندي والمغرب.

(٣) هو محمد بن علي الماذرائي.

(٤) وقعت تلك الفتنة بين الجند، وكان أن انقسموا فرقتين: أهل الشرق، وكان على رأسهم حبكويه، والمغاربة وكان على رأسهم حبشي بن أحمد. واجتمعت كل فرقة على قتال الأخرى، والتقوا يوم الثلاثاء الخامس من ذي الحجة سنة ٣٢١هـ واقتتلوا، فقتل من المغاربة نحو من أربعين. (انظر الكندي: ٣٠٠).

(٥) في الكندي والمقريزي: «من ربيـع الأول».

تكين وتنكر ولاية ابن كيغلـغ. ووقـع بسبب ذلك فتن، وخرج منهم قـوم إلى الصعيد، فيهم ابن النُوشَريّ خليفةُ ابن كيغلـغ وغيرُه، وأُمّر ابنُ النُوشَرِيّ عليهم، وهم مستمرّون [في] الدعاء لابن كيغلـغ. فكانت حروب كثيرة بديار مصر بسبب هذا الاختلاف إلى أن أقبل الأمير أحمد بن كيغلـغ ونزل بمُنْية الأَصْبَـغ في يوم ثالث شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. فلما وصل آبن كيغلـغ لحِق به كثير من أصحاب محمد بن تكين، فقوِي أمرُه بهم. فلما رأى محمدُ بن تَكين أمره في إدبار فرّ ليلاً من مصر، ودخلها من الغد الأميرُ أحمد بن كيغلـغ، وذلك لستٍّ خلَوْن من شهر رجب. فكان مُقام ابن تكين على مصر في هذه الأيام مائةَ يوم وآثنيْ عشر يوماً وهو غير والٍ[1] بل متغلِّبٌ عليها؛ وكان المتولّي من الخليفة في هذه المرّة آبن كَيْغَلـغ المذكورَ؛ غير أنه كان قد تأخّر عن الحضور إلى الديار المصريّة لأمر مّا. ولما دخل ابن كيغلـغ إلى مصر وأقام بها أقرّ بَجْكَم الأعور على شُرْطة مصر، ثم عزله بعد أيام بالحسين بن عليّ بن مَعْقِل مدّة ثم أعيد بجكم. وأخذ ابن كيغلـغ في إصلاح أمر مصر والنظر في أحوالها وفي أرزاق الجند.

ومـع هذه الفتن التي مرّت كان بمصر في هذه السنة والماضية زلازل عظيمة خربت فيها عدّة بلاد ودور كثيرة وتساقطت عدّة كواكب.

وبينما أحمد بن كيغلـغ في إصلاح أمر مصر ورد عليه الخبر بخلـع الخليفة القاهر بالله وتوليةِ الراضي بالله محمد بن المقتدر جعفر. فلما بلـغ محمدَ بن تكين توليةُ الراضي بالله عاد إلى مصر بجموعه وأظهر أن الراضي ولّاه[2] مصر؛ فخرج إليه عسكر مصر وأعوانُ أحمد بن كيغلـغ وحاربوه فيما بين بلبيس وفاقوس شرقيّ مصر؛

---

(١) اعتبر الكندي أن ولاية محمد بن تكين هذه شرعية، وأنه لما أتى مصر قادماً من فلسطين أظهر كتاباً بولايته. وكذلك ذكر ابن سعيد في المغرب نقلاً عن ابن زولاق.

(٢) ونقل ابن سعيد في المغرب عن ابن زولاق ما يؤكد ولاية ابن تكين من قبل الراضي، قال: «ولما جلس الراضي، ندب الفضل بن جعفر وزيراً لكشف مصر والشام، فوصل سجلّ عن الراضي أن الأمر إليه في تدبير كل ما يكون بالشامات ومصر. فحدثني ابنه جعفر بن الفضل قال: كان الوزير ببغداد محمد بن علي بن مقلة، فشرط أبـي عليه وعلى الراضي أن الأمر إليه، لأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأجيب إلى ذلك، وسار، وآل الأمر إلى أن قلد الراضي مصر محمد بن تكين».

فكانت بينهم مَقْتلة آنكسر فيها محمد بن تكين وأُسِر وجيء به إلى الأمير أحمد بن كيغلغ المذكور؛ فحمله ابن كيغلغ إلى الصعيد[١]؛ وآستقامت الأمور بمصر لأحمد بن كيغلغ. وبعد ذلك بمدّة يسيرة ورد كتاب الخليفة بخبر ولاية الأمير محمد بن طُغْج على مصر وعزلِ أحمد بن كيغلغ هذا عنها، وأن محمد بن طُغْج واصلٌ إليها عن قريب. فأنكر ابن كيغلغ ذلك وتهيّأ لحربه وجهّز إليه عساكر مصر ليمنعوه من الدخول إلى الفَرَمَا. فأقبلت مراكب محمد بن طُغْج من البحر إلى تنّيس، وسارت مقدّمته في البر، والتقَوْا مع عساكر أحمد بن كيغلغ؛ فكانت بينهم وقعة هائلة وقتال شديد في سابع عشرَ شعبان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة؛ فآنكسر أصحاب آبن كيغلغ؛ وأقبلت مراكب محمد بن طُغْج إلى ديار مصر في سَلْخ شعبان؛ فسلَّم أحمدُ بن كيغلغ الأمرَ إلى محمد بن طغج من غير قتال وآعتذر أنه ما قاتله إلا جندُ مصر بغير إرادته. وملك محمد بن طُغْج ديارَ مصر وهي ولايته الثانية عليها. وكانت ولاية آبن كَيْغَلَغ على مصر في هذه المرّة الثانية سنةً واحدة وأحدَ عشرَ شهراً تنقُص أيّاماً قليلة. وأحمدُ بن كيغلغ هذا غيرُ منصور بن كيغلغ الشاعر الذي من جملة شعره هذه الأبيات الخمريّة[٢]: [مخلّع البسيط]

يُدِير[٣] من كفّه مُداماً ألذَّ مِن غفلة الرقيبِ
كأنّها إذ صفَتْ ورَقَّتْ شكوى مُحِبٍّ إلى حبيب

* * *

السنة الثانية من ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية على مصر

(أعني بالثانية أنه حكم في الماضية أشهراً، وقد تقدّم ذكر ذلك فتكون هذه السنة هي الثانية).

وهي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة:

---

(١) في المغرب: «ونفي إلى أخميم».
(٢) في الأصل: «هذه الأبيات من الخمرية».
(٣) في الأصل: «يدور».

فيها ظهرت الدَّيْلم عند دخول أصحاب مرداويج إلى أصبهان، وكان عليّ بن بُوَيْه من جملة أصحاب مرداويج، فاقتطع مالاً جزيلاً وآنفرد عن مرداويج، وآلتقى مع آبن ياقوت فهزمه وآستولى على فارس وأعمالها. قلت: وهذا أوّل ظهور بني بُوَيْه. قيل: إنّ بويه كان فقيراً؛ فرأى في منامه أنه بال فخرَج من ذكره عمود من نار، ثم تشعّب يَمْنة ويَسْرة وأَمَاماً وخَلْفاً حتى ملأ الدنيا؛ فقصّ رؤياه على مُعبِّر؛ فقال له المعبِّر: ما أعبّرها إلا بألف درهم؛ فقال بُوَيْه: والله ما رأيتها قطُّ ولا عُشْرَها، وإنما أنا صيّاد أصطاد السمك؛ ثم آصطاد سمكة فأعطاها للمعبّر؛ فقال له المعبّر: ألك أولاد؟ قال نعم؛ قال: أبشِر، فإنهم يملِكون الأرض ويبلُغ سلطانهم فيها على قَدْر ما آحتوت عليه النار. وكان معه أولاده الثلاثة: عليّ أكبرهم وهو أوّل ما بقَل[١] عِذارُه، وثانيهم الحسن، وثالثهم أحمد. قلت: عليّ هو عِماد الدولة، والحسن هو ركن الدولة، وأحمد هو مُعِزّ الدولة[٢].

وفيها دخل مؤنس الورقانيّ بالحُجّاج سالمين من القرمطيّ إلى بغداد.

وفيها قتَل القاهر بالله الأميرَ أبا السَّرَايا نصرَ بن حَمْدان،[٣] وإسحاق بن إسماعيل بن يحيى، وهو الذي أشار على مؤنس بخلافة القاهر لما قُتِل المقتدِر.

وفيها مات مؤنس الوَرقانيّ الذي حجّ في هذه السنة بالناس.

وفيها آستوحش الناسُ من الخليفة القاهر بالله، ولا زالوا به حتّى خلعوه[٤] في

---

(١) أي أول ما ظهر جانب لحيته.

(٢) انظر في ابتداء دولة بني بويه: ابن الأثير وعقد الجمان (حوادث سنة ٣٢١هـ)، والفخري: ص ٢٧٧. ودائرة المعارف الإسلامية: ٨/٤٥٩ ــ ٤٧٩ ففيها زيادات واختلافات عما هنا.

(٣) وكان سبب قتلهما، على ما ذكره ابن الأثير، أن القاهر أراد أن يشتري مغنيتين قبل أن يلي الخلافة فزادا عليه في ثمنهما فحقد ذلك عليهما؛ فلما أراد قتلهما استدعاهما للمنادمة فحضرا عنده فأمر بإلقائهما إلى بئر في الدار وطمّها عليهما.

(٤) وكان سبب خلعه أن وزيره السابق ابن مقلة أخذ يراسل قواد الجنود الساجية والحجرية ويخوّفهم من شرّه ويذكر لهم غدره ونكثه مرّة بعد مرّة، كقتل مؤنس ويلبق وابنه علي، وقبضه على طريف السبكري بعد اليمين له إلى غير ذلك. وكان القاهر لما تمكن من الخلافة قد أقبل ينقص الساجية والحجرية على ممر الأيام ولا يقضي لأكابرهم حاجة ويلزمهم النوبة في داره، ويؤخر أعطياتهم ويغلظ لمن يخاطبه منهم في أمر، =

يوم السبت ثالث جُمَادى الأولى وسَمَلوا عينيه حتى سالتا على خدّيه فعمِي؛ وهو أوّل خليفة سُمِلت عيناه؛ وسَمَلوه خوفاً من شرّه. فكانت خلافته إلى حين سُمِل سنةً وستةَ أشهر وسبعةَ أيّام أو ثمانيةَ أيّام. وبُويع بالخلافة من بعده ابنُ أخيه الراضي بن المقتدر جعفر. والراضي المذكور اسمه محمد.

قال الصُّوليّ: كان القاهر هِرْجاً[١] سافكاً للدماء محبًّا للمال قبيحَ السيرة كثير التلوّن والاستحالة مُدمِناً على شرب الخمر، فإذا شرِبها تغيّرت أحواله وذهب عقله[٢]. ويأتي بقيّة ترجمة القاهر بالله في وفاته.

وفيها قُتِل[٣] مرداويج مُقدّم الديلم بأصبهان وكان قد عظُم أمره[٤] وأساء السيرة في أصحابه، فقتله مماليكه الأتراك[٥].

وفيها بَعث عليّ بن بُوَيْه إلى الخليفة الراضي يُقاطعه على البلاد[٦] التي في حكمه في كلّ سنة ثمانية[٧] آلافِ ألف درهم؛ فأجابه إلى ذلك وبعث له [لواءو][٨]

= فأخذوا يتشاكون بينهم منه. ثم إن القاهر لما وجد نفسه غارقاً في لهوه وسكره، وسط تألب الجند وقادتهم عليه، أراد أن يستعين ببعض القرامطة المحبوسين في داره، فأطلقهم وأحسن إليهم، فكان أن زحف الساجيّة والحجرية إلى دار الخلافة فاعتقلوا القاهر وحبسوه وسملوه. وقد أقام في حبس الراضي إلى سنة ٣٣٣هـ، فأطلق وأهمل. ثم منعه المستكفي من الخروج إلى أن مات سنة ٣٣٩هـ.

(١) الهرج: الأحمق والضعيف. وفي تاريخ الخلفاء عن الصولي: «كان أهوج».

(٢) وأضاف السيوطي عن الصولي: «لولا جودة حاجبه «سلامة» لأهلك الحرث والنسل».

(٣) ذكر ابن الأثير مقتله في سنة ٣٢٣هـ.

(٤) في الأصل: «وكان عظم عمره» وهو تحريف. وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي.

(٥) ذكر ابن الأثير أن مرداويج كان كثير الإساءة للأتراك وكان يقول إن روح سليمان بن داود حلّت فيه وأن الأتراك هم الشياطين والمردة، فإن قهرهم وإلا أفسدوا، فثقلت وطأته عليهم وتمنوا هلاكه. وذكر الصولي في «الأوراق» أن مرداويج جعل عسكره صنفين: صنف من الجيل والديلم، وهم خواصه وأهل بلده والذين فتح بهم الريّ ونواحيها، وصنف الأتراك وأهل خراسان. (انظر ابن الأثير: ١٠٨/٧ وحاشية نفس الصفحة عن الصولي).

(٦) وهي شيراز وفارس، كما في ابن الأثير.

(٧) في ابن الأثير: «وبذل ألف ألف درهم»، وفي الفخري: «في كل سنة ثمانمائة ألف ألف درهم».

(٨) زيادة عن تاريخ الإسلام. وفي الفخري: «وبعث إليه بخلعة السلطنة والمنشور».

خِلَعاً مع حَرْب[١] بن إبراهيم المالكيّ.

وفيها تحكّم محمد بن ياقوت في الأمور وآستقل بها، وبقي الوزير آبن مُقْلة معه كالعارية[٢].

وفيها توفّي أحمد بن سليمان بن داود أبو عبد الله الطُّوسِيّ؛ مات وله ثلاث وثمانون سنة، روَى عنه آبن شَاذَان وغيرُه.

وفيها توفّي أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة أبو جعفر الكاتب الدِّينَوَرِيّ آبن صاحب «المعارف» و«أدبِ الكاتب» وغيرهما؛ ولد ببغداد ثم قدِم مصرَ وولي القضاءَ[٣] بها حتى مات في شهر ربيع الأوّل.

وفيها توفّي عبيد الله بن محمد[٤] بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وكنيته أبو محمد ويلقّب بالمهديّ، جدّ الخلفاء الفاطميّين المصريّين الآتي ذكرُهم باستيعاب. وأمّ عبيد الله هذا أمّ ولد. وُولد هو بسَلَمْيَةَ، وقيل ببغداد، سنة

---

(١) في تجارب الأمم لمسكويه: «مع أبي عيسى يحيى بن إبراهيم المالكي».
وذكر أكثر المؤرخين أن الراضي أوصى الرسول ألا يسلم الخلعة والمنشور لابن بويه حتى يقبض منه المال. فلما وصل الرسول إليه أخذ منه اللواء والخلع والمنشور قهراً، وقرأ المنشور على رؤوس الأشهاد، ووعد الرسول بالمال، ودافعه مدة، ثم مات الرسول عنده.

(٢) العارية والعارة: ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك. يقال: كل عارة مستردّة. والمراد أن محمد بن ياقوت استقلّ بالأمور وكأنه يريد أن يسترد الوزارة من ابن مقلة. وابن ياقوت هذا كان على حجابة الراضي.

(٣) ولي القضاء بمصر سنة ٣٢١هـ. ويرجح الكندي أنه عزل بعد ثلاثة أشهر من ولايته. ويقول أكثر مؤرخيه إنه مات وهو على القضاء. (الأعلام: ١/١٥٦).

(٤) في وفيات الأعيان وعقد الجمان نقلاً عن تاريخ صاحب القيروان: «عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر، وقيل غير ذلك». وقد حفلت كتب التاريخ بصور الخلاف في نسب عبيد الله المهدي فلا داعي لإثباتها. وقد أورد البيروني في الآثار الباقية: ص ٣٩: «... فلا يحتاج في تصحيحه ـ أي نسب عبيد الله ـ إلى بذل الأموال والجعل كما بذلها عبيد الله بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح لنقباء العلوية لما كذبوا اعتزاءه إليهم أيام خروجه بالمغرب حتى أرضاهم وأسكتهم». وانظر في اختلاف الروايات في نسبه: البيان المغرب: ١/١٥٨، وابن خلكان: ٣/١١٧، وخطط المقريزي: ١/٣٤٩، وابن خلدون: ٤/٣٤، وشذرات الذهب: ٢/٢٩٤ وغيرها من كتب التاريخ والتراجم.

ستين ومائتين. ودخل مصر في زيّ التجّار، ثم مضى إلى المغرب إلى أن ظهر بسجلمَاسة ببلاد المغرب في يوم الأحد سابع ذي الحِجّة في سنة ستّ وتسعين ومائتين، وسُلّم عليه بأمير المؤمنين في أرض الجَوّانِيّة؛ ثم انتقل إلى رَقّادة من أرض القَيْرَوان، وبنَى المَهْدِيّة وسكَنها. يأتي ذكرُ نسبهم وما قيل فيه من الطعن وغيره عند ذكر جماعة من أولاده ممن ملَك الديارَ المصريّة بأوسعَ من هذا؛ لأنّ شرطنا في هذا الكتاب ألا نُوَسّع إلا في ترجمة من ولِي مصرَ خاصّة، وما عدا ذلك يكون على سبيل الاختصار. وقد ولِي جماعةٌ كبيرةٌ من ذرّيّة المهديّ هذا ديارَ مصر فيُنْظر ذلك في ترجمة أوّل من ولِي منهم، وهو المُعِزّ لدين الله مَعَدّ.

وفيها توفّي الأمير هارون بن غريب ابن[١] خال الخليفة المقتدِر، كان يلِي حُلْوانَ وغيرَها؛ ولمّا زالت دولة ابن عمته[٢] المقتدر عصى على الخلافة حتى حاربه جيش الخليفة الراضي وظفِروا به وقتلوه وبعثوا برأسه إلى بغداد.

وفيها توفّي يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى، الحافظ أبو بكر البَزّار[٣] البَغْداديّ؛ كان زاهداً متعبّداً؛ روى عنه الدارَقُطْنيّ، وغيرُه، وكان ثِقة صدوقاً، مات وهو ساجد.

وفيها توفّي أبو عليّ الرُّوذْبَارِيّ[٤]، واسمه محمد[٥] بن أحمد بن القاسم بن المنصور بن شهريار من أولاد كسرى. أصله من بغداد من أبناء الوزراء، وصحِب الجُنَيدَ ولزِمه وأخذ عنه حتى صار أحدَ أئمّة الزمان؛ وأقام بمصر وصار شيخَ الصوفيّة

(١) في الأصل: «خال المقتدر». وهو خطأ.

(٢) في الأصل: «ابن أخته». وهو خطأ اقتضاه الخطأ السابق.

(٣) في الأصل: «البزاز» بزايين. وما أثبتناه من عقد الجمان والمنتظم.

(٤) نسبة إلى «روذبار» من قرى بغداد (السمعاني).

(٤) قال السمعاني: «هذا اللفظ لمواضع عند الأنهار الكبيرة يقال لها: الروذبار، وهي في بلاد متفرقة منها موضع على باب الطبران بطوس». وذكر أبا علي الروذباري منسوباً إلى هذا الموضع. أما ياقوت فقد نسبه في معجم البلدان والمشترك إلى روذبار بغداد. وكذلك فعل الخطيب البغدادي.

(٥) كذا في المنتظم وابن الأثير وشذرات الذهب والسمعاني وإحدى روايتي عقد الجمان. وفي الأصل وتاريخ الإسلام ورواية عقد الجمان الأخرى: «أحمد بن محمد بن القاسم».

بها إلى أن مات بها، وكان ثِقة صدوقاً، يقول: أستاذي في التصوف الجُنَيد، وفي الحديث إبراهيم الحَرْبيّ، وفي النحو ثَعْلَب، وفي الفقه ابن سُرَيج.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو عمرو[1] أحمد بن خالد بن الجَبّاب القُرْطُبيّ الحافظ، وخير النسّاج[2] أبو الحسن الزاهد، والمهديّ أبو محمد عُبيد الله أوّل خُلفاء الفاطميّة، وكانت دولته بِضْعاً وعشرين سنة، ومحمد بن إبراهيم الدَّيْبُليّ[3]، وأبو محمد بن عَمرو العُقَيْلي، والقاهر بالله محمد بن المعتضد خُلِع وسُمِل في جُمادَى الأولى ثم بَقِي خاملاً سبعَ عشرةَ سنة، وهو الذي سأل يوم الجمعة. ــ قلت: ومعنى قول الذهبيّ «وهو الذي سأل يوم الجمعة» شرح ذلك أن القاهر لما طال خُمُوله في عماه قلّ ما بيده ووقَف في يوم من أيّام جمعة وسأل الناسَ، ليُقيم بتلك الشناعةَ على خليفة الوقت ــ قال الذهبيّ: وأبو بكر محمد بن عليّ الكِنانِيّ الزاهد، وأبو علي الرُّوذْبَارِيّ، يقال: اسمه محمد بن أحمد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسُ أذرع وستُّ أصابع. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وأربعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية أحمد بن كَيْغَلَغ الثانية على مصر

وهي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة:

فيها تمكّن الراضي بالله من الخلافة، وقلّد ابنيه المشرقَ والمغرب وهما أبو جعفر وأبو الفضل، واستكتب لهما أبا الحسين عليَّ بن محمد بن مُقْلة.

---

(١) كذا أيضاً في تذكرة الحفاظ. وفي المشتبه في أسماء الرجال وشذرات الذهب: «أبو عمر».

(٢) هو خير بن عبد الله النسّاج. وفي الاعلام لابن قاضي شهبة انه كان اسمه محمد بن إسماعيل، وكان أسود، وحج فلما أتى الكوفة أخذه رجل وقال: أنت عبدي، واسمك خير، فانقاد معه، فاستعمله سنين في نسج الخز، ثم أطلقه. واحتفظ باسمه الجديد «خير» إلى أن توفي. (الأعلام: ٣٢٦/٢).

(٣) نسبة إلى الديبل، مدينة قريبة من السند.

وفيها بَلـغ الوزيرَ أبا [الحسين] عليّ بن مُقْلة أن آبن شَنَّبُود[١] المقرىء ـ وشنّبود بشين معجمة ونون مشدّدة وباء مضمومة ودال[٢] ـ يغيِّر حروفاً من القرآن ويقرأ بخلاف ما أُنْزل؛ فأحضره وأحضر عمرَ بن أبـي عمر[٣] محمد بن يـوسف القاضي وأبا بكر[٤] بن مجاهد وجماعة من القراء، ونُوظر فأغلظ للوزير في الخطاب وللقاضي ولابن مجاهد ونسَبهم إلى الجهل وأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر؛ فأمر الوزيرُ بضربه؛ فنُصِب بين يديه وضُرِب سبـعَ دِرَر وهو يدعو على الوزير بأن تُقطـع يدُه ويُشتَّت شملُه. ثم وُقف على الحروف التي قيل إنه كان يقرأ بها، من ذلك: «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله»[٥]. «وكان أمامَهم ملك يأخذ كلَّ [صالحة][٦] سفينة غصباً». «وتكون الجبال كالصوف المنقوش». «تبّت يدا أبـي لهب وقد تبّ». «فلما خرّ تيقّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلَمون الغيب ما لبِثوا حولاً في العذاب المُهِين»[٧]. ثم استُتِيب غصباً ونُفِي إلى البصرة[٨]. وكان إماماً في القراءة. وفيها قبض الخليفة الراضي على محمد بن ياقوت وأخيه المظفَّر وأبـي إسحاق[٩] القَرَارِيطيّ، وأخذ خطَّ القراريطيّ بخمسمائة ألف دينار. وعظُم شأن الوزير آبن مُقْلة وآستقلّ بتدبير الدولة.

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرىء البغدادي، كما في ابن خلكان. وفي ابن الأثير هو: «أبو بكر بن مقسم».

(٢) ضبطه ابن خلكان وصاحب شذرات الذهب بالعبارة بالذال المعجمة.

(٣) كذا في الولاة والقضاة للكندي وتاريخ الإسلام. وفي الأصل: «عمر بن أبـي عمرو محمد بن يوسف».

(٤) هو أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد. كبير العلماء بالقراءات في عصره. توفي سنة ٤٢٣هـ.

(٥) في الأصل: «فامضوا إلى ذكر الله في الجمعة» وما أثبتناه عن ابن خلكان.

(٦) زيادة عن ابن خلكان.

(٧) ومن قراءته أيضاً: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» و«فاليوم ننجيك ببدنك» و«والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى» و«فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاماً» و«ولتكن منكم فئة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم أولئك هم المفلحون» و«إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». وكتب عليه الوزير محضراً بما قاله، وأمره أن يكتب خطه في آخره، فكتب ما يدل على توبته. وقد أورد ابن خلكان نسخة المحضر في الوفيات: ٤/٣٠٠.

(٨) في المنتظم: «فحمل إلى المدائن في الليل ليقيم بها أياماً» والعبارة وردت بنفس المعنى في ابن خلكان.

(٩) هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسكافي القراريطي، أبو إسحاق. كان كاتب محمد بن رائق، ثم =

وفيها أخرج المنصورُ إسماعيلُ العُبَيديّ يعقوبَ بن إسحاق في أُسْطول من المَهْديّة عدّته ثلاثون [مَرْكَباً] حربياً إلى ناحية فرنجة، ففتح مدينة جَنَوة، ومرّوا بجزيرة سَرْدَانِية فأوقعوا بأهلها وسَبَوا وأحرقوا عدّة مراكب وقتلوا رجالها، ثم عادوا بالغنائم إلى المَهْديّة.

وفيها في جُمادَى الأولى هبّت ريحٌ عظيمة ببغداد وآسودّت الدنيا وأظلمت من العصر إلى المغرب برعد وبرق.

وفيها في ذي القَعْدة آنقضّت النجوم سائرَ الليل آنقضاضاً عظيماً ما رُئي مثلُه.

وفيها غلا السعر ببغداد حتى بيع كُرُّ القمح بمائة وعشرين ديناراً والشعير بتسعين ديناراً، وأقام الناس أيّاماً لا يجدون القمح فأكلوا خبز الذرة والدُّخْن[1] والعَدَس.

وفيها توفّي إبراهيم بن حَمّاد بن إسحاق، الشيخ أبو إسحاق الأزْديّ المحدّث الصوفيّ؛ سمِع خلقاً كثيراً وكان زاهداً عابداً.

وفيها توفّي أبو عبد الله محمد بن زيد[2] الواسِطيّ المتكلّم.

وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المُغيرة بن حَبيب بن المهلَّب بن أبـي صُفْرة، أبو عبد الله الأزديّ العَتَكِيّ الواسطيّ النحويّ، ويعرف بِنفْطويه؛ ولد بواسط سنة أربعين ومائتين، وقيل: سنة خمسين ومائتين، وكان إمامَ عصره في النحو والأدب وغيرهما. ومن شعره قوله: [الطويل]

= استوزره المتقي العباسي بعد البريدي سنة ٣٢٩هـ، ثم عزل بعد ٣٩ يوماً وغرّم مائتي ألف دينار، ووزر بعد أشهر فاستمر ٤٠ يوماً، وثبت في وزارته الثالثة ثمانية شهور و ١٦ يوماً، وقبض عليه. ثم نزح إلى الشام فكان من كتاب سيف الدولة، وقبض عليه أيضاً سنة ٣٣٥هـ، ثم عاد إلى بغداد في وزارة المهلبـي. وتوفي سنة ٣٥٧هـ. (الأعلام: ٥/٣١٠، وابن الأثير: حوادث سنة ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٥).

(١) الدُّخن: نبات عشبـي حبه صغير أملس كحب السمسم.

(٢) في الأصل: «يزيد». وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان والبداية والنهاية والشذرات وكشف الظنون. وفي كشف الظنون وابن خلكان وشذرات الذهب أنه توفي سنة ٣٠٦ أو سنة ٣٠٧هـ.

أُحِبّ من الإخوان كلَّ مُواتِي وكلَّ غَضِيض الطرفِ عن عَثَراتِي
يُطاوِعني في كلّ أمر أُريدُه ويحفظني حيًّا وبعدَ وفاتي

وهجاه أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطيّ المتكلِّم فقال: [السريع]

مَن سرّه ألاّ يَرى فاسِقاً فليجتهد ألاّ يَرى نِفْطَوَيْه
أحرَقه اللّهُ بنصف آسمه وصيَّر الباقِي صُراخاً عليه

وفيها توفّي أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك، أبو الحسن النديم الشاعر المشهور البرمكيّ، ويعرف بجَحْظَة؛ وُلد في شعبان سنة أربع وعشرين ومائتين؛ كان فاضلاً صاحب فُنون وأخبار ونوادرَ ومُنادمة، وهو من ذرّية البرامكة. وجحظة (بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الظاء[1] المعجمة وبعدها هاء) هو لقب غلَب عليه لقّبه به عبد الله بن المعتزّ؛ وكان كثير الأدب عارفاً بالنحو واللغة، وأما صَنعة الغِناءِ فلم يلحَقه [فيها] أحد في زمانه. ومن شعره: [الوافر]

فقلتُ لها بخلتِ عليَّ يقظَى فجُودِي في المنام لِمُستهامِ
فقالتْ لي: وصِرتَ تنامُ أيضاً وتطمَع أن أزورك في المنام

وكتب إليه الوزير ابن مُقْلة مرة بصِلة، فمطله الجِهْبِذ[2]؛ فكتب إليه جحظة المذكور يقول: [الوافر]

إذا كانتْ صِلاَتكُمُ رِقاعاً تُخطَّطُ بالأنامل[3] والأكُفِّ
ولم تُجْدِ الرقاعُ عليّ نَفْعًا فها خطِّي خذوه بألف ألف

وفيها توفّي محمد بن إبراهيم بن عَبْدويه[4] الشيخ أبو عبد الله الهُذَلِيّ من ولد

(١) في الأصل: «وفتح الطاء المهملة» وهو خطأ.

(٢) الجهبذ: هو أمين الصندوق والصيرفي.

(٣) في الأصل: «في الأكف». وما أثبتناه عن عقد الجمان والمنتظم.

(٤) في الأصل: «عبد ربه» والتصحيح عن ابن الأثير.

عبد الله[١] بن مسعود رضي الله عنه؛ وُلد بنَيْسابور ورحَل في طلب العلم وصنّف الكتب وخرَج حاجّاً فأصابه جِراح في نَوْبة القَرْمطيّ ورُدّ إلى الكوفة فمات بها.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو طالب أحمد بن نصر البَغْداديّ الحافظ، وإبراهيم بن محمد بن عرفة النحويّ نِفْطَوَيه، وإسماعيل بن العباس الوَرّاق، وأبو نُعَيم عبد الملك بن محمد بن عَدِيّ الإستَرَابَاذِيّ، وأبو عُبيد القاسم بن إسماعيل المَحَامِليّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعُ أذرع وستَّ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وسبعَ عشرةَ إصبعاً.

---

(١) في ابن الأثير: «من ولد عتبة بن مسعود» وعبد الله وعتبة أخوان.

ذكر ولاية محمد بن طغج الإخشيذ ثانية على مصر[١]

الإخْشِيذ محمد بن طُغْج بن جُفّ الفَرْغَانِيّ؛ وليها ثانياً من قبل الخليفة الراضي بالله محمد على الصلاة والخراج بعد عزل الأمير أحمد بن كَيْغَلَغ عنها، بعد أمور وقعتْ تقدّم ذكرُ بعضها في ترجمة ابن كَيْغَلَغ. ودخلَ الإخشيذُ هذا إلى مصر أميراً عليها، بعد أن سلّم الأمير أحمدُ بن كيغلغ في يوم الخميس لستٍّ بَقِين من شهر رمضان ــ وقال صاحب البغية: لخمس[٢] بَقِين من شهر رمضان ــ سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. وأقرّ على شُرْطَته سعيدَ بن عثمان. ثم ورد عليه بالديار المصريّة أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بالخلَع من الخليفة الراضي بالله بولايته على مصر، فلبِسها وقبّل الأرضَ. ورسمَ الخليفةُ الراضي بالله بأن يُزاد في ألقاب الأمير محمد هذا «الإخشيذ» في شهر رمضان سنةَ سبع وعشرين وثلاثمائة وقد تقدّم ذكر ذلك في ولايته الأولى على مصر وما معنى الإخشيذ ــ فزيد في ألقابه ودُعِي له بذلك على منابر مصر وأعمالها.

ثم وقع بين الإخشيذ هذا وبين أصحاب أحمد بن كيغلغ فتنةٌ وكلام أدّى ذلك للقتال والحرب؛ ووقع بينهما قتالٌ، فانكسر في آخره أصحاب ابن كَيْغَلَغ، وخرجوا من مصر على أقبح وجه وتوجّهوا إلى بَرْقة، ثم خرجوا من برقة وصاروا إلى القائم بأمر الله بن المهديّ عبيد الله العُبَيْديّ بالمغرب، وحرّضوه على أخذ مصر

(١) ولاة مصر: ٣٠٤، وخطط المقريزي: ٣٢٩/١، وحسن المحاضرة: ١٤/٢، ومعجم زامباور: ٤٢، والمغرب (قسم مصر): ١٤٨/١.

(٢) في المغرب أن الإخشيد دخل مصر لسبع بقين من شهر رمضان. وذكر المقريزي أن الإخشيد قابل ابن كيغلغ لسبع بقين من شهر رمضان وأنه دخل مصر لست بقين منه.

وهوّنوا عليه أمرها؛ وكان في نفسه من ذلك شيء، فجهّز إليها الجيوشَ لأخذها. ويبلـغ محمدَ بن طُغْج الإخشيذَ ذلك، فتهيّأ لقتالهم وجمـع العساكرَ وجهّز الجيوشَ إلى الإسكندرية والصعيد.

وبينما هو في ذلك إذ ورد عليه كتاب الخليفة يُعرّفه بخروج محمد بن رائق؛ ولمّا بلغه حركة محمد بن رائق ومجيئُه إلى الشامات، عَرَض الإخشيد عساكره وجهّز جيشاً في المراكب لقتال آبن رائق؛ ثم خرج هو بعد ذلك بنفسه في المحرّم سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة، وسار من مصر، بعد أن آستخلف أخاه الحسن[1] بن طُغْج على مصر، حتى نزل الإخشيد بجيوشه إلى الفَرَما؛ وكان محمد بن رائق بالقرب منه؛ فسعى بينهما الحسن[2] بن طاهر بن يحيى العَلَوي في الصلـح حتّى تمّ له ذلك وآصطلحا[3]؛ وعاد الإخشيذ إلى مصر في مستهل جُمادَى الأولى من سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة.

وبعد قدوم الإخشيذ إلى مصر آنتقض الصلحُ وسار محمد بن رائق من دِمَشق في شعبان من السنة إلى نحو الديار المصرية. وبلـغ ذلك الإخشيذَ[4] فتجهّز

(١) في الأصل: «أخاه الحسين» والتصحيح عن الكندي والمقريزي. وفي المغرب: ١٧٤/١ أنه استخلف أخاه أبا المظفر.

(٢) في الأصل: «الحسين بن طاهر». والتصحيح عن الكندي والمقريزي والمغرب.

(٣) في الكندي: «ثم تمّ الصلح بينهما على أن يسلم ابن رائق الرملة ويخرج عنها». وفي المغرب: «وتمّ الصلح على أن الرملة للإخشيد، ومن طبرية وما خلفها لمحمد بن رائق».

(٤) انفرد ابن سعيد بالإشارة هنا إلى رغبة الإخشيد في الخروج على الخلافة العباسية والدعوة للفاطميين لما بلغه مسير ابن رائق ووصوله إلى الرملة، وأن الخليفة الراضي قد قلده ما بيد الإخشيد. كما ذكر ابن سعيد أن الإخشيد قد بعث إلى القائم الفاطمي يعرض عليه ابنته لابنه المنصور، فكتب إليه القائم: «وصل كتابك، وقد قبلنا ما بذلت، وهي وديعة لنا عندك، وقد نحلناها من بيت مالنا قبلك مائة ألف دينار، فتوصل ذلك إليها.» وإذا صحّ هذا النصّ فإن القائم كان يفرض أن الإخشيد قد دخل في طاعته، وأن للقائم في ذمته مالاً للخزينة الفاطمية، وأنه منح ابنة الإخشيد مائة ألف دينار من هذا المال المستحق للفاطميين. والراجح لدى أكثر المؤرخين أن الإخشيد ربما فكر في الخروج على العباسيين ولكنه لم يتجاوز حد التفكير بعد أن رأى أن استبدال سيد بسيّد لا يغيّر شيئاً من الحال ولا يوطد استقلاله؛ وما يدعم هذا الرأي هو السلوك الوفاقي الذي انتهجه الإخشيد فيما يأتي مع الخلافة العباسية ومصالحته لابن رائق بالرغم من انتصاره عليه، وبالرغم من مقتل أخيه الحسين بن طغج في المعركة. انظر تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن: ١٣٨/٣، والفاطميون في مصر لنفس المؤلف: ص ٩٠ ــ ٩٢. والمغرب في حلي المغرب: ١٧٧/١.

وعرض عساكره وأنفق فيهم وخرج بجيوشه من مصر لقتال محمد بن رائق في يوم سادسَ عشر[١] شعبان، وسار كل منهما بعساكره حتى التقيا بالعريش ـ وقال أبو المظفَّر في مرآة الزمان: باللَّجُّون ـ[٢] فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها ميمنة[٣] الإخشيد وثبت هو في القلب؛ ثم حمَل هو بنفسه[٤] على أصحاب محمد بن رائق حملة شديدة فأسر كثيراً منهم وأمعن في قتلهم وأسرهم؛ وقُتِل أخوه الحسين بن طُغْج في الحرب. وآفترق العسكران وعاد كل واحد إلى محل إقامته، فمضى ابن رائق نحو الشام وعاد الإخشيد إلى الرملة بخمسمائة أسير؛ ثم تداعيا إلى الصلح. وكان لما قُتِل الحسين بن طغج أخو الإخشيد في المعركة عَزّ ذلك على محمد بن رائق، وأخذه وكفّنه وحنّطه وأنفَذ معه آبنَه مُزَاحِماً إلى الإخشيد، وكتب معه كتاباً يعزّيه فيه ويعتذِر إليه ويحلِف له أنه ما أراد قتله، وأنه أرسل آبنه مزاحماً إليه ليفتديه بالحسين بن طُغْج إن أحبّ الإخشيدُ ذلك. فاستعاذ الإخشيدُ بالله من ذلك وآستقبل مزاحماً بالرُّحْب والقبول وخلَع عليه وعامله بكلّ جميل، وردّه إلى أبيه. وآصطلحا على أن يُفرِج محمد بن رائق للإخشيد عن الرَّمْلة، ويحمل إليه الإخشيدُ في كلّ سنة مائة وأربعين ألفَ دينار، ويكون باقي الشام في يد آبن رائق، وأنّ كلًّا منهما يُفْرِج عن أسارى الآخر؛ فتمّ ذلك.

وعاد الإخشيد إلى مصر فدخلها لثلاث خلون من المحرّم سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وعاد محمد بن رائق إلى دِمَشق، فلم تُطل مدّة الإخشيد بمصر إلاّ وورَد عليه الخبر من بغداد بموت الخليفة الراضي بالله في شهر ربيع الآخر من السنة، وأنه بُويع أخوه المتقي بالله إبراهيم بن المقتدر جعفر بالخلافة، وكان ورود هذا

(١) في الأصل: «سادس عشرين شعبان» وما أثبتناه عن الكندي والمقريزي.

(٢) اللجون: بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلاً، وبينه وبين الرملة أربعون. (انظر معجم البلدان). والذي ذكره الكندي أن المواجهة في العريش انتهت بهزيمة ابن رائق، وأن الحسين بن طغج سار من الرملة فالتقى مع عساكر ابن رائق في اللجون، وفيها كان مقتل الحسين، ويكنى أبا نصر.

(٣) في الكندي والمقريزي: «ميسرة الإخشيد». قارن أيضاً بالمغرب لابن سعيد، ففيه اختلاف عما هنا في سير المعارك.

(٤) في الأصل: «في أصحاب» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

الخبر على الإخشيذ بمصر في شعبان من السنة، وأن المتقي أقرّ الإخشيذَ هذا على عمله بمصر. فآستمرّ الإخشيذُ على عمله بمصر بعد ذلك مدّة طويلة إلى أن قُتِل محمد بن رائق في قتال كان بينه وبين بني حَمْدان بالمَوْصِل في سنة ثلاثين وثلاثمائة[1]؛ فعند ذلك جهّز الإخشيذُ جيوشَه إلى الشام لمّا بلغه قتل محمد بن رائق، ثم سار[2] هو بنفسه لست خلون من شوّال سنة ثلاثين وثلاثمائة المذكورة، وآستخلف أخاه أبا المظفَّر الحسن بن طغج على مصر؛ وسار الإخشيذُ حتى دخل دِمشق[3] وأصلح أمورها وأقام بها مدّة. ثم خرج منها عائداً إلى الديار المصريّة حتى وصلها في ثالثَ عشرَ جُمَادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، ونزل البستان[4] الذي يعرف الآن بالكَافُوريّ داخلَ القاهرة؛ ثم آنتقل بعد أيّام إلى داره؛ وأخذ البيعة على المصريّين لابنه أبي القاسم أُنوجُور وعلى جميع القوّاد والجند، وذلك في آخر ذي القَعْدة.

وبعد مدّة بلغ الإخشيذَ مسيرُ الخليفة المتقِي بالله إلى بلاد الشام ومعه بنو حَمْدان؛ فخرج الإخشيذ من مصر وسار نحو الشام لثمانٍ خلَون من شهر رجب سنة آثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وآستخلف أخاه أبا المظفَّر الحسن بن طغُجْ على مصر، ووصل دِمَشق ثم سار حتّى وافى المتقِي بالرَّقّة، فلم يُمكَّن من دخولها[5] لأجل

(١) انظر ابن الأثير: ١٦٢/٧.

(٢) بعث أولاً بطلائع جيشه إلى الشام وعليها كاتبه علي بن محمد بن كلا؛ ثم خرج بنفسه على رأس جيشه. (الكندي: ٣٠٨، والمغرب: ١/ ١٨٠).

(٣) وكان بها محمد بن يزداد خليفة ابن رائق، فاستأمن إلى الإخشيد وسلم إليه دمشق، فأقرّه عليها. ثم نقله عنها إلى مصر وجعله على شرطتها. (ابن الأثير).

(٤) البستان الكافوري: أنشأه محمد بن طغج الإخشيد، وكان مطلاً على الخليج، وجعل له أبواباً من حديد، وكان يتردد إليه ويقيم به الأيام. ولما بنيت القاهرة أدخل في سورها بستان الإخشيد وميدانه، فكان البستان بين القصر والخليج. وفي محله الآن حارات اليهود وخط الخرنفش، ويمتد إلى شارع النحاسين. (الخطط التوفيقية الجديدة: ٣٦/١. وانظر خطط المقريزي: ٢٥/٢).

(٥) لعل في ما ذكره ابن سعيد في المغرب: ١٩١/١ توضيحاً لهذه النقطة، قال: «ولما ورد عليه (أي على الإخشيد) كتاب المتقي بأنه سائر إليه، سار إليه الإخشيد وبلغ الرقّة، فأراد منه المتقي أن يعبر إليه فلم يفعل خوفاً مما جرى على محمد بن رائق حين عبر إلى ابن المتقي وصنع ابن حمدان ما صنع (إشارة إلى مقتل ابن رائق) فعبر المتقي إلى الإخشيد والتقيا بالرقة». وذكر ابن الأثير: ١٨٦/٧ أن المتقي «كان قد كتب إلى الإخشيد محمد بن طغج متولي مصر يشكو حاله ويستقدمه إليه، فأتاه من مصر».

سيف الدولة عليّ بن حَمْدان. ثم بان للخليفة المتّقِي من بني حَمْدان المللُ والضجر منه، فراسل تُوزون[١] وآستوثق منه. ثم آجتمع بالإخشيذ هذا وخلع عليه؛ وأهدى إليه الإخشيذ تُحفاً وهدايا وأموالاً[٢]. وبلغ الإخشيذَ مراسلةُ تُوزون، فقال للخليفة: يا أمير المؤمنين أنا عبدُك وآبن عبدك، وقد عرَفتَ الأتراك وغدرَهم وفجورَهم، فالله في نفسك! سر معي إلى الشام ومصر فهي لك، وتأمن على نفسك؛ فلم يقبل المتقي ذلك؛ فقال له الإخشيذ: فأقِم هنا وأنا أمُدّك بالأموال والرجال، فلم يقبَل منه أيضاً. ثم عدل الإخشيذُ إلى الوزير آبن مُقْلة وقال له: سر معي، فلم يقبل آبن مقلة أيضاً مراعاة للخليفة المتقي. وكان آبن مُقْلة بعد ذلك يقول: يا ليتني قبلت نُصْح الإخشيذ!. ثم سلّم الإخشيذ على الخليفة ورجع إلى نحو بلاده حتى وصل إلى دِمَشق؛ فأمّر عليها الحسين بن لؤلؤ؛ فبقي ابن لؤلؤ على إمْرة دمشق سنة وأشهراً؛ ثم نقله الإخشيذُ إلى نيابة حِمْص؛ وولّى على دِمَشق يَأنس[٣] المؤنسيّ. وعاد الإخشيذ إلى الديار المصريّة ودخلها لأربع خلَوْن من

---

(١) هو أبو الوفاء توزون التركي. أصبح متغلباً على الأمر في بغداد بعد بجكم التركي وكورتكين الديلمي وابن رائق. وخلع عليه المتقي وولاه إمرة الأمراء، وبذلك أصبح أقوى الحكام في الدولة. ثم وقعت الوحشة بين المتقي وتوزون، فأرسل توزون أبا جعفر بن شيرزاد من واسط إلى بغداد، فحكم عليها وأمر ونهى، فكاتب المتقي ابن حمدان بالقدوم عليه لاستنقاذه من جور ابن شيرزاد وسيده توزون؛ وخرج ناصر الدولة بن حمدان بجيش كثير من الأعراب والأكراد إلى قتال توزون فالتقيا بعكبرا فانهزم ابن حمدان والمتقي إلى الموصل، ثم تلاقوا مرة أخرى فانهزم ابن حمدان والخليفة إلى نصيبين، فكتب الخليفة إلى الإخشيد صاحب مصر أن يحضر إليه. ثم بان له من بني حمدان الملل والضجر، فراسل الخليفة توزون في الصلح فأجابه إلى ذلك وبالغ في الأيمان، فلما رجع الخليفة إلى بغداد للقاء توزون قبض عليه توزون وسمل عينيه وأحضر عبد الله بن المكتفي وبايعه بالخلافة، ولقب المستكفي بالله، وذلك في المحرم من سنة ٣٣٣هـ. ولم يحل الحول على توزون حتى مات. أما المتقي فإنه أخرج إلى جزيرة مقابلة للسندية (قرية من قرى بغداد) فسجن بها، وأقام في السجن خمساً وعشرين سنة إلى أن مات في شعبان سنة ٣٥٧هـ. (تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦، ومروج الذهب: ٤/٣٤٠ ـ ٣٤٢، وابن الأثير: حوادث السنوات: ٣٣١ و٣٣٢ و٣٣٣، والألقاب الإسلامية: ١٨٨).

(٢) ذكر ابن سعيد في المغرب، نقلاً عن ابن زولاق، أن الإخشيد «حمل إلى المتقي من العين والورق والكسوة والجوهر والطيب والفرش والكراع والبغال ما مبلغه مائتان وخمسون ألف دينار، وحمل إلى خواصه ولم يدع أحداً إلا حمل إليه».

(٣) هو مولى مؤنس المظفر الخادم. تولى الموصل في أيام القاهر، ثم ولي ديار مضر من قبل ناصر الدولة بن

جُمادَى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، ونزل بالبستان المعروف بالكافوريّ على عادته. فلم تكن مدّة إلا ووردَ عليه الخبر بخَلْع المتقِي من الخلافة وتوليةِ المستكفِي، وذلك لسبع خلَوْن من جُمادى الآخرة من السنة، وأن الخليفة المستكفِي أقرّ الإخشيد هذا على ولايته بمصر والشأم على عادته.

ثم وقع بين الإخشيذ وبين سيف الدولة عليّ [بن عبد الله] بن حَمْدان وحشةٌ وتأكدت إلى أوّل سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة؛ ثم آصطلحا على أن يكون لسيف الدولة حَلَب وأَنْطَاكِيَة وحِمْص، ويكونَ باقي بلاد الشام للإخشيذ[١]. وتزوّج سيف الدولة ببنت[٢] أخي الإخشيذ.

ثم[٣] وُقِّع أيضاً بين الإخشيذ وبين سيف الدولة ثانياً، وجهّز الإخشيذ الجيوش لحربه وعلى الجيوش خادمُه كافور الإخشيذي وفاتكُ الإخشيذي؛ ثم خرج الإخشيذ بعدهما من مصر في خامس شعبان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وآستخلف أخاه أبا المظفَّر الحسن بن طُغْج على مصر، وسار الإخشيذ بعساكره حتّى لقي سيف الدولة عليَّ بن عبد الله بن حَمْدان بِقنَّسْرِين، وحاربه فكسره وأخذ منه حلَب.

ثم بلغه خلعُ المستكفي من الخلافة وبيعةُ المطيع لله الفضل في شوّال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة؛ وأرسل المطيع إلى الإخشيذ بآستقراره على عمله بمصر والشام. فعاد الإخشيذ إلى دِمَشق، فمرِض بها ومات في يوم الجمعة لثمانٍ بقِين من

= حمدان إلى أن كان من أمره أن انحاز إلى الإخشيد ودعا له على المنابر بعمله. ثم ملك يأنس حلب؛ وأسرى إليه سيف الدولة إلى حلب سنة ٣٣٦هـ فكبسه فانهزم يأنس إلى سرمين يريد الإخشيد، ثم انهزم إلى أخيه بميافارقين. (زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم: ١/١٠٤، ١١٨، ١١٩).

(١) ووقعت عدة مواجهات بين الإخشيد وسيف الدولة في حمص وقنسرين. وقد فصّل ذلك كمال الدين ابن العديم في كتابه: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص٣٦٨ وما بعدها. انظر أيضاً المغرب لابن سعيد: ١/١٩٣ ـ ١٩٥.

(٢) وهي فاطمة ابنة أخيه عبيد الله بن طغج، كما ذكر ابن العديم في زبدة الحلب: ص ٣٧٠. وقد أخطأ ابن سعيد حين جعل فاطمة المذكورة ابنة الإخشيد.

(٣) ما يذكره المؤلف من حوادث في هذه الفقرة حدث قبل مصالحة الإخشيد وسيف الدولة وزواج سيف الدولة ببنت أخي الاخشيد. وقد نبهنا إلى هذا الأمر لأن ظاهر سياق النصّ يوحي بالعكس.

ذي الحِجّة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. وولي بعده آبنه أبو القاسم أَنُوجُور بآستخلاف أبيه له. فكانت مدّة ولاية الإخشيذ على مصر في هذه المرّة الثانية إحدَى عشرةَ سنة وثلاثة أشهر ويومين.

والإخشيذ: بكسر الهمزة وسكون الخاء المعجمة وكسر الشين المعجمة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم ذال معجمة، وتفسيره بالعربيّ مِلك الملوك. وطغج: بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وبعدها جيم. وجفّ: بضم الجيم وفتحها وبعدها فاء مشدّدة.

وكان الإخشيذ ملِكاً شجاعاً مِقداماً حازماً مُتيقّظاً حسنَ التدبير عارِفاً بالحروب مُكرِماً للجند شديدَ البطش ذا قوّة مُفرِطة لا يكاد أحد يجرّ قوسَه، وله هيبة عظيمة في قلوب الرعيّة، وكان مُتجمِّلاً في مَرْكَبه ومَلْبَسه. وكان مَوْكِبه يضاهي مَوْكب الخلافة. وبلغت عدةُ مماليكه ثمانيةَ آلاف مملوك، وكان عدّة جيوشه أربعمَائةِ ألفٍ. وكان قويّ التحرّز على نفسه، وكانت مماليكه تحرسُه بالنَّوْبة عندما ينام كلّ يوم ألف مملوك، ويوكِّل الخدمَ بجوانب خَيْمَته، ثم لا يثِق بأحد حتّى يمضي إلى خَيْمَة الفراشين فينام فيها. وعاش ستين سنة. وخلّف أولاداً مُلوكاً. وهو أستاذ كافور الإخشيذيّ الآتي ذكره. قال الذهبيّ: وتوفّي بِدِمَشق في ذِي الحِجَّة عن ستّ وستين سنة، ونُقِل فدفِن ببيت المقدس الشريف، ومولدُه ببغداد. وقال آبن خلكان: «ولم يزل في مملكته وسعادته إلى أن توفّي في الساعة الرابعة يوم الجمعة لثمانٍ بَقِين من ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة». انتهى.

* * *

السنة الثانية من ولاية الإخْشِيذ محمد بن طُغْج على مصر

(وقد تقدّم أنه حكم في السنة الماضية على مصر من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، فتكون سنةُ أربع وعشرين وثلاثمائة هذه هي الثانية من ولايته، ولا عِبرة بتكملة السنين):

فيها (أعني سنةَ أربع وعشرين وثلاثمائة) قطعَ محمد بن رائق الحِمْلَ عن بغداد، وآحتج بكثرة كُلَف الجيش عنده.

وفيها توفّي هارون بن المقتدر أخو الخليفة المطيع لله وحزِن عليه أخوه الخليفة وآغتمّ له، وأمر بنفي الطبيب بَخْتِيَشُوع بن يحيى[١] وآتهمه بتعمُّد الخطأ في عِلاجه.

وفيها في شهر ربيع الأوّل أُطلق من الحبس المظفَّر[٢] بن ياقوت، وحلَف للوزير على المُصافاة، وفي نفسه الحِقْد عليه، لأنه نكَبه ونَكب أخاه محمداً؛ ثم أخذ يسعى في هلاكه، ولا زال يدبِّر على الوزير آبن مُقْلة حتى قُبض عليه وأُحرقت داره، وهذه المرّة الثالثة؛ وآستُوزِر عوضه عبد الرحمن بن عيسى، وهو أخو الوزير عليّ بن عيسى برغبة أخيه عن الوزارة ــ وكان آبن مُقْلة قد أحرَق دار سليمان بن الحسن ــ وكتبوا على داره: [البسيط]

أحسنتَ ظنّك بالأيّام إذ حسُنتْ ... ولم تَخَفْ سوءَ ما يَجْرِي به القَدَرُ

وسالمتْك الليالي فآغتررتَ بها ... وعند صَفْو الليالي يحدُث الكدر

ثم وقع بعد ذلك أمور يطول شرحها. وقبَض الراضي على الوزير عبد الرحمن بن عيسى وعلى أخيه عليّ بن عيسى لعجزه عن القيام بالكُلَف؛ وآستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم الكَرْخِيّ، وسلّم آبني عيسى للكرخيّ، فصادرهما برِفْق، فأدّى كلّ واحد سبعين ألفَ دينار. ثم عجز الكَرْخيّ أيضاً؛ فاستوزر الراضي عِوضه أبا القاسم سليمان بن الحسن [بن مَخْلَد][٣]؛ فكان سلمان في العجز بحال الكَرْخيّ وزيادة. فدعت الضرورة أن الراضي كاتب محمد بن رائق وآستقدمه وقلّده جميعَ أمور الدولة؛ وبطَل حينئذ أمر الوزارة والدواوين وبقي آسم الوزارة لا غير، وتولّى الجميع محمد بن رائق[٤].

---

(١) كذا أيضاً سمّاه ابن الوردي في تاريخه: ١/٢٧٤، وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء، ص ١٠٤. (عن الأعلام: ٢/٤٥، وعلماء النصرانية في الإسلام: ١٢١). وذكره ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء: ٢/٢٠٢ باسم: بختيشوع بن يوحنا.

(٢) ذكر ابن الأثير إطلاقه من الحبس في سنة ٣٢٣هـ.

(٣) زيادة عن الفخري: ٢٨١.

(٤) قال في الفخري، ص ٢٨٢: «ولما رأى الخليفة الراضي عجز وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد أرسل إلى =

وفيها كان الوباء العظيم بأصبهان وبغداد، وغلَت الأسعار.

وفيها سار الدُّمُسْتُق بجيوش الروم إلى آمِد وسُمَيْسَاط؛ فسار [إليه][1] سيفُ الدولة بن حَمْدان ــ وهذا أوّل مغازيه ــ وحاربه ووقَع له معه أمور حتّى ملَك الدُّمُسْتُق سميساط وأمّن أهلها[2]؛ وكان الحسن أخو سيف الدولة قد غلَب على المَوْصِل وآستفحل أمرُه.

وفيها عاثت العرب من بني نُمَيْر وقُشَيْر وملكوا ديارَ ربيعةَ ومُضَر وشَنّوا الغاراتِ وقطعوا السُّبُل؛ وخلت المدائن من الأقوات لضعف أمر الخلافة، لأن الخليفة الراضي صار مع آبن رائق كالمحجور عليه والأسيرِ في يده، والأمر كلّه لابن رائق.

وفيها توفِّي أحمد بن موسى بن العباس، الشيخ أبو بكر المقرىء البغداديّ الإمام العلاّمة. مولدُه في سنة خمس وأربعين ومائتين، وكان إمامَ القُرّاء في زمانه، وله مشاركة في فُنُون.

= ابن رائق فاستماله وسلّم الأمور إليه ورتبه أمير الأمراء وكلفه تدبير المملكة، فانضم إليه أمراء العسكر وصاروا حزباً واحداً، وحضروا بين يدي الخليفة فأجلسهم فوق الوزير. واستبد ابن رائق بالأمور وولى النظار والعمال ورفعت المطالعات إليه، وردّ الحكم في جميع الأمور إلى نظره، ولم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير. ومن تلك الأيام اضطهدت الخلافة العباسية، وخرجت الأمور منها، واستولى الأعاجم والأمراء وأرباب السيوف على الدولة، وجبوا الأموال وكفوا يد الخليفة وقرروا له شيئاً يسيراً وبلغة قاصرة، ووهن من يومئذ أمر الخلافة». قارن أيضاً بتاريخ الخلفاء: ص ٣٩٢، هكذا كان الأمر في بغداد؛ وأما بقية الأطراف: فالبصرة مع ابن رائق هذا، وخوزستان مع أبي عبد الله البريدي، وغلب ابن ياقوت على ما كان بيده في هذه السنة من مملكة تستر وغيرها واستحوذ على حواصلها وأموالها. وأمر بلاد فارس إلى عماد الدولة بن بويه، ينازعه في ذلك وشمكير أخو مرداويج، وكرمان بيد أبي علي محمد بن إلياس بن اليسع، وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، وبلاد إفريقية والمغرب في يد القائم بأمر الله بن المهدي الفاطمي، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة وهجر في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي. (انظر البداية والنهاية: ١١/١٩٧).

(١) زيادة عن الأعلاق الخطيرة لابن شداد.

(٢) ورد هذا الخبر في الأعلاق الخطيرة لابن شداد: ق ١، ج ٣/٣٠٠ على نحو مختلف. قال: «وفي سنة ٣٢٤هـ خرج الدمستق إلى ناحية آمد وسميساط، فسار إليه سيف الدولة وهزمه، وعاد إلى ميافارقين وأرزن» ــ والدمستق: كلمة لاتينية Domesticus، وهو لقب قائد جيش الروم (تاريخ مختصر الدول لابن العبري: ص ١٦٩، حاشية ١).

وفيها توفّي الحسن بن محمد بن أحمد، الشيخ أبو القاسم السُّلَمِيّ الدِّمَشْقيّ، ويُعرف بآبن بُرْغُوث. روَى عن صالح ابن الإمام أحمد بن حَنْبل قِصّة الشعر(١).

وفيها توفِّي صالح بن محمد بن شاذان، الشيخ أبو الفضل الأصبهانيّ الحافظ المحدّث؛ رحَل إلى البلاد وسمِع الكثير ثم توجَّه إلى مكة فمات بها في شهر رجب من السنة.

وفيها توفي عبد الله [بن أحمد](٢) بن محمد بن المُغَلِّس أبو الحسن الفقيه الظاهريّ؛ أخذ الفقه عن أبي بكر(٣) بن داود الظاهريّ وبرَع في علم الظاهر.

وفيها توفّي محمد بن الفضل بن عبد الله، الشيخ أبو ذَرّ التَّميميّ الشافعيّ فقيه جُرْجَان ورئيسها.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن زِياد بن واصل بن ميمون، الحافظ أبو بكر النَّيْسابوريّ، الفقيه الشافعيّ مولى آل عثمان بن عفّان ـ رضي الله عنه ـ. قال

(١) في الأصل: «السعرد» وهو تحريف. ومحصل قصة الشعر هذه أن صالحاً ابن الإمام أحمد بن حنبل خرج هو وأبوه من المسجد فإذا برقعة، فقال له أبوه: خذها، فأخذها؛ فلما أصبحا قال له: الرقعة، فناوله إياها، فإذا فيها مكتوب:

عش موسراً إن شئت أو معسرا ... لا بد في الدنيا من الغمّ
وكل ما زادك من نعمة ... زاد الذي زادك من هم
إني رأيت الناس في دهرنا ... لا يطلبون العلم للعلم
إلا مباهاة لأصحابهم ... وحجة للخصم والظلم

وكان الحسن بن محمد هذا أحد رواة هذه القصة، رواها عن علي بن جعفر عن إبراهيم بن عبد الله الفرغاني عن صالح ابن الإمام أحمد. (النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب المصرية: ٣/٢٥٨، حاشية عن تاريخ ابن عساكر).

(٢) زيادة عن عقد الجمان وشذرات الذهب والمنتظم وابن الأثير.

(٣) هو محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري المتوفى سنة ٢٩٧هـ. وهو ابن الإمام داود الظاهري الذي ينسب إليه المذهب الظاهري والمتوفى سنة ٢٧٠هـ. وطائفة الظاهرية التي تنسب إليه سميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. وكان داود أول من جهر بهذا القول. (الأعلام: ٢/٣٢٣ و٦/١٢٠).

الدارَقُطْنيّ: ما رأيت أحفظ منه. ومولدُه في سنة ثمان وثلاثين ومائتين، ومات في رابع شهر ربيع الآخر.

وفيها توفّي عليّ بن إسماعيل بن أبي بِشْر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُرْدَة بن أبي موسى بن عبد الله بن قيس الأشعريّ البصريّ المتكلم أبو الحسن، صاحب التصانيف في الكلام والأصول والملل والنحو؛ ومولده سنةَ ستّين ومائتين؛ وكان مُعْتَزِلياً ثم تاب.

وفيها كان الطاعون العظيم بأصبهان ومات فيه خلق كثير وتنقّل في عدّة بلاد.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفِّي أبو عمرو[1] أحمد بن بَقِي بن مَخْلَد، وجَحْظَة النَّديم أحمد بن جعفر بن موسى البرمكيّ، وأبو بكر أحمد بن موسى بن العبّاس بن مجاهد المقرىء، وأبو الحسن عبد الله بن أحمد المُغَلِّس البغداديّ الداوُديّ إمام أهل الظاهر في زمانه، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن زِياد النَّيْسابوريّ، وأبو القاسم عبد الصمد بن سعيد الحِمْصِيّ[2]، وأبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعريّ المتكلّم، وعليّ بن عبد الله بن المُبَشِّر الواسطيّ، وأبو القاسم عليّ بن محمد بن كاس[3] النَّخَعِيّ الكوفيّ الحنفيّ قاضي دِمَشق.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وستّ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

---

(١) في شذرات الذهب: «أبو عمر».

(٢) ويقال له أيضاً: «الكندي» لأنه كندي المولد وولي القضاء بحمص.

(٣) في الأصل: «كاش» بالشين المعجمة. وما أثبتناه عن عقد الجمان.

السنة الثالثة من ولاية الإخشيذ على مصر

وهي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة:

فيها لم يحجّ أحد من العراق خوفاً من القَرْمطيّ.

وفيها ظهَرت الوحشة بين محمد بن رائق وبين أبـي عبد الله البَرِيدِيّ.

و[فيها] وافى أبو طاهر القرمطيّ الكوفة فدخلها في شهر ربيع الآخر؛ فخرج آبن رائق في جمادَى الأولى وعسكر بظاهر بغداد وسيّر رسالتَه إلى القرمطيّ فلم تُغْن شيئاً.

وفيها آستوزر الراضي أبا الفتح بن جعفر بن الفُرَات بمشورة آبن رائق، وكان آبن الفُرات بالشام فأحضروه.

وفيها أسّس أمير الأَنْدَلُس الناصر[١] لدين الله الأُمَويّ مدينة الزَّهْراء[٢]، وكان منتهى الانفاق في بنائها كلّ يوم ما لا يُحدّ؛ كان يدخل فيها كلّ يوم من الحَجَر المنحوت ستةُ آلاف صَخْرة سوى الآجُرّ وغيره؛ وحُمِل إليها الرُّخام من أقطار الغرب، ودخل فيها أربعة آلاف وثلاثمائة[٣] سارِية؛ وأهدى له ملك الفِرنْج أربعين[٤] ساريةَ رُخام؛ [وجلب إليها الرخام الأبيض من المريَّة، والمجزَّع من رَية][٥] وأما الورديّ والأخضر فمن إفْرِيقيَّة؛ والحَوْض المذهّب جُلِب من قُسْطنطِينِيّة، والحَوْض الصغير عليه صورة أسد وصورة غزال وصورةُ عُقاب وصورة ثُعبان وغير ذلك[٦]، والكلّ بالذهب المرصّع بالجوهر؛ وبَقُوا في بنائها ستّ

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، أبو المطرف المرواني الأموي. حكم من سنة ٣٠٠هـ إلى سنة ٣٥٠هـ.

(٢) انظر في وصف هذه المدينة وبنائها: البيان المغرب: ٢/٣٣١ ـ ٣٣٣، ونفح الطيب: ١/٥٢٣ ـ ٥٧٨، والروض المعطار: ٢٩٥، وصفة جزيرة الأندلس: ٩٥، ومعجم البلدان: ٣/١٦١، وتاريخ ابن خلدون: ٤/١٤٤.

(٣) في البيان المغرب: «٤٣١٣ سارية».

(٤) في المرجع السابق: «مائة وأربعين سارية».

(٥) زيادة عن نفح الطيب للمقري يقتضيها السياق.

(٦) ذكر في نفح الطيب ثلاثة عشر تمثالاً لحيوانات وطيور مختلفة.

عشرةَ[1] سنة؛ وكان يُنْفِق عليها ثُلُثَ[2] دخل الأندلس، وكان دخل الأندلس يومئذ خمسة آلاف ألفٍ وأربعمائة ألفٍ وثمانين ألفَ دينار[3] [ومن المستخلص والأسواق سبعمائة وخمسة وستون ألف دينار][4]. وبين هذه المدينة (أعني الزهراء) وبين قُرْطُبة أربعة[5] أميال. وأطوالها ألف[6] وستمائة ذراع، وعَرْضُها ألف وسبعون[7] ذراعاً. ولم يُبْنَ في الإسلام أحسنُ منها؛ لكنّها صغيرة بالنسبة إلى المدائن. وكان بسُورها ثلاثمائة برج. وعَمِل ثلثها قصوراً للخلافة، وثلثها للخدم، وثلثها الثالث بساتين. وقيل: إنه عَمِل فيها بحرة ملأها بالزئبق. وقيل: إنه كان يعمَل فيها ألفُ صانع مع كلّ صانع آثنا عشر أجيراً. وقد أُحرقت هذه المدينة وهُدِمت في حدود سنة أربعمائة، وبَقِيت رسومها وسورها.

وفيها توفِّي أحمد بن محمد بن حسن أبو حامد الشَّرْقِيّ[8] النَّيْسابوريّ الحافظ الحجة تلميذ مُسْلِم، سمِع الكثيرَ، وصنّف الصحيح، وكان أوحدَ عصره، وروَى عنه غير واحد، ومات في شهر رمضان، وصلّى عليه أخوه عبد الله.

وفيها توفّي الأمير عَدْنان ابن الأمير أحمد بن طُولون؛ قدِم بغدادَ وحدّث بها عن الربيع بن سليمان المُرَيِّ، وقدِم دِمشق أيضاً وحدّث بها، وكان ثقة صالحاً ـ رضي الله عنه ـ.

---

(١) ذكر في نفح الطيب أن العمل في بنائها استمر نحواً من أربعين سنة: ٢٥ سنة شطر خلافة الناصر ثم اتصل البناء بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها.

(٢) كان الناصر قد قسم جباية بلاده ثلاثة أثلاث: ثلث لجنده، وثلث لبيت ماله، وثلث لنفقة الزهراء وعمارتها.

(٣) في الأصل: «درهم» والتصحيح عن نفح الطيب والبيان المغرب.

(٤) زيادة عن نفح الطيب والبيان المغرب.

(٥) في الروض المعطار وصفة جزيرة الأندلس: «خمسة أميال». وفي معجم البلدان: «ستة أميال وخمسة أسداس الميل».

(٦) في نفح الطيب: «طولها من الشرق إلى الغرب ٢٧٠٠ ذراع».

(٧) في نفح الطيب: «وعرضها ١٥٠٠ ذراع».

(٨) نسبة إلى الشرقية، وهي الجانب الشرقي بنيسابور.

وفيها توفّي موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو مُزَاحم؛ كان أبوه وزير المتوكّل، وكان موسى هذا ثِقة خيّراً من أهل السُّنّة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو حامد أحمد بن محمد بن [حسن] الشَّرْقيّ، وأبو إسحاق إبراهيم[1] بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي، وأبو العبّاس محمد بن عبد الرحمن، ومَكّي بن عَبْدان التَّميميّ، وأبو مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقانيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعُ أذرع وستَّ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وستَّ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من ولاية الإخشيذ على مصر

وهي سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة:

فيها سار أبو عبد الله البَرِيديّ لمحاربة بَجْكَم بعد أن آستعان البَريديّ بالأمير عليّ بن بُوَيْه؛ فبعث عليّ بن بُوَيه معه أخاه أبا الحسين أحمد بن بُوَيه وأما البَرِيديّون فهم ثلاثة[2]: أبو عبد الله، وأبو الحسين، وأبو يوسف، كانوا كتّاباً على البريد.

وفيها قُطِعت يد الوزير ابن مُقْلة الكاتب المشهور ثم قُطِع لسانه ومات[3] في حبسه. وسببه أنّ آبن رائق لمّا وصل إليه التدبير كتَب ابن مُقْلة إلى بَجْكَم[4] يُطْمِعه

---

(١) في الأصل: «أبو إسحاق عبد الصمد الهاشمي» وهو خطأ. والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب.

(٢) هم ثلاثة إخوة: أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي المتوفى سنة ٣٣٢هـ، وأبو الحسين عبد الله بن محمد البريدي، ضربت عنقه في بغداد سنة ٣٣٣هـ، وأبو يوسف يعقوب بن محمد البريدي الذي قتله أخوه أبو عبد الله سنة ٣٣٢هـ. (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ١٩٠/٧).

(٣) في الأصل: «وتم».

(٤) هو أبو الحسين بجكم التركي. والأصح أن يقال «باچكام» وهي كلمة إيرانية انتقلت إلى التركية ومعناها: ذيل حصان. انظر ترجمته وتدرجه في السلطة في دائرة المعارف الإسلامية: ٢٢٩/٦ ـ ٢٣٢.

في الحضرة، وبلغ ابنَ رائق، وأظهر الخليفةُ أمرَه وآستفتَى القضاةَ، فيقال: إنهم أفتَوْا بقطع يده، ولم يصحّ ذلك؛ فأخرجه الراضي إلى الدِّهليز وقطع يده بحضرة الأمراء؛ وحُبس آبن مُقلة واعتلّ[١]؛ فلما قرُب بَجْكَم من بغداد قطع آبنُ رائِق لسانَه أيضاً؛ وبَقِي في الحبس إلى أن مات، حسبما يأتي ذكره.

وفيها ورد كتاب ملك الروم إلى الراضي، وكانت الكتابة بالروميّة بالذهب والترجمةُ العربيّة بالفِضّة، وعنوانه من رُومَانُس وقُسْطَنْطِين وإسْطَفَانُس عظماء ملوك الروم إلى الشريف البهِيّ ضابط سلطان المسلمين[٢]:

«باسم الأب والابن ورُوح القُدُس الإله الواحد، الحمد لله ذي الفضل العظيم، الرؤوف بعباده الجامع للمفترقات، والمؤلِّف للأمم المختلفة في العداوة حتى يصيروا واحداً. . .»[٣]، وحاصل الكتاب أنّه أُرسِل بطلب الهدنة. فكتب إليهم الراضي بإنشاء أحمد بن محمد بن جعفر بن ثوابة[٤] بعد البسملة:

«من عبد[٥] الله أبي العباس الإمام الراضي بالله أمير المؤمنين، إلى رُومَانُس وقُسْطَنْطِين وإسْطَفَانس رؤساء الروم. سلام على من آتّبع الهدَى، وتمسّك بالعروة

---

(١) في الأصل: «وتعلل».

(٢) كذا أيضاً في المنتظم لابن الجوزي: ٢٩٣/٦. وقد أورد ذلك ابن العبري في تاريخ الزمان: ٥٦ على النحو التالي: «من رومانس وقسطنطين وأسطفانس وقسطنطين ملوك الروم العظام، إلى فخامة سلطان المسلمين المعظم، سلام. . . إلخ».

(٣) وتكملة الكتاب عن ابن الجوزي: «ولما بلغنا ما رزقته أيها الأخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الأدب واجتماع الفضائل أكثر ممن تقدمك من الخلفاء، حمدنا الله تعالى إذ جعل في كل أمة من يمتثل أمره. وقد وجهنا شيئاً من الألطاف، وهي أقداح وجرار من فضة وذهب، وجواهر وقضبان فضة، وصقور وثياب سقلاطون ونسيج ومناديل، وأشياء كثيرة فاخرة».

(٤) في الأصل: «بوابة» وهو تصحيف. وقد تولى ابن ثوابة هذا ديوان الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر سنة ٣١٢هـ للمقتدر العباسي. ولم يزل على ديوان الرسائل إلى أن مات سنة ٣٤٩هـ، فولي ديوان الرسائل بعده أبو إسحاق الصابي.

(٥) في الأصل: «من عند أبي العباس» وفيه تصحيف وسقط. والتصحيح عن عقد الجمان وتاريخ الزمان.

الوُثْقَى، وسلَك سبيلَ النجاة والزُّلْفَى...»[٤]. ثم أجابهم إلى ما طلبوا.

وفيها قلّد الخليفة الراضي بَجْكَم إمارةَ بغداد وخُراسان، وابنُ رائق مُسْتَتر.

وفيها كانت مَلْحَمَةٌ عظيمةٌ بين الحسن بن عبد الله بن حَمْدان وبين الدُّمُسْتُق، ونصَر الله الإسلامَ وهرَب الدُّمُسْتُق، وقتِل من ناصريه[٢] خلائق، وأُخذ سرير الدمستق وصليبه.

وفيها توفِّي إبراهيم بن داود أبو إسحاق الرَّقِّي؛ كان من جِلَّة مشايخ دِمَشق وله كرامات وأحوال.

وفيها توفِّي عبد الله بن محمد بن سُفْيان أبو الحُسَين الجزَّار[٣] النحويّ، كان له التصانيف في علوم القرآن وغيرها.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفِّي أبو ذَرّ أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان بن البَاغَنْدِيّ، وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن الحَجّاج بن رِشْدِين[٤]، ومحمد بن زكرياء بن القاسم المُحَارِبيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسُ أذرع وأربعُ أصابع. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وعشرُ أصابع.

* * *

(١) قارن بتاريخ الزمان لابن العبري: ص ٥٦.

(٢) في الأصل: «وقتل من الناصري خلائق» وفيه تحريف.

(٣) في الأصل: «أبو الحسن الجرّار» براءين مهملتين. وقد ورد في عقد الجمان والمنتظم وابن الأثير بأشكال مصحفة. وما أثبتناه عن الأعلام: ٤/١١٩ نقلاً عن نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري.

(٤) في الأصل: «رشيدين» والتصحيح عن فتوح مصر لابن عبد الحكم: ص ٢٩٧.

السنة الخامسة من ولاية الإخشيذ على مصر

وهي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة:

فيها سافر الراضي وبَجْكَم لمحاربة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان، وكان قد أخّر الحِمْل عما ضَمِنه من المَوْصِل والجزيرة؛ فأقام الراضي بتَكْريت، ثم التقى بَجْكَم وآبن حَمْدان، وآنهزم أصحاب بجكم وأُسِر بعضهم[١]؛ فحنِق بجكم وحمَل بنفسه فآنهزم أصحاب ابن حمدان؛ وأتبَعه بَجْكَم إلى أن بلغ نَصِيبِين، وهرب ابن حَمْدان إلى آمِد. ثم آصطلحا بعد ذلك؛ وصاهر بجكم الحسن بن حَمْدان المذكور[٢].

وفيها مات الوزير أبو الفتح الفضل [بن جعفر] بن الفُرَات بالرَّمْلة.

وفيها آستوزر الراضي أبا عبد الله أحمد بن محمد البَرِيدِيّ، أشار عليه بذلك ابن شِيرْزاد[٣]، وقال: نُكْفَى شرّه؛ فبعث الراضي قاضيَ القضاة أبا الحسين عمر بن محمد بن يوسف إليه بالخِلَع والتقليد.

وفيها كتب أبو عليّ عمر بن يحيى العَلَويّ إلى القَرْمطيّ ــ وكان يُحبّه ــ أن يُطْلِق طريق الحاجّ ويُعطيَه عن كلّ جِمْل خمسة دنانير، فأذِن وحجّ بالناس؛ وهي أوّل سنة أُخِذ فيها المَكْس من الحجّاج.

وفيها توفِّي عبد الرحمن [بن محمد][٤] بن إدريس، أبو محمد بن أبي حاتم

(١) في الأصل: «بعدهم» وهو تحريف.

(٢) الظاهر أن بجكم اضطر إلى مصالحة ابن حمدان ليدفع خطر ابن رائق عن بغداد. ذلك أن بجكم لم يكد يذهب إلى الموصل لمحاربة الحسن بن عبد الله بن حمدان حتى ظهر ابن رائق فجأة في بغداد على رأس ألفي مقاتل. ثم استطاع بجكم أن يتوصل مع ابن رائق إلى اتفاق سلمي أخذ ابن رائق بمقتضاه حكم حرّان والرها وقنسرين ونواحي الفرات الأعلى والحصون التي على التخوم. وأخذ بجكم يعدّ العدّة للتفرغ لبني بويه الذين كانوا قد بسطوا سلطانهم على العراق الأسفل. (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٢٢٨/٦ ــ ٢٣٢، وابن الأثير: ١٤٣/٧).

(٣) هو أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد. كان وزيراً ببجكم. (انظر أخباره في ابن الأثير وتجارب الأمم).

(٤) زيادة عن عقد الجمان وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ.

الرازيّ، الحافظ ابن الحافظ؛ كان إماماً، صنّف «الجَرْح والتعديل». قال أحمد بن عبد الله النَّيْسابوريّ: كنا عنده وهو يقرأ علينا «الجَرْح والتعديل» الذي صنّفه، فدخل يوسف بن الحسين الرازيّ، فجلس وقال: يا أبا محمد، ما هذا؟ فقال: الجَرْح والتعديل؛ قال: وما معناه؟ قال: أُظهِر أحوال العلماء من كان ثِقَةً ومن كان غير ثقة؛ فقال له يوسف: أمَا آستحييتَ من الله تعالى! تذكر أقواماً قد حَطّوا رواحلَهم في الجنة، أو عند الله، منذُ مائة سنة أو مائتي سنة تغتابهم!؛ فبكى عبد الرحمن وقال: يا أبا يعقوب، والله لو طرَق سمعي هذا الكلامُ قبل أن أُصنّفه ما صنّفته؛ وارتعد وسقَط الكتاب من يده، ولم يقرأ في ذلك المجلس. قلت: فلو رأى الشيخ يوسف كلام الخطيب في تاريخ بغداد، وهو يقَع في حقِّ العلماء الأعلام الزهّاد بكلام يُخرجهم من الإسلام بذلك اللسان الخبيث، فما كان يفعل به!.

وفيها توفِّي محمد بن جعفر بن محمد، أبو بكر الخرائطيّ، من أهل سُرَّ مَنْ رأى؛ وكان عالماً ثِقة جيّد التصانيف متفنّناً. ـ رضي الله عنه ـ.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو عليّ الحسين بن القاسم الكوفيّ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازيّ في المحرّم، وأبو بكر محمد بن جعفر السَّامَرِّيّ الخَرَائِطِيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثُ أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة أربع عشرةَ ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة السادسة من ولاية الإخشيذ على مصر

وهي سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة:

فيها ورد الخبر إلى بغداد بأنّ سيف الدولة عليَّ بن عبد الله بن حَمْدان هزم الدُّمُسْتُق.

وفيها خرج بَجْكَم إلى الجبل[١] وعاد.

وفيها غرِقت بغداد غرقاً عظيماً؛ بلغت الزيادة تسعَ عشرةَ ذراعاً، وآنبثق بَثْقٌ من نواحي الأَنْبَار فآجتاح[٢] القُرَى، وغرِق من الناس والسباع والبهائم ما لا يُحْصى، ودخل الماء إلى بغداد من الجانب الغربيّ، وتساقطت الدُّور، وآنقطعت القنطرتان: القنطرة العتيقة والجديدة عند باب البَصْرة.

وفيها تزوّج بَجْكَم بسارّة بنت الوزير أبي عبد الله البَريديّ.

وفيها في شعبان توفِّي قاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف وقُلِّد مكانَه آبنُه القاضي أبو نصر يوسف.

وفيها فسَد الحال بين بَجْكَم وبين الوزير أبي عبد الله البَريديّ بعد المصاهرة لأمور صدرت[٣]، فعزَل بَجْكَم الوزيرَ المذكور وآستوزر مكانه أبا القاسم سليمان [بن الحسن][٤] بن مَخْلد، وخرَج بَجْكَم إلى واسِط.

وفي شهر رمضان ملَك محمد بن رائق حمص والشام إلى الرَّملة وإلى العَريش، ووقع بينه وبين الإخشيذ وقعة آنهزم فيها الإخشيذ. قلت: هي الوقعة التي ذكرناها في ترجمة الإخشيذ.

وفيها توفِّي أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب، أبو عمر الأُمَويّ، مولى هشام بن عبد الرحمن الداخل الأمويّ، الأَندلُسيّ القُرْطُبيّ صاحب كتاب العقد

---

(١) قال في معجم البلدان: الجبل هو اسم جامع للأعمال التي يقال لها الجبال، وهي التي تسمى بعراق العجم؛ وهي ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والريّ. وتسمية العجم له بالعراق غلط لا أعرف سببه. وكان سبب خروج بجكم إلى الجبل ثم عودته مسرعاً إلى بغداد أنه في هذه السنة صالح أبا عبد الله البريدي وصاهره وتزوج ابنته سارة؛ وكتب البريدي إلى بجكم يحثه على الخروج إلى الجبل ليفتحها ويساعده هو على أخذ الأهواز من يد عماد الدولة بن بويه. وإنما كان مقصوده أن يبعده عن بغداد ليأخذها منه. فلما بلغه ما يريده البريدي من المكيدة به، رجع سريعاً إلى بغداد. (انظر ابن الأثير والبداية والنهاية: حوادث سنة ٣٢٨هـ).

(٢) في الأصل: «فأخذت القرى». وما أثبتناه عبارة شذرات الذهب وعقد الجمان والمنتظم.

(٣) راجع الحاشية (١).

(٤) زيادة عن الفخري، ص ٢٨١.

[الفريد] في الأخبار. وُلِد سنة ستٍّ وأربعين ومائتين؛ وكان أديبَ الأندلُس وفصيحَها؛ مدَح ملوكَ الأندلُس، وكان صدوقاً ثِقة. وهو القائل: [البسيط]

الجسمُ في بلدٍ والروحُ في بلدِ ... يا وحشةَ الروح بل يا غُرْبَةَ الجَسَدِ

إن تَبْك عيناكَ لي يا مَنْ كَلِفتُ به ... من رحمةٍ فهما سهماكَ في كَبِدِي

ولـه: [البسيط]

يا ليلةً ليس في ظَلْمَائِها نورُ ... إلّا وجوهاً تُضَاهيها الدنانيرُ

خَوْدٌ سقتنيَ كأسَ الموت أعينُها ... ماذا سَقَتْنيه تلك الأعينُ الحُورُ

إذا ٱبتسمْنَ فدُرُّ الثَّغْر مُنْتَظِمٌ ... وإن نَطَقْنَ فدرّ اللفظ مَنْثُورُ

وفيها توفّي الحسن بن أحمد بن يزيد، أبو سعيد الإِصْطَخْرِيّ[1] شيخ الشافعيّة؛ سمِع الكثيرَ وحدّث وبرَع في الفقه وغيرِه، ومات في جُمادَى الآخرة.

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن أيّوب بن الصَّلْت، أبو الحسن[2] المقرىء المشهور المعروف بٱبن شَنَّبود[3]، وقد تقدّم ذكر واقعته مع الوزير ابن مُقْلة في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. قرأ ابن شَنَّبُود على أبي حَسّان محمد بن أحمد العَنْبريّ وإسماعيل بن عبد الله النحّاس والزبير بن محمد بن عبد الله العُمَرِيّ المدنيّ صاحب «قالون»[4]؛ وسمِع الحديث أيضاً من جماعة، وقرأ القرآن ببغداد سنينَ، قرأ عليه خلائق؛ وكان قد تخيّر لنفسه شواذَّ قراءةٍ كان يقرأ بها في المحراب حتى فُحِص أمره وقُبِض عليه في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ووقع له ما حكيناه مع ابن مُقْلة.

---

(١) نسبة إلى إصطخر، من بلاد فارس.

(٢) في الأصل: «أبو الحسين». والتصحيح عن ابن خلكان وشذرات الذهب وغاية النهاية. وفي نزهة الجليس للعباس بن علي الموسوي أن وفاته سنة ٣٢٤هـ.

(٣) كذا ضبطه أبو المحاسن في حوادث سنة ٣٢٨هـ، بشين معجمة ونون مشدّدة وباء مضمومة ودال مهملة. وقد ضبطه ابن خلكان وصاحب الشذرات بالعبارة بنون مفتوحة مخففة وذال معجمة في الأخير.

(٤) قالون: هو لقب عيسى بن ميناء بن وردان المدني، أحد القراء المشهورين، المتوفى سنة ٢٢٠هـ. لقبه به نافع القارىء لجودة قراءته، ومعناه بلغة الروم: جيّد. وعند اليونانيين القدماء والمتأخرين: «كالون» بمعنى «جميل» و«طيّب» وبالفرنسية: beau, bon, honorable. (انظر الأعلام: ٥/١١٠). وفي حاشية طبعة دار الكتب المصرية أن الذي لقبه به هو مالك رضي الله عنه، وأنه توفي سنة ٢١١هـ.

وفيها توفّي محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب، أبو عليّ الثَّقَفِيّ النَّيْسابوريّ الزاهد الواعظ الفقيه؛ هو من وَلَد الحَجّاج بن يوسف الثَّقَفِيّ؛ وُلِد بقُوهِسْتَان سنة أربع وأربعين ومائتين، وسمِع الحديث في كِبَره من جماعة، وروَى عنه آخرون؛ وكان كبير الشأن أُعْجوبةَ زمانه في الوعظ والتصوّف والفقه والزهد.

وفيها توفّي محمد بن عليّ بن الحسن[١] بن مُقْلة، أبو علي الوزير صاحب الخطّ المنسوب؛ ولِي بعضَ أعمال فارس ثم وزر للمقتدِر سنة ستّ عشرةَ وثلاثمائة، ثم قَبَض عليه وصادره وحبَسه عامين، ثم وزر بعد ذلك ثانياً وثالثاً لعدّة خلفاء؛ ووقع له حوادثُ ومِحَن حتّى قُطعت يده ولسانُه وحُبِس حتّى مات. قال الصُّولي: ما رأيت وزيراً منذ توفّي القاسم بن عبيد الله أحسن حركةً، ولا أظرفَ إشارةً، ولا أملحَ خطًّا، ولا أكثرَ حِفْظاً، ولا أسلطَ قلماً، ولا أقصدَ بلاغة، ولا آخذَ بقلوب الخلفاء، من محمد بن عليّ (يعني ابن مُقْلة). قال: وله بعد هذا كلِّه عِلْم بالإعراب وحفظ اللغة. وقال محمد[٢] بن إسماعيل الكاتب: لما نَكَب أبو الحسن بن الفُرات أبا عليّ بن مُقْلة لم أدخل إليه في[٣] حبسه ولا كاتبته، خوفاً من آبن الفُرات؛ فلما طال أمره كتب إليّ يقول: [الطويل]

تُرَى حُرِّمتْ كُتْبُ الأخلّاء بينهم ... أبِنْ لِي، أم القِرطاسُ أصبحَ غاليا
فما كان لو ساءلتنا كيف حالُنا ... وقد دَهَمَتْنا نَكْبة هي ما هيا
صديقُك مَن راعاك عند شديدةٍ[٤] ... وكلٌّ[٥] تراه في الرخاء مُراعِياً
فهَبْكَ عدوّي لا صديقي فرُبّما ... تكاد الأعادي يرحَمون الأعاديا[٦]

---

(١) كذا في الأصل وعقد الجمان وشذرات الذهب والبداية والنهاية. وفي وفيات الأعيان والمنتظم والأعلام: «ابن الحسين».

(٢) في الفخري، ص ٢٧١: «حدّث أبو عبد الله أحمد بن إسماعيل، المعروف بزنجي كاتب ابن الفرات».

(٣) في الأصل: «إلى حبسه». وما أثبتناه عن الفخري.

(٤) في الفخري: «من راعاك في كل شدّة».

(٥) في الفخري: «فكلًّا».

(٦) في الفخري:

فهبكَ عدوي لا صديقي فإنني ... رأيت الأعادي يرحمون الأعاديا

وأنفذ في طيّ الورقة ورقة إلى الوزير، فيها:

«أمسكتُ ـ أطال الله بقاء الوزير ـ عن الشكوى، حتى تناهت البَلْوى؛ في النفسِ والمال، والجسم والحال؛ إلى ما فيه شِفاء للمنتقم، وتقويم للمجترم؛ حتى أفضيتُ إلى الحَيْرة والتبلُّد، وعيالي إلى الهُتْكة والتشرد. وما أبداه الوزير ـ أيّده الله ـ في أمري إلا بحقّ واجب، وظنّ غيرِ كاذب. وعلى كل حال فلي ذمام وحُرْمة، وصحبة وخِدمة؛ إن كانت الإساءة أضاعتها، فرِعاية الوزير أيده الله تعالى بحفظه، ولا مفزَعَ إلا إلى الله بلطفه، وكَنَفِ الوزير وعطفه[1]؛ فإن رأى ـ أطال الله بقاءه أن يلحَظ عبدَه بعين رأفته، ويُنْعِمَ بإحياء مهجته، وتخلِيصها من العذاب الشديد، والجَهْد الجَهِيد، ويجعلَ له من معروفه نصيباً، ومن البَلْوَى فرجاً قريباً».

وفيها توفِّي محمد بن القاسم بن محمد بن بشّار أبو بكر الأنْبَارِيّ[2] النحويّ اللغويّ العلاّمة؛ وُلِد سنة إحدى وسبعين ومائتين، سمِع الكثير وروَى عنه جماعةٌ كثيرة. وقال أبو عليّ القاليّ تلميذُه: كان أبو بكر يَحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهدٍ في القرآن[3].

وفيها توفّي أبو الحسن المزيّن أحد مشايخ الصوفيّة ببغداد؛ كان آسمه فيما قيل عليّ بن محمد. قال السُّلَمِيّ: صحِب الجُنيدَ وسهلَ بن عبد الله؛ وأقام بمكّة مجاوراً إلى أن مات؛ وكان من أورع المشايخ وأحسنهم حالاً. وهذا هو أبو الحسن المزيّن الصغير؛ وأما أبو الحسن المزين الكبير فبغداديّ أيضاً، وله ترجمة في تاريخ[4] السُّلَمِيّ مختصرة.

---

(١) الكلام هنا غير تام. ينقصه خبر المبتدأ «رعاية». ولم نجد مصدراً آخر يذكر هذه الرسالة.

(٢) يرد في كتب التراجم بصيغتين: «أبو بكر الأنباري» و«أبو بكر بن الأنباري».

(٣) وقيل له: قد أكثر الناس من محفوظاتك، فكم تحفظ؟ فقال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً. وقيل إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدها. وكان سائر ما يصنفه ويمليه من حفظه لا من دفتر ولا كتاب.

(٤) لعل المراد به كتاب «طبقات الصوفية» للسلمي. والسلمي هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري، أبو عبد الرحمن. من علماء الصوفية. توفي سنة ٤١٢هـ.

وفيها توفّي المُرْتعِش الزاهد النَّيسابوريّ. هو عبد الله[١] بن محمد؛ أصله من محلة الحِيرة؛ وصحِب أبا حفص[٢] والجُنيد، وكان أحد مشايخ العراق. قال أبو عبد الله الرازيّ: كان مشايخ العراق يقولون: عجائب بغداد في التصوّف ثلاث: إشارات الشِّبْلِيّ[٣]، ونُكَت أبي محمد المرتعش، وحكايات جعفر الخُلْدِيّ[٤]. وسُئل المرتعِش: بماذا ينال العبد المحبّة لمولاه؟ قال: بمُوَالاة أولياء الله ومُعَاداة أعدائه. وقيل له: إن فلاناً يمشي على الماء؛ فقال: عندي أن من يُمكِّنه الله من مخالفة هواه أعظم من المشي على الماء.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وستّ أصابع.

* * *

السنة السابعة من ولاية الإخشيد على مصر

وهي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة:

فيها آستكتب بَجْكَمُ أبا عبد الله الكوفيّ، وعزَل آبن شِيرْزاد عن كتابته وصادره.

وفيها في صفر وصلت الروم إلى كَفَرْتُوثَا[٥] من أعمال الجزيرة، فقتلوا وسبوا.

---

(١) قال صاحب عقد الجمان: اختلفوا في اسمه، فقال الخطيب: اسمه جعفر وكنيته أبو محمد. ووافقه المنتظم في ذلك. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: اسمه عبد الله بن محمد. (انظر عقد الجمان والبداية والنهاية).

(٢) هو عمر بن مسلمة الحداد، كما في الرسالة القشيرية. (عن طبعة دار الكتب المصرية، حاشية ٥).

(٣) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، كما في الرسالة القشيرية وأنساب السمعاني. (المرجع السابق).

(٤) راجع ص ١٨٨، حاشية (٤)

(٥) كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، بينها وبين دارا خمسة فراسخ. وهي بين دارا ورأس عين. (معجم البلدان).

وفيها في شهر ربيع الأوّل آشتدّت علّة الراضي، وقاء في يومين أرطالاً من الدم؛ فأرسل أبا عبد الله الكوفيّ المذكور إلى بَجْكَم يسأله أن يولّي العهدَ آبنه أبا الفضل[1] وهو الأصغر، وكان بجكم بواسط، ثم توفّي الراضي.

وفيها في سابع جُمادى الآخرة سقَطت القبّة الخضراء بمدينة المنصور، وكانت تاج بغداد ومأثرة بني العباس. قال الخطيب في تاريخه: إنّ المنصور بناها آرتفاعَ ثمانين ذراعاً، وأن تحتها إيواناً طوله عشرون ذراعاً في مثلها. وقيل: كان عليها مثال فارس في يده رمح، إذا آستقبل به جهةً عُلِم أن خارجيّاً يظهر من تلك الجهة[2]؛ فسقَط رأس هذه القبّة ليلةً ذات مطر وبرد ورعد.

وفيها كان غلاء مُفْرط ووباء عظيم ببغداد، وخرَج الناس يستسقون وما في السماء غَيْم، فرجعوا يخوضون في الوَحَل، وآستسقَى بهم أحمد بن الفضل الهاشميّ.

وفيها عزَل المتّقي الوزيرَ سليمان[3]، وآستوزر أبا الحسن[4] أحمد بن

---

(١) في البداية والنهاية: «وكان الراضي قد أرسل إلى بجكم وهو بواسط أن يعهد إلى ولده الأصغر أبي الفضل، فلم يتفق له ذلك، وبايع الناس أخاه المتقي لله إبراهيم بن المقتدر». وذكر ابن الأثير أنه لما مات الراضي بقي الأمر في الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدوم أبي عبد الله الكوفي كاتب بجكم من واسط، وكان بجكم بها، واحتيط على دار الخلافة. فورد كتاب بجكم مع الكوفي يأمر فيه بأن يجتمع مع أبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الراضي كل من تقلّد الوزارة وأصحاب الدواوين والعلويون والقضاة والعباسيون ووجوه البلد، ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة ممن يرتضى مذهبه وطريقته، فجمعهم الكوفي واستشارهم، فاتفق رأيهم على إبراهيم بن المقتدر الذي لقب بالمتقي لله.

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان: ١/٤٦٠ معلقاً على رواية الخطيب: «هكذا ذكر الخطيب، وهو من المستحيل والكذب الفاحش، وإنما يحكى هذا عن سحرة مصر... ولو كان كلما توجهت إلى جهة خرج منها خارجي لوجب أن لا يزال خارجي يخرج في كل وقت، لأنها لا بد أن تتوجه إلى وجه من الوجوه» قال: وكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة.

(٣) أي سليمان بن الحسن بن مخلد.

(٤) كذا في الأصل وشذرات الذهب ومروج الذهب. وفي ابن الأثير والتنبيه والإشراف وتجارب الأمم: «أبو الحسين». وفي الفخري: «أبو الخير أحمد بن محمد بن ميمون» قال: ولم يكن له سوى الاسم من الوزارة، ولم يكن له سيرة تؤثر. ثم جرت أمور أدّت إلى القبض عليه وإلى عزله.

محمد بن ميمون الكاتب؛ ثم قدم أبو عبد الله البَريديّ يطلب الوزارة فأجابه المتّقي. وكانت وزارة آبن ميمون شهراً[١].

وفيها قلّد الخليفة المتّقي إمْرة [الأمراء][٢] الأميرَ كورتكين الديلميّ، وقلّد بدراً الخَرْشنِيّ[٣] الحجابة.

وفيها توفي أمير المؤمنين الراضي بالله، أبو العباس، محمد[٤] ابن الخليفة جعفر المقتدِر ابن الخليفة المعتضِد أحمد ابن وليّ العهد الموفّق طلحة ابن الخليفة المتوكّل جعفر ابن الخليفة المعتصم محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهديّ محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس الهاشميّ البغداديّ العباسيّ؛ بُويع بالخلافة بعد موت عمّه القاهر بالله، ومات في منتصف شهر ربيع الآخر وهو آبن إحدى وثلاثين سنة وستّة أشهر. وبُويع بالخلافة أخوه إبراهيم، ولقّب بالمتّقي. وأم الراضي أم ولد رومية[٥].

---

(١) في ابن الأثير: ثلاثة وثلاثين يوماً.

(٢) زيادة عن ابنْ الأثير.

(٣) الخرشني: نسبة إلى خرشنة، بلد قرب ملطية من بلاد الروم. وقد ذكرها أبو فراس الحمداني في شعره لما كان بها أسيراً:

إن زرت خرشنةً أسيرا فلكم حللت بها مغيرا

(٤) ورد في ابن الأثير وابن كثير والفخري أن اسمه «أحمد». قال الزركلي في الأعلام: ٧١/٦: «المؤرخون مختلفون في اسمه: أحمد أو محمد. وكنت قد رجحت الأول «أحمد» تبعاً لابن الأثير وابن كثير وابن أنجب وآخرين، ثم صحّت عندي الرواية الثانية، وهي تسميته «محمداً» بعد ظهور «أخبار الراضي والمتقي» وهو جزء من كتاب «الأوراق» لابن الصولي، وكان ابن الصولي معاصراً له، صديقاً، على اتصال به؛ وقد سماه «محمداً» وذكر أنه لما كان أميراً، قبل أن يلقب نفسه بالراضي، أمره أن يوجه إليه بالأسماء التي ينعت بها الخلفاء، فأرسل إليه رقعة فيها ثلاثون اسماً، فجاءه منه: قد اخترت «الراضي بالله». ومن كانت هذه حاله معه فهو من أعرف الناس باسمه. وممن سمّاه «محمداً» أصحاب تاريخ بغداد، وفوات الوفيات، ومعجم الشعراء، وتاريخ الخميس. انتهى كلام الزركلي. قلت: وممن سماه محمداً أيضاً المسعودي في مروج الذهب والسيوطي في تاريخ الخلفاء. وقد ورد هنا: «أبو إسحاق محمد...» وهو خطأ. والمصادر تجمع على أنه أبو العباس.

(٥) واسمها: ظلوم (تاريخ الخلفاء للسيوطي).

كان الراضي فاضلاً سَمْحاً جواداً شاعراً محبّاً للعلماء؛ وهو آخر خليفة له شعر[١] مُدوّن، وآخر خليفة آنفرد بتدبير الجند، وآخر خليفة خطَب يوم الجُمُعة، وآخر خليفة جالس الندماء.

قال الصوليّ: سئل الراضي أن يخطب يوم جمعة، فصعِد المِنبر بسرّ مَن رأى، فحضرتُ أنا وإسحاق بن المعتمِد؛ فلما خطب شنّف الأسماع وبالغ في الموعظة. انتهى.

قلت: ومن شعر الراضي، ــ رضي الله عنه ــ: [مجزوء الخفيف]

كلّ صَفْوٍ إلى كَدَرْ ... كلّ أمن[٢] إلى حَذَرْ
ومصيرُ الشباب للـ ... ـموت فيه أو الكِبَرْ[٣]
درَّ درُّ المشيب من ... واعظ يُنْذِر البشَر
أيّها الآمِل الذي ... تاه في لُجّة الغرر
أين مَن كان قبلَنا ... ذَهب الشخص والأثرْ[٤]
ربِّ فاغفِرْ لِيَ الخطيـ ... ـئة يا خيرَ مَن غفَر[٥]

وفيها في شوّال آجتمعت العامّة وتظلّموا من الديلم ونزولهم في دُورِهم، فلم يقَع لذلك إنكار[٦]؛ فمنعتِ العامّة الإمام من الصلاة وكسرتِ المِنبر، ومنعهم الديلم من ذلك، فقُتِل من[٧] الفريقين جماعة كثيرة.

---

(١) طبع ديوان شعر الراضي مرتباً على الحروف في كتاب «أخبار الراضي والمتقي» بمصر سنة ١٩٣٥م، وهو من كتاب «الأوراق» لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي.

(٢) كذا أيضاً في ابن الأثير وابن كثير. وفي تاريخ الخلفاء: «أمر».

(٣) في تاريخ الخلفاء: «الكدر».

(٤) كذا أيضاً في تاريخ الخلفاء. وفي ابن الأثير وابن كثير: «درس العين والأثر».

(٥) كذا أيضاً في ابن كثير. وفي تاريخ الخلفاء:
ربِّ فاغفر خطيئتي ... أنت يا خير من غفر

(٦) المراد أن العامة تظلموا من الديلم، وشكوا أمرهم إلى كورتكين الديلمي ــ الذي كان قد استولى على أمر بغداد بعد هرب البريدي ــ فلم يسمع شكواهم. انظر في ذلك ابن الأثير وابن كثير في حوادث سنة ٣٢٩هـ.

(٧) في الأصل «بين». وما أثبتناه عن المنتظم لابن الجوزي.

وفيها آستوزَر المتّقي القَراريطيَّ[١]، وخلَع المتقي على بدر الخَرْشَنيّ، وقلّده الحجابة وجعله حاجب الحجّاب. قلت: هذا أوّل ما سمِعنا بمن سمّي حاجب الحجّاب؛ ولكن لا نعلم هل كان بهذه الكيفيّة أو غير هذه الصورة من أنه كبير الحَجَبة؛ ولعلّه ذلك.

وفيها توفّي بجكم التركيّ، الأمير أبو الخير؛ كان أمير الأمراء قبل بني بُوَيْه، وكان عاقلاً يفهَم العربيّة[٢]، ولا يتكلّم بها بل يتكلّم بتَرْجُمانه، ويقول: [أخاف][٣] أن أتكلّم فأُخطىء، والخطأ من الرئيس قبيح. وكان عاقلاً سيُوساً عارفاً، يتولّى المظالم بنفسه. قال القاضي التَّنُوخِيّ[٤]: جاء رجل من الصوفيّة إلى بجكم، فوعَظه بالعربيّة والفارسيّة حتى أبكاه؛ فلما خرج قال بجكم لرجل: احمل معك ألف درهم وادفعها إليه؛ فأخذها الرجل ولحِقه؛ وأقبل بجكم يقول: ما أظنّه يقبلها؛ فلمّا عاد الغلام ويده فارغة قال بجكم: أخذها؟ قال: نعم؛ فقال بجكم بالفارسيّة: كلّنا صيّادون ولكن الشباك تختلِف.

وفيها وقع الحرب بين محمد بن رائق وبين كورتكين وآنكسر كورتكين وآختفى[٥].

وفيها توفّي عبد الله بن طاهر بن حاتم أبو بكر الأَبْهَـرِيّ. كان من أقـران الشِّبْلِيّ[٦]. سئل: ما بالُ الإنسان يحتمِل من معلّمه ما لا يحتمل من أبويه؟ فقال: لأن أبويه سبب لحياته الفانية، ومعلّمه سبب لحياته الباقية.

---

(١) هو أبو إسحاق، محمد بن أحمد الإسكافي القراريطي، كما ورد في ابن الأثير ومعجم زامباور ومروج الذهب. وورد في الفخري باسم «أبـي إسحاق محمد بن إبراهيم الإسكافي المعروف بالقراريطي».

(٢) في الأصل: «يفهم بالعربية».

(٣) الزيادة عن المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية.

(٤) هو أبو القاسم علي بن محمد بن أبـي الفهم المتوفى سنة ٣٤٢هـ: قاض، أديب، شاعر، عالم بأصول المعتزلة.

(٥) لما استقر أمر ابن رائق استطاع أن يظفر بكورتكين، وحبسه في دار الخلافة.

(٦) هو أبو بكر، دلف بن جحدر الشبلي المتوفى سنة ٣٣٤هـ. وقد اختلف في اسمه ونسبه. انظر في ذلك صفة الصفوة: ٢٥٨/٢، وفيما يأتي من أخبار السنة الثانية عشرة من ولاية الإخشيد على مصر، وهي سنة ٣٣٤هـ.

وفيها توفّي العباس بن الفضل بن العباس بن موسى، الأمير أبو الفضل الهاشمي العباسيّ؛ كان فاضلاً؛ سمِع الحديث ورواه، ومات في جُمادى الأولى.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي الحسن بن عليّ أبو محمد البَرْبَهارِيّ[١] شيخ الحنابلة، والقاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زَبْر[٢]، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزِيّ الحامِض، والراضي بالله أبو إسحاق محمد بن المقتدِر في [شهر] ربيع الآخر عن آثنتين وثلاثين سنة، وأبو نصر محمد بن حَمْدويه المَرْوَزِيّ القارىء، وأبو بكر يوسف بن يعقوب التَّنُوخِيّ الأزرق[٣].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وإحدى عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة من ولاية الإخشيذ على مصر

وهي سنة ثلاثين وثلاثمائة:

فيها آستوزر الخليفة المتقي أبا عبد الله البريديّ برأي آبن رائق لمّا رأى آنضمام الأتراك إليه، فآحتاج إلى مداراته.

وفيها في المحرّم وُجِد كورتكين الديلمي في درب، فأُحضر إلى دار [آبن] رائق فحبسه.

وفيها كان الغلاء العظيم ببغداد، وأُبيع كُرّ القمح بمائتي[٤] دينار وعشرة

---

(١) في الأصل: «البرنهاري» بالنون، وهو تصحيف. والبربهاري: نسبة إلى «البربهار» وهي أدوية كانت تجلب من الهند من الحشيش والعقاقير والفلوس وغيرها. ويسميها أهل البصرة: البربهار، ومن يجلبها يقال له: البربهاري. (أنساب السمعاني). ولعلها ما يسمى اليوم بالبهارات.

(٢) في الأصل: «ابن زيد» وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القاموس.

(٣) قيل له «الأزرق» لأنه كان أزرق العينين.

(٤) في البداية والنهاية: «وبيع الكرّ بمائة وثلاثين ديناراً» ولم يذكر نوعه.

دنانير، وأكلوا الميتة، وكثُرت الأموات على الطرق، وعمّ البلاء؛ وخرج في [شهر] ربيع الآخر الحُرَم من قصر الرُّصافة يستغثن في الطرقات: الجوعَ الجوعَ! وخرج الأتراك وتُوزون فساروا[١] إلى البَريديّ بواسط.

وفي هذه الأيام وصلت الروم إلى حموص[٢] من أعمال حلَب ـ وهي على ستة فراسخ من حلَب ـ فأخربوا وأحرقوا وسبَوْا عشرة آلاف نَسَمة.

وفيها ولي قضاء الجانبين[٣] ومدينة أبي جعفر القاضي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخِرَقِيّ التاجر؛ وتعجّب الناس من تقليد مثله القضاء.

وفيها عُزِل البريديّ وقُلّد القراريطيُّ الوزارةَ.

وفيها في جُمادَى الأولى ركِب المتّقي ومعه آبنه أبو منصور ومحمد بن رائق والوزير القراريطيّ والجيش، وسار بين أيديهم القرّاء في المصاحف، لقتال البريديّ، وآجتمع الخلق على كرسي الجسر فثقُل بهم وآنخسف فغرِق خلق؛ وأمر ابن رائق بلعنِ البريديّ على المنابر. ثم أقبل أبو الحسين عليّ بن محمد أخو البريديّ إلى بغداد وقارب المتقي وابنَ رائق وقاتلهما فهزمهما، وكان معه الترك والديلم والقرامطة؛ ودخلوا بغداد وكثُر النهب بها؛ وتحصّن ابن رائق بها؛ فزحف أبو الحسين البريديّ على الدار، وآستفحل الشر، ودخل طائفة دار الخلافة وقتلوا جماعة؛ وخرج الخليفة المتقي وآبنه هاربيْن إلى المَوْصِل ومعهما آبن رائق، وآستتر الوزير القراريطيّ؛ ودخلوا على الحُرَم ونُهِبت دار الخلافة؛ ووجدوا في السجن كورتكين الديلميّ وأبا الحسن[٤] [سعيد بن عمرو بن سنجلا][٥] وعليّ بن يعقوب، فجيء بهم إلى أبي الحسين؛ فقيّد كورتكين وبعث به إلى أخيه بالبصرة؛ وكان آخرَ

(١) في الأصل: «فسار إلى عند البريدي».
(٢) لم نجد هذا الاسم في معاجم البلدان التي بين أيدينا؛ ولعل الصواب: «حيص» وهي من الأعمال الحلبية، وقد ذكرها ابن الشحنة في تاريخ مملكة حلب نقلاً عن ابن فضل الله العمري.
(٣) أي قضاء جانبي بغداد: الشرقي والغربي.
(٤) في الأصل: «أبو الحسين» وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي وتجارب الأمم لمسكويه.
(٥) زيادة عن تجارب الأمم.

العهد به. ونزل أبو الحسين دار آبن رائق، وقلّد الشرطة [في الجانب الشرقي](١) لتُوزون، ولأبي منصور نوشتكين الشرطةَ في الجانب الغربيّ. وآشتدّ القحط ببغداد، حتى أُبيع كُرّ القمح بثلاثمائة وستةَ عشرَ ديناراً. ثم وقع بين البريديّ وبين توزون ونوشتكين حرب، ووقع لهم أمور؛ وآنصرف توزون إلى المَوْصِل وآنضم إلى ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان.

وفيها كانت وقعة بين الأتراك والقرامطة فانهزمت القرامطة.

وفيها آنضم محمد بن رائق على الحسن بن عبد الله بن حَمْدان المذكور؛ ثم وُقِّع بينهما؛ وقُتِل آبن رائق، قتله أعوان الحسن بن عبد الله بن حَمْدان المذكور؛ وخَلع المتقي على الحسن بن عبد الله بن حَمْدان المذكور ولقّبه بناصر الدولة، وعلى أخيه عليٍّ ولقّبه بسيف الدولة؛ وعاد الخليفة إلى بغداد. قلت: وهذا أول عظمة بني حَمْدان، فهم على هذا الحكم أقدمُ الملوك. ولما قدِم الخليفة المتقي إلى بغداد ومعه بنو حَمْدان هرب منها البَريديّ إلى واسط بعد أن أقام ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوماً.

وفيها توفّي العارف بالله أبو يعقوب إسحاق بن محمد النَّهْرَجُورِيّ(٢) شيخ الصوفيّة، مات بمكّة؛ وكان صحِب سهل بن عبد الله والجنيد وغيرهما، وكان من كِبار المشايخ.

وفيها توفّي المَحَامِليّ الزاهد، [و](٣)أبو صالح مُفْلِح بن عبد الله الدِّمَشقيّ صاحب الدعاء وغيرِه، وإليه ينسب مسجد أبي صالح خارجَ الباب الشرقيّ [من دمشق](٤)، وكان من الصلحاء الزهّاد.

وفيها توفّي محمد بن رائق الأمير أبو بكر؛ وكان من أكابر القوّاد؛ ولي الأعمال

(١) زيادة عن ابن الأثير وتجارب الأمم. وهي ضرورية لاستقامة السياق.
(٢) نسبة إلى «نهرجور»، بلد بين الأهواز وميسان. (معجم البلدان).
(٣) زيادة ضرورية، لأن المحاملي هو أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الضبي، كما في شذرات الذهب والبداية والنهاية وابن الأثير وعقد الجمان.
(٤) زيادة عن المراجع السابقة.

الجليلة، ثم قدِم دِمشق وأخرج منها بدراً الإخشيذي، وأقام بها شهراً؛ ثم توجّه إلى مصر والتقى هو والإخشيذ ـ وقد ذكرنا ذلك كلّه مفصّلاً في ترجمة الإخشيذ وغيره ـ ثم عاد إلى بغداد فدخلها، وخلَع عليه المتقي خِلعة الإمارة وألبسه الطَّوْق والسِّوَار وقلّده الأمور. ثم خرج مع المتقي لحرب[1] ناصر الدولة بن حَمْدان، وجرت له أمور طويلة حتى قُتِل بالمَوْصِل. قال الصوليّ: أنشدنا الأمير محمد بن رائق في فتاة مشرقيّة: [مجزوء البسيط]

يصفَرّ[2] لَوْني إذا بَصُرتُ به   خوفاً ويَحمرّ وجههُ خجلا
حتّى كأنّ الذي بوجنتهِ   مِن دم قلبي إليه قد نُقِلا

وفيها توفّي نصر بن أحمد أبو القاسم البصريّ الخُبْزأرزيّ الشاعر المشهور؛ قدِم بغدادَ وكان يخبِز خُبْزَ الأرز يتكسّب بذلك؛ وكان له نظم رائق، وكان أُمّيّاً لا يَتَهَجّى ولا يكتُب، وكان يُنْشد أشعاره وهو يخبِز خبز الأرز بمِرْبَد البصرة في دُكّان، وكان الناس يزدحمون عليه لاستماع شعره، ويتعجبون من حاله؛ وكان أبو الحسين

(١) الذي تذكره المصادر التاريخية أن ابن رائق وناصر الدولة الحمداني لم يكونا على وفاق، وكان بينهما تنافس شديد على إمرة الأمراء. وغير مستبعد أن يكون ناصر الدولة يتحين الفرص للتخلص من ابن رائق، غير أن أياً من المصادر التي بين أيدينا لم يذكر خروج المتقي وابن رائق لحرب ناصر الدولة، كما ورد هنا. والذي تذكره المصادر أن المتقي وابن رائق لما انهزما أمام البريدي ووصلا إلى تكريت أرسل المتقي إلى ناصر الدولة يستمده على البريديين، فجاءه ابن حمدان بالمدد. ثم ترددت الرسل بين ابن حمدان وابن رائق حتى تعاهدا واتفقا. ثم إن المتقي أرسل ولده أبا منصور وابن رائق ليسلما على ناصر الدولة، فاستقبلهما ونثر الدنانير والدراهم على ولد المتقي (إشارة منه إلى أنه قادر على إمداد الخليفة بما يعوزه من المال. وهذه المسألة كانت في ذلك الوقت من أنجع الوسائل للتقرب إلى الخليفة والحصول على تقليد إمرة الأمراء). وأراد ناصر الدولة أن يستبقي ابن رائق عنده بحجة أنه يريد التحدّث معه فيما يفعلانه، فاستراب ابن رائق في الأمر، واعتذر؛ ثم أراد الركوب، فجذبه ناصر الدولة بكمه، وشب به فرسه، فوقع، فصاح ابن حمدان بأصحابه أن اقتلوه، فقتلوه وألقوه في دجلة. ثم أرسل ابن حمدان إلى المتقي يقول إنه علم أن ابن رائق أراد أن يغتاله ففعل به ما فعل، فردّ عليه المتقي رداً جميلاً، وقلده إمرة الأمراء.

(٢) في مروج الذهب وعقد الجمان والبداية والنهاية ونهاية الأرب أن هذا الشعر للخليفة الراضي بالله. ونسبه ابن الأثير إلى ابن رائق، وقال: «وقيل إنه للراضي». ورواية البيت الأول في هذه المصادر:
يصفرّ وجهي إذا تأمله   طرفي ويحمرّ وجهه خجلا

محمد بن محمد [المعروف بابن لنك][1] الشاعر المشهور ينتاب[2] دكانه ليستمِع شعره، وآعتنى به وجمع له ديواناً. ومن شعره قوله: [الطويل]

خليليّ هل أبصرتُما أو سمِعتُما ... بأكرمَ من مولىً تمشّى إلى عبدِ
أتى زائراً من غير وَعْدٍ وقال لي ... أُجِلّك[3] عن تعليق قلبِكَ بالوَعدِ
فما زال نَجْم الكأس[4] بيني وبينه ... يدورُ بأفلاكِ السعادةِ والسعد
فطَوْراً على تقبيلِ نَرْجِس ناظرٍ ... وطوراً على تعضيض تُفّاحةِ الخدّ

وله: [الخفيف]

كم أُناسٍ وفَوْا[5] لنا حين غابوا ... وأُناسٍ جَفَوْا وهم حُضّار
عرّضوا ثم أعرَضوا، وآستمالوا ... ثم مالوا، وجاوروا[6] ثم جاروا
لا تَلُمْهُمْ على التجنّي فلو لم ... يَتَجَنَّوْا لم يحسُن الاعتذار

وله: [المتقارب]

وكان الصديقُ يزور الصديقَ ... لشُرْب المدام وعزفِ القِيانِ
فصار الصديقُ يزور الصديقَ ... لبَثِّ الهمومِ وشَكْوَى الزمان

وله القصيدة الطنّانة التي أوّلها: [الكامل]

بات الحبيبُ مُنَادِمي ... والسكْرُ يَصْبغُ وجْنَتَيهِ
ثم آغتدَى وقد آبتدا ... صِبْغُ الخُمَارِ بمُقْلَتيهِ

وهي طويلة. ومن شعره قوله: [المتقارب]

رأيتُ الهلالَ ووجهَ الحبيبِ ... فكانا هِلالَيْن عند النظرْ

---

(١) زيادة عن ابن خلكان ويتيمة الدهر.
(٢) في الأصل: «بات دكانه»، والتصحيح عن ابن خلكان والثعالبي.
(٣) كذا بالأصل وابن خلكان. وفي يتيمة الدهر ونهاية الأرب: «أصونك».
(٤) كذا في يتيمة الدهر. وفي الأصل وابن خلكان: «نجم الوصل».
(٥) كذا أيضاً في ابن خلكان. وفي يتيمة الدهر: «رعوا».
(٦) في اليتيمة: «وأنصفوا».

فلم أدْرِ من حَيْـرتِي فيهـمـا هلالَ الدُّجَى من هلالِ البشر
ولــولا التــورّد في الــوجْنَتَيْنِ ومـا راعنِي من سـواد الشَّعَـر
لكنتُ أظنّ الهــلالَ الحبيـبَ وكنت أظنّ الحـبيـبَ القـمـر

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ثلاث أذرع ونصف إصبع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وثماني أصابع.

* * *

السنة التاسعة من ولاية الإخشيد على مصر

وهي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة:

فيها تزوّج أبو منصور إسحاق ابن الخليفة المتّقِي بالله ببنت ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان التَّغْلَبِـيّ؛ والصداق مائتا ألف دينار، وقيل: مائة ألف دينار وخمسمائة ألف درهم[1].

وفيها في صفر وصلت الرومُ أَرْزَنَ[2] ومَيّافارِقِين ونَصِيبِين فقتلوا وسَبَوْا؛ ثم طلبوا مِنْديلاً من كنيسة الرُّها يزعمون أن المسيح مسح به وجهه فآرتسمت صورته فيه، على أنهم يُطْلِقون جميع من سَبَوْا من المسلمين. فآستفتَى الخليفةُ الفقهاءَ فأفتَوْا بأنّ إرساله مصلحة للمسلمين؛ فأرسل الخليفة إليهم المِنْديل وأُطْلِق الأُسَارَى.

---

(١) جاء في البداية والنهاية: وفي ربيع الآخر منها عقد أبو منصور إسحاق بن الخليفة المتقي عقده على علوية بنت ناصر الدولة بن حمدان على صداق مائة ألف دينار وألف ألف درهم، وولي العقد على الجارية المذكورة أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي، ولم يحضر ناصر الدولة.

(٢) مدينة مشهورة قرب خلاط، لها قلعة حصينة، كانت من أعمر نواحي أرمينية (مراصد الاطلاع: ١/٥٥) وهي اليوم من مدن تركيا في أرمينية على منتصف الطريق بين سعرد (أو سعرت) في الشرق وميافارقين في الغرب. (دائرة المعارف الإسلامية: ٢/٥٧٤). أما أرزن الروم فهي مدينة أخرى في تركيا من بلاد أرمينية أيضاً، وقد سماها العرب أرزروم أو أرض الروم. وعرفها الأرمن باسم «كرن» Karin. وهي المدينة الإسلامية في بلاد قاليقلا. (بلدان الخلافة الشرقية: ١٤٩).

وفيها ضيّق الأمير ناصر الدولة حسنُ بن عبد الله بن حَمْدان على الخليفة المتّقِي في نفقاته، وأخذ ضِياعَه وصادر الدواوين وأخذ الأموال، فكرِهه الناس.

وفيها وافى الأميرُ أحمد بن بُوَيْه يقصِد قتال البَريدي، فآستأمن إليه جماعة من الديلم.

وفيها هاج الأمراء على سيف الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان بواسط، فهرب منهم في البَرِّيَّة[١] يريد بغداد؛ ثم سار ناصر الدولة إلى المَوْصِل خائفاً لهروب أخيه سيف الدولة، ونُهِبت داره؛ وآستوزر المتقي أبا الحسين[٢] علي بن أبـي عليّ محمد بن مُقْلَة.

وفيها سار تُوزون من واسط وقصد بغداد في شهر رمضان؛ فآنهزم سيف الدولة إلى المَوْصِل أيضاً؛ فخلـع الخليفة المتقي على توزون ولقّبه أمير الأمراء. ثم وقعت الوَحْشة بين المتقي وتوزون، فعاد توزون إلى واسط.

وفيها نَزَح خلق كثير من بغداد مـع الحجّاج إلى الشام ومصر خوفاً من الفتنة.

وفيها وُلد لأبـي طاهر القرمطيّ ولد، فأهدى إليه أبوعبد الله البَريديّ هدايا عظيمة، فيها مَهْد ذهب مجوهر.

وفيها آستوزر المتّقِي الخليفةُ غيرَ وزيـر من هؤلاء الحامِلين ويعـزِله[٣]، فآستوزر أبا العباس[٤] الكاتب الأصبهانيّ. وكان أبو العباس المذكور ساقط الهِمّة

---

(١) في الأصل: «فهرب في البريد» وما أثبتناه عبارة الذهبي في تاريخ الإسلام.

(٢) في الأصل: «أبا الحسن» وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «ويعزل» وما أثبتناه عن الذهبـي.

(٤) هو أحمد بن عبيد الله الأصبهاني. وكـانت وزارته واحـداً وخمسين يـوماً. وقـد ولاه أمير الأمـراء ناصر الدولة بن حمدان. ويذكر هنا أنه منذ عهد المتقي لم يعد للوزراء سلطة حقيقية، وإنما كان يلي السلطة الفعلية أمير الأمراء. وفي هذه السنة أي ٣٣١هـ توالى على الوزارة ثلاثة وزراء هم أبو العباس المذكور هنا، ثم أبو إسحاق محمد بن أحمد الإسكافي القراريطي للمرة الرابعة لمدة عشرين يوماً، ثم أبو الحسين علي بن محمد بن علي بن مقلة، وخلـع المتقي وهو وزيـره. (انظر معجم زامبـاور: ٩، والفخري: ٢٨٦).

بحيث إنه كان يركب أيام وزارته وبين يديه آثنان، وما ذلك إلا لضعف دَسْت الخلافة ووَهْن دولة بني العباس.

وفيها حجّ بالناس القرمطيّ[١] على مال أخذه منهم.

وفيها توفِّي بدر الخَرْشَنِيّ؛ وكان قد جرت له أمور ببغداد، وكان من أكابر القوّاد؛ ثم سار إلى الإخشيذ محمد بن طُغْج أمير مصر ـ أعني صاحبَ الترجمة ـ فولّاه الإخشيذ إمْرة دِمَشق، فوَلِيها شهرين، ومات في ذي القَعْدة. وقد تقدّم ذكر بدر هذا في عدّة أماكن في الحوادث وغيرها.

وفيها توفّي أبو سعيد سِنان[٢] بن ثابت المتطبّب، والد ثابت مصنّف التاريخ[٣]. وقد أسلم سنان على يد الخليفة القاهر بالله؛ وطبّب سنان المذكور جماعة من الخلفاء، وكان مُفْتَنّاً في علم الطبّ وغيره.

وفيها توفّي محمد بن عَبْدُوس مصنف «كتاب الوزراء» ببغداد؛ كان فاضلاً رئيساً، وله مشاركة في فنون.

وفيها توفّي محمد بن إسماعيل، أبو بكر الفَرْغَانِيّ الصوفيّ، أستاذ أبي بكر الدقّاق؛ كان من المجتهدين في العبادة. قال الرَّقّي: ما رأيت أحسن منه ممن يُظْهر الغنى في الفقر؛ كان يلبَس قميصين ورداء وسراويلَ ونعلاً نظيفاً وعمامة، وفي يده مِفتاح وليس له بيت، ينطرح في المساجد، ويَطْوِي الخمسَ والستّ. وقال

(١) كذا هي العبارة بالأصل. وهي غير مستقيمة؛ وذلك أنه لم يرد في كتب التواريخ أن القرمطي ــ والمراد به أبو طاهر القرمطي ــ قد حجّ بالناس. ولعل صواب العبارة أن يقال: «وفيها حجّ الناس على مال أخذه منهم القرمطي». قال المسعودي في مروج الذهب: ٤٠٨/٤: «ثم كانت سنة ٣٢٠هـ حجّ بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز، خليفة لأبيه،، ولم يزل يحج بالناس إلى سنة ٣٣٥هـ، وهو على قضاء مكة في هذا الوقت أي سنة ٣٣٦هـ، وإليه قضاء مصر وغيرها».

(٢) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي وابن الأثير وطبقات الأطباء. وفي عقد الجمان والمنتظم والبداية والنهاية: «ثابت بن سنان» وهو خطأ، لأن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة الحرّاني الصابي، توفي سنة ٣٦٥هـ.

(٣) ألف تاريخاً ذكر فيه ما كان في أيامه، ابتداه بسنة ٢٩٥هـ، وختم بوفاته. وله كتاب في «أخبار الشام ومصر».

عبد الواحد بن بكر: سمِعت الرَّقيّ يقول: سمِعت الفَرْغانيّ محمد بنَ إسماعيل يقول: «دخلتُ الدَّيْر الذي بطور سِيناء، فأتاني مَطْرانهم بأقوام كأنهم نُشِروا من القبور، فقال: هؤلاء يأكل أحدهم في الأسبوع مرّة، يفخرون بذلك؛ فقلت لهم: كم صبْر مسيحكُم هذا؟ قالوا: ثلاثين يوماً، وكنتُ قاعداً في وسط الدَّيْر، فلم أزل جالساً أربعين يوماً لم آكل ولم أشرب؛ فخرج إليَّ مَطْرانهم فقال: يا هذا، قم، فقد أفسدتَ قلوب كلّ من في الدير؛ فقلت: حتى أُتمّ ستين يوماً؛ فألحّوا فخرجت.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي حسن بن سعد الكُتَاميّ القُرْطُبِيّ الحافظ، ومحمد بن أحمد بن يعقوب بن شَيْبة السَّدُوسيّ، ومحمد بن مَخْلَد بن حَفْص العطّار، ويعقوب بن عبد الرحمن الجَصّاص.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وستُّ أصابع. مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة العاشرة من ولاية الإخشيذ على مصر

وهي سنة آثنتين وثلاثين وثلاثمائة:

فيها قدِم أبو جعفر بن شِيْرزاد من واسط من قِبَل توزون إلى بغداد، فحكَم على بغداد؛ فخرج الخليفة المتقي إلى تَكْرِيت بأولاده ومعه الوزير؛ فقدِم عليه سيف الدولة وأشار عليه بأن يصعَد إلى المَوْصِل ليتّفِقوا على رأي؛ فقال المتقي: ما على هذا عاهدتموني. ثم حضرَ ناصر الدولة بن حَمْدان والتقى مع تُوزون وآقتتلوا أيّاماً وأردفه أخوه، ثم آنهزم بنو حَمْدان وفرّوا ومعهم المتّقي إلى نَصِيبِين. ثم أرسل المتقي لتُوزون في الصلح فأجاب توزون إلى الصلح. ورجع الخليفة إلى بغداد بعد أمور صدرت له.

وفيها قتل أبو عبد الله البَريديّ أخاه أبا يوسف، ثم مات بعده بيسير.

وفيها ولّى ناصر الدولة بن حَمْدان آبنَ عمّه الحسين بن سعيد بن حَمْدان قِنَّسْرِينَ والعواصمَ فسار إلى حلَب.

وفيها كتب المتقي إلى الإخشيذ صاحب مصر أن يحضر إليه؛ فخرج من مصر وسار إلى الرقَّة. وقد تقدّم ذكر ذلك في أوّل هذه الترجمة.

وفيها قُتِل حَمْدِي[١] اللص، وكان لِصّاً فاتكاً، كان[٢] ابن شيـرزاد ضمَّنه اللصوصية ببغداد في الشهر بخمسة وعشرين ألف دينار، وكان يكبِس بيوت الناس بالمَشْعَل والشَّمَـع ويأخذ الأموال؛ وكان أسكورج[٣] الدَّيْلميّ قد ولي شُرْطة بغداد فقبض عليه ووسّطه[٤]. قلت: لعل حمدي هذا هو الذي يقال له عند العامة في سالف الأعصار: «أحمد الدَّنِف»[٥].

وفيها دخل أحمد بن بُوَيْه واسطاً، وهرب أصحاب البَريديّ إلى البصرة.

وفيها في شوّال عرض لتُوزون صَرْع وهو على سرير الملك، فوثب آبن شيرزاد وأرخى عليه السِّتْر، وقال: قد حدَثتْ للأمير حُمَّى.

---

(١) في ابن الأثير وتجارب الأمم: «ابن حمدي».

(٢) عبارة ابن الأثير: «وعظم أمر ابن حمدي، فأعجز الناس، وأمنه ابن شيرزاد وخلـع عليه، وشرط معه أن يوصله كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه هو وأصحابه. وكان يستوفيها من ابن حمدي بالروزات ــ أي الوصولات الرسمية ــ فعظم شرّه حينئذ، وهذا ما لم يسمـع بمثله».

(٣) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي تجارب الأمم: «أشكورج». وفي عقـد الجمان: «بنكورج»، وفي ابن الأثير: «أبو العباس الديلمي صاحب الشرطة».

(٤) أي قطعه نصفين من وسطه.

(٥) أحمد الدنف: بطل إحدى قصص الشطار في ألف ليلة وليلة وخصيم دليلة المحتالة، كما أنه أستاذ علي الزيبق صاحب أكبر سيرة شعبية في قصص الشطار في التراث الشعبي العربي. وقد اختلف المؤرخون في تحديد العصر الذي عاش فيه أحمد الدنف: ففي حين يرى أبو المحاسن أن أحمد الدنف وابن حمدي شخصية تاريخية واحدة، فقد ذكر ابن إياس في بدائع الزهور(وقائع سنة ٨٩١هـ) خبر مقتل أحمد الدنف، فقال: «وفيه (أي شهر ذي القعدة سنة ٨٩١هـ) رسم السلطان الملك الأشرف قايتباي بتوسيط شخص من كبار المفسدين يقال له أحمد الدنف، وله حكايات في فن السرقة يطول شرحها». وأشار ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ في تفسيره إلى سيرة الدنف الشائعة في عصره ضمن سير شعبية أخرى. وأمام هذا التضارب في الروايات التاريخية عن أحمد الدنف، يمكننا تصور أنه قد أصبح شخصية نمطية تسمى بها أكثر من واحد في أكثر من عصر. حول شخصية ابن حمدي وأحمد الدنف بين الواقع التاريخي والرمز الفني، انـظر: حكايـات الشطار والعيّـارين في التراث العـربـي للدكتـور محمـد رجب النجـار، ص ٦٠ ــ ٧٢، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٤٥؛ وفيه مصادر الدراسة.

وفيها لم يحجّ أحد لموت القرمطيّ.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن، مولى بني هاشم، أبو العباس الكوفيّ الحافظ المعروف بابن عُقْدة، وهو لقب أبيه. سمِع الكثير حتّى من أقرانه، وكان حافظاً مُفْتَناً؛ جمع الأبواب والتراجم، وروى عنه الدارَقُطْنيّ وغيرُه.

وفيها هلك الخبيث الطريد من رحمة الله أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنّابِي الهَجَرِيّ القرمطيّ في شهر رمضان بالجُدَرِيّ، بعد أن رأى في نفسه العبر وتقطّعت أوصالُه؛ وهو الذي قتل الحَجيج وآستباحهم غيرَ مرّة، وآقتلع الحجر الأسود. وتولّى مكانه أبو القاسم سعيد [بن الحسن أخوه](١). وقد تقدّم ذكر أبي طاهر فيما مضى؛ غير أن صاحب المرآة أرّخ وفاته في هذه السنة. وقد ذكرناها ثانياً لهذا المُنْكِر، عليه اللعنة والخِزي.

وفيها دخل الدُّمُسْتُق إلى رأس العين(٢) في ثمانين ألفاً من الروم، فقتل وسبَى خلقاً كثيراً؛ وقيل: كان ذلك في الماضية.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقْدة الحافظ، وأبو بكر محمد بن الحسين النَّيْسابوريّ القَطّان، وعبد الله بن أحمد بن إسحاق المصريّ الجوهري، رضي الله عنهم.

---

(١) زيادة عن تجارب الأمم لمسكويه. وفي البداية والنهاية أن الذي قام بالأمر بعده إخوته الثلاثة: أبو العباس الفضل، وأبو القاسم سعيد، وأبو يعقوب يوسف. وكان أبو العباس ضعيف البدن مقبلاً على قراءة الكتب، وكان أبو يعقوب مقبلاً على اللهو واللعب. ومع هذا كانت كلمة الثلاثة واحدة لا يختلفون في شيء، وكان لهم سبعة من الوزراء متفقون أيضاً». وذكر ابن الأثير أن أبا القاسم وأبا العباس كانا متفقين مع أبي طاهر على الرأي والتدبير، وكان لهم أخ ثالث لا يجتمع بهما وهو مشغول بالشرب واللهو. وجاء في كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشّار أن الذي تولى زعامة القرامطة بعد أبي طاهر أخوه أحمد، على أن يكون ولي عهده سابور بن طاهر.

(٢) رأس العين: مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر، بها عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور. (معجم البلدان).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وإصبع واحدة. مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعاً وتسع أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية الإخشيد على مصر

وهي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة:

فيها خُلِع المتقي إبراهيم من الخلافة وسُمِل، فعلَ به ذلك تُوزون. قال المسعوديّ: لما آلتقى توزون بالمتقي ترجّل وقبّل الأرض، فأمره المتقي بالركوب فلم يفعل، ومشى بين يديه إلى المُخَيَّم الذي ضُرِب له؛ فلمّا نزل قبض عليه تُوزون وأكحله، فصاح المتقي وصاح النساء، فأمر توزون بضرب الدبادب[1] حول المُخَيَّم، ثم دخل تُوزون بالمتّقي إلى بغداد مسمول العينين؛ وأحضر توزون عبد الله بن المكتفي وبايعه بالخلافة ولقّبه بالمستكفي بالله. ولما بلغ القاهرَ بالله المخلوعَ عن الخلافة والمسمول أيضاً قبل تاريخه أن المتقي خُلِع وسُمِل، قال: صرنا آثنين ونحتاج إلى ثالث؛ يعرّض بالمستكفي الذي بويع بالخلافة؛ وكان كما قال على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وكنية المستكفي أبو القاسم. وأمّه أمّ ولد[2]. وبويع بالخلافة وعمره إحدى وأربعون سنة. وعاش المتقي بعد خلعه وسمله خمساً وعشرين سنة أعمى. وكان خلعه في عشرين صفر؛ فلم يَحُلِ الحول على توزون حتى مات.

وفيها كانت وَقَعات عديدة بين توزون وبين أحمد بن بُوَيْه وكلّها على توزون والصَّرْع يعتريه، حتّى كَلَّ الرجال من الطائفتين؛ ورجَع آبن بُوَيْه إلى الأهواز، ورجع توزون إلى بغداد مشغولاً بنفسه من العلّة بالصرْع إلى أن مات.

---

(١) الدبادب: الطبول. أمر بذلك لئلا تسمع أصوات النساء.

(٢) في التنبيه والإشراف للمسعودي أن اسمها «غصن». وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي أن اسمها «أملح الناس».

وفيها سار سيف الدولة بن حمدان إلى حلَب فملكها وهرَب أميرها يَأنس المؤنسي إلى مصر؛ فجهّز الإخشيذُ صاحب الترجمة جيشاً لحربه، كما تقدّم في أول الترجمة.

وفيها غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم ورُدّ سالماً بعد أن بدّع بالعدوّ. وسبب هذه الغزوة أنه بلغ الدُّمُسْتُق ما فيه سيف الدولة من الشغل بحرب أضداده، فسار في جيش عظيم وأوقع بأهل بَغْرَاس[1] ومَرْعش وقتل وسبَى؛ فأسرع سيف الدولة إلى مَضيق وشِعاب وأوقع بجيش الدمستق وبيّتهم وآستنقذ الأُسارى والغنيمة من أيدي الروم، وآنهزم الروم أقبح هزيمة. ثم بلغ سيف الدولة أنّ مدينة الروم قد تهدم بعض سورها، وكان ذلك في الشتاء، فآغتنم سيف الدولة الفرصة فأناخ عليهم وقتل وسبَى، لكن أُصِيب بعض جيشه.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو الطيب أحمد بن إبراهيم الشَّيْبانيّ، وأبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حَكِيم[2] المدنيّ، والمتقي بالله إبراهيم بن المقتدر خُلِع وسُمِل في صفر، ثم بقي خاملاً منسيّاً إلى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وأبو عليّ محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلئي.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان واثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية الإخشيذ على مصر

وهي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة:

فيها كانت وفاة الإخشيذ كما تقدّم ذكره.

---

(١) بغراس: مدينة بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب. ومرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم. (انظر معجم البلدان).

(٢) في الأصل «محمد بن إبراهيم بن حطيم». وما أثبتناه عن معجم البلدان وشرح القاموس.

وفيها لقّب الخليفة المستكفي نفسه بإمام الحقّ وضرب ذلك على السّكّة.

وفيها في المحرّم توفّي توزون التركي الأمير بهِيت(١)، وكان معه كاتبه أبو جعفر بن شِيْرزاد؛ فطمع في المملكة وحلّف العساكر لنفسه، وسار حتى نزل بباب حَرْب (أحد أبواب بغداد)، فخرج إليه الديلم والجند، وبعث إليه المستكفِي بالإقامات وبخلع بِيض. ولم يكن مع آبن شيرزاد مال، فضاق ما بيده، فشَرع في مصادرات التجّار والكتّاب وسلّط الجندَ على العامّة، وتفرّغ لأذى الخلْق؛ فهرَب أعْيُن بغداد وآنقطع الجَلَب، فخرِبت وتخلخل أمرها.

وفيها قدِم معزّ الدولةِ أحمد بن بُوَيْه إلى بغداد بعد أمور صدرت، وخلَع عليه المستكفي ولقّبه «معزّ الدولة»، ولقّب أخاه عليّاً «عِماد الدولة»، وأخاه الحسن «ركن الدولة»، وضُربت ألقابهم على السِّكّة. ثم ظهر ابن شيرزاد وآجتمع بمعزّ الدولة. ومعزّ الدولة المذكور هو أوّل مَنْ ملَك من الديلم من بني بُوَيْه، وهو أوّل من وضع السُّعاة ببغداد ليجعلهم رُسُلاً بينه وبين أخيه ركن الدولة إلى الريّ. وكان له ساعيان: فضل ومرعوش، وكان كلّ واحد [منهما] يمشي في اليوم ستة وثلاثين فرسخاً، فضَرِي(٢) بذلك شباب بغداد وآنهمكوا فيه، حتى نَجُب منهم عدّة سُعاة.

وفيها خُلِع المستكفي من الخلافة وسُمِل، خلَعه معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه الديلميّ. وسببه أنه لمّا كان أوّل جُمَادى الآخرة دخل معزّ الدولة على الخليفة المستكفي فوقف والناس وقوف على مراتبهم، فتقدّم آثنان من الديلم فطلبا من الخليفة الرزق، فمدّ يده إليهما ظنّاً منه أنّهما يريدان تقبيلها؛ فجذباه من السرير وطرحاه إلى الأرض وجرّاه بعمامته. ثم هجم الديلم على دار الخلافة، وعلى الحُرَم

(١) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.

(٢) في الأصل: «فعوى لذلك». وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي. وضري بالشيء أو عليه: لزمه أو أولع به. وفي المنتظم: «فحرص أحداث بغداد وضعافهم على ذلك حتى انهمكوا فيه». وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: «. . . وأغرى المصارعين والسباحين فانهمك شباب بغداد في تعلم المصارعة والسباحة حتى صار السباح يسبح وعلى يده كانون وفوقه قدرة، فيسبح حتى ينضج اللحم».

ونهبوا وقبضوا على القَهْرَمانة[١] وخواصّ الخليفة. ومَضَى معزّ الدولة إلى منزله. وساقوا المستكفي ماشياً إليه، ولم يبقَ بدار الخلافة شيء إلّا نُهب. وخُلِع المستكفي وسُمِلت عيناه. وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر ويومين. وتوفّي بعد ذلك في سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة، وعمرهُ ستّ وأربعون سنة، على ما يأتي ذكره في محلّه. وهذا ثالث خليفة خُلِع وسُمِل كما بشّر به القاهر لمّا خُلِع المتّقِي وسُمِل؛ فإنّه قال: بَقِينا آثنين ولا بدّ لنا من ثالث. وقد تقدّم ذكر ذلك عند خلْع المتّقِي ثم أحضر معزّ الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر جعفرٍ وبايعه بالخلافة ولقّبه بالمطيع لله، وسنّه يومئذ أربع وثلاثون سنة. ثم قدّموا آبن عمّه المستكفي المذكور فسلّم عليه بالخلافة وأشهدَ على نفسه بالخَلْع؛ وذلك قبل أن يُسْمل. ثم صادر المطيعُ خواصَّ المستكفي وأخذ منهم أموالاً كثيرة. وقرّر له معزّ الدولة في كلّ يوم مائة دينار.

وفيها عظُم الغلاء ببغداد في شعبان وأكلوا الجِيفَ والرَّوْث وماتوا على الطُّرُق، وأكلت الأكْلُب لحومهم، وبيع العَقار بالرُّغْفَان، ووُجِدت الصغار مشويّة مع المساكين، وهرَب الناس إلى البصرة وواسط فمات خلق في الطُّرُقات. وذكر ابن الجوزيّ أنّه آشتُري لمعزّ الدولة كُرّ دقيق بعشرين ألفَ درهم. قلت: والكُرّ: سبعة عشر قنطاراً بالدِّمشقيّ، لأن الكُرّ: أربعة وثلاثون كارة، والكارة: خمسون رِطلاً بالدمشقيّ[٢].

(١) القهرمانة هذه كانت جارية المستكفي، واسمها «علم». وسبب القبض عليها وقطع لسانها أنها صنعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم والأتراك، فاتهمها معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي ويزيلوا معز الدولة. وذكر ابن الأثير والعيني أسباباً أخرى في خلع المستكفي.

(٢) الكرّ: هو أضخم المكاييل العربية، وكان مكيالاً لأهل العراق، وهو عندهم ستون قفيزاً. ولما كان مبلغ القفيز ١٢ صاعاً، فمقدار الكرّ ٧٢٠ صاعاً. وهذا الكرّ هو الذي كانت تقدر به كميات الحبوب المأخوذة للخراج، وهو مسجّل بكثرة في سجلات الخراج الرسمية طوال العصر العباسي. (النظم الإسلامية لصبحي الصالح، ص ٤٢٢، ولسان العرب) وعلى ذلك يكون الكرّ يساوي ١٦٧٠ كيلوغرام و ١١٩ غراماً و ٤٧٢ من الغرام. (معجم متن اللغة) وهذا هو الكرّ العراقي أو البغدادي. وكان هناك الكرّ العور، وهو مكيال لأهل خوارزم ويساوي: ١١٨,٧٥٥ كلغ، والكرّ المائي ويساوي: ١٣٧, ٣٧١ كلغ، والكرّ المكيالي ويساوي: ١٥٨٣,٥٢٠ كلغ (المرجع السابق). وإذا كان الرطل =

وفيها وُقِع بين معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه وبين ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان التَّغْلَبيّ؛ وجاء فنزل سامرّا؛ فخرج إليه معزّ الدولة ومعه الخليفة المطيع لله في شعبان، وٱبتدأت الحروب بينهم بعُكْبَرَا[1]. وكان معزّ الدولة قد تغيّر على ابن شِيْرزاد واستخانه في الأموال. فلما وقَع القتال جاء ناصر الدولة فنزل بغداد من الجانب الشرقيّ وملكها؛ وجاء معزّ الدولة ومعه المطيع كالأسير فنزل في الجانب الغربيّ، ثم قوِي أمر معزّ الدولة حتّى ملَك بغداد، ونَهبت عساكره الديلمُ أهلَ بغداد، وهرب ناصر الدولة من بغداد.

وفيها توفّي القائم بأمر الله نِزار، وقيل: محمد[2] وهو الأشهر، وكنيته أبو القاسم بن المهديّ عُبيد الله الذي توثّب على الأمر وادّعى أنّه علويّ فاطميّ. يأتي ذكر أحوالهم في تراجم مَنْ ملَك مصر من ذرّيتهم كالمُعِزّ وغيره. ولِي القائم هذا بعد موت أبيه المهديّ بعهد منه إليه، وسار إلى مصر مرّتين، ووقَع له مع أصحاب مصر حروب وخُطُوب؛ تقدّم ذكر بعضها في تراجم ملوك مصر يوم ذاك. وكانت وفاة القائم هذا بالمهدِيّة من بلاد المغرب في شوّال. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: وكان القائم شرّاً من أبيه المهديّ زِنديقاً ملعوناً. ذكر القاضي عبد الجبّار أنّه أظهرَ سبّ الأنبياء عليهم السلام؛ وكانَ مناديه ينادي: العنوا الغار وما حَوَى. وقَتل خلقاً من العلماء. وكان يُراسل أبا طاهر القرمطيّ إلى[3] البَحْرَيْن وهَجَر، وأمَره

= الشامي يساوي: ٢٥٦٥,٨٩ غ فيكون وزن الكرّ بالحساب الشامي، على ما ذكر المؤلف هنا: ٢٥٦٥,٨٩ غ × ٥٠ × ٣٤ = ٤٣٦٢,٠١٣ كلغ.

(١) عكبرا: بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ.

(٢) أشار إلى الاختلاف في اسمه محمد بن علي بن حمادة في كتابه «أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم» (بتحقيق م. ڤوندرهايدن، باريس ـ الجزائر، ١٩٢٧)، ص ١٢، ورجّح أن صحّة الاسم محمد، واستدلّ على ذلك بأن أبا القاسم عندما سار إلى المغرب الأوسط في حياة أبيه في صفر سنة ٣١٥هـ لحرب محمد بن خزر الزناتي ومن تبعه من زناتة اختط مدينة المسيلة وسماها «المحمدية» باسمه، وهذا يدل على أن اسمه محمد، بخلاف من يقول إن اسمه عبد الرحمن. (الحلة السيراء: ١/٢٨٥، حاشية). قال ابن الأبار في الحلة السيراء: اختلف في اسم القائم، فقيل عبد الرحمن، وقيل حسن، وقيل محمد، وبهذا الاسم كان يذكر في الأمداح.

(٣) في الأصل: «من البحرين وهجر». وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي.

بإحراق المساجد والمصاحف. فلما كثُر فجوره خرج عليه رجل يقال له مَخْلَد بن كيداد[١]. وساق الذهبيّ أموراً نذكر بعضها في تراجم أولاده الآتي ذكرهم في أخبار ملوك مصر؛ فحينئذ نُطْلِق هناك عِنان القلم في نسبهم وكيفيّة دخولهم إلى مصر وأحوالهم مبسوطاً مُسْتَوْعباً.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن الحسن، أبو بكر المعروف بالصَّنَوْبَرِيّ الضبيّ الحلبيّ الشاعر المشهور. كان إماماً بارعاً في الأدب فصيحاً مُفَوّهاً. روَى عنه من شعره أبو الحسن الأديب وأبو الحسن بن جَمِيع وغيرُهما. ومن شعره: [مجزوء البسيط]

لا النومُ أدري به ولا الأرَقُ   يَدْرِي بهذين مَنْ به رَمَقُ
إنّ دموعي من طول ما آستبقتْ   كَلَّتْ فما تستطيع تستبقُ
ولِي[٢] مليكٌ لم تبدُ صورتُه   مذ كان إلّا صَلّت له الحَدَق
نويتُ تقبيل نارِ وجنته   وخِفت آدنُو منها فأحترِق

وفيها توفّي عليّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح، أبو الحسن البغداديّ الكاتب الوزير؛ وزَر للمقتدر والقاهر، وحدّث عن أحمد بن شعيب النَّسائِيّ والحسن بن محمد الزعفرانيّ وحُميد بن الرَّبيع، وروَى عنه آبنه عيسى والطبرانيّ وأبو طاهر الهُذَلِيّ؛ وكان صدوقاً ديّناً خيّراً صالحاً عالماً من خِيار الوزراء ومن صلحاء الكبراء؛ وكان كبير البِر والمعروف والصلاة والصيام ومجالسة العلماء. حكَى أبو سهل بن زياد القطّان أنّه كان معه لمّا نُفِي إلى مكّة، قال: فطاف يوماً [وسعَى][٣] وجاء فرمَى

---

(١) هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وُرِيمت بن تبقراسن بن سميدان بن يَفْرَن. كان من الخوارج وكان أحد أئمة الاباضية. خرج على أبي القاسم لكثرة فجوره، وحصلت بينهما وقائع مات القائم في أثنائها. (انظر البيان المغرب لابن عذاري: ٢١٦/١، والحلة السيراء: ٢٩٠/١).

(٢) كذا ورد هذا البيت والذي يليه في تاريخ ابن عساكر. ووردا في الأصل هكذا:

وبي مليك لم يبد صورته   مذ كان إلا خلت له الحدق
توقيت تقبيل نار وجنته   فخفت أدنو منها فأحترق

(٣) زيادة عن المنتظم.

بنفسه، وقال: أشتهي على الله شَرْبة ماء مَثْلوج؛ فنشأت بعد ساعة سحابة فبرَقت[١] ورعَدت وجاءت بمطر يسير وبَرد كثير، وجمع الغِلْمان منه جِراراً، وكان الوزير صائماً؛ فلمّا كان الإفطار جئته بأقداح مملوءة من أصناف الأشربة؛ فأقبل يسقي المجاورين، ثم شرِب وحمِد الله، وقال: ليتني تمنّيت المغفرة. وقال أحمد بن كامل القاضي: سمِعت عليّ بن عيسى الوزير يقول: كَسَبتُ سبعمائة ألف دينار أخرجت منها في وجوه البِرّ ستمائة وثمانين ألفَ دينار. وقال الصُّوليّ: لا أعلم أنه وزَر لبني العباس وزير يشبهه في عِفّته وزهده وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهارَه ويقوم ليلَه؛ ولا أعلم أنّني خاطبت أحداً أَعْرَفَ [منه] بالشعر. ولما نُكِب وعُزِل عن الوزارة قال أبياتاً منها: [الطويل]

ومَنْ يَكُ عنّي سائلاً لشماتة لِمَا نابني أو شامِتاً غيرَ سائِل
فقد أبرزتْ منّي الخُطُوبُ آبنَ حُرَّةٍ[٢] صبوراً على أهوال[٣] تلك الزلازِلِ

وفيها توفّي عمر بن الحسين بن عبد الله أبو القاسم الخِرَقِيّ البغداديّ الحنبليّ، صاحب «المختصر» في الفقه. وقد مرّ ذكر أبيه في محلّه. قال أبو يَعْلَى بن الفَرّاء: كانت لأبي القاسم مُصنّفات كثيرة لم تظهر، لأنه خرَج من بغداد لمّا ظهر بها سبّ أصحابه، وأودع كتبه في دار فآحترقت تلك الدار. وكانت وفاته بدِمَشق ودُفن بباب الصغير[٤].

وفيها توفّي أبو بكر الشِّبْلِيّ الصوفيّ المشهور صاحب الأحوال، وآسمه دُلَف بن جحْدر، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: جعفر بن دُلَف، وقيل غير ذلك[٥]؛ أصله من الشِّبْلِيّة، وهي قرية بالعراق، ومولدُهُ بسُرّ مَن رأى. ولي خاله إمْرة

---

(١) كذا في المنتظم. وفي الأصل: «وبردت فجاء برد كثير».

(٢) في الأصل: «الخطوب بزجرة». والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان.

(٣) في الأصل: «على أحوال». والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان.

(٤) أحد أبواب دمشق الستّة. في قبليه مقبرة بها كثير من الصحابة والتابعين وثلاث من أزواج النبي. (معجم البلدان).

(٥) انظر الخلاف في اسمه واسم أبيه في صفة الصفوة: ٢/٢٥٨.

الإسكندريّة، ووُلّي أبوه حجابة الحجّاب، ووُلّي هو حجابة الموفّق وليّ العهد. وسبب توبته أنه حضر مجلس خَيْر النساج وتاب فيه، وصحِب الجُنيد ومن في عصره، وصار أحد مشايخ الوقت حالاً وقالاً في حال صحوه لا في حال غيبته؛ وكان فقيهاً مالكيّ المذهب، وسمِع الحديث، وكان له كلام وعبارات، ومات في آخر هذه السنة وقد نيّف على الثمانين. قيل: إنه سأله سائل: هل يتحقّق العارف بما يبدو له؟ فقال: كيف يتحقّق بما لا يثبت! وكيف يطمئن إلى ما يظهر! وكيف يأنس بما لا يخفى! فهو الظاهر الباطن؛ ثم أنشأ: [الطويل]

فمَنْ كان في طول الهوَى ذاق سَلْوَةً ... فإنِّيَ مِن لَيْلَى بها غيرُ واثقِ
وأكثر شيءٍ نِلْتُه من وِصالها ... أمانيُّ لم تصدُق كلمحة بارِقِ

وله: [الهزج]

تَغَنّى العود فآشتقنا ... إلى الأحباب إذ غَنّى
وكنّا حيثما كانوا ... وكانوا حيثما كنّا

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو الفضل أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السُّلَمِيّ، وأبو بكر الصَّنَوْبَريّ الحلَبيّ أحمد بن محمد، والحسين بن يحيى بن عبّاس القَطّان، والمستكفي بالله عبد الله بن المكتفي خُلِع في جُمادى الآخرة وسُمِل وسُجِن ثم مات بعد أربعة أعوام، وعليّ بن إسحاق المادَرَانِي[١]، وأبو الحسن عليّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح الوزير، وأبو القاسم عمر بن الحسين الخِرَقِيّ الحنبليّ صاحب «المختصر» وأبو عليّ محمد بن سعيد القُشَيْرِيّ الحَرّانيّ الحافظ، والإخشيذ محمد بن طُغْج التركيّ في ذي الحجة بدِمشق عن ستّ وستين سنة، والقائم بأمر الله نِزَار، ويقال: محمد بن المهديّ عبيد الله، مات بالمهديّة في شوّال، وأبو بكر الشِّبْلِيّ شيخ الصوفيّة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وستّ أصابع.

(١) كذا في شذرات الذهب وأنساب السمعاني، نسبة إلى مادرانا: بلدة من أعمال البصرة. وفي الأصل: «الماردانى» وهو تحريف.

ذكر ولاية أُنُوجُور بن الإخشيد على مصر[١]

هو أنوجور[٢] بن الإخشيذ محمد بن جُفّ، الأمير أبو القاسم الفَرْغانِيّ التركيّ. وأنوجور اسم أعجميّ غيرُ كنية، معناه باللغة العربية محمود[٣]. وَلِي مصرَ بعد وفاة أبيه الإخشيد في يوم الجمعة لثمانٍ بقين من ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة؛ ولآه الخليفة المطيع لله على مصر والشام وعلى كلّ ما كان لأبيه من الوِلاية؛ فإنّه كان أبوه آستخلفه وجعله وليّ عهده؛ فأقرّه الخليفة على ما عهده له أبوه. ولما ثبت أمر أُنُوجُور المذكور صار الخادم كافورُ الإخشيذيّ مدبِّرَ[٤] مملكته، فكان كافور يُطْلق في كلّ سنة لابن أستاذه أُنُوجُور هذا أربعمائة ألفِ دينار، ويتصرّف كافور فيما يبقى. ثم قَبَض كافور على أبي بكر محمد بن عليّ بن مُقاتل صاحب خراج مصر في يوم ثالث المحرّم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وولّى مكانَه على

---

(١) ولاة مصر للكندي: ٣١١، وخطط المقريزي: ٣٢٩/١، وحسن المحاضرة: ١٤/٢، والمغرب في حلى المغرب، قسم مصر، ١٩٧/١، ومعجم زامباور: ٤٤، ١٤٣.

(٢) في هذا الاسم اختلاف في رسمه، إذ يقال: أنوجور، وأونوجور، وأنجور. وما أثبتناه عن عقد الجمان الذي ضبطه بالعبارة: بفتح الهمزة وضم النون والجيم بعدها وقبلها واو ساكنة وفي آخره راء ساكنة.

(٣) في حسن المحاضرة، عن الذهبي في العبر: «ومعناه محمود مقامه».

(٤) ذكر ابن سعيد في المغرب عن ابن زولاق أنه لما اجتمع وجوه الناس من الأمراء والقواد وغيرهم للنظر في الأمر بعد موت الإخشيد قال لهم الماذرائي: لم يمت الإخشيد حتى عقد لابنه أبي القاسم واستخلفه المتقي لأبيه. فاومؤوا إليه بأنه صغير ابن خمس عشرة سنة فقال لهم: وأيش يكون؟ أنا عقدت لهارون بن أبي الجيش وهو أصغر منه، ونزعت من أذنيه القرطين! وكانت أم أنوجور بحيث تسمع، فأرسلت إلى محمد بن علي الماذرائي ينوب عنه ويدبر الأمور، فقال: على ألا أنزع الطيلسان، ويكون ابني أبو علي كاتبه، فاتفقوا على ذلك؛ وكان أبو المظفر عمه حاضراً ينتظر أن يرد الأمر إليه، فتمّ الأمر لأبي القاسم أنوجور ــ ويفهم من هذا أن الماذرائي دبّر الأمر قبل انفراد كافور به. وانظر تعليقاً على هذا في كتاب سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص ٩٤ ــ ٩٥.

الخراج محمد بن عليّ الماذرائيّ. ولما تمّ أمر أُنُوجُور بِدمشق خرج منها وصحبتُه الأستاذ كافور الإخشيذي إلى مصر؛ فدخلها بعساكره في أوّل صفر؛ فأقام بها مدّة، ثم خرج منها بعساكره إلى الشام أيضاً لقتال سيف الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان؛ فإنّ سيف الدولة كان بعد خروج أُنُوجُور من دمشق ملَكها. ولما خرج أنوجور من مصر إلى الشام في هذه المرّة خرج معه عمّه الحسن بن طُغْج أخو الإخشيذ، ومدَبِّرُ دولته الخادم كافور الإخشيذيّ؛ فخرج سيف الدولة من دمشق وتوجّه نحو الديار المصريّة حتّى وصل إلى الرَّمْلة؛ فالتقى مع المصريّين؛ فكان بينهم وقعة هائلة آنكسر فيها سيف الدولة وآنهزم إلى الشام، فسار المصريّون وراءه فآنهزم إلى حلَب، فساروا خلفه فانهزم إلى الرَّقَّة. وقال المُسَبِّحِيّ: كان بين سيف الدولة وبين أبي المظفَّر الحسن بن طُغْج وهو أخو الإخشيذ ـ قلت: ذكر المسعوديّ الحسن هذا لصغر سنّ أنوجور ـ وقعةٌ باللَّجُّون[1]؛ فآنكسر سيف الدولة ووصل إلى دمشق بعد شدّة وتشتُّت؛ وكانت أمّه بدمشق فنزل بالمرج[2] خائفاً، وأخرج حواصله، وسار نحو حِمْص على طريق قارة[3]. وسار أخو الإخشيذ وكافور الإخشيذيّ إلى دِمشق، وآستقر أمرهم على الصلح، على أن يعود سيف الدولة إلى ما كان بيده من حلب وغيرها. وأقرّ أُنُوجُور يأنس المؤنسيّ على عادته في إمْرة دمشق؛ فإنّه كان أولاً آنهزم من سيف الدولة وسلّمه دمشق بالأمان. وعاد أنوجور وعمّه الحسن بن طُغْج وكافور الإخشيذيّ إلى الديار المصرية سالِمين.

ولما كان أنوجور بالشام خرج بمصر غَلْبُون متولّي الريف في جموع ونهب مصر وتغلّب عليها؛ فقدِم أنوجور فهرب غلبون من مصر، فتبِعه أبو المظفر الحسن بن طُغْج أخو الإخشيذ حتى ظفِر به وقتله.

---

(١) اللجون: بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلاً وإلى الرملة أربعون ميلاً. (معجم البلدان).

(٢) لعل المراد به: مرج راهط بنواحي دمشق. قال ياقوت: وهو أشهر المروج في الشعر، فإذا قالوه مفرداً فإياه يعنون. وذكر ياقوت ثلاثة مروج بنواحي دمشق هي: مرج راهط، ومرج الصُّفَّر، ومرج عذراء.

(٣) قارة: اسم قرية كبيرة على قارعة الطريق، وهي المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق. (معجم البلدان).

ثم آستوزر أنوجور أبا القاسم جعفر بن الفضل بن الفُرَات. ودام أنوجور على إمْرة مصر سنين إلى أن وقع بينه وبين كافور وحشة في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة. وسببها أنّ قوماً كلّموا أُنوجُور وقالوا له: قد آحتوى كافور على الأموال وآنفرد بتدبير الجيوش، وأخذ أملاك أبيك وأنت معه مقهور، وحملوه على التنكّر؛ فلزِم أُنوجُور الصيد والتباعد فيه إلى المحلّة[1] وغيرها وآنهمك في اللهو، ثمّ أجمع[2] على المسير إلى الرملة. فأعلمت أمّه كافوراً بما عزَم عليه ولدها خوفاً عليه من كافور. فلمّا علِم كافور بذلك راسله، ثم بعثت أمّه إليه تخوفه الفتنة؛ فآصطلحا ودام الأمر على حاله. ولم يزل أُنوجُور على إمْرة مصر إلى أن مات بها في يوم السبت سابع أو ثامن ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وحُمِل إلى القدس فدُفن عند أبيه الإخشيذ. وكانت مدّة ولايته على مصر أربعَ عشرةَ سنة وعشرةَ أيّام. ولمّا مات أُنوجُور أقام كافور الإخشيذي أخاه عليًّا أبا الحسين بن الإخشيد مكانه، وأقرّه الخليفة المطيع على إمْرة مصر على الجند والخراج، وأضاف إليه الشام، كما كان لأبيه الإخشيذ ولأخيه أُنوجُور. وقوِيت شوكة كافور في ولاية عليّ هذا أكثر مما كانت في ولاية أخيه لوجوه عديدة.

* * *

السنة الأولى من ولاية أُنوجُور بن الإخشيذ على مصر

وهي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

فيها جدّد معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه الأمان بينه وبين الخليفة المطيع لله بعد أن آنهزم ناصر الدولة بن حَمْدان في السنة الماضية من معزّ الدولة المذكور؛ ثم وقَع الصلح بينهما على أن يكون لناصر الدولة من تَكْرِيت إلى الشام.

وفيها آستولَى ركن الدولة الحسن بن بُوَيْه على الريّ.

---

(١) المحلّة: اسم لنحو مائة قرية بمصر. ولا ندري أية محلّة يريد.

(٢) في الأصل: «اجتمع».

وفيها أقيمت الدعوة بطَرَسُوس لسيف الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان، فنفّذ لهم الخلع والذهب ونفّذ لهم ثمانين ألفَ دينار للفِدَاء.

وفيها توفّي أحمد بن أبي أحمد [القاصّ][1] أبو العباس الطبريّ القاضي الفقيه صاحب أبي العباس بن سُرَيْج؛ كان إماماً فقيهاً، صنّف في مذهبه[2] كتاب «المِفْتاح» و«أدب القاضي» و«المواقيت» و«التلخيص»، وتفقّه عليه أهل طَبَرِسْتان. وكانت وفاته بطَرَسُوس.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق خوفاً من القرامطة.

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن الرَّبيع بن سليمان، أبو رَجَاء الفقيه الشافعيّ الشاعر؛ كان فاضلاً شاعراً، وله قصيدة ذكر فيها أخبار العالَم وقِصصَ الأنبياء؛ وسُئِل قبل موته: كم بلغت قصيدتك إلى الآن؟ فقال: ثلاثين ألفاً ومائة[3] بيت.

وفيها توفّي هارون بن محمد بن هارون بن عليّ بن موسى، أبو جعفر الضَّبّيّ؛ كان أسلافه ملوك عُمَان، وكان مُعظّماً عند السلطان، وآنتشرت مكارمه وعطاياه، وقصده الشعراء من كلّ مكان، وأنفق أموالاً عظيمة في [بِرّ][4] العلماء والأشراف و[آقتناء][4] الكتب النفيسة، وكان عارفاً بالنحو واللغة والشعر ومعاني القرآن والكلام، وكانت داره مَجْمعاً لأهل العلم.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو العباس القاضي صاحب ابن سُرَيْج، وأبو عمر حمزة بن القاسم الهاشميّ، وأبو بكر

---

(١) زيادة عن شذرات الذهب وابن خلكان. ووالده أبو أحمد القاص اسمه أيضاً أحمد، كما في سير النبلاء وطبقات الشافعية. (الأعلام: ١/ ٩٠).

(٢) هو المذهب الشافعي. وكان ابن القاص شيخ الشافعية في طبرستان؛ تفقه به أهلها وسكن بغداد.

(٣) كذا في طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي: ٢/ ١٠٨. وفي الأصل: «ثلاثين ألفاً ومائة ألف». وفي حسن المحاضرة للسيوطي: ١/ ٢٢٦: «مائة ألف بيت وثلاثين».

(٤) زيادة عن المنتظم.

محمد بن جعفر [الصَّيْرَفيّ][١] المَطِيريّ[٢]، وأبوبكر محمد بن يحيى الصُّوليّ [الشِّطْرَنْجِيّ][١]، والهَيْثم بن كُلَيب الشاشيّ[٣].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وإحدى عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعاً وثماني أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية أُنُوجُور على مصر

وهي سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة:

فيها خرج الخليفة المطيع ومعزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه إلى البصرة لمحاربة أبي القاسم عبد الله بن البَريديّ وسلَكوا البَرِّيّة[٤] إليها؛ فلما قاربوها آستأمن إلى معزّ الدولة جيش البَريديّ، وهرب هو إلى القرامطة؛ وملَك معزّ الدولة البصرة، وأقطع المطيع فيها من ضِياعها.

وفيها قدِم عماد الدولة عليّ بن بُوَيْه إلى الأهواز؛ فبادر أخوه معزّ الدولة أحمد إلى خدمته، وجاء فقبّل الأرض ووقف، وتأدّب معه معزّ الدولة؛ ثم بعد أيّام ودّعه؛ وعاد معزّ الدولة وقد أخذ واسطاً والبصرة.

وفيها ظفِر المنصور[٥] العُبيديّ بمَخْلَد بن كيداد وقتَل قوّاده ومزّق جيشه.

---

(١) زيادة عن شذرات الذهب والأنساب.

(٢) في الأصل: «الطبري». وهو تحريف. وما أثبتناه عن معجم البلدان وعقد الجمان وأنساب السمعاني. ونسبته إلى المطيرة من نواحي سر من رأى.

(٣) نسبة إلى الشاش، مدينة وراء نهر جيحون.

(٤) في الأصل: «من البرّة» وهو تحريف. إذ البرّة اسم لقريتين باليمامة من أرض نجد، يقال لهما: البرّتان. وما أثبتناه عن ابن الأثير.

(٥) هو إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي. كنيته أبو طاهر، ولقبه المنصور. (انظر البيان المغرب: ١/ ٢١٩).

وفيها أغارت الروم على أطراف الشام فسبَوْا وأسروا، فساق وراءهم سيفُ الدولة بن حَمْدان، ولحِقهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وآستردّ ما أخذوا من المسلمين؛ ثم أخذ حصن بَرْزُوَيه[1] من الأكراد بعد أن نازلهم مدّة.

وفيها وردت الأخبار أن نوحاً صاحب خُراسان أكحل أخويه وعمّه إبراهيم.

وفيها توفّي أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين المعروف بابن المُنَاديّ[2] البغداديّ؛ كان إماماً محدّثاً سمِع الكثير وصنّف كتباً كثيرة. قال أبو يوسف القَزْوِينيّ: صنّف في علوم القرآن أربعمائة ونَيِّفاً وأربعين كتاباً ليس فيها شيء من الحشو، وجمع فيها حُسْن العبارة وعلوّ الرواية.

وفيها توفّي العلّامة أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الصُّوليّ، الإمام المُفتنّ المعروف بالصوليّ الشِّطْرَنْجِيّ الكاتب؛ وكان صول من ملوك خُراسان وجُرجان؛ كان أحد علماء الفنون كالأدب وحسن المعرفة بأيّام الناس وطبقات الشعراء، واسعَ الرواية كثير الحِفظ؛ صنّف كتاب «الأوراق» وكتاب «الوزراء» وغيرَهما؛ وآنتهى إليه علم الهندسة [و] الشِّطْرَنْج؛ ونادم جماعةً من الخلفاء؛ وكان له نظم رائق؛ من ذلك قوله: [البسيط]

أحببتُ من أجلِه من كان يُشْبِهُه ... وكلُّ شيءٍ من المعشوق معشوقُ
حتّى حكيتُ بجسمي ما بمقلتِهِ[3] ... كأنّ سُقْمِي من جفنيه مسروق

وفيها توفّي محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر الشاشيّ القَفّال الكبير أحد أئمة الشافعيّة، كان إماماً فاضلاً؛ وهو أوّل من صنّف في الجَدَل؛ مات في صفر؛ قاله العلامة يوسف بن قِزأُوغْلي. وذكر الذهبيّ وفاته في سنة خمس وستين وثلاثمائة، وهو المشهور.

---

(١) في الأصل: «حصن مزريه» وهو تحريف. والتصحيح عن معجم البلدان لياقوت. قال: هو حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق، يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنجة بالحصانة.

(٢) في الأصل: «المناوي» بالواو، وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وعقد الجمان والبداية والنهاية والمنتظم.

(٣) في البداية والنهاية: «ماء مقلته».

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّى أبو الحسين أحمد بن جعفر المناديّ، وحاجب بن أحمد الطُّوسيّ، وأبو العباس محمد بن أحمد[1] بن حمّاد الأثْرم، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الحَكِيميّ، وأبو عليّ محمد بن أحمد بن محمد بن مَعْقِل المَيْدانِيّ[2]، وأبو طاهر محمد بن الحسين المحمَّداباذيّ[3].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وثلاث عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة أربعَ عشرةَ ذراعاً وسبعَ عشرةَ إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية أنُوجُور على مصر

وهي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة:

فيها كان الغرق ببغداد، وزادت دِجْلة إحدى وعشرين ذراعاً، وهرب الناس ووقعت الدُّور ومات تحت الرَّدْم خلْق كثير.

وفيها دخل بغداد أبو القاسم عبد الله بن البَرِيديّ بأمانٍ من معزّ الدولة، وأقطعه معزّ الدولة قُرًى بأعمال بغداد.

وفيها آختلف معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه وناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان التَّغْلَبيّ، وسار معزّ الدولة إلى المَوْصِل، فتأخّر ناصر الدولة إلى نَصِيبِين خائفاً، ثم صالحه ناصر الدولة في كلّ سنة على ثمانية آلافِ ألفِ درهم.

---

(١) كذا في ابن الأثير وشذرات الذهب. وفي الأصل: «محمد بن أحمد بن محمد بن حماد». وفي المنتظم: «محمد بن أحمد بن أحمد بن حماد».

(٢) نسبة إلى ميدان زياد بنيسابور. ويقال أيضاً الميداني لمن ينتسبون إلى «درب ميدان» محلة ببخارى. (السمعاني).

(٣) نسبة إلى محمداباذ، وهي محلة خارج نيسابور. وورد في أنساب السمعاني باسم: «محمد بن الحسن».

وفيها خرجت الروم، فتلقَّاهم سيف الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان التَّغْلَبيّ على مَرْعَش، فهزموه وملَكوا مرعش.

وفيها لم يحجّ أحد في هذه السنة من العراق.

وفيها وَلِي إمْرَة دمشق أبو المظفَّر الحسن بن طُغْج بن جُفّ نيابة لابن أخيه أُنوجُور بن الإخشيذ؛ وقد وليها مرّة أخرى في أيّام القاهر من قِبل أخيه الإخشيذ محمد بن طُغْج.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن حَمْدُويَه[1] بن نُعَيْم بن الحَكَم، أبو محمد المعروف بالبيِّع[2]، والد الحاكم [أبي عبد الله][3] النَّيْسابوريّ، صاحب التصانيف[4]. أذّن عبد الله هذا بمسجد ثلاثاً وثلاثين[5] سنة، وغزا اثنتين وعشرين غَزْوة، وأنفق على العلماء والزهّاد مائة ألف درهم، وكان كثير العبادة، وروَى عن مُسْلم وغيره.

وفيها توفّي قُدَامة بن جعفر، أبو الفرج[6] الكاتب صاحب المصنفات: مثل «كتاب البُلْدان» و«الخراج» و«صناعة الكتابة»[7] وغيرها. وكان عالماً، جالس المبرّد وثعلباً وغيرهما.

---

(١) علّق الزبيدي في تاج العروس على كلمة «حمدويه» بقوله: بفتح الدال والواو وسكون الياء، عند النحاة؛ والمحدثون يضمون الدال ويسكنون الواو ويفتحون الياء. وضبطه ابن خلكان على النحو الثاني.

(٢) كذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة: بفتح الباء الموحدة وكسر الياء المثناة وتشديدها.

(٣) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان والمنتظم والبداية والنهاية.

(٤) قال ابن خلكان: وصنّف في علومه ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء.

(٥) في البداية والنهاية: «ثلاثاً وستين سنة».

(٦) في الأصل: «أبو جعفر». وما أثبتناه هو كنيته عند أكثر المترجمين كابن النديم في الفهرست، وياقوت في معجم الأدباء، وابن الجوزي في المنتظم، والصفدي في الوافي بالوفيات، والمسعودي في مروج الذهب، خاصة وأن المسعودي كان معاصراً لقدامة بن جعفر. ويكنيه أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة بأبي عمرو.

(٧) الواقع أنها كتاب واحد، ومنه مصورة شمسية محفوظة بدار الكتب المصرية (رقم ١٩٧١ فقه حنفي) ومثبت في أولها اسم الكتاب هكذا: «كتاب صنعة الكتابة» وفي آخرها: «قد تمّ كتاب الخراج». انظر كتاب: قدامة بن جعفر والنقد الأدبي للدكتور بدوي طبانة، المقدمة، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو إسحاق إبراهيم بن شَيْبان القِرْمِيسِينيّ[١] الزاهد، وأبو عليّ محمد بن عليّ بن عمر المُذَكِّر[٢] النَّيْسابوريّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من ولاية أُنُوجُور على مصر

وهي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة:

فيها وصلَت تَقَادِم[٣] أنوجور بن الإخشيد عامل مصر صاحب الترجمة، وسأل معزّ الدولة أن يكون أخوه مشاركاً له في إمْرة مصر، ويكونَ من بعده، فأجابه.

وفيها تقلّد أبو السائب عُتْبة بن عُبيد[٤] الله الهَمَذانيّ قضاء القضاة ببغداد.

وفيها تحرّكت القَرامطة، ولم يحجّ أحد في هذه السنة من العراق.

وفيها عمّر المنصور العُبَيْديّ صاحب بلاد المغرب مدينة المنصوريّة.

وفيها ولي إمْرة دمشق شعلة بن بدر الإخشيذيّ من قبل صاحب الترجمة، وكان أحد الأبطال الموصوفين بالشجاعة، وفيه ظلم.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن عليّ أبو بكر المراغيّ؛ روى عن الربيع بن سليمان أبياتاً سمِعها من الشافعيّ رضي الله عنه، وهي: [الطويل]

---

(١) في الأصل: «الفريسي» وهو تحريف. والتصحيح عن عقد الجمان وشذرات الذهب وأنساب السمعاني. وهذه النسبة إلى قرميسين: بلدة بجبال العراق على ثلاثين فرسخاً من همذان.

(٢) في الأصل: «المنكدر» وهو تحريف. والتصحيح عن عقد الجمان وشذرات الذهب والبداية والنهاية والسمعاني. وهذه التسمية تستعمل لمن يذكر ويعظ.

(٣) أي الهدايا.

(٤) في الأصل هنا «عبد الله» وهو تحريف. وسيذكره في وفيات سنة ٣٥٠هـ.

شهِدتُ بأنّ الله لا ربّ[١] غيرُه وأشهَـد أنّ البعث حقّ وأخْلِصُ
وأنّ عُـرا الإيمـانِ قـولٌ مُحسَّنٌ وفعـلُ زكيّ قـد يـزيـد وينقُص
وأنّ أبـا بكـر خليـفـةُ ربّـه وكان أبو حفصٍ على الخير يَحْرِص
وأُشْهِـدُ ربّـي أنّ عثمان فـاضـل وأنّ عـليّـاً فضـلُه مُتـخصِّص[٢]
[أئمـة قـوم نهتـدِي بهُـداهُمُ لـحـا الله من إيّاهمُ يَتنقّص][٣]

وفيها توفّي أمير المؤمنين المستكفِي بالله عبد الله ابن الخليفة المكتفي بالله عليّ ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن وليّ العهد طلحة الموفق ابن الخليفة جعفر المتوكّل الهاشميّ العباسيّ البغداديّ؛ مات مُعتقَلاً بعد أن خُلِع من الخلافة وسُمِل قبل تاريخه بسنين في جُمادَى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، حسب ما تقدّم ذكره في محلّه. ومات برمي الدم، وكان محبوساً بدار معزّ الدولة بن بُوَيْه. ومات وله ستٌّ وأربعون سنة؛ وكان بويع بالخلافة بعد خَلْع المتقي بالله وسَمْله في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. وأمّ المستكفي بالله هذا أمّ ولد تسمّى غصن[٤].

وفيها توفّي السلطان عِماد الدولة أبو الحسن عليّ بن بُوَيْه بن فَنّاخُسْرُو الديلميّ ـ وقد ذكرنا من أمر بني بُوَيْه ومبدأ ملكهم نبذة في حوادث سنة آثنتين وعشرين وثلاثمائة ـ وكان قد ملك جميع بلاد فارس، وكان مِلِكاً عاقلاً شجاعاً مَهِيباً؛ آعتلّ بقُرْحَة في الكُلَى أنحلت جسمه، ومات بشِيراز وله تسع وخمسون سنة. وأقام الخليفة المطيع لله مُقامَه أخاه أبا عليّ الحسن ركن الدولة والد السلطان عَضُد الدولة بن بُوَيْه. وكان معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه صاحب أمر الخلافة يومئذ يُحِبّ أخاه عماد الدولة المتوفّى ويحترمه ويكاتبه بالعبوديّة ويقبّل الأرض بين يديه إذا اجتمعا مع عِظَم سلطانه، لكونه[٥] الأكبرَ سنّاً.

(١) في تاريخ ابن عساكر: «لا شيء غيره».
(٢) كذا في ابن عساكر. وفي الأصل: «فضله لمخصّص».
(٣) زيادة عن تاريخ ابن عساكر.
(٤) كذا في التنبيه والإشراف للمسعودي. وفي تاريخ الخلفاء أن اسمها «أملح الناس». وفي الأصل: «فضّة».
(٥) في الأصل: «لكونه كان عماد الدولة الأكبر سناً».

وفيها توفّي محمد بن عبد الله بن دينار، أبو عبد الله الفقيه الزاهد العدْل النَّيْسابوريّ، وكان صالحاً عابداً يحُجّ دائماً، ومات عند مُنْصَرَفِه من الحجّ في صفر؛ رضي الله عنه.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن إسماعيل، العلّامة أبو جعفر النحاس المصريّ النحويّ؛ كان من نظراء ابن الأنباريّ ونِفْطويه، وله كتاب «إعراب القرآن» وكتاب «المعاني» وكتاب «اشتقاق الأسماء الحسنى»[1]، ومصنّفات كثيرة غير ذلك.

وفيها توفّي إبراهيم بن عبد الرزاق بن الحسن، أبو إسحاق الأنطاكيّ الفقيه المقرىء؛ قرأ على هارون بن موسى الأخفش وأحمد بن أبي رَجَاء وغيرِهما، وصنّف كتاباً في القراءات الثمان، وسمِع الكثير وحدّث.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أحمد بن سليمان بن زَبّان[2] الكِنْدِيّ الدِّمَشْقيّ، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس، وإبراهيم بن عبد الرزّاق الأنطاكيّ، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي ثابت، وأبو عليّ الحسن بن حَبيب الحَضَائِريّ[3]، وعماد الدولة عليّ بن بُوَيْه الدَّيْلميّ صاحب بلاد فارس، وكانت أيامه ستَّ عشرةَ سنة، وأبو الحسن عليّ بن محمد الواعظ المصريّ، وعلي بن حَمْشَاد[4] العدْل.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

---

(١) المذكور في كتب التاريخ: «كتاب في الاشتقاق».

(٢) كذا في المشتبه في أسماء الرجال للذهبي وشرح القاموس. وفي البداية والنهاية: «ريّان». وفي الأصل: «زمان».

(٣) في الأصل: «الخضيري» وهو تحريف. وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمشتبه.

(٤) كذا في تذكرة الحفاظ والمنتظم وعقد الجمان. وفي شذرات الذهب: «علي بن محمد بن سختونة بن حمشاد (بالخاء المعجمة). وفي البداية والنهاية: «علي بن ممشاد بن سحنون بن نصر»، وفي الأصل: «علي بن ممشاد».

السنة الخامسة من ولاية أُنُوجُور على مصر

وهي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة:

فيها غزا سيف الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان بلاد الروم في ثلاثين ألفاً، ففتح حصوناً وقتل وسبَى وغنِم؛ فأخذ الروم عليه الدرب عند خروجه فآستولَوْا على عسكره قتلاً وأسراً، واستردّوا جميع ما أُخذ لهم، وأخذوا جميع خزائن سيف الدولة، [ونجا][1] في عدد يسير.

وفيها آستولَى [منصور بن][2] قراتكين على الرّيّ والجبال ودفَع عنها عسكر ركن الدولة.

وفيها رُدّ الحجر الأسود إلى موضعه؛ بعَث به القرمطيّ مع [أبي] محمد بن سَنْبَر[3] إلى الخليفة المطيع لله، وكان بَجْكَم قد دفع فيه قبل تاريخه خمسين ألفَ دينار وما أجابوا، وقالوا: أخذناه بأمر وما نردّه إلا بأمر؛ فلما ردّوه في هذه السنة قالوا: رددناه بأمر من أخذناه بأمره. وكذَبوا؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بالفَحْشَاءِ﴾[4] وإن عَنوْا بالأمر القَدَرَ فليس ذلك حجّةً لهم، فالله تعالى قدّر عليهم الضلال والمُرُوق من الدين، وقدّر عليهم أن يُدْخلهم النار، فلا ينفعهم قولهم: «أخذناه بأمر». ولما أتَوْا بالحجر الأسود أعطاهم المطيع مالاً له جِرْم[5]؛ وكان الحجر الأسود قد بقِي آثنتين

---

(١) زيادة عن الذهبي وابن الأثير والبداية والنهاية والشذرات.

(٢) زيادة عن ابن الأثير.

(٣) كذا في تاريخ الإسلام للذهبي وتجارب الأمم. وسيذكره المؤلف في الصفحة التالية نقلاً عن المسبّحي باسم «سنبر بن الحسن». وفي الأصل هنا: «محمد بن بشير» وذكر ابن عذاري في البيان المغرب رواية مختلفة؛ قال: «وفي سنة ٣٣٩هـ تحرّك أبو الطاهر المنصور بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي إلى بلاد المشرق، وردُّ الحجر الأسود إلى مكانه من الركن من بيت الله الحرام، وذلك بعد خمسة أعوام من دولة المطيع... ولما مات القرمطي، وجه إخوته الحجر، فردُّ إلى موضعه في هذه السنة؛ ووضعه بيده حسين بن المَرُوذي الكناني... قال الذهبي: حضرت يوم قلعه ويوم ردّه».

(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٨.

(٥) الجرم، بالكسر: الجسم. والمراد: مالاً عظيماً.

وعشرين سنة. وقال المُسَبِّحيّ: وفيها وافى سَنْبَر بن الحسن إلى مكّة ومعه الحجر الأسود، وأمير مكّة معه. فلما صار بفِنَاء البيت أظهر الحجر، وعليه ضِبَاب فِضّة قد عُمِلت من طوله وعرضه تضبط شقوقاً قد حدثت عليه بعد انقلاعه، وأحضر له صانعاً معه جصّ يشدّه [به]. فوضع سَنْبَر بن الحسن بن سَنْبَر الحجر الأسود بيده وشدّه الصانع بالجِصّ. وقال لمّا ردّه: أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئته.

وفيها توفّي محمد بن أحمد الصَّيْمَرِيّ كاتب معزّ الدولة ووزيرُه، فقلّد مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المُهَلَّبِيّ.

وفيها في عيد الأضحى قتَل الناصر لدين الله عبدُ الرحمن بن محمد الأُمويّ صاحب الأندلُس ولدَه[1] عبد الله، وكان قد خاف من خروجه[2] عليه؛ وكان الناصر من كِبار العلماء، روَى عن محمد بن عبد الملك بن أَيْمَن وقاسم بن أَصْبغ وله تصانيف: منها مجلّد في «مناقب بقِيّ بن مَخْلَد» رواه عنه مَسْلَمَةُ[3] بن قاسم.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزَّجّاجيّ النحويّ من أهل بغداد، وسكن طَبَرِيّة وأَيْلَة وحدّث بدِمشق وصنّف في النحو «مختصراً».

وفيها غزا سيف الدولة في شهر ربيع الأوّل ووافاه عسكر طَرَسُوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبو الحُصَيْن، فسار إلى قَيْسَارِيّة وفتح عدّة حصون وسبَى وقتل، ثم سار إلى سَمَنْدو[4] ثم إلى خَرْشَنَة يقتُل ويسبِي، ثم إلى صَارِخة[5] بينها

(١) عبارة الأصل: «... صاحب الأندلس قتله ولده عبد الله». والواضح أن لفظ «قتله» زائد سهواً بقلم الناسخ.

(٢) قال ابن سعيد في المغرب (قسم المغرب والأندلس: ١/١٨٨): «كان عبد الله يسمى الزاهد، فبايع قوماً على قتل والده وأخيه الحكم ولي العهد، فسجنه أبوه ثم ذبحه بيده يوم الأضحى سنة ٣٣٩هـ، وقتل أصحابه. ومن العجائب أن عبد الله كان شافعياً، وأخاه عبد العزيز حنفياً، والمستنصر مالكياً». قارن أيضاً بروايات البيان المغرب: ٢/٢١٧، والحلة السيراء: ١/٢٠٦، ونفح الطيب: ٣/٥٨٣.

(٣) كذا في تاريخ الإسلام للذهبي. وفي الأصل: «مسلم بن قاسم».

(٤) سمندو: بلد في وسط بلاد الروم.

(٥) في الأصل: «ثم إلى بلد صارخة». قال ياقوت: وصارخة بلدة غزاها سيف الدولة سنة ٣٣٩هـ ببلاد الروم.

وبين قُسْطَنْطِينِيّة سبعة أيّام. فلمّا نزل عليها واقـع الدُّمُسْتُق مقدّمته فظهرت عليه فلجأ إلى الحصن، وخاف على نفسه؛ ثم جمـع والتقى بسيف الدولة، فهزمه الله أقبـح هزيمة وأُسِرت بطارقته. وكانت غزوة مشهورة، وغنِم المسلمون ما لا يوصف؛ وبقوا في الغزو أشهراً.

وفيها توفّي الخليفة القاهر أبو منصور محمد ابن الخليفة المُعْتَضِد بالله أحمد ابن وليّ العهد أبـي أحمد طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل جعفر العبـاسي الهاشميّ البغداديّ. أُستخلف أوّلاً بعد خلـع المقتدر بالله جعفر، ثم خُلِـع بعد ثلاثة أيّام، ودام دهراً إلى أن بُويـع ثانياً بالخلافة بعد قتل جعفر المقتدر سنة عشرين وثلاثمائة؛ فأقام في الخلافة إلى أن خلعوه من الخلافة في جُمادَى الأولى سنة آثنتين وعشرين وثلاثمائة بالراضي بالله أبـي العباس محمد[١]، وسُمِلت عيناه فسالتا على خدّه، وحبسوه مدّة ثم أهملوه وسيّبوه حتّى مات في هذه السنة في جُمادى الأولى. وكان رَبْعَة أسمر أصهب الشعر طويل الأنف؛ وكان قد آفتقر وسأل قبل موته. وهو أوّل خليفة خُلِـع وسُمِل.

وفيها توفّي محمد بن عبد الله بن أحمد أبو عبد الله الصَّفّار الأصبهانيّ؛ كان محدّث عصره بخُراسان، وكان مجاب الدعوة. أقام أربعين سنة لم يرفـع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى. وكان يقول: اسم رسول الله صلى الله عليه وسلـم كاسمي، وآسم أبيه آسم أبـي. وكانت وفاته في ذي القعدة.

الذين ذكر الذهبـيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّى عليّ بن عبد الله بن يـزيد بـن أبـي مـطر الإسكندريّ القـاضي وله مـائـة سنـة، وعمـر بن الحسن أبو الحسين بن الأُشْنَانِيّ[٢] القـاضي، وأبو عبـد الله محمد بن عبـد الله بن أحمد الصفّار الأصبهانيّ، وأبو جعفر محمد بن عمر بن البَخْتَرِيّ، وأبو نصـر الفارابـيّ

---

(١) في الأصل هنا: «أحمد». راجـع ص ٣١٢ من هذا الجزء، حاشية (٤).

(٢) في الأصل: «الأسناني» بالسين المهملة. وهو تحريف. وما أثبتناه عن شذرات الذهب والسمعاني.

صاحب الفلسفة محمد بن محمد بن طَرْخَان. قلت: يأتي ذكر الفارابيّ أيضاً في هذا الكتاب في غير هذه السنة على ما ورّخه صاحب المرآة وغيرُه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة السادسة من ولاية أنُوجُور على مصر

وهي سنة أربعين وثلاثمائة:

فيها قصد صاحبُ عُمَان[١] البصرةَ وساعده أبو يعقوب القَرْمطيّ، فسار إليهم أبو محمد [الحسن بن محمد][٢] المُهَلَّبيّ في الدَّيْلم والجند، فآلتقوْا فهزمهم المهلَّبيّ وآستباح عسكرهم، وعاد إلى بغداد بالأَسَارَى والغنائم.

وفيها جمع سيف الدولة بن حَمْدان جيوش المَوْصِل والجزيرة والشام والأعراب ووغَل في بلاد الروم، وقتل وسبَى شيئاً كثيراً وعاد إلى حلَب سالماً.

وفيها قلَعتْ حَجَبة الكعبة الحجر الأسود الذي نصبه سَنْبَر بن الحسن صاحب القرمطيّ وجعلوه في الكعبة، فأحبّوا أن يجعلوا له طَوْقاً من فِضَّة فيُشَدّ به كما كان قديماً، كما عمِله عبد الله بن الزبير. وأخذَ في إصلاحه صانعان حَاذِقان فأحكماه. قال أبو الحسن محمد بن نافع الخُزَاعيّ: دخلتُ الكعبة فيمن دخلها فتأمّلت الحجر فإذا السواد في رأسه دون سائره وسائرُه أبيض، وكان طوله، فيما حَزرت، مقدار عَظْم الذراع. قال: ومبلغ ما عليه من الفضّة، فيما قيل، ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وتسعون درهماً ونصف.

(١) سمّاه ابن الأثير: «يوسف بن وجيه» وجعل ذلك في سنة ٣٤١هـ. وفي معجم زامباور أن يوسف بن وجيه صاحب عمان قد ملكها حتى سنة ٣٢٢هـ. أما صاحب عمان حوالى سنة ٣٤٠هـ فقد كان محمد بن يوسف بن وجيه من بني وجيه، أو رضوان بن جعفر من بني جلندى أو بني عمارة الإباضيين، على ما يذكر زامباور.

(٢) زيادة عن ابن الأثير.

وفيها كثُرت الزلازل بحلَب والعواصم ودامت أربعين يوماً وهلك خلق كثير تحت الردم؛ وتهدّم حصن رَعْبان[١] ودُلُوك[٢] وتلّ حامد[٣]، وسقط من سور دُلُوك ثلاثة أبرجة.

وفيها توفّي شيخ الحنفيّة بالعراق عُبيد[٤] الله بن الحسين[٥]، الشيخ أبو الحسن الكَرْخِيّ؛ سمِع ببغداد إسماعيلَ [بن إسحاق][٦] القاضي ومحمد بن عبد الله الحَضْرَمِيّ مُطَيَّناً[٧]، وروَى عنه ابن شاهين[٨] وعبد[٩] الله بن محمد الأَكْفَانيّ القاضي. وكان علّامة كبير الشأن فقيهاً أديباً بارعاً عارفاً بالأصول والفروع، انتهت إليه رياسة السادة الحنفيّة في زمانه وآنتشرت تلامذته في البلاد؛ وكان عظيم العبادة كثير الصلاة والصوم صبوراً على الفقر والحاجة ورِعاً زاهداً صاحب جلالة. قال أبو بكر الخطيب: حدّثني الصَّيْمَرِيّ[١٠] حدّثني أبو القاسم بن عَلَّان الواسطيّ، قال: لما أصاب أبا الحسن الكرخيّ الفالج في آخر عمره حضرتهُ وحضر أصحابه أبو بكر[الرازي وأبو عبد الله][١١] الدامَغَانِيّ وأبو عليّ الشاشِيّ وأبو عُبيد الله البصريّ، فقالوا: هذا مريض يحتاج إلى نفقة وعلاج، والشيخ مُقِلّ؛ فكتبوا إلى

---

(١) رعبان: مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم. وهي قلعة تحت جبل خربتها الزلزلة في هذه السنة، فأنفذ سيف الدولة أبا فراس الحمداني في قطعة من الجيش فأعاد عمارتها في سبعة وثلاثين يوماً. (معجم البلدان).

(٢) دلوك: بليدة من نواحي حلب بالعواصم. (معجم البلدان).

(٣) تل حامد: حصن في ثغور المصيصة. (معجم البلدان).

(٤) كذا في الأصل والمشتبه وعقد الجمان. وفي ابن الأثير وشذرات الذهب والمنتظم: «عبد الله».

(٥) في الأصل: «ابن الحسن». والتصحيح عن شذرات الذهب وابن الأثير والمنتظم.

(٦) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان.

(٧) لقّب بمطيَّن لأنه كان وهو صغير يلعب مع الصبيان في الماء فيطينون ظهره. (الأعلام: ٦/٢٢٣).

(٨) هو عمر بن أحمد بن عثمان، أبو حفص المعروف بابن شاهين المتوفى سنة ٣٨٥هـ.

(٩) في الأصل «عبيد الله» وما أثبتناه عن السمعاني. وقد توفي الأكفاني سنة ٤٠٥هـ.

(١٠) هو القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصيمري المتوفى سنة ٤٣٦هـ. ونسبته إلى «الصيمر» نهر من أنهار البصرة. (الأنساب).

(١١) زيادة ضرورية لاستقامة السياق.

سيف الدولة بن حَمْدان؛ فأحسّ أبو الحسن فيما هم فيه فبكى وقال: اللهم لا تجعل رزقي إلّا من حيث عوّدتني، فمات قبل أن يُحْمل إليه شيء؛ ثم ورد من سيف الدولة عشرة آلاف درهم فتُصُدّق بها. توفّي وله ثمانون سنة. وأخذ عنه الفقه الذين ذكرناهم: الدَّامَغَانِيّ والشاشيّ والبصريّ والإمام أبو بكر أحمد بن علي الرازيّ وأبو القاسم عليّ بن محمد التَّنُوخِيّ.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن زِيّاد الغَنَوِيّ[1] البصريّ الإمام أبو سعيد بن الأعرابيّ نزيل مكّة. كان إماماً حافظاً ثَبتاً؛ سمِع الكثير، وروَى عنه عالَم كثير، وكان كثير العبادة، شيخَ الحرم في وقته عِلْماً وزهداً وتسليكاً[2]، وكان صحِب الجُنَيد وعمرو بن عثمان المكيّ وأبا أحمد القَلانِسيّ وغيرَهم.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر البصريّ ابن الأعرابيّ، وإبراهيم بن أحمد أبو إسحاق المَرْوَزِيّ الشافعيّ، وأبو عليّ الحسين[3] بن صَفْوان البَرْدَعيّ، والكَلابَاذِيّ[4] المعروف بالأستاذ أحد أئمة الخليفة، والزجاجيّ صاحب «الجُمَل» أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، وأبو محمد قاسم بن أصْبَغ القُرْطُبيّ، وأبو جعفر محمد بن يحيى بن عمر بن عليّ بن حَرْب، وأبو الحسن الكَرْخيّ شيخ حنفيّة العراق عبيد الله بن الحسين.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

---

(١) لم تذكر له كتب التراجم التي بأيدينا هذه النسبة.

(٢) التسليك: تعبير صوفي؛ ويعني إسلاك المريدين في طرق ومراتب الزهد والتصوّف.

(٣) في الأصل: «الحسن». وما أثبتناه عن المشتبه في أسماء الرجال وشذرات الذهب.

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الأستاذ، كما في شذرات الذهب والأنساب ومعجم البلدان.

السنة السابعة من ولاية أُنوجُور على مصر

وهي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

فيها ظفِر الوزير المُهَلَّبِيّ بقوم التناسخية، وفيهم شاب يزعمُ أن روح عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه آنتقلت فيه، وفيهم آمرأة تزعمُ أن روح فاطمة رضي الله عنها آنتقلت إليها، وفيهم آخر يزعمُ أنّه جبريل؛ فضُربوا، فتَعزَّوْا[1] بالانتماء لأهل البيت؛ فأمرَ معزّ الدولة بإطلاقهم لتشيّع كان فيه. قلت: والمشهور عن بني بُوَيْه التشيّع والرَّفض.

وفيها أخذت الروم سَرُوج[2] فقتلوا وسبَوْا وأحرقوا البلد.

وفيها حجّ بالناس أحمد بن عمر بن يحيى العلويّ.

وفيها في آخر شوال توفّي المنصور أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهديّ العُبَيْديّ الفاطميّ صاحب المغرب. مات بالمنصورة التي بناها ومصّرها، وصلّى عليه آبنه وليّ عهده أبو تميم مَعَدّ الملقّب بالمعِزّ لدين الله؛ وهو الذي تولّى الخلافة بعده. وكان ملِكاً حادّ الذهن سريع الجواب فصيحاً مُفَوَّهاً يخترع الخطب، عادلاً في الرعيّة، أبطَل كثيراً من المظالم مما أحدثه آباؤه؛ ومات وله أربعون سنة، وكانت مدّة مملكته سبعةَ أعوام وأيّاماً؛ وخلّف خمسة بنين وخمس بنات. وقام بعده آبنه المعزّ لدين الله فأحسن السِّيرة وصفَت له المغرب. ثم آفتتح المعزّ لدين الله مصر وبنَى القاهرة، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى بأطول من هذا في ترجمة المعزّ المذكور.

وفيها توفّي أحمد بن محمد أبو العبّاس الدِّينَوَرِيّ؛ كان من أجلّ المشايخ وأحسنهم طريقة، وكان يتكلّم على لسان أهل المعرفة بأحسن كلام. تكلّم يوماً فصاحت عجوز في مجلسه؛ فقال لها: موتي؛ فقامت وخطَتْ خطوات، ثم التفتت

---

(١) في الأصل: «فتعزّروا» وهي غير مناسبة في السياق. وأورد ابن الأثير هذا الخبر في حوادث سنة ٣٤٠هـ ببعض اختلاف فلينظر.

(٢) بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر. (معجم البلدان).

إليه وقالت: هأنا قد مُتّ، ووقعت ميّتة. وكان يقول: مكاشفات الأعيان بالأبصار، ومكاشفات القلوب بالاتصال.

وفيها توفّي الشيخ العابد القُدْوة أبو الخير التِّينَاتِيّ[1] الأقطع صاحب الكرامات ــ وتِينات[2]: قرية من قرى أنطاكية، وقيل: هي على أميال من المِصّيصة ــ أقام بتينات مدّة سنين. وكان يسمّى الأقطع لأن يده كانت قطِعت ظلماً في واقعة جَرت له يطول الشرح في ذكرها. ومن كراماته [أن] كانت الوحوش تأنس به رضي الله عنه.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو طاهر أحمد بن أحمد[3] بن عمرو المَدِينيّ، وأبو عليّ إسماعيل بن محمد الصفّار في المحرّم، والمنصور إسماعيل بن القائم العُبَيْديّ الرافضيّ صاحب المغرب، وأبو الطيب محمد بن حُمَيد الحَوْرَانيّ، وأبو الحسن محمد بن[2] النَّضْر الرَّبَعيّ المقرىء بن الأخرَم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وعشر أصابع سواء.

* * *

(١) في الأصل «أبو الخير البناني... وبنان... إلخ» والتصحيح عن معجم البلدان والمنتظم والأنساب. واسمه عباد بن عبد الله. وفي البداية والنهاية: «أبو الخير التيناني. كان مقيماً بقرية يقال لها تينان» وجعل وفاته سنة ٣٤٣هـ.

(٢) في الأصل: «أحمد بن محمد بن عمر» وهو تحريف. والتصحيح عن فتوح مصر لابن عبد الحكم وشذرات الذهب.

(٣) في الأصل: «أبو الحسن محمد بن محمد بن النضر الربيعي» والتصحيح عن شذرات الذهب وغاية النهاية.

السنة الثامنة من ولاية أُنوجُور على مصر

وهي سنة آثنتين وأربعين وثلاثمائة.

فيها جاء صاحب خُراسان آبن محتاج[١] إلى الريّ محارباً لابن بُوَيْه وجرت بينهما حروب وعاد إلى خُرَاسان.

وفيها عاد سيف الدولة بن حَمْدان من الروم سالماً غانماً مؤيَّداً، وقد أسر قُسْطَنطِين[٢] بن الدُّمُسْتُق ملِك الروم، ودخل سيف الدولة حلَب وابن[٢] الدمستق بين يديه، وكان مليح الصورة، فبقِي عنده مُكْرَماً حتّى مات.

وفيها توفّي القاسم بن [القاسم بن][٣] مَهْدِيّ أبو العباس السيّاريّ[٤]، كان من أهل مَرْو، كتب الحديث وتفقّه، وكان شيخ أهل مرو وأوّلَ من تكلّم عندهم في حقائق الأحوال. ومن كلامه: من حفِظ قلبه مع الله بالصدق أجْرَى الله الحكمة على لسانه.

وفيها توفّي أحمد بن إسحاق بن أيّوب بن يزيد أبو بكر النَّيسابوريّ الفقيه الشافعيّ المعروف بالصِّبْغِيّ[٥]. سمِع الحديث وروى عنه جماعة، وكان إماماً فقيهاً عالماً عابداً؛ وُلد سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين، وله تصانيف كثيرة في عِدّة علوم، منها: كتاب «الأسماء والصفات» وكتاب «الإيمان والقدر» وكتاب «فضائل الخلفاء الأربعة» وعدّة تصانيف أُخَر.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن المحتاج. وقد توفي سنة ٣٤٤هـ. (انظر معجم الأنساب والأسرات لزامباور: ٧٩).

(٢) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب. وفي ابن الأثير والبداية والنهاية: «وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمستق... وأسر صهر الدمستق وابن بنته» وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري: «وقتل ابن نيقيفور الدمستق... إلخ». وابن الأثير وابن كثير وابن العبري ذكروا ذلك في أخبار سنة ٣٤٣هـ.

(٣) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب.

(٤) في الأصل: «الساري». والتصحيح عن المصادر السابقة.

(٥) في الأصل وشذرات الذهب وطبقات السبكي: «الضبعي». قال في شذرات الذهب: نسبه السيوطي إلى ضبيعة بن قيس بطن من بكر بن وائل. وما أثبتناه عن المشتبه والأعلام والأنساب. والصبغي: نسبة إلى صبغ الألوان.

وفيها توفّي الحسن بن طُغْج بن جُفّ الأمير أبو المظفَّر الفَرْغَانِيّ التركيّ أخو الإخشيد. ولِي إمْرة دِمشق من قبل أخيه الإخشيد مدّة، ثم عزله أخوه الإخشيد وولّى أخاه عبيد الله بن طُغْج مكانه. ثم ولِي الحسنُ هذا إمْرةَ دِمشق مرّة أخرى من قِبل ابن أخيه أَنُوجُور صاحب الترجمة، ثم رُدّ إلى الرملة فمات بها ودُفِن بالقدس. وكان أميراً جليلاً شجاعاً مِقداماً؛ باشر الحروب وولِي الأعمال الجليلة إلى أن مات.

وفيها توفّي عثمان بن محمد بن عليّ أبو الحسين الذهبيّ البغداديّ. سكن مصر وحدّث بها وبدِمشق.

وفيها توفّي عليّ بن محمد بن أبي الفَهْم داود بن إبراهيم بن تَميم أبو القاسم التَّنُوخيّ؛ أصله من ملوك تَنُوخ الأقدمين من ولدِ قُضَاعة؛ وُلِد بأنطاكيَة في سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين، وهو صاحب كتاب «الفرج بعد الشدّة»؛ كان فقيهاً حنفيّاً بارعاً في الفقه والأصول والنحو، وكان شاعراً فصيحاً، وله ديوان شعر. وكانت وفاته بالبصرة في شهر ربيع الأول. ومن شعره في مليحٍ دَخَل الحمّام: [السريع]

رأيتُ في الحمّام بدر الدُّجَى ... وشعرُه الأسود محلولْ
قد عمّموه بدجى شعرِهِ ... ونقّطوا الفِضّة باللول[1]

الذي ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيّوب الصِّبْغِيّ الشافعيّ، وأحمد بن عبد الأسد الجُذَامِيّ، إبراهيم بن المولد[2] الزاهد، والحسن بن يعقوب أبو الفضل البخاريّ، وعبد الرحمن بن حَمْدان الهَمَذانيّ الجَلّاب، وأبو الحسن[3] محمد بن أحمد الأَسْوارِيّ الأصبهانيّ، ومحمد بن داود بن سليمان النَّيْسابوريّ الحافظ الزاهد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً سواء.

* * *

(١) أي اللؤلؤ.
(٢) هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن المولد الرقي، كما في شذرات الذهب.
(٣) في الأصل: «أبو الحسين». وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمشتبه.

السنة التاسعة من ولاية أُنُوجُور على مصر

وهي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة.

فيها خطَب أبو عليّ[(١)] بن محتاج إلى المطيع بخُراسان ولم يكن خَطَب له قبل ذلك، فبعث إليه المطيع بالخِلَع واللواء.

وفيها مرِض معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه بعلّة الإنعاظ[(٢)] الدائم وأُرجف بموته وآضطربت بغداد، فركِب معزّ الدولة بكُلْفةٍ لتسكين الناس.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين سيف الدولة بن حَمْدان وبين الدُّمُسْتُق، وكان الدمستق قد جمع أُمماً من الترك والروس والخَزَر، فكانت الدائرة عليه ولله الحمد، وقُتِل معظم بطارقته، وهرب هو وأُسِر صهره وجماعة من بطارقته؛ وأمّا القتلى فلا يُحْصَوْن؛ وغنِم سيف الدولة عسكرهم بما فيه.

وفيها توفّي الأمير نوح بن نصر السامانيّ عامل بُخارَى في جُمادى الأولى. وأظنّ أن نوحاً هذا من ذريّة نوح عامل بُخارى في زمن المأمون، الذي أُهْدِي إليه طُولُون والد أحمد، وهذا أهداه إلى الخليفة عبد الله المأمون.

وفيها توفّي خَيْثَمة بن سليمان بن حَيْدَرَة، الحافظ أبو الحسن[(٣)] القُرَشيّ الأَطْرابُلْسِيّ، أحد الحفّاظ الثِّقات المشهورين، ومولدُه سنة خمسين ومائتين، وقيل غير ذلك؛ ومات في ذي القعدة من هذه السنة.

وفيها توفّي محمد بن العباس بن الوليد، القاضي أبو الحسين البغداديّ؛ كان فاضلاً بارعاً؛ مات ببغداد في شوّال، وكان ثِقة صدوقاً.

---

(١) راجع، ص ٣٥٣ من هذا الجزء، حاشية (١).

(٢) في الأصل: «الانطاط». قال ابن الأثير: كان قد عرض لمعز الدولة في ذي القعدة سنة ٣٤٣هـ مرض يسمى «فريافسمس»، وهو دوام الإنعاظ مع وجع شديد في ذكره مع توتر أعصابه. انتهى ــ قلت: وهذا المرض يسمى بالفرنسية اليوم: Priapisme.

(٣) في الأصل: «أبو الحسين». وما أثبتناه عن تذكرة الحفاظ وعقد الجمان.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أحمد ابن الزاهد أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحِيريّ، وخَيْثَمَة بن سليمان الأَطْرَابُلْسيّ، وعليّ بن الفضل [بن إدريس][١] السامَرّيّ، وأبو الحسن عليّ بن محمد [بن محمد][٢] بن عُقْبة الشَّيْبانيّ.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة العاشرة من ولاية أَنُوجُور على مصر

وهي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

فيها تحرّك ابن محتاج صاحب خُراسان على ركن الدولة الحسن بن بُوَيْه، فنجدَه أخوه معزّ الدولة بجيش من العراق.

وفيها في المحرّم عقَد معزّ الدولة بن بُوَيْه إمْرة الأمراء لابنه أبي منصور بُخْتيار.

وفيها دخل [محمد] بن ماكان[٣] الديلميّ أحد قوّاد صاحب خُراسان إلى أصبهان، فخرج عن أصبهان أبو منصور بن ركن الدولة، فتبِعه ابن ماكان، فأخذ خزائنه؛ وعارضه أبو الفضل بن العمِيد وزير ركن الدولة ومعه القرامطة، فأوقعوا به وأثخنوه بالجِراح وأسَروا قوّاده، وسار ابن العميد إلى أصبهان.

وفيها وقع وباء عظيم بالرَّيّ، وكان الأمير أبو عليّ بن محتاج صاحب خُراسان قد نزلها فمات في الوباء.

---

(١) زيادة عن شذرات الذهب.

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) في الأصل: «ابن مابكان». وهو تحريف. والتصحيح عن ابن الأثير والذهبي.

وفيها فُلِج أبو الحسين عليّ بن أبي عليّ بن مُقْلة وأُسْكت وله تسع وثلاثون سنة.

وفيها زُلْزلت مصر زَلْزَلة عظيمة هدَمت البيوت ودامت مقدار ثلاث ساعات زمانيّة، وفزِع الناس إلى الله تعالى بالدعاء.

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر، أبو بكر بن الحدّاد الكِنَانيّ المصريّ الفقيه الشافعيّ شيخ المصريّين؛ وُلد يوم وفاة المُزَنيّ. وكان إماماً فقيهاً له وجه في مذهب الشافعيّ رضي الله عنه.

وفيها توفّي شُعْلة بن بدر، الأمير أبو العباس الإخشيذيّ؛ ولي إمْرة دمشق من قبل أبي القاسم أَنُوجُور بن الإخشيذ، وكان شجاعاً بطلاً[1]. قُتِل في طَبَرِيّة في حرب كان بينه وبين مُهَلهل العُقَيْلي.

وفيها توفي محمد[2] بن يعقوب بن يوسف، الحافظ أبو عبد الله الشَّيْبانيّ النَّيسابوري ابن الأَخْرَم[3]، ويعرف أبوه بابن الكِرْمَانِيّ. قال الحاكم: كان أبو عبد الله صَدْراً من أهل الحديث ببلادنا بعد أبي حامد[4] بن الشَّرْقيّ، وكان يحفظ ويفهم، وصنّف على صحيح البخاريّ ومسلم، وصنّف المسند الكبير؛ وسأله أبو العباس بن السراج أن يُخَرّج له على صحيح مسلم ففعل ذلك.

وفيها حجّ الناس من غير أمير.

وفيها توفّي محمد بن محمد بن يوسف بن الحجّاج، الشيخ أبو النَّضْر[5]

(١) في الأصل: «باطلا» وهو تحريف.

(٢) في الأصل هنا: «يعقوب بن يوسف». وسيذكره صحيحاً فيما سيأتي عن الذهبي، وهو ما يوافق رواية شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ.

(٣) في الأصل هنا وفيما سيأتي عن الذهبي: «ابن الأحرم» بالحاء المهملة. والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب.

(٤) هو أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري، أبو حامد بن الشرقي. توفي سنة ٣٢٥هـ. (الأعلام).

(٥) كذا في شذرات الذهب مضبوطاً بالعبارة والبداية والنهاية والمنتظم. وفي الأصل وتذكرة الحفاظ: «أبو النصر» بالصاد المهملة.

الطُّوسيّ الزاهد العابد، كان يصوم النهار ويقوم الليل ويتصدّق بالفاضل من قوته، ورحل [إلى] البلاد في طلب الحديث وسمِع الكثير. وكان يجزّىء الليل ثلاثة أجزاء: جزءاً لقراءة القرآن، وجزءاً للتصنيف، وجزءاً يستريح فيه.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو الحسين أحمد بن عثمان بن بُويان[١] المقرىء، وأبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن هاشم الأذْرَعيّ[٢]، وأبو عمرو عثمان بن أحمد الدقّاق بن السّماك في [شهر] ربيع الأول، وأبو بكر بن الحَدّاد الكِنانيّ محمد بن أحمد شيخ الشافعيّة بمصر وله نحو ثمانين سنة، وأبو النَّضْر محمد بن محمد بن يوسف الطُّوسيّ الفقيه في شعبان، وأبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم الحافظ، وأبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبريّ الحافظ المفسِّر الأديب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وستّ أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية أُنُوجُور على مصر

وهي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

فيها أوقع الروم بأهل طَرَسُوس وقتلوا وسبَوْا وأحرقوا قُراها.

وفيها زاد السلطان معزّ الدولة في إقطاع الوزير أبي محمد المهلّبيّ وعظُم قدره عنده.

وفيها خرج روزبهان[٣] الدَّيْلميّ على معز الدولة، فسيّر معزّ الدولة لقتاله

(١) كذا في شذرات الذهب وغاية النهاية في أسماء رجال القراءات لابن الجزري وتاريخ بغداد. وفي تذكرة الحفاظ: «ابن ثوبان». وفي الأصل: «ابن توبان».

(٢) في الأصل: «الأوزاعي» وهو تحريف. وما أثبتناه عن شذرات الذهب والبداية والنهاية.

(٣) كذا في ابن الأثير والذهبي وتجارب الأمم والبداية والنهاية. وفي الأصل: «روزبهار» وهو تحريف.

الوزير المهلّبيّ؛ فلمّا كان المهلَّبيّ بقرب الأهواز تسلّل[1] رجال المهلّبيّ إلى روزبهان؛ فآنحاز المهلّبيّ بمن معه إلى حصن. فخرج معزّ الدولة بنفسه لقتال روزبهان المذكور، وآنحدر معه الخليفة المطيع لله، فقاتله حتى ظفِر به في المصافّ وفيه ضربات، وأَسَر قوّاده. وقدِم معزّ الدولة بغداد وروزبهان بين يديه على جَمَل، ثم غُرِّق[2].

وفيها غزا سيف الدولة بلاد الروم وآفتتح حصوناً وسبَى وغنم وعاد إلى حلَب؛ ثم أغارت[3] الروم على نواحي ميّافارِقِين.

وفيها توفّيت أمّ المطيع بعلّة الاستسقاء، وخرج المطيع في جنازتها في وُجُوه دولته وعظُم عليه مصابها؛ وكانت تسمّى مَشْعَلَة[4].

وفيها توفّي علي بن إبراهيم بن سَلَمَة[5] بن بحر، أبو الحسن القَزْوِينيّ الحافظ القطّان. قال الخليليّ[6]: كان عالماً بجميع العلوم والتفسير والفقه والنحو واللغة، ارتحل وسمِع أبا حاتم الرازيّ، وإبراهيم [بن الحسين بن دِيزِيل بن سِيفَنّة][7]، ومحمد بن الفَرَج الأزرق، وخلقاً سواهم؛ وآنتهت إليه رياسة العلم وعلوّ السند بتلك الديار. ومولدُه سنة أربع وخمسين ومائتين، وروَى عنه خلائق كثيرة. قال ابن فارس

---

(١) في الأصل: «تسلك». والتصحيح عن الذهبي.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: «أخرجه معز الدولة ليلاً وغرّقه لأن الديلم أرادوا إخراجه من السجن قهراً. وانطوى ذكر روزبهان وإخوته، وكان قد اشتعل اشتعال النار. وحظيت الأتراك عند معز الدولة وانحطت رتبة الديلم عنده، لأنه ظهر له خيانتهم في أمر الروزبهان وإخوته».

(٣) في الأصل: «ثم انحازت» والتصحيح عن الذهبي.

(٤) كذا في الأصل والتنبيه والإشراف. وفي حاشية طبعة دار الكتب عن تقويم التواريخ أنها «مشغلة». وفي تاريخ الخلفاء: «شغلة».

(٥) في الأصل هنا وفيما سيذكره عن الذهبي: «مسلمة». وما أثبتناه عن شذرات الذهب ومعجم البلدان وتذكرة الحفاظ.

(٦) هو أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد القزويني: من حفاظ الحديث العارفين برجاله. له «الإرشاد في علماء البلاد (مخطوط ــ الرباط) ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه. (الأعلام: ٢/ ٣١٩).

(٧) كذا في القاموس وتذكرة الحفاظ. وفي الأصل: «إبراهيم بن دريد»، وهو تحريف.

في بعض أماليه: سمعت أبا الحسن القطّان يقول: بعدما عُلِّمت سنةً كنتُ حين رحَلت أحفَظُ مائة ألف حديث، وأنا اليوم لا أقوم على حِفْظ مائة حديث.

وفيها توفّي عليّ بن الحسين بن علي، الشيخ الإمام المؤرّخ العلامة أبو الحسن المسعوديّ صاحب التاريخ المسمّى بـ «مُرُوج الذهب» قيل: إنه من ذريّة ابن مسعود، وكان أصله من بغداد ثم أقام بمصر إلى أن مات بها في جُمَادى الآخرة ــ قاله المُسَبِّحيّ في تاريخه. وكان أخبارياً علّامة صاحب غرائب ومُلَح ونوادر وله عدّة مصنّفات: التاريخ المقدّم ذكره وهو غاية في معناه، وكتاب «تَحَف الأشراف والملوك» وكتاب «ذخائر العلوم» و«كتاب الرسائل»[١]، وكتاب «الاستذكار لما مرّ في سالف الأعصار» وكتاب «المقالات في أصول الديانات» وكتاب «أخبار الخوارج» وغير ذلك؛ ومات قبل أن يطول عمره. قال الذهبيّ: وكان معتزليّاً، فإنّه ذكر غيرَ واحد من المعتزلة ويقول فيه: «كان من أهل العدل». وله رِحْلة إلى البصرة التي فيها أبو خليفة[٢].

وفيها توفّي محمد بن عبد الواحد بن أبـي هاشم، أبو عمر الزاهد الصالح؛ وُلد سنة إحدى وستين ومائتين، وكان بارعاً في العربيّة والنحو واللغة عابداً غزير العلم.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو بكر أحمد بن سليمان بن أيّوب العَبّادَانِيّ وله سبع وتسعون سنة، وأبو[بكر][٣] أحمد بن عثمان بن غلام السبّاك[٤] المقرىء، وإسماعيل بن يعقوب بن الجِرَاب البزّاز[٥] بمصر،

---

(١) في الأصل: «كتاب في الرسائل» وما أثبتناه عن الأعلام.

(٢) يريد أبا خليفة الجمحي الفضل بن الحباب المتوفى سنة ٣٠٥هـ.

قال «فازيليف» في كتابه: العرب والروم، ص ٢٨٣: إن كتب المسعودي مما يقرأه المسلمون والأوروبيون على السواء ويجدونه ممتعاً طلياً، ولذا استحق لقب «هيرودوت العرب» وهو اللقب الذي أضفاه عليه «كريمر» في «الثقافة في الشرق» ٢/٤٢٣. (انظر الأعلام: ٤/٢٧٧).

(٣) زيادة عن شذرات الذهب وتاريخ دمشق وتاريخ بغداد.

(٤) في الأصل: «الشال» وهو تحريف. والتصحيح عن المراجع السابقة.

(٥) في الأصل: «البزار» بالمهملة، وهو تصحيف. والتصحيح عن المشتبه والقاموس.

وأبو أحمد[١] بكر بن محمد بن حَمْدان المروزيّ الصَّيْرفيّ، وأبو علي الحسن بن [الحسين بن][٢] أبي هريرة شيخ الشافعيّة ببغداد، وأبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد السَّمَرْقَنْدِيّ، وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن سَلَمَة القَزْوِينيّ القطّان الزاهد، وله إحدى وتسعون سنة، وأبو عمر الزاهد غلام ثعلب واسمه محمد بن عبد الواحد اللغويّ، وأبو بكر محمد بن عليّ بن أحمد بن رُسْتَم الماذَرائيّ[٣] بمصر، وله ثمان وثمانون سنة، وأبو بكر مكرم بن أحمد القاضي، والمسعوديّ صاحب مُرُوج الذهب في جُمَادى الآخرة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية أُنُوجُور على مصر

وهي سنة ستّ وأربعين وثلاثمائة.

فيها كان بالريّ ونواحيها زلازل عظيمة خارجة عن الحدّ، ثم خُسف ببلاد الطَّالَقَان في ذي الحجّة فلم يُفْلِت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلًا، وخُسف بمائة وخمسين قرية من قُرَى الرَّيّ؛ وآتصل الخسف إلى حُلْوان، فخُسف بأكثرها. وقذَفت الأرض عِظَام الموتَى وتفجّرت منها المياه، وتقطّع بالرَّيّ جبل، وعُلِّقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصفَ نهار ثم خُسِيف بها؛ وآنخرقت الأرض خروقاً عظيمة وخرج منها مياه نَتِنة ودُخَان عظيم. هكذا نقل الحافظ أبو الفرج بن الجوزيّ في تاريخه.

---

(١) كذا في السمعاني وشذرات الذهب. وفي الأصل: «أبو بكر أحمد بن بكر بن محمد بن حميدان».

(٢) زيادة عن شذرات الذهب.

(٣) ترجم له المقريزي في الخطط: ٢/١٥٥ ترجمة واسعة، وذكر الروايات المختلفة في نسبه، فلينظر. وقد سمّاه: «الماذراني». وانظر المغرب لابن سعيد، قسم مصر: ١/٣٥٠ ــ ٣٥٣.

وفيها نَقص البحر ثمانين ذراعاً وظهَر فيه جبال وجزائر وأشياء لم تُعدّ. قلت: لعلّه البحرُ المالـح، والله أعلم.

وفيها توفِّي محمد بن يعقوب بن يوسف بن مَعْقِل بن سِنَان الحافظ أبو العبّاس الأُمويّ النَّيْسابوريّ مولى بني أُمية المعروف بالأصمّ؛ صمّ بعد أن رحَل إلى البلاد وسمِـع الحديث. كان إماماً محدّث عصره بلا مُدافعة. حدّث ستّاً وسبعين سنة، لأنّ مولده سنةَ سبـع وأربعين ومائتين، ومات في شهر ربيـع الآخر وله تسـع وتسعون سنة، وقد آنتهت إليه رياسة أهل الحديث بخُراسان.

الذين ذكر الذهبـيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو الحسن أحمد بن مِهْران السِّيرافِيّ، وأحمد بن جعفر [بن أحمد][1] بن مَعْبَد السِّمْسار، وأحمد بن محمد بن عَبْدُوس، وسعيد بن فحلون[2] البِيرِيّ الأندلُسيّ آخر أصحاب يـوسف المغـامِيّ[3]، وعبـد الله بن جعفـر بن أحمـد بن فـارس، وأبـو الحسين عبـد الصمـد بن عليّ الـطَّسْتِيّ[4]، وأبـو يَعْلَى عبــد المؤمن بن خَلَف النَّسَفِيّ، وأبو العبّاس محمد [بن أحمد][5] بن محبوب المَرْوَزيّ، وأبو بكر محمد بن بكر بن محمـد [بن عبد الـرزّاق][5] بن دَاسَة، وأبـو منصور محمـد بن القاسم العَتَكيّ، وأبو جعفر محمـد بن محمد بن عبـد الله بن خالـد[6] البغداديّ بمـا وراء النهر،

(١) زيادة عن شذرات الذهب.

(٢) في الأصل: «ابن مخلوف». وما أثبتناه عن شذرات الذهب وابن خلكان.

(٣) هو يوسف بن يحيى بن يوسف الأزدي المعروف بالمغامي. من أهل قرطبة، وأصله من طليطلة، وهو من ذرية أبي هريرة. توفي سنة ٢٨٨هـ. (نفح الطيب: ٥٢٠/٢ ـ وله ترجمة في جذوة المقتبس وبغية الملتمس).

(٤) في الأصل: «الطبسي» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وعقد الجمان والمنتظم. وهذه النسبة إلى عمل الطسوت.

(٥) زيادة عن شذرات الذهب.

(٦) في الأصل: «محمد بن عبد الله بن حرة» وفي شذرات الذهب: «أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة». وما أثبتناه عن عقد الجمان والمنتظم.

وأبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصمّ في شهر ربيع الآخر وله تسع وتسعون سنة، وأبو الحَزْم وهب بن مَسَرّة التَّميميّ الحِجَاريّ(١) الأندلُسيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وأربع أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة عشرة من ولاية أُنوجُور على مصر

وهي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة.

فيها عادت الزَّلازل بحُلْوان وقُمّ والجبال فأتلفت خلْقاً عظيماً وهدَمت [حصوناً](٢)، ثم جاء بعد ذلك جراد طبّق الدنيا، فأتى على جميع الغلّات والأشجار.

وفيها في شهر ربيع الأول خرجت الروم إلىٰ آمِد وأَرْزَن ومَيّافَارِقين ففتحوا حصوناً كثيرة وقتلوا خلائق كثيرة وهدموا سُمَيْساط.

وفيها في شهر ربيع الآخر شَغِبَت الترك والدَّيْلم بالمَوْصِل على ناصر الدولة بن حَمْدان وأحاطوا بداره؛ فحاربهم بغلمانه والعامّة، فظفر بهم فقتل جماعة وأمسك جماعة، وهرب أكثرهم إلى بغداد.

وفيها في شعبان كانت وقعة عظيمَة بنواحي حلَب بين الروم وسيف الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان، وآنكسر سيف الدولة وقتلوا معظم رجاله وغِلمانه وأسروا أهله، وهرب في عدد يسير.

وفيها سار معزّ الدولة بن بُوَيْه إلى المَوْصِل فدخلها، فنزَح عنها ناصر الدولة بن

(١) في الأصل: «أبو الحرم وهب بن ميسر الحجازي» وفيه تصحيف وتحريف. والتصحيح عن معجم البلدان وتذكرة الحفاظ والأعلام. وهذه النسبة إلى وادي الحجارة: بلد بالأندلس.

(٢) زيادة عن الذهبي.

حَمْدان المقدّم ذكره وتوجّه إلى نَصِيبِين، فسار معزّ الدولة وراءه إلى نصيبين ، وخلّف على المَوْصِل سبكتكين الحاجب ونزل على نَصِيبِين؛ فسار ناصر الدولة بن حَمْدان إلى مَيّافارِقين بعد أن آستأمن مُعْظَمُ عسكره إلى معزّ الدولة؛ فهرب ناصر الدولة إلى حلَب مُسْتَجيراً بأخيه سيف الدولة؛ فأكرم سيف الدولة مَوْرِدَه وبالغ في خدمته. وجرت فصول إلى أن قدِم في الرسالة أبومحمد القاضي بكتاب[1] سيف الدولة إلى المَوْصِل وتقرّر الأمر على أن يكون المَوْصِل وديار ربيعة[2] والرَّحْبَةُ لسيف الدولة على مالٍ يحمِله في كلّ سنة، لأن معزّ الدولة لم يثِق بناصر الدولة، فإنّه غدَر به مِراراً ومنعه الحِمْل، فقال معزّ الدولة المذكور: أنت عندي ثِقة، غير أنّه يقدّم لي ألف ألف درهم. ثم آنحدر معزّ الدولة إلى بغداد، وتأخّر الوزير المُهَلَّبيّ وسبكتكين الحاجب [في] الموصل إلى أن يحمل ناصر الدولة مال التعجيل.

وفيها توفّي قاضي دمَشق أبوالحسن أحمد بن سليمان بن أيّوب بن جَنْدَلم[3] الأسديّ الأوزاعيّ المذهب. كان إماماً عالماً فقيهاً على مذهب الأوزاعيّ، وكان له حَلْقة بالجامع.

وفيها توفّي عليّ بن أحمد بن سهل، ويقال: عليّ بن[4] إبراهيم، أبوالحسن البُوشَنْجِيّ الزاهد شيخ الصوفيّة؛ صحِب أبا عمرو الدِّمَشْقِيّ وأبا العبّاس بن عَطَاء،

(١) في هذا الكتاب عرض سيف الدولة الصلح، كما عرض أن يضمن البلاد ــ وهي الموصل وديار ربيعة والرحبة ــ بألفي ألف درهم وتسعماية ألف درهم، وإطلاق من أسر من أصحاب معز الدولة بسنجار وغيرها. وكان السبب في تجريد معز الدولة هذه الحملة على ناصر الدولة هو تأخر ناصر الدولة في حمل المال وهو ألفا ألف درهم في كل سنة بدل ضمانة لتلك البلاد في السنة الماضية. (انظر ابن الأثير: حوادث سنة ٣٤٦ و٣٤٧هـ).

(٢) ديار ربيعة: ما بين الموصل ورأس عين. والمراد بالرحبة: رحبة مالك بن طوق، وهي بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات. (معجم البلدان).

(٣) في الأصل: «ابن جذيم» وفيما يأتي فيما نقله عن الذهبي: «ابن جذام». وفي طبعة دار الكتب المصرية عن شرح القاموس وتاريخ القضاعي: «ابن حذلم». وفي شذرات الذهب: «ابن خرّام». وما أثبتناه عن تاريخ بيروت لصالح بن يحيى، ص ١٣.

(٤) في المنتظم وعقد الجمان: «علي بن سهل».

وسمِع بهَرَاة من محمد بن عبد الرحمن الشامي والحسين بن إدريس، وروَى عنه أبو عبد الله الحاكم وأبو الحسن العَلَويّ وعبد الله بن يوسف الأصبهانيّ. قال السُّلَمِيّ: هو أحد أئمّة خُراسان وله معرفة بعلوم عديدة، وكان أكثر الخُرَاسانيّين تلامذتَه؛ وكان عارفاً بعلوم القوم. قال الحاكم: وسَمِعته يقول، و[قد] سُئل ما التوحيد، قال: ألّا تُشبّه[1] الذات، ولا تَنْفِي الصفات.

وفيها توفّي محمد بن الحسن[2] بن عبد الله [بن عليّ][3] بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن القرشيّ الأُمويّ القاضي؛ ولِي القضاء بمدينة السلام، ثم ولِي أعمالاً كثيرة في أيّام المطيع، ثم صُرِف عن الجميع؛ وكان جواداً واسع الأخلاق كريماً مع قُبْح سيرة في الأحكام.

وفيها توفّي محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجُنَيد، أبو الحسين الرازيّ الحافظ؛ كان عالماً فاضلاً زاهداً ثِقَة صدوقاً.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي القاضي أبو الحسن أحمد بن سليمان بن أيّوب بن جَنْدَلم الأسديّ الأوزاعيّ المذهب. قلت: وقد تقدّم ذكره. قال: وأبو أحمد حمزة [بن محمد][4] بن العبّاس، والزبير بن عبد الواحد الأَسَدَاباذِيّ[5]، وعبد الله بن جعفر درستويه النحويّ، وأبو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن راشد البَجَلِيّ، والحافظ المؤرخ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى وله ستٌّ وستون سنة، وأبو الحسن[6] عليّ بن عبد الرحمن بن عيسى بن زيد بن مانِي[7] الكوفي الكاتب، ومحمد بن

(١) في الأصل: «ألا يكون تشبه الذات ولا تبقى الصفات». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب.

(٢) في الأصل: «محمد بن الحسين». وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان والمنتظم.

(٣) زيادة عن عقد الجمان والمنتظم.

(٤) زيادة عن الشذرات.

(٥) هذه النسبة إلى أسداباذ، بليدة على منزل من همذان إذا خرجت إلى العراق. (الأنساب).

(٦) في الأصل: «أبو الحسين». وما أثبتناه عن شذرات الذهب وعقد الجمان والمنتظم.

(٧) في الأصل: «هاني» وما أثبتناه عن المصادر السابقة.

أحمد بن الحسن الكِسائيّ[١] الأصبهانـي ومحمد بن عبد الله بن جعفر أبو الحسين الرازي بِدمشق، وأبو عليّ محمد بن القاسم بن معروف الدِّمشقيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وخمس أصابـع. مبلـغ الزيادة سبـع عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية أُنوجُور على مصر

وهي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة:

فيها خلَـع الخليفة المطيـعُ على بُخْتيار بن معزّ الدولة خِلْعة السلطنة، وعقَد له لواء ولقَّبه «عزّ الدولة أميرَ الأمراء».

وفيها خرج محمد بن ناصر الدولة بن حَمْدان في سَرِيّة نحو بلاد الروم، وكـانت الـروم قـد وصلوا إلى الـرُّهَـا وحَـرّان فـأسـروا أبـا الهيثم ابن القـاضي أبـي الحُصَين، وسبَوْا وقتلوا[٢].

وفيها في سابـع ذي القعدة غرِق من الحجّاج الوارد من المَوْصِل إلى بغداد في دِجْلة بِضْعَةَ [عَشَرَ زورقاً][٣] فيها من الرجال والنساء نحو ستمائة نفس.

وفيها مات ملك الروم وطاغيتهم الأكبر بالقُسْطَنْطِينِيّة وأُقعد آبنُه مكانَه، ثم قُتِل ونُصب في الملك غيره[٤].

---

(١) في الأصل: «الكيساني» وهو تحريف. والتصحيح عن الشذرات والمنتظم وغاية النهاية.

(٢) ذكر ابن العبري في تاريخ الزمان، ص ٦٠، أن الروم قبضوا على محمد بن ناصر الدولة وعلى بعض عبيده بحلب، وعلى أبـي الهيثم القائد وعلى عبيده في كفرتوت، وأقبلوا إلى طرسوس وقتلوا وأسروا الكثيرين، ودوّخوا قلعة الهارونية وفتكوا بمن فيها.

(٣) زيادة عن عقد الجمان. وفي تاريخ الإسلام للذهبـي: «بضعة وعشرون زورقاً».

(٤) جاء في تاريخ الزمان لابن العبري ما ملخصه: أنه في سنة ٣٤٨هـ/٩٦١م توفي ملك الروم قسطنطين، وخلفه ابنه رومانس، فوجَّه رومانس في السنة عينها أبولنيش شومشكين القائد ونيقيفور الدمستق إلى بلاد العرب. وفي سنة٩٦٤م (وهي سنة ٣٥٢ أو٣٥٣هـ) جاء نعي الملك رومانس، وأجمع الأقطاب مع =

وفيها وصلت الروم الى طَرَسُوس، فقتلوا جماعة وفتحوا حصن الهارُونيّة(١) وخرّبوا الحصن المذكور وقتلوا أهله، ثم كرّت الروم إلى ديار بكر ووصلوا مَيّافَارِقِين؛ فعمِل في ذلك الخطيب عبد الرحيم بن نُبَاتَة الخُطَبَ الجِهاديّة.

وفيها هرب عبد الواحد ابن الخليفة المطيع لله من بغداد إلى دِمشق.

وفيها توفّي الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجرّاح.

وفيها توفّي الشيخ أبو بكر أحمد بن سليمان، الفقيه النّجّاد شيخ الحنابلة؛ كان إماماً عالماً فقيهاً، مات في ذي الحجّة وله خمس وتسعون سنة.

وفيها توفّي جعفر بن محمد بن نُصَيْر الخُلْدِيّ(٢) الزاهد المحدّث أبو محمد الخوّاص في شهر رمضان عن خمس وتسعين سنة وله ستّ وخمسون حجّة؛ صحِب الجُنَيد وإليه كان منتمياً، وكان المَرْجِع إليه في علوم القوم؛ حجّ قريباً من ستّين حجة(٣). قال: ما حجَجت إلّا على التوكّل(٤)، وكانت الأعطية حولي كثيرة.

وفيها توفّي أبو بكر محمد بن جعفر الأدَميّ المحدّث القارىء. كان فاضلاً محدّثاً مُقْرئاً.

وفيها توفّى جعفر بن حرب الكاتب(٥). كان جليل القدر يتقلّد كِبار الأعمال؛ فاجتاز يوماً بموكِبه فسمع قارئا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ

= شومشكين على المناداة بنيقيفور الدمستق ملكاً. ولما دخل قسطنطينية وتوّج ملكاً نصب شومشكين دمستقاً ووجهه إلى مناوشة العرب. ويفهم من سياق الخبر الذي أورده أبو المحاسن هنا أن جميع تلك الأحداث حصلت في سنة واحدة وهي سنة ٣٤٨هـ، بخلاف ما ذكره ابن العبري المؤرخ السرياني الخبير بشؤون وأخبار الروم وقياصرة القسطنطينية.

(١) الهارونية: مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام، استحدثها هارون الرشيد. (معجم البلدان).

(٢) راجع ص ١٨٨ من هذا الجزء، حاشية (٤).

(٣) هذه العبارة تكرار لما قبلها.

(٤) في الأصل: «المتوكل» ويأباها السياق. والتصحيح عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٥) في الأصل: «الوزير» وهو خطأ. والتصحيح عن البداية والنهاية. وفي المنتظم وعقد الجمان: «لم يكن وزيراً، وإنما كانت نعمته تقارب نعمة الوزارة». وبهذا المعنى في البداية والنهاية.

اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[١]، فصاح: بلى! والله قد آن؛ ونزل عن دابّته ودخل الماء ولم يخرج منه حتّى فرّق جميع أمواله، وبقي في الماء حتّى أعطاه رجل قميصاً فلبِسه وخرج إلى المسجد ولزِم العبادة حتى مات.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وثلاث عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية أُنُوجُور على مصر

وهي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة:

وهي السنة التي مات فيها أُنُوجُور صاحب الترجمة كما تقدّم ذكره.

فيها أوقع نَجا غلامُ سيف الدولة بن حَمْدان بالروم فقتل وسبَى وأسر[٢].

وفيها جرت وقعة هائلة ببغداد في شعبان بين السُّنّيّة والشِّيعة، وتعطّلت الصلوات في الجوامع سِوَى جامع بَرَاثًا[٣] الذي يأوِي إليه الرافضة. وكان جماعة بني هاشم قد أثاروا الفتنة؛ فاعتقلهم معزّ الدولة بن بُوَيْه فسكنت الفتنة.

وفيها ظهر آبن المكتفي بالله بناحية أرمينيةَ وتلقّب بالمستجير بالله، يدعو إلى الرِّضَى من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولبِس الصوف وأمر بالمعروف، ومضى إلى جبال الديلم فآستنصر بهم؛ فخرج معه جماعة منهم وساروا إلى أَذْرَبِيجان، فاستولَى المستجير بالله على عدّة بُلْدان؛ وبعضُ البلاد التي آستولَى عليها كانت في يد سلار الدَّيْلَميّ، فسار سلار فهزَمه، ويقال: قتله، لأنه لم يظهر له حسّ بعد ذلك.

(١) سورة الحديد: الآية ١٦.

(٢) في ابن الأثير والبداية والنهاية وتاريخ الزمان أن ذلك وقع في سنة ٣٥٠هـ.

(٣) في الأصل: «جامع سرات» وهو تحريف. والتصحيح عن ابن الأثير والبداية والنهاية ومعجم البلدان والمنتظم والذهبي.

وفيها في شوال عرَض[١] للسلطان معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه مرضُ كُلَاه فبال الدم، ثم آحتبس بَوْلُه، ثم رَمَى حصى صغاراً ورملاً وأَرجفوا بموته.

وفيها جمـع سيف الدولة بن حَمْدان جموعاً كثيرة وغزا بلاد الروم فقتل وأسر وسبَى، فسارت الروم وكثروا عليه، فعاد في ثلاثمائة من خواصّه، وذهب جميـع ما كان معه وقُتِل أعيان قوّاده[٢]، وخرج من ناحية طَرَسُوس.

وفيها مات أحمد بن محمد بن ثَوَابَة كاتب ديوان الرسائل لمعزّ الدولة، فقلّد معزّ الدولة مكانه أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابىء.

وفيها أسلم من الترك مائتا ألف خَرْكاه[٣]، كذا ذكر أبـو المظفّر سِبْط ابن الجَوْزِيّ.

وفيها بذل القاضي الحسين بن محمد الهاشميّ مائتي ألف درهم على أن يُقلّد قضاء البصرة، فأُخذ منه المال ولم يُقَلّد. قلت: يرحم الله من فعَل معه ذلك وخـاتَله[٤]، ويرحم من يقتـدي بفعله مـع كلّ من يسعَى في القضـاء بالبـذل والبِرْطِيل[٥].

وفيها توفّي الإمام أبو الوليد حسّان بن محمد الفقيه شيـخ أهل الحديث والفقه بخُراسان عن اثنتين وثمانين سنة.

---

(١) في الأصل: «اعترض للسلطان».

(٢) في تجارب الأمم: «وقتل من الوجوه الذين كانوا معه حامد بن النمس، وموسى بن سياكان، والقاضي أبو حصين». وفي تاريخ مختصر الدول: «وقتل من مشاهير رجاله حامد بن نمس سباخان، وأبو حصين القاضي».

(٣) الخركاه: لفظ فارسي معناه الخيمة. وتجمـع على خركاوات. وفي صبح الأعشى للقلقشندي: ١٣٨/٢: أن الخركاه هي كالبيت تصنـع من الخشب على هيئة مخصوصة، تغشى بالجوخ ونحوه وتحمل في السفر لتكون في الخيمة لتقي المعسكر من البرد. وعبارة ابن العبري: «وفي هذه السنة جاهر بالإسلام نحو مائتي ألف من خيام الأتراك في المشرق» وزاد ابن كثير في البداية والنهاية: «فسموا: ترك إيمان. ثم خفف اللفظ فقيل: تركمان». وقد ذكر أبو المحاسن في حوادث سنة ٢٩١هـ أن الخركاه لا تكون إلا لأمير. واستعمالها هنا لا ينصرف إلى هذا المعنى الخاص، بل المراد به الخيمة بوجه عام.

(٤) في الأصل: «وخاله».

(٥) البرطيل، بكسر الباء الموحدة: الرشوة. والعامة تفتح الباء.

وفيها توفّي الحسين بن عليّ بن يزيد[١] بن داود الحافظ أبو عليّ النيسابوريّ. قال الحاكم: هو واحد عصره في الحفظ والإتقان والورع والمذاكرة والتصنيف، ومولده في سنة سبع وسبعين ومائتين، وأوّل سَمَاعه سنة أربع وتسعين ومائتين؛ ومات في جُمادى الأولى. قال أبو عبد الرحمن السُّلَميّ: سألت الدارقطنيّ عن أبي عليّ النيسابوريّ فقال: إمام مُهَذّب.

وفيها توفّي محمد بن جعفر [بن محمد][٢] بن فَضَالة الأَدَمِيّ القارئ صاحب الألحان؛ كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن يُسْمَع صوته من فرسخ. قال محمد [بن عبد الله][٢] الأسديّ: حجَجت أنا وأبو القاسم البَغَويّ[٣] وأبو بكر الأَدَمِيّ، فلما صِرْنا بالمدينة وجَدنا ضريراً قائماً يَروِي أحاديث موضوعة؛ فقال بعضنا: نُنْكِر عليه؛ فقال الأَدَمِيّ: تثور علينا العامّة ولكن آصبروا وشرع يقرأ، فما هو إلّا أن أخذ يقرأ فآنفضّت العامة عن الضرير وجاؤوا إليه، وسكت الضرير وكُفي أمره.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو الحسين أحمد بن عثمان الأَدَميّ [العطشي][٤]، وأبو الفوارس الصابُونِيّ أحمد بن محمد بن الحسين في شوال وله خمس ومائة سنة، وأبو الوليد حسّان بن محمد الفقيه شيخ خُراسان، والحسين بن عليّ بن يزيد النَّيْسابوريّ الحافظ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم الخُراسانيّ، وعبد الله بن محمد بن موسى الكَعْبيّ النيسابوريّ، وأبو طاهر عبد الواحد بن عمر [بن محمد][٥] بن أبي هاشم شيخ القرّاء ببغداد، والقاضي

---

(١) في الأصل: «مزيد» وهو تحريف. وما أثبتناه عن شذرات الذهب وعقد الجمان والمنتظم والذهبي.

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) في الأصل: «أبو القاسم اللغوي». والتصحيح عن ابن الأثير والسمعاني ومعجم البلدان.

(٤) زيادة عن الأنساب وشذرات الذهب. والعطشي: نسبة إلى «سوق العطش» وهو موضع ببغداد بالجانب الشرقي.

(٥) زيادة عن شذرات الذهب والمنتظم وغاية النهاية.

أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العسّال في رمضان، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن عَمْرويه الصفّار.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وتسع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً سواء.

ذكر ولاية عليّ بن الإخشيذ على مصر [(١)]

هو عليّ بن الإخشيذ محمد بن طُغْج بن جُفّ، الأمير أبو الحسن الفَرْغَانِيّ التركيّ. ولي سلطنةَ مصر بعد موت أخيه أُنُوجُور بن الإخشيذ محمد في يوم السبت عشرين[(٢)] ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. أقامه خادمه كافور[(٣)] الإخشيذيّ الخَصِيّ في مملكة مصر باتفاق حواشي والده والجند، وأقرّه الخليفة المطيع لله على ذلك. وصار كافور الإخشيذيّ هو القائم بتدبير مملكته والمتصرِّف فيها كما كان أيّام أخيه أَنُوجُور. وجَمع له الخليفة جميع ما كان لأبيه وأخيه من أعمال الديار المصريّة والممالك الشاميّة والثغور والحرمين الشريفين. وأطلق كافور لعليّ هذا في السنة ما كان يُطْلقه لأخيه أنوجور، وهو في كلّ سنة أربعمائة ألف دينار. وقويت شوكة كافور بعد موت أنوجور وتولية عليّ هذا أعظمَ مما كانت أيّام أنوجور. ومولد عليّ المذكور (أعني صاحب الترجمة) لأربع بقين من صفر سنة ستّ وثلاثمائة. ودام عليّ هذا في الملك، وله الاسم فقط والمعنى لكافور، إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة[(٤)]. [و] وقع بمصر الغلاء واَضطربت أمور الديار المصريّة والإسكندرية بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميّين الواردين إليها من المغرب، وتزايد الغلاء

---

(١) ولاة مصر: ٣١٣، وخطط المقريزي: ١/٣٢٩، وحسن المحاضرة: ٢/١٤، والمغرب (قسم مصر ١/١٩٩، ومعجم زامباور: ١٤٣.

(٢) في الكندي والمقريزي: «يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة».

(٣) في الأصل: «أقامه خادم كافور الإخشيدي» وهو تحريف.

(٤) لا يعني هذا أن ولاية علي بن الإخشيد انتهت في هذه السنة، وإنما أراد المؤلف الإشارة إلى الغلاء الذي وقع بمصر في هذه السنة.

[وعزّ وجود القمح][(١)]. ثم قدِم القرمطيّ إلى الشام في سنة آثنتين[(٢)] وخمسين وثلاثمائة ووقع له بها أمور، وعجز المصريّون عن دَفْعه عنها لشُغْلهم بالغلاء والمغاربة الفاطميّين. ومع هذا قلّ ماء النيل في هذه السنين فآرتفعت الأسعار أكثَر مما كانت عليه، ووهنت ضِياع مصر وقُراها من عدم زيادة النيل، وعظُم الغلاء[(٣)]

---

(١) زيادة عن المقريزي.

(٢) في المقريزي: «سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة».

(٣) لقد توقف العلاّمة المؤرخ تقي الدين المقريزي مطولاً أمام ظاهرة الغلاء بمصر وما ينتج عنه من الفتن، وارتباط ذلك بعدم زيادة النيل إلى الحدّ المطلوب لري الأراضي. وفي كتابه «إغاثة الأمة بكشف الغمة» عقد فصلاً خاصاً لما «حلَّ بمصر من الغلوات» الأمر الذي لم يشر إليه أبو المحاسن إلا لماماً. والغلاء الذي يشير إليه أبو المحاسن هنا لم يكن الأول في العصر الإخشيدي، فقد ذكر المقريزي أنه وقع غلاء بمصر سنة ٣٣٨هـ في المحرم، والأمير يومئذ أبو القاسم أنوجور بن الإخشيد، فثارت الرعيّة، ومنعوه من صلاة العتمة في الجامع العتيق.

ثم وقع غلاء في سنة ٣٤١هـ، فكثر الفار في أعمال مصر، وأتلف الغلات والكروم وغيرها. ثم قصر مد النيل، فنزع السعر في شهر رمضان.

وفي سنة ٣٤٣هـ عظم الغلاء حتى بيع القمح كل ويبتين ونصف بدينار، ثم طلب فلم يوجد، وثارت الرعية وكسروا منبر الجامع بمصر.

ثم وقع الغلاء في الدولة الإخشيدية أيضاً، واستمر تسع سنين متتابعة. وابتدأ في سنة ٣٥٢هـ، والأمير إذ ذاك علي بن الإخشيد، وتدبير الأمور إلى الأستاذ كافور. وكان سبب الغلاء أن ماء النيل انتهت زيادته إلى خمسة عشر ذراعاً وأربعة أصابع، فنزع السعر (أي ارتفع) بعد رخص، فما كان بدينار واحد صار بثلاثة دنانير، وعزَّ الخبز فلم يوجد. وزاد الغلاء حتى بلغ القمح كل ويبتين بدينار.

وقصر مد النيل في سنة ٣٥٣هـ فلم يبلغ سوى خمسة عشر ذراعاً وأربعة أصابع؛ واضطرب فزاد مرّة ونقص أخرى حتى صار إلى قريب من ثلاثة عشر ذراعاً. ثم زاد قليلاً وانحط سريعاً فعظم البلاء، وانتقضت الأعمال لكثرة الفتن، ونهبت الضياع والغلات، وماج الناس في مصر بسبب السعر، فدخلوا الجامع العتيق بالفسطاط يوم الجمعة وازدحموا عند المحراب، فمات رجل وامرأة من الزحام، ولم تُصلَّ الجمعة يومئذ.

وتمادى الغلاء إلى سنة ٣٥٤، وكان مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وأصابع.

وفي سنة ٣٥٥هـ كان مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وأصابع. وقصر مدُّه وقلّت جريته.

وفي سنة ٣٥٦هـ لم يبلغ النيل سوى اثني عشر ذراعاً وأصابع. ولم يقع مثل ذلك في الدولة الإسلامية. وكان على إمارة مصر حينئذ كافور الإخشيدي، فعظم الأمر من شدة الغلاء.

ثم مات كافور، فكثر الاضطراب وتعددت الفتن وكانت حروب كثيرة بين الجند والأمراء قتل فيها خلق كثير، وانتهبت أسواق البلد وأحرقت مواضع عديدة. فاشتد خوف الناس وضاعت أموالهم، وارتفع السعر، وتعذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل ويبة بدينار، إلى أن دخلت سنة ٣٥٨هـ، ودخل =

وكثُرت الفتن؛ وسار ملِك النوبة إلى أُسْوان ووصل إلى إخميم وقتل ونهب وسبَى وأحرق. وعظُم آضطراب أعمال الديار المصريّة قبليّها وبحريّها. ثم فسد ما بين عليّ بن الإخشيذ صاحب مصر وبين مدبّر مملكته كافور الإخشيذي، ومنع كافور الناسَ من الاجتماع به، حتّى آعتل عليّ المذكور بعلّة أخيه أنُوجُور ومات لإحدى عشرة خلت من المحرّم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وحُمِل إلى المقدس ودُفِن عند أبيه الإخشيذ وأخيه أَنُوجُور[1]. وبقِيت مصر من بعده أيّاماً بغير أمير، وكافور يُدَبّر أمرها على عادته في أيّام أولاد الإخشيذ ومعه أبو الفضل جعفر بن الفُرات. ثم

= القائد جوهر بعساكر المعز لدين الله الفاطمي. وكان مما نظر فيه أمر الأسعار. فضرب جماعة من الطحانين وطيف بهم، وجمع سماسرة الغلات بمكان واحد، وتقدّم ألا تباع الغلات إلا هناك. فكان لا يخرج قدح قمح إلا ويقف عليه سليمان بن عزة المحتسب. واستمر الغلاء إلى سنة ستين، فاشتد فيها الوباء، وفشت الأمراض، وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين الأموات ودفنهم، فكان من مات يطرح في النيل. فلما دخلت سنة ٣٦١هـ، انحلّ السعر فيها، وأخصبت الأرض وحصل الرخاء. انظر إغاثة الأمة للمقريزي: ص ٤٤ ــ ٤٩.

قلت: والملاحظ مما يذكره المقريزي سابقاً أن منسوب مياه النيل إذا نقص عن ١٦ ذراعاً فإنما ذلك يؤدي إلى الإضرار بالري والزراعة، وينتج عن ذلك «الظمأ»، وبالتالي يخاف الناس، ويلجأ التجّار إلى الاحتكار ويرفعون الأسعار، مما يثير العامة وتكثر الفتن والقلاقل. ولعل الباحث يتوقف أمام هذه الأرقام ويرى فيها تناقضاً مع ما رواه المقريزي نفسه في الخطط (٥٨/١) من أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص لما كان والياً على مصر «يسأله عن شرح الحال فأجابه: إني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعاً. والحدّ الذي يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى، ستة عشر ذراعاً. والنهايتان المخوفتان في الزيادة والنقصان، وهما الظمأ والاستبحار، اثنا عشر ذراعاً في النقصان وثمانية عشر ذراعاً في الزيادة». غير أن المقريزي يسارع إلى تفسير هذا الأمر بقوله: هذا والبلد في ذلك الوقت محفور الأنهار ومعقود الجسور عندما تسلموه من القبط، وخميرة العمارة فيه.

ويزيد في تفسير ذلك ما نقله المقريزي أيضاً عن المسعودي قوله: «والمعمول عليه في وقتنا هذا، أي سنة ٣٤٥هـ، أنه إن زاد على الستة عشر ذراعاً أو نقص عنها، نقص من خراج السلطان». قال المقريزي: «وقد تغيّر في زماننا هذا عامة ما تقدّم ذكره لفساد حال الجسور والترع والخلجان». نستنتج مما تقدم أن منسوب ١٥ ذراعاً وأصابع الذي أشار إليه المقريزي مقترناً بارتفاع الأسعار إنما كان مضراً ومخيفاً في الوقت الذي لم تكن فيه حال الجسور والترع والخلجان على ما يرام؛ في حين أن منسوب ١٤ إلى ١٥ ذراعاً لم يكن مخيفاً في أيام عمرو بن العاص.

(١) في الكندي أنه دفن ببيت المقدس بباب الأسباط.

ولِي كافور إمْرة مصر بآتفاق أعيان الديار المصريّة وجندها. وكانت مدّة سلطنة عليّ بن الإخشيذ المذكور على مصر خمس سنين وشهرين ويومين.

* * *

السنة الأولى من ولايّة عليّ بن الإخشيذ على مصر

وهي سنة خمسين وثلاثمائة:

أعني بذلك أنّه ولِي في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. وقد ذكرنا تلك السنة في أيّام أخيه أُنُوجُور، فلذلك ذكرنا أن سنة خمسين وثلاثمائة أوّل السنين لعليّ هذا على مصر بهذا المقتضى.

فيها (أعني سنة خمسين وثلاثمائة) دخل غلام[1] سيف الدولة بن حَمْدان إلى بلاد الروم وسبَى ألف نفس وغنِم أموالاً كثيرة.

وفيها أخذ ملِك الروم رومانوس بن قُسْطَنْطِين من المسلمين جزيرة أَقْرِيطِش من بلاد المغرب. وكان الذي آفتتح أقريطش عمر[2] بن شعيب، غزاها وآفتتحها[3] في حدود سنة ثلاثين ومائتين، وصارت في يد أولاده إلى هذا الوقت[4].

وفيها شرع معزّ الدولة بن بُوَيْه في بناء دار هائلة عظيمة ببغداد وأخرب لأجلها دوراً وقصوراً، وقلَع أبواب الحديد التي كانت على أبواب مدينة المنصور، وألزم الناس ببيع أملاكهم ليُدْخِلها في البناء، ونزل في الأساسات ستّاً وثلاثين ذراعاً،

---

(١) يريد به «نجا» غلام سيف الدولة كما تقدّم.

(٢) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي معجم البلدان: «عمرو بن شعيب». والمؤرخون مختلفون في سنة فتحها وعلى يد من... انظر في ذلك معجم البلدان: ٢٣٦/١، وفتوح البلدان: ٢٧٩، والروض المعطار: ص ٥٠.

(٣) في الأصل: «وافتتح».

(٤) ذكر ياقوت أن ملك الروم لما أخذ أقريطش في هذه السنة أسر صاحبها عبد العزيز بن شعيب من ولد أبي حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالأقريطشي الذي كان قد افتتحها في أيام المأمون سنة ٢١٠هـ. قلت: ورواية ياقوت هنا توافق رواية البلاذري في فتوح البلدان. وعلى ذلك يكون أبو المحاسن قد وهم مرتين: مرة في تحديد سنة فتحها، ومرة في تسمية من افتتحها.

فلزِمه من الغرامات عليها إلى أن مات ثلاثةَ عشرَ ألفَ ألفِ درهم، وصادر الدواوينَ وغيرَها[١]، وجعل كلّما حُصّل له شيء أخرجه في بنائها. وقد دَرَست هذه الدار من قبل سنة ستمائة، ولم يبقَ لها أثر، وبقي مكانها دَجْلَة[٢] تأوِي إليها الوحوش، وبقي شيء من الأساس يَعْتبر به من يراه. قلت: دار الظالم خراب ولو بعد حين.

وفيها قُلّد قضاء القضاة أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبـي الشوارب، وركِب بالخِلَـع من دار معزّ الدولة وبين يديه الدبادب والبُوقات وفي خدمته الجيش؛ وشرط على نفسه أن يحمِل كلّ سنة إلى خِزانة معزّ الدولة مائتي ألفِ درهم، وكتب عليه بذلك سِجِلاًّ. فآنظر إلى هذه المصيبة!. وآمتنـع المطيـع من تقليده ومن دخوله عليه، وأمر ألا يمكّن من الدخول عليه أبداً.

وفيها أيضاً ضمّن معزّ الدولة الحِسْبة[٣] والشرطة ببغداد.

وفيها في شعبان توفّي بمصر متولّي خراجها أبو بكر محمد[٤] بن علي بن مقاتل، فوجدوا في داره ثلاثمائة ألفِ دينار مدفونة.

وفيها توفّي الحسن[٥] بن القاسم، الإمام أبو عليّ الطبريّ الشافعيّ الفقيه

---

(١) في الأصل: «وغيرهم».

(٢) كذا بالأصل. والدَّجلة (بالجيم المعجمة) هي المكان الذي يعسل فيه النحل البرّي. وفي شذرات الذهب وتجارب الأمم: «دحلة» بالحاء المهملة. والدحلة: البئر الضيقة الرأس، أو هي الهوّة رأسها ضيق ثم يتسع أسفلها. وفي عقد الجمان: «رجلة» بالراء والجيم المعجمة. والرجلة: منبت العرفج (هو الشوك) الكثير في روضة واحدة.

(٣) الحسبة: وظيفة يتولى شاغلها (المحتسب) الأمر والنهي فيما يتصل بالمعايش والصنائع. ومن اختصاصه حفظ ومراقبة الأسعار ورقابة التجار على اختلاف أصنافهم، وينظر في المكاييل والموازين ودار العيار. ولا يحال بينه وبين مصلحة رآها، وعلى الولاة مساعدته في وظيفته إذا احتاج إليهم. وهي في الأصل وظيفة تستند إلى المبدأ الإسلامي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (انظر صبح الأعشى: ٤٨٣/٣ و ٣٧/٤ و ٤٥١/٥، وخطط المقريزي: ٤٦٣/١، والحسبة والمحتسب في الإسلام للدكتور نقولا زيادة، ص ٣١ ــ ٤٨).

(٤) سمّاه ابن كثير في البداية والنهاية: «أبو علي الخازن» وهو خطأ.

(٥) كذا في الأصل وابن خلكان وشذرات الذهب. وفي عقد الجمان والمنتظم والبداية والنهاية وتاريخ بغداد: «الحسين بن القاسم».

مصنّف «المحرّر»، وهو أوّل كتاب صُنّف في الخلاف؛ كان إماماً عالماً بارعاً في عدّة فنون.

وفيها توفّي الأمير عبد الملك بن نوح الساماني صاحب بلاد خُراسان وغيرها: تَقَطَّر[١] به فرسه فحُمِل ميّتاً. ونصبوا مكانه أخاه منصورَ بن نوح السامانيّ، وأرسل إليه الخليفة المطيع لله بالخلَع والتقليد.

وفيها توفّي محدّث بغداد الحافظ أبو سهل أحمد بن محمد بن [عبد الله بن][٢] زياد القطّان في شعبان؛ كان إماماً ورِعاً صوّاماً قوّاماً؛ سمع الحديث وروَى الكثير، ومات وله إحدى وتسعون سنة.

وفيها توفّي إسماعيل بن عليّ[٣] بن إسماعيل الشيخ أبو محمد الخُطَبِيّ؛ كان إماماً عالماً أخباريّاً محدّثاً؛ كان يرتجِل الخُطَب ويخطُب بها.

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن يوسف أبو الطيّب المقرىء[٤]، ويُعْرف بغلام ابن شَنَّبُود ـ وقد تقدّم ذكر ابن شنبود في محلّه ـ كان إماماً عارفاً بالقراءات زاهداً.

وفيها توفّي عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى ابن الخليفة أبي جعفر المنصور، الخطيبُ أبو جعفر الهاشميّ العباسيّ، خطيب جامع المنصور وابن خطيبه؛ كان عالي النسب من بني العبّاس؛ كان في طبقة هارون الواثق في علوّ النسب.

وفيها توفّي القاضي أبو السائب عُتْبة بن عُبيد الله بن موسى الهَمَذاني؛ مولده بهَمَذان في سنة أربع وستين ومائتين؛ وكان أبوه تاجراً؛ ولي قضاءَ أَذْرَبِيجان ثم

---

(١) تقطّر: سقط. وفي الأصل: «تقنطر» وسبق له استعمال نفس اللفظ بدلاً من «تقطر»، وهو استعمال عامي.

(٢) زيادة عن شذرات الذهب والبداية والنهاية والمنتظم وعقد الجمان.

(٣) في الأصل: «إسماعيل بن محمد بن علي». وما أثبتناه عن الشذرات وعقد الجمان والمنتظم والبداية والنهاية وأنساب السمعاني. ولم يذكر السمعاني غيره بهذه النسبة: «الخُطَبي» نسبةً إلى الخطب وإنشائها.

(٤) في عقد الجمان والمنتظم أنه توفي سنة ٣٥٣هـ.

قضاء هَمَذان ثم آل به الأمر إلى أن تقلّد قضاء القضاة؛ وكان إماماً عالماً؛ غلَب عليه الزهد وسافر ولقِي الجُنَيد في سفره وأخذ عنه؛ ثم تفقّه بجماعة من العلماء، وكان عالماً فاضلاً.

وفيها توفّي الأمير فاتِك الإخشيذيّ المجنون[1] أبو شجاع، وكان أكبر مماليك الإخشيذ، وولِي إمْرة دِمشق، وكان فارساً شجاعاً؛ كان روميّ الجنس، وكان رفيقاً للأستاذ كافور الإخشيذيّ. فلما صار كافور مدبِّر مملكة أولاد الإخشيذ وعظم أمره، أنِف فاتِك هذا من المُقَام بمصر كيلا يكون كافور أعلى مرتبةً منه، فآنتقل من مصر إلى إقطاعه وهو بلاد الفيّوم ــ وكان كافور يخافه ويكرَهه ــ فلم يصحّ مِزاج فاتِك بالفيّوم ومرِض وعاد إلى مصر فمات بها. وكان فاتك المذكور كريماً جواداً. ولما قدِم المتنبّي إلى مصر سمِع بعظمة فاتِك وتكرّمه، فلم يجسُر أن يمدحه خوفاً من كافور. وكان فاتك يراسله بالسلام ويسأل عنه. فآتفق آجتماعهما يوماً بالصحراء، وجرت بينهما مفاوضات. فلما رَجع فاتِك إلى داره بعث إلى المتنبّي هديّة قيمتُها ألفُ دينار، ثم أتبعها بهدايا أُخَر. فآستأذن المتنبّي كافوراً في مدحه فأذِن له؛ فمدحه بقصيدته التي أوّلها: [البسيط]

لا خَيْلَ عِنْدك تُهْديها ولا مالُ ... فلْيُسْعِدِ النطقُ إن لم تسْعِد الحالُ

ويأتي شيء من ذكر فاتِك أيضاً في ترجمة كافور إن شاء الله تعالى. ولما مات فاتِك رثاه المتنبي أيضاً[2].

---

(١) لقّب بالمجنون لشجاعته. وسماه ابن سعيد في المغرب: «فاتك الفحل». قال: وكان للإخشيد غلمان كثيرة وأتباع، وكان وجوههم: بدر الكبير، وشادن الصقلبي، ومنجح الصقلبي، وكافور الأسود، وفاتك الفحل، وبشرى وغيرهم».

(٢) رثاه المتنبي ــ وكان قد خرج من مصر ــ بقصيدته التي أولها:

الحزن يقلق والتجمّل يردع ... والدمع بينهما عَصِيٌّ طَيِّعُ

ومنها:

إني لأجبُنُ من فراق أحبّتي ... وتحسُّ نفسي بالحمام فأشجُعُ

ويزيدني غضب الأعادي قسوةً ... ويلمُّ بي عتب الصديق فأجزع

أين الذي الهرمان من بُنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلّف الآثار عن أصحابها ... حيناً فيدركها الفناء فتتبع

=

وفيها توفّي أبو وهب[١] الزاهد أحد المشهورين بالأندلُس. قال أبو جعفر أحمد [بن][٢] عون الله [بن حُدَير][٢]: سمعت أبا وهب يقول: «والله لا عانَق الأبكارَ في جنّات النعيم والناس في الحساب إلّا من عانَق الذلّ، وضاجع الصّبْر، وخرج منها كما دخل فيها».

وفيها توفّي الناصر لدين الله أبو المُطرِّف صاحب الأندلُس الملقّب بأمير المؤمنين؛ وآسمه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن الداخِل، المقدّم ذكره، ابن معاوية [بن[٣] هشام بن عبد الملك بن مروان] الأُمويّ المَرْوَانيّ ثم الأندلُسيّ؛ ولِي الأمر بعد جدّه؛ وكان ذلك من غرائب الوجود لأنّه كان شابّاً وبالحضرة أكابرُ من أعمامه وأعمامِ أبيه؛ وتقدّم هو وهو ابن آثنتين وعشرين سنة. فآستقام له الأمر وبنَى مدينة الزَّهْراء ــ وقد ذكرنا أمر بنائها في محلّه ــ ومات في هذه السنة. وكانت مدّة أيّامه خمسين سنة، وكان من أجلّ ملوك الأندلُس.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً سواء.

* * *

= تم عمل بعد خروجه من بغداد قصيدة يذكر مسيره من مصر ويرثي فاتكاً المذكور وأولها:

حتّام نحن نساري النجم في الظُّلَم ... وما سُراه على خُفٍّ ولا قَدَمِ

ومنها:

لا فاتكٌ آخرٌ في مصر نقصده ... ولا له خَلَفٌ في الناس كلهمِ

(انظر ابن خلكان: ٤/ ٢١ ــ ٢٣).

(١) هو أبو وهب، عبد الرحمن القرطبي العباسي، كما في المغرب في حلي المغرب لابن سعيد: ١/ ٥٨. وفيه أن وفاته كانت في سنة ٣٤٤هـ بقرطبة.

(٢) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية عن تاريخ علماء الأندلس: ١/ ٥١.

(٣) زيادة عن الحلة السيراء: ١/ ١٩٧.

السنة الثانية من ولاية عليّ بن الإخشيذ على مصر

وهي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة:

فيها نُقلت سنة خمسين وثلاثمائة إلى سنة إحدى وخمسين الخراجيّة[١]، وكُتِب بذلك عن المطيع كتابٌ[٢] في هذا المعنى. فمنه «أنّ السنة الشمسيّة خمسة وستون وثلاثمائة يوم وربع بالتقريب؛ وأنّ السنة الهلاليّة أربعة وخمسون وثلاثمائة وكَسْر؛ وما زالت الأمم السالفة تكبِس زيادات[٣] السنين على آختلاف[٤] مذاهبها، وفي كتاب الله تعالى شهادة[٥] بذلك؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَمائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا﴾[٦]؛ فكانت هذه الزيادة هي المشار إليها. وأما الفُرْس فإنّهم أَجْرَوْا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهراً وأيّامها ستون وثلاثمائة يوم، ولقّبوا الشهور آثني عشر لَقَباً، وسمّوا الأيّام بأساميّ، وأفردوا الأيّام الخمسة الزائدة وسمّوْها المسْتَرَقَة[٧]، وكبسوا الرُّبـع في كلّ مائة وعشرين سنة شهراً؛ فلما آنقرض مُلْكهم بطَل ذلك.

(١) في بيان أصل تحويل السنين وأسبابه وما يكتب فيه قال القلقشندي في صبح الأعشى: ٣/٥٨: «اعلم أن استحقاق الخراج وجبايته منوطان بالزروع والثمار من حيث أن الخراج من متحصل ذلك يؤخذ. والزروع والثمار منوطة بالشهور والسنين الشمسية، من حيث أن كل نوع منها يظهر في وقت من أوقاتها ملازم له لا يتحول عنه ولا ينتقل للزوم كل شهر منها وقتاً بعينه من صيف أو شتاء أو خريف أو ربيع. واستخراج الخراج في الملّة الإسلامية منوط بتاريخ الهجرة النبوية، وشهوره وسنوه عربية. والشهور العربية تنتقل من وقت إلى وقت؛ فربما كان استحقاق الخراج في أول سنة من السنين العربية، ثم تراخى الحال فيه إلى أن صار استحقاقه في أواخرها، ثم تراخى حتى صار في السنة الثانية، فيصير الخراج منسوباً للسنة السابقة، واستحقاقه في السنة اللاحقة، فيُحتاج حينئذ إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التي بعدها». انظر أيضاً في هذا الموضوع مآثر الإنافة للقلقشندي: ٣/٢٢١ ــ ٢٢٤، وخطط المقريزي: ١/٢٧٣.

(٢) نسخة الكتاب أوردها القلقشندي في صبح الأعشى: ١٣/٦٩ ــ ٧٥، طبعة دار الكتب العلمية، والمقريزي في الخطط: ١/٢٧٨. والكتاب من إنشاء أبي إسحاق الصابي.

(٣) في الأصل: «تكبس بهدان السنين» وهو تحريف. والتصحيح عن صبح الأعشى والمقريزي.

(٤) في الصبح والخطط: «على افتنان من طرقها ومذاهبها».

(٥) في الأصل: «شاهده». وما أثبتناه عن الصبح والمقريزي.

(٦) سورة الكهف: الآية ٢٥.

(٧) في الأصل: «المشرقة» وهو تحريف. والتصحيح عن الصبح والمقريزي.

وفيها دخل الدُّمُسْتُق مِلكُ الروم عَيْنَ زَرْبَى[١] في مائة وستّين ألفاً[٢] ـ وعين زَرْبَى في سفح جبل مُطِلّ عليها ـ فصعِد بعض جيشه الجبل، ونزل هو على بابها وأخذوا في نَقْب السور[٣]؛ فطلبوا الأمان فأمّنهم وفتحوا له فدخلها، وندِم حيث أمّنهم؛ ونادَى بأن يخرُج جميع من في البلد إلى الجامع. فلمّا أصبح بثّ رجالَه وكانوا مائة[٤] ألف، وكلّ من وجدوه في منزله قتلوه، فقتلوا عالَماً لا يُحْصَى؛ ثم فعل في البلد تلك الأفاعيل القَبِيحة.

وفيها عاد الدُّمُسْتُق إلى حَلَب؛ فخرج إليه سيف الدولة بغير آستعداد وحاربه، فحاربه الدُّمُسْتُق بمائتي ألف مقاتل، فآنهزم سيف الدولة في نَفَر يسير[٥]؛ وكانت داره[٦] بظاهر حلَب، فنزَلَها الدُّمُسْتُق وأخذ منها ثلاثمائة وتسعين[٧] بَدْرَة دراهم، وأخذ منها ألفا[٨] وأربعمائة بغل، ومن السلاح ما لا يُحْصَى، ثم نهبها الدُّمُسْتُق وأحرقها ثم أحرق بلاد[٩] حلب. وقاتله أهل حلب من وراء السور فقتلوا جماعة من الروم، فسقطت قائمة من السور على جماعة من أهل حلَب فقتلتهم؛ فأكبّ الروم على تلك الثُّلْمَة وقاتلوا حتى ملكوا حلب، ووضعوا فيها السيف حتّى كلّوا وملّوا، وأخربوا الجامع وأحرقوا ما عجزوا عن حمله؛ ولم يَنْج إلا من صعِد القلعة؛ فألحّ

---

(١) عين زربى، ويقال أيضاً: عين زربة، بلد بالثغور من نواحي المصيصة.

(٢) هذا الرقم مبالغ فيه. ولعل الصحيح «ستون ألفاً» كما في ابن الأثير والذهبي وتاريخ مختصر الدول لابن العبري.

(٣) في الأصل: «في نقب البلد». وما أثبتناه عن ابن الأثير والذهبي.

(٤) سبق له ذكر مائة وستين ألفاً.

(٥) في تاريخ مختصر الدول: «انكسر سيف الدولة وهلك جميع بني حمدان ولم يفلت إلا سيف الدولة مع القليلين». وبنفس المعنى في ابن الأثير.

(٦) وكانت تسمى «الدارين» كما في ابن الأثير.

(٧) في ابن الأثير: «ثلاثمائة بدرة من الدراهم» وفي تاريخ ابن العبري: «ثلاثمائة وتسعين وزنة فضة». والبدرة: كيس توضع فيه كمية من الدراهم، تختلف حسب العصور.

(٨) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي ابن العبري: «ألفين وأربعمائة بغل».

(٩) في ابن الأثير وتاريخ مختصر الدول أنه لم يعرض لقرى حلب، بل أمر أهلها بالزراعة والعمارة معتقداً أن البلاد أصبحت للروم ومؤملاً العودة إليهم. وفي آخر هذا الخبر سيؤكد أبو المحاسن ذلك، مناقضاً ما جاء هنا.

ابن أخت الملك في أخذ القلعة فقُتِل بحجر. وكان عند الدمستق ألف ومائتا أسير من أهل حلب فضرب أعناقهم. ثم عاد إلى الروم ولم يَعْرِضْ لأهل القُرَى، وقال لهم: آزرعوا فهذا بلدنا وعن قليل نعود إليكم.

وفيها كتبت الشِّيعة ببغداد على أبواب المساجد لعنةَ معاوية رضي الله عنه، ولعنةَ من غصَب فاطمةَ رضي الله عنها حقّها من فَدَك[1]، ولعنة من منـعَ الحسنَ أن يُدْفَن[2] مـع جدّه صلّى الله عليه وسلم؛ ثم مُحي في الليل. فأراد معزّ الدولة إعادته، فأشار عليه الوزير المُهَلَّبِيّ أن يكتُب مكان ما مُحِي: لعَن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وصرّحوا بلعنة معاوية رضي الله عنه فقط.

وفيها أسرت الروم أبا فِراس بن سعيد بن حَمْدان من مدينة مَنْبِـج[3]، وكان واليَها.

وفيها وقـع بالعراق بَرَد وزنُ البعض منه رِطْل ونصف بالعراقيّ.

وفيها توفّي الوزير أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون المُهلَّبِيّ. أصله من بني المُهلّب بن أبـي صُفْرة، أقام [في] وزارة معزّ الدولة ثلاثَ عشرةَ سنة. وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً نَبيلاً سَمْحاً جَوَاداً ذا مُرُوءة وكَرَم، وعاش أربعاً وستّين سنة. وآستوزَر معزُّ الدولة عِوَضَه أبا الفضل العبّاس[4] بن الحسن الشِّيرازيّ. ثم صادر معزّ الدولة أولاد المُهَلّبـيّ من بعد موته.

---

(١) فدك ــ بالتحريك ــ قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة. أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبـع صلحاً، وهي التي قالت فاطمة ــ رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ نحلنيها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أريد لذلك شهوداً. وقد ردّها عمر رضي الله عنه إلى ورثة رسول الله. وما زال الخلفاء يردها خليفة إلى ولد فاطمة ويقبضها عنهم آخر حتى ولي المأمون الخلافة فسجلها لهم. (معجم البلدان).

(٢) يعنون بذلك مروان بن الحكم. وكان والياً على المدينة أيام معاوية، وهو الذي أبـى أن يدفن الحسن رضي الله عنه مـع جده. وزاد ابن الأثير أنهم كتبوا أيضاً لعنة من نفى أبا ذر الغفاري (ويعنون به عثمان رضي الله عنه) ولعنة من أخرج العباس من الشورى (ويعنون به عمر رضي الله عنه).

(٣) مدينة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسـخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسـخ. (معجم البلدان).

(٤) في الأصل: «ابن العباس» وهو خطأ.

وفيها توفي دَعْلَج بن أحمد بن دَعْلَج، أبو محمد السِّجْزِيّ[١] الفقيه العَدْل؛ وُلد سنة ستّين ومائتين أو قبلها، وسمِع الكثير. قال الحاكم[٢]: أخذ عن آبن خُزَيْمَة[٣] المصنّفات، وكان يُفْتي بمذهبه، وكان شيخَ الحديث، له صدقات جارية على أهل الحديث بمكّة والعراق؛ مات في جُمادى الآخرة وله نيّف وتسعون سنة.

وفيها توفّي عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق، أبو الحسين[٤] الأُمويّ مولاهم البغداديّ الحافظ؛ سمِع الكثير وروَى عنه الدارقطني وغيرُه؛ وصنّف معجم الصحابة، ومات في شوّال.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي إبراهيم بن عليّ أبو إسحاق الهُجَيْمِي، والحسن بن محمد الوزير أبو محمد المُهلَّبِيّ، ودَعْلَج بن أحمد السِّجْزيّ، وعبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد البغداديّ بمصر، وعبد الباقي بن نافع أبو الحسين في شوّال، وأبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد النقّاش في شوّال، وله خمس وثمانون سنة، وأبو جعفر محمد بن عليّ بن دُحَيْم[٥] الشَّيْبانيّ، وأبو محمد يحيى بن منصور قاضي نَيْسابور.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وإحدى عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع أصابع[٦].

* * *

(١) نسبة إلى سجستان، على غير قياس.

(٢) هو أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرابيسي المتوفى سنة ٣٧٨هـ. ويعرف بالحاكم الكبير.

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري المتوفى سنة ٣١١هـ.

(٤) كذا في الأصل وشذرات الذهب. وفي البداية والنهاية والمنتظم وعقد الجمان: «أبو الحسن».

(٥) في الأصل: «رحيم» بالراء المهملة، وهو تحريف. والتصحيح عن الشذرات.

(٦) هذه النسبة في زيادة ماء النيل كافية لريّ الأراضي واستقرار الوضع الاقتصادي. وبالتالي فلا داعي لحصول الغلاء كما أشار أبو المحاسن في الصفحة ٣٧٢ من هذا الجزء في كلامه على ولاية علي بن الإخشيد. وما يؤيد افتراضنا هذا أن المقريزي ذكر في «إغاثة الأمة» أن السعر ارتفع في سنة ٣٥٢هـ بعد رخص في السنة التي قبلها. انظر أيضاً ص ٣٧٣، حاشية (٣).

السنة الثالثة من ولاية عليّ بن الإخشيذ على مصر

وهي سنة آثنتين وخمسين وثلاثمائة:

فيها في يوم عاشوراء ألزم معزّ الدولة الناس بغلق الأسواق ومنع الطبّاخين من الطبْخ. ونصبوا القِبَاب في الأسواق وعلّقوا عليها المُسُوح، وأخرجوا النساء منشورات الشعور يُقِمْن المأتم على الحسين بن عليّ رضي الله عنه. قلت: وهذا أوّل يوم وقع فيه هذه العادة القبيحة الشّيعيّة ببغداد. وكان ذلك في صحيفة معزّ الدولة بن بُوَيْه؛ ثم اقتدى به مَن جاء بعده من بني بُوَيْه، وكلّ منهم رافِضيّ خبيث. نذكر ذلك كلّه فيما يأتي في الحوادث إن شاء الله تعالى.

وفيها أصاب سيفَ الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان فالجٌ في يده ورِجله.

وفيها قال ثابت بن سنان: أرسل بعضُ بطارقة الأرمن إلى ناصر الدولة الحسن بن حَمْدان رجلين ملتصقين عمرهُما خمس وعشرون سنة ومعهما أبوهما؛ والالتصاق كان في الجنب، ولهما بطنان وسرّتان ومعدتان، وتختلف أوقات جوعهما وعطشهما وبولهما، وكلّ واحد منهما مكمَّل الخلْق، وكان أحدهما يميل إلى النساء والآخر إلى المُرْد. وقال القاضي [عليّ بن الحسن التنُوخِيّ][1]: ومات أحدهما وبقِي أيّاماً وأنتن وأخوه حيّ. فجمع ناصر الدولة الأطباء على أن يقدِروا على فصلهما فلم يقدِروا؛ ومات الآخر من رائحة الميّت بعد أيّام.

وفيها قُتِل ملك الروم وصار الدُّمُسْتُق هو الملك وآسمه نَقْفُور[2].

وفيها توفّيت خَوْلة أخت سيف الدولة بن حَمْدان بحلَب؛ وهي التي رثاها المتنبي بقوله: [البسيط]

يا أختَ خير أخٍ يا بنت خير أبٍ ... كِنايةً بهما عن أشرف النّسبِ

---

(١) زيادة عن المنتظم.

(٢) ملك الروم المقتول هو رومانوس بن قسطنطين. وتقفور الدمستق هذا هو نيقيفور، كما في ابن العبري. والدمستق كلمة لاتينية domesticus وهو لقب قائد جيش الروم.

وفيها آنتصرت الرّوم على الإسلام بكائنة[١] حلب وضعف أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحِم الكبار التي طيّر فيها لُبّ العدوّ ومزّقهم. ولله الأمر.

وفيها خرج أيضاً سيف الدولة غازياً، فسار إلى حَرّان[٢] وعطَف على مَلَطْيَة، وقتل من الروم خلائق وملأ يده سَبْياً وغنائمَ، ولله الحمد.

وفيها في شعبان ورد غزاة خُراسان نحو ستمائة رجل إلى المَوْصِل يريدون الجِهاد نجدةً لأهل المَوْصِل.

وفيها عبرت الروم الفُرات لقصد الجزيرة؛ فتهيأ ناصر الدولة بن حَمْدان لقتالهم.

وفيها آجتمع أهل بغداد ووَبّخوا الخليفة المطيع لله بكائنة حلَب، وطلبوا منه أن يخرج بنفسه إلى الغزو ويأخذ بثأر أهل حلَب. وبينما هم في ذلك ورد الخبر بموت طاغية الرّوم وأن الخُلْف وقع بينهم فيمن يُملّكونه عليهم، وأن أهل طَرَسُوس غَزَوْهم وآنتصروا عليهم وعادوا بغنائم لم يُرَ في دهر مثلُها؛ فآنتدب المسلمون لغَزْو الروم من كلّ جانب.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أحمد [بن عبيد بن أحمد][٣] أبو بكر الحِمصيّ الصفار، وأبو الحسين أحمد بن محمود البَيْهَقِيّ، وأبو بكر محمد [بن محمد][٤] بن أحمد بن مالك الإسْكَافِيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وستّ عشرة[٥] إصبعاً.

* * *

(١) الكائنة: الحادثة. وفي الأصل: «بكائنة سيف الدولة في السنة الماضية». وما أثبتناه عن الذهبي.

(٢) حرّان: مدينة في تركيا، مقابل مدينة تلّ أبيض السورية.

(٣) زيادة عن تذكرة الحفاظ.

(٤) زيادة عن السمعاني ومعجم البلدان وشذرات الذهب.

(٥) في إغاثة الأمة للمقريزي: «وأربعة أصابع».

السنة الرابعة من ولاية عليّ بن الإخشيذ على مصر

وهي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة:

فيها عُمل يوم عاشوراء كعام أوّل من المأتم والنّوْح إلى الضُّحَى، فوقعت فتنة عظيمة بين أهل السنّة والرافضة، وجُرِح جماعة ونُهِب الناس.

وفيما نزل ملك الروم الدُّمُسْتُق المِصِّيصَة في جيش ضَخْم، فأقام أسبوعاً ونَقَب السور من أماكن؛ وقاتله أهلها إلى أن رحل عنها بعد أن أهلك الضِّياع. وكان رحيله لشدّة الغلاء؛ فإنّ القَحْط كان بالشام والثغور.

وفيها بعث القرامطة إلى سيف الدولة يستهدونه حديداً[١]؛ فسيّر إليهم شيئاً كثيراً، وحُمِل ذلك إليهم في الفُرات ثم في البَرِّية إلى هَجَر.

وفيها خرج معزّ الدولة بن بُوَيْه إلى المَوْصِل لقتال ناصر الدولة بن حَمْدان، فلحِقه ذَرَبٌ شديد؛ سار ناصر الدولة أمامه إلى مَيّافارِقِين ثم عاد إلى المَوْصِل، وآقتتل مع أعوان معزّ الدولة فاستأمن إليه الدَّيْلم وآستأسر جميع الترك، وأخذ حواصلَ مُعِزّ الدولة وثَقَلَه. فعاد معزّ الدولة يريد المَوْصِل فوقع له مع ناصر الدولة فصول ثم آصطلحوا؛ وعاد معزّ الدولة إلى بغداد خائباً.

وفيها عمِل سيف الدولة بن حَمْدان خَيْمَة عظيمة ارتفاع عمودها خمسون ذراعاً.

وفيها ورد الخبر أنّ الروم يريدون [أَذَنَة و][٢] المِصِّيصة؛ فآستنجد أهل أَذَنة بأهل طَرَسُوس فجاؤوهم بخمسةَ عشرَ ألفاً من فارس وراجِل، فآلتقوا وآشتدّ القتال وآنهزم المشركون، فركِب المسلمون أَقْفِية الروم واتبعوهم؛ فخرج للروم كَمِين نحو

---

(١) وسبب ذلك كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن «القرامطة قصدوا في هذه السنة مدينة طبرية ليأخذوها من الإخشيد (والمراد علي بن الإخشيد) صاحب مصر والشام، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحاً، فقلع لهم أبواب الرقة ــ وكانت من حديد صامت ــ وأخذ لهم من حديد الناس حتى أخذ أواقيّ الباعة والأسواق، وأرسل بذلك كله إليهم».

(٢) زيادة عن الذهبي.

أربعة آلاف مقاتل، فتحيّز المسلمون إلى تلّ هناك فقاتلوهم يومين؛ ثم كثُر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم، وحاصروا أهل المِصِّيصَة ونقَبوا سورها من مواضع، فقاتلهم المسلمون أشدّ قتال إلى أن ترحّلوا عنها مخذولين.

وفيها ملَك المسلمون حصن اليمانيّة وهو على ثلاثة فراسخ من آمِد.

وفيها جاء عسكر من الروم وكادوا أن يملِكوا حصناً من نواحي حلَب، فسار لحربهم عسكر سيف الدولة وقاتلوهم فلم يُفْلت من الروم أحد، وقُتِل منهم خمسمائة نفر، وتجرّح[1] المسلمون وخيولهم. ثم جاء الخبر بنزول الروم أيضاً إلى المِصِّيصَة [وإلى طَرَسُوس][2] مع تقفور ملك الروم، وأنهم في ثلاثمائة ألف وعاثوا وأفسدوا؛ ثم ساروا لعِظَم القَحط كما وقع لهم أوّلاً، فتبِعهم أهل المِصّيصَة وطَرَسُوس فقتلوا وأسروا طائفة كثيرة من الروم.

وفيها توفّي إبراهيم بن محمد بن حمزة بن عُمَارة، الحافظ أبو إسحاق بن حمزة الأصبهانيّ. قال أبو نُعَيْم: كان أوحد زمانه في الحفظ لم يُرَ بعدَ عبد الله بن مظاهر[3] في الحفظ مثلُه، جمعَ الشيوخ والسند؛ وتوفّي في سابع رمضان. وعُمَارة جدّهم، هو ابن[4] حمزة بن يسار بن عبد الرحمن بن حَفْص؛ وحفص هو أخو أبي مُسْلِم الخُراسانيّ صاحب الدولة العباسيّة.

وفيها توفّي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السّكَن، الحافظ أبو عليّ البغداديّ ثم المصريّ البَزّاز؛ وُلد سنة أربع وتسعين ومائتين، وسمع بمصر والشام والجزيرة والعراق وخُراسان وما وراء النهر، وكان كبير الشأن مُكْثِراً مُتْقِناً مصنّفاً بعيدَ الصيت، له تجارة في البرّية، ومات في المحرّم. وقد رَوى عنه صحيح البخاريّ [عبد الله بن

(١) في الأصل: «ويخرج المسلمون وخيولهم». وما أثبتناه عن الذهبي.

(٢) زيادة عن الذهبي.

(٣) في الأصل: «عبد الله بن طاهر» وهو تحريف. وما أثبتناه عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب.

(٤) في تذكرة الحفاظ: «وجدّهم عمارة هو حمزة بن يسار».

محمد][١] بن أسد الجَهْمِيّ وأبو عبد الله محمد بن أحمد[٢] بن محمد بن يحيى بن مُفَرج وأبو جعفر بن عَوْن[٣] الله.

وفيها توفّي بُنْدار[٤] بن الحسين محمد بن المُهَلّب أبو الحسين الشِّيرازيّ؛ كان يسكن بمدينة أَرّجان؛ كان عالماً بالأصول وله لِسان في علوم الحقائق، وكان الشِّبْلِيّ يُعَظِّمه.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة الأصبهانيّ الحافظ في رمضان، وأبو عيسى بكّار بن أحمد [بن بكّار بن بنان][٥] المقرىء، وأبو عليّ سعيد بن عثمان [بن سعيد][٦] بن السكَن الحافظ بمصر، وابن أبي[٧] الفوارس شجاع بن جعفر الورّاق الواعظ في عشر والمائة، وعبد الله بن الحسن بن بُنْدار الأصبهانيّ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن العبّاس الفاكهانيّ، وأبو القاسم عليّ بن يعقوب الهمَذانيّ بن أبي العِقب[٨] في ذي الحجّة عن اثنتين وتسعين سنة، وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خروف بمصر، وأبو عليّ محمد بن هارون بن شعيب الأنصاريّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وأربع أصابع[٩].

* * *

(١) زيادة عن تذكرة الحفاظ.
(٢) كذا في تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب. وفي الأصل: «أبو عبد الله أحمد بن يحيى بن مفرج».
(٣) في الأصل: «أبو جعفر بن عبد الله» وهو تحريف. راجع ص ٣٣٠ حاشية (٣).
(٤) سيأتي فيما نقله المؤلف عن وفيات الذهبي أنه «عبد الله بن الحسن بن بندار الأصبهاني» وورد في المنتظم وعقد الجمان باسم «محمد بن المهلب ويلقب ببندار ويكنى أبا الحسين الشيرازي». وفي شذرات الذهب: «أبو محمد عبد الله بن الحسن بن بندار المدايني الأصبهاني».
(٥) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية. وفيه «ابن بيان» بدلاً من «بنان».
(٦) زيادة عن الشذرات.
(٧) في الأصل: «وأبو الفوارس شجاع» وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان.
(٨) في الأصل: «ابن أبي يعقوب». وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القاموس.
(٩) راجع ما ذكره المقريزي عن مد النيل في هذه السنة في الحاشية رقم (٣) ص ٣٧٣ من هذا الجزء.

السنة الخامسة من ولاية عليّ بن الإخشيد على مصر

وهي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة:

فيها عُمِل في يوم عاشوراء المأتمُ ببغداد كالسنة الماضية، ولم يتحرّك لهم السّنيّة خوفاً من معزّ الدولة بن بُوَيْه.

وفيها وثَب غِلمان سيف الدولة بن حَمْدان على غلامه نجا الكبير وضربوه بالسيوف، وكان أكبر غلمانه [و] مقدّم جيشه وغلمانه (أعني مماليكه).

وفيها توفّيت أخت معزّ الدولة بن بُوَيْه ببغداد، فنزل الخليفة المطيع في طيّارة[1] إلى دار معزّ الدولة يُعزّيه؛ فخرج إليه معزّ الدولة ولم يكلّفه الصعود من الطيّارة وقبّل الأرض مرّات، ورجع الخليفة إلى داره.

وفيها حجّ الركب من بغداد.

وفيها بنَى نَقْفُور ملك الروم قَيْسَارِيّة قريباً من بلاد المسلمين وسكنها. وكان الناس في هذه السنة الماضية[2] في شُغْل بالغلاء والقحط بسائر بلاد حلب وديار بكر.

وفيها توفّي أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، أبو الطيب المتنبّي الجُعْفِيّ الكوفيّ الشاعر المشهور حامل لواء الشعر في عصره؛ وُلد سنة ثلاث وثلاثمائة؛ وأكثر المُقَام بالبادية لاقتباس اللغة، ونظر في فنون الأدب، وتعاطَى قول الشعر من صغره حتّى بلَغ فيه الغاية، وفاق أهلَ زمانه؛ ومدح الملوك وسار شعره في الدنيا، ومدح سيف الدولة بن حَمْدان وكافوراً الإخشيديّ وغيرهما. وقال أبو القاسم التنوخِيّ: وقد كان خرج المتنبّي إلى كَلْبا[3] وأقام فيهم وادّعى أنه

---

(١) نوع من المراكب النهرية السريعة.

(٢) كذا في الأصل. وصوابه: «في هذه السنة كما في السنة الماضية» كما يفهم مما ذكره ابن العبري في تاريخ الزمان، ص ٦٣. وذكر ابن العبري أن نيقيفور هاجم في هذه السنة طرسوس والمصيصة وأحدث فيها مذبحة عظيمة، وذكر تفاصيل هامة. قارن أيضاً بابن الأثير.

(٣) كلب: بطن من قضاعة.

عَلَويّ، ثم ادّعى بعد ذلك النبوّة، إلى أن شُهد عليه بالكذب في الدعـويين وحُبِس[١] دهراً وأشرف على القتل، ثم آستتابوه وأطلقوه. وقال: وحدّثني أبـي إلى أن قال: وكان المتنبّي قرأ على البوادي[٢] كلاماً ذكر أنّه قرآن أُنْزل عليه، نسختُ منه سورة فصاحته، وبقي أوّلها في حِفْظي، وهو: «والنجم السيّار، والفلك الدوّار، والليل والنهار، [إنّ][٣] الكافر لفي أخطار؛ امضِ على سَنَنِك وآقْفُ أثرَ مَن كان قبلك من المسلمين، فإن الله قامع بك زيغ من ألحدَ في الدين، وضلّ عن السبيل». قال: وكان المتنبّي يُنْكر ذلك ويجحَده. وقال له آبن خالَوَيْه[٤] النحويّ يوماً في مجلس سيف الدولة: لولا أن الآخرَ جاهل لما رضِي أن يُدْعَى المتنبّي، لأن المتنبّي معناه كاذب؛ [ومن رضي أن يُدْعَى بالكاذب فهو جاهل][٥]، فقال: إني لم أرضَ أن أُدْعَى به. انتهى. ومن شعر المتنبّي ــ وهو أشهر من أن يذكر ــ قوله: [الطويل]

وما أنا بالباغِي على الحبّ رِشْوَةً ... قبيحٌ هوىً يُرْجَى عليه ثوابُ
إذا نِلْتُ منك الودّ فالمال هيِّنٌ ... وكلّ الذي فوق التراب تراب

ومن [شعره][٦] ــ وهو البيت الذي ذكروا أنه آدّعى النبوّة فيه ــ: [الطويل]

---

(١) قال الشيخ يوسف البديعي في كتابه «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي»: ولما اشتهر أمره وشاع ذكره، وخرج بأرض سلمية من عمل حمص في بني عديّ، قبض عليه ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها «كوتكين» وأمر النجار أن يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف. انتهى. وقد اختلف المؤرخون في دعوى المتنبي النبوة، فمنهم من قال بذلك كصاحب كتاب الصبح المنبي، ومنهم من نفى هذه الدعوى وقال إن المتنبي إنما كان يطمع في الملك، وربما سعى إلى غايته باجتذاب بعض الأعراب الجفاة بإظهار شيء من الحيل المعروفة حتى يجتذبهم إلى نصرته من غير أن يكون هناك ادعاء للنبوة، ودليلهم على ذلك أن أعداء المتنبي، وقد كانوا كثيرين جداً، لم يعيروه مرة واحدة بأنه ادعى النبوّة، مع أن ذلك لو ثبت لكان شرّ ما يوصف به ولاتسع به مجال الهجاء. (المرجع نفسه، ص ٦٨، حاشية ٣).

(٢) في الأصل: «قرأ على البداوي».

(٣) زيادة عن الصبح المنبي، ص ٥٥.

(٤) هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان المتوفى سنة ٣٧٠هـ.

(٥) زيادة عن المنتظم.

(٦) في الأصل: «قصيدته» وهو غير مستقيم.

ومن نَكدِ الدنيا على الحرّ أن يَرَى عدوًّا له ما من صداقته بُدُّ

ومن [شعره][1] قصيدته التي أوّلها: [الكامل]

لك يا منازلُ في القلوب مَنازلُ[2]

ومنها:

جَمح الزمانُ فلا لذيذٌ خالصٌ مما يشوب ولا سرورٌ كاملُ

فإذا أتتك مَذَمَّتِي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لِي بأنِّي فاضل

وهذا البيت الأخير الذي وقع لأبي العلاء المعرّي مع الشريف المرتَضَى[3] المُوسويّ ما وقع بسببه.

ومن شعر المتنبّي قصيدته التي أولها: [البسيط]

أجاب دَمْعِي وما الداعي سوى طَلَلِ [دعا فلبّاه قَبْل الركب والإبلِ][4]

فمنها قوله:

والهَجْرُ أقتل لي مّما[5] أُراقبُهُ أنا الغريقُ فما خَوْفِي من البَلَلِ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) رواية البيت كاملًا:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت، وهن منك أواهل

(٣) في الأصل: «الشريف الرضي» والصواب ما أثبتناه. والشريفان الرضي والمرتضى أخوان. والذي وقع بين المعري والشريف المرتضى أن المعري لما قدم بغداد اتصل به، وكان أبو العلاء متعصباً للمتنبي ويزعم أنه أشعر المحدثين، ويقدّمه على بشار وأبي نواس وأبي تمام. وكان المرتضى يكره المتنبي، فجرى يوماً بمجلسه ذكر المتنبي فتنقَّصه المرتضى، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

«لك يا منازل في القلوب منازل»

لكفاه فضلًا. فغضب المرتضى، وأمر بسحب المعري برجله وإخراجه من مجلسه. وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة، فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها؟ فقالوا: النقيب السيد أعرف. فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل

(٤) التكملة عن ديوان المتنبي.

(٥) في الأصل: «والهجر أفتك بي ممن أراقبه» وما أثبتناه عن ديوانه.

ومنهـا:

لعـلّ عَتْبَـك محمـودٌ عـواقبُـهُ فربّما صَحَّت الأجسام بـالعِلَلِ

ويعجبني قوله من شعره[١]: [الخفيف]

خيـرُ أعضـائِنـا الـرؤوسُ ولَكِنْ فضَـلَتْهـا بقَـصْـدكَ الأقـدام

وما أحسن مطلعَ قصيدته: [الوافر]

إذا غـامـرتَ في شـرف مَرُومِ فـلا تَقْنَع بمـا دونَ النجـومِ

ومنهـا:

فـطعمُ المـوت في أمـرٍ حَقِيرٍ كـطعم المـوت في أمـرٍ عـظيم

ومنهـا:

وكـلُّ شجـاعـة في المرء تُغْني ولا مِثْلَ الشجـاعـة في الحكيم
وكم من عـائب قَـوْلاً صحيحـاً وآفتُـه مـن الفـهـم السـقيـم
ولـكِنْ تـأخـذ الأذهـان منـه على قَـدر القـرائـح والـعُلُوم

مات المتنبّي قتيلاً بالنُّعْمانيّة[٢].

وفيها توفّي محمد بن حِبّان بن أحمد بن حِبّان، الحافظ العلامة أبو حاتم التَّميمي البُسْتِيّ صاحب التصانيف المشهورة؛ كان عالماً بالفقه والحديث والطبّ والنجوم وفنون من العلوم، وألّف «المسند الصحيح» و«التاريخ» و«الضعفاء». قال الحاكم: كان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ.

(١) في الأصل: «من قصيدته».
(٢) النعمانية: بليدة بين واسط وبغداد، في منتصف الطريق على ضفة دجلة. وفي ابن خلكان أنه قتل بالقرب من النعمانية في موضع يقال له «الصافية». وفي معجم البكري: «بضيعة تقرب من دير العاقول يقال لها: بيوزى»، والذي تولى قتله رجل من بني أسد يقال له فاتك بن أبي جهل بن فراس بن بدّاد ـ أو شداد ـ وسبب ذلك أن فاتكاً هذا كان خال ضبّة بن يزيد العتبي الذي هجاه أبو الطيب بقوله:

مـا أنـصـف الـقـوم ضـبّـهْ وأمّـه الـطرطُـبّـهْ

وذكر في قصيدته أخت فاتك هذا بكلام قبيح بذيء، فكان ذلك سبباً لقتله. (انظر الخبر مفصلاً في الصبح المنبي: ١٧١).

وفيها توفّي محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عَبْدويه[١] أبو بكر البَزّاز[٢] الشافعيّ المحدّث. ولد سنة ستين ومائتين وسكن بغداد، وسمِع الكثير وحدّث، روى عنه الدارقطنيّ وجماعة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجُعْفِيّ المتنبّي وله إحدى وخمسون سنة، وأبو حاتم محمد بن حِبّان بن أحمد التَّميميّ البُسْتِيّ في شوّال، وأبو بكر محمد بن الحسن[٣] بن يعقوب بن مُقَسِّم العطّار المقرىء، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعيّ البزّاز في ذي الحجة وله خمس وتسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً[٤].

(١) في الأصل: «ابن عبد ربّه» وهو تحريف. والتصحيح عن عقد الجمان والمنتظم والبداية والنهاية.

(٢) في شذرات الذهب: «البزار» بالراء المهملة.

(٣) في الأصل: «الحسين». وما أثبتناه عن المنتظم وشذرات الذهب والبداية والنهاية وتاريخ بغداد.

(٤) في «إغاثة الأمة» للمقريزي: أربعة عشر ذراعاً وأصابع. وذكر أنه حصل فيها غلاء بسبب ذلك.

فهرس المصادر والمراجع
المستعملة في الحواشي
النجوم الزاهرة ـ الجزء الثالث

١ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية، لمحمد بن أحمد البيروني. (ليبسك ١٩٢٣م).

٢ ـ أعمال الأعلام، للسان الدين ابن الخطيب. تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦.

٣ ـ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شداد. تحقيق يحيى عبّارة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨.

٤ ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦.

٥ ـ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي. دار التعارف، بيروت ١٩٨٦.

٦ ـ إغاثة الأمة بكشف الغمة، للمقريزي. مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت.

٧ ـ الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني. دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٦.

٨ ـ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، لحسن الباشا. مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧.

٩ ـ الأمالي، لأبي علي القالي. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨.

١٠ ـ الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيّان التوحيدي. تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين. القاهرة ١٩٣٩.

١١ ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقماق. دار الآفاق الجديدة. بيروت.

١٢ ـ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط المعتزلي. تحقيق الدكتور نيبرج. دار الكتب المصرية ١٩٢٥.

١٣ ـ الأنساب، للسمعاني. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

١٤ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي. دار الفكر، بيروت ١٩٨٢.

١٥ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس. سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، فيسبادن، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣.

١٦ ـ البداية والنهاية، لابن كثير. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

١٧ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي. القاهرة ١٩٢٦ الطبعة الأولى.

١٨ ـ بلدان الخلافة الشرقية، لسترانج. ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. بغداد، مطبوعات المجمع الغلمي العراقي ١٩٥٤.

١٩ ـــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي. تحقيق كولان وبروفنسال. دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣.
٢٠ ـــ تاج العروس، للزبيدي. مطبعة حكومة الكويت ١٩٦١.
٢١ ـــ تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ). دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
٢٢ ـــ تاريخ الإسلام، للذهبي. مطبعة السعادة، مصر ١٣٦٧ ـــ ١٣٦٩هـ، الأجزاء ١ ـــ ٦.
٢٣ ـــ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، لحسن إبراهيم حسن. مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧.
٢٤ ـــ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي. دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٥ ـــ تاريخ بيروت، لصالح بن يحيى. تحقيق فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي. دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.
٢٦ ـــ تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر). نسخة مصورة عن طبعة بولاق.
٢٧ ـــ تاريخ الخلفاء، للسيوطي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة ١٩٦٩.
٢٨ ـــ تاريخ دمشق، لابن عساكر. تحقيق صلاح الدين المنجد. دمشق ١٩٥١ ـــ ١٩٥٤.
٢٩ ـــ تاريخ الدولة الفاطمية، لحسن إبراهيم حسن. القاهرة ١٩٦٤.
٣٠ ـــ تاريخ الزمان، لابن العبري. نقله إلى العربية الأب إسحاق أرملة. دار المشرق ١٩٨٦.
٣١ ـــ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك). دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٢ ـــ تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر) للملك المؤيد إسماعيل أبي الفداء صاحب حماة، طبع القاهرة ١٩٢٤، ٤ أجزاء.
٣٣ ـــ تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، لأحمد السعيد سليمان. دار المعارف بمصر ١٩٧٩.
٣٤ ـــ تجارب الأمم، لمسكويه. تحقيق آمدروز، القاهرة ١٩١٤.
٣٥ ـــ تذكرة الحفاظ، للذهبي. دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٦ ـــ التعريفات، للجرجاني. دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧ ـــ التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، لمحمد قنديل البقلي. الهيئة المصرية العامة ١٩٨٤.
٣٨ ـــ تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. دار المعرفة، بيروت ١٩٧٥.
٣٩ ـــ تقويم البلدان، لأبي الفداء إسماعيل صاحب حماة. طبع باريس ١٨٤٠.
٤٠ ـــ التنبيه والإشراف، للمسعودي. طبعة مصورة عن الطبعة الأوروبية، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥.
٤١ ـــ تهذيب تاريخ ابن عساكر، للشيخ عبد القادر بدران. دمشق ١٣٥١هـ.
٤٢ ـــ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني. دار صادر، بيروت.

٤٣ ـ ثورة الزنج، لمحمد عمارة. دار الوحدة، بيروت.
٤٤ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري. تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر.
٤٥ ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي. دار الشام للتراث، بيروت.
٤٦ ـ الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد القرشي. حيدرآباد الدكن ١٣٣٢هـ.
٤٧ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي. مطبعة إدارة الوطن، القاهرة ١٢٩٩هـ.
٤٨ ـ الحسبة والمحتسب في الإسلام، للدكتور نقولا زيادة. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٣.
٤٩ ـ حكايات الشطار والعيّارين في التراث العربي، للدكتور محمد رجب النجار. مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٤٥.
٥٠ ـ الحلة السيراء، لابن الأبار. تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.
٥١ ـ حياة الحيوان الكبرى، للدميري. المكتبة الإسلامية، بيروت.
٥٢ ـ الخطط التوفيقية الجديدة، لعلي باشا مبارك. الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦.
٥٣ ـ الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار). دار صادر، بيروت.
٥٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية (النسخة العربية) إعداد وتحرير إبراهيم خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس. إصدار كتاب الشعب، القاهرة.
٥٥ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني. تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٧.
٥٦ ـ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، لابن الشحنة. دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٤.
٥٧ ـ ديوان ابن الرومي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٨ ـ ديوان ابن المعتز. تحقيق ب. لوين، استانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠، (٣ ـ ٤).
٥٩ ـ ديوان ديك الجن الحمصي. تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري. بيروت ١٩٦٤.
٦٠ ـ ديوان المتنبي. تحقيق عبد الوهاب عزام. القاهرة ١٩٤٤، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٦١ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني. تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدي ومحمد إسماعيل. المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧.
٦٢ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق إحسان عباس؛ مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤.
٦٣ ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب، لابن العديم. تحقيق سامي الدهان. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٨.
٦٤ ـ سيرة أحمد بن طولون، للبلوي. تحقيق محمد كرد علي. المكتبة العربية، دمشق ١٣٥٨هـ.
٦٥ ـ سيرة أحمد بن طولون، لابن الداية. (ضمن كتاب المغرب في حلي المغرب لابن سعيد

الأندلسي، قسم مصر. تحقيق زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف. مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥٣.

٦٧ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٨ ــ شرح القاموس = تاج العروس.

٦٩ ــ الشعر والشعراء، لابن قتيبة. تحقيق مفيد قميحة. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١.

٧٠ ــ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي. المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.

٧١ ــ الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، للشيخ يوسف البديعي. تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده. دار المعارف بمصر ١٩٦٣.

٧٢ ــ صفة الصفوة، لابن الجوزي. طبع حيدرآباد الدكن ١٣٥٥هـ.

٧٣ ــ صفة جزيرة الأندلس (منتخب من الروض المعطار) تحقيق ليفي بروفنسال. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧.

٧٤ ــ صلة تاريخ الطبري، لعريب بن سعيد القرطبي. المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٦هـ.

٧٥ ــ طبقات الأطباء (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)، لابن أبي أصيبعة. تحقيق نزار رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥.

٧٦ ــ طبقات سلاطين الإسلام، لاستانلي لين بول. ترجمه إلى الفارسية عباس إقبال، وترجمه عن الفارسية مكي طاهر الكعبي، تحقيق علي البصري. دار منشورات البصري، بغداد ١٩٦٨.

٧٧ ــ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي. المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٤هـ.

٧٨ ــ طبقات الشعراء، لابن المعتز. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار المعارف بمصر ١٩٥٦.

٧٩ ــ طبقات الشعراني (الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار) لعبد الوهاب الشعراني. المكتبة الشعبية، القاهرة ١٩٥٤.

٨٠ ــ طبقات القراء (غاية النهاية في طبقات القراء)، لابن الجزري. تحقيق برجشتراسر، القاهرة ١٩٣٣.

٨١ ــ طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول. تحقيق سترستين. دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥.

٨٢ ــ عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية، لحسن إبراهيم حسن وطه شرف. القاهرة ١٩٤٧.

٨٣ ــ عقد الجمان، لبدر الدين العيني. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٨٤ ــ العقد الفريد، لابن عبد ربه. دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٥ ــ علماء النصرانية في الإسلام، للأب لويس شيخو. تحقيق الأب كميل حشيمة اليسوعي. المكتبة البولسية، لبنان ١٩٨٣.

٨٦ــ غاية النهاية = طبقات القراء.

٨٧ــ الفاطميون في مصر، لحسن إبراهيم حسن. القاهرة ١٩٣٢.

٨٨ــ فتوح البلدان، للبلاذري. تحقيق صلاح الدين المنجد. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٦.

٨٩ــ فتوح مصر وأخبارها، لابن عبد الحكم. طبعة ليدن ١٩٢٠.

٩٠ــ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لابن الطقطقي. دار صادر، بيروت.

٩١ــ الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي. دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠.

٩٢ــ الفهرست، لابن النديم. دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨.

٩٣ــ فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت ١٩٧٣.

٩٤ــ في التراث العربي، لمصطفى جواد. وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٥.

٩٥ــ القاموس المحيط، للفيروزآبادي. البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٢.

٩٦ــ قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، لبدوي طبانة. مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩.

٩٧ــ القرآن الكريم.

٩٨ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة. دار الفكر، بيروت ١٩٨٢.

٩٩ــ الكليات، للكفوي. تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨١.

١٠٠ــ اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري. القاهرة ١٣٥٦ ــ ١٣٦٩هـ.

١٠١ــ لسان العرب، لابن منظور. دار صادر، بيروت.

١٠٢ــ مآثر الإنافة في معالم الخلافة، للقلقشندي. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. عالم الكتب، بيروت.

١٠٣ــ المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ. القاهرة، ١٣٢٤هـ.

١٠٤ــ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن البغدادي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤.

١٠٥ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار المعرفة، بيروت.

١٠٦ــ المشتبه في الرجال وأسمائهم وأنسابهم، للذهبي. تحقيق علي البجاوي. دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٢.

١٠٧ــ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، لياقوت الحموي. تحقيق وستنفيلد، جوتنجن ١٨٤٦.

١٠٨ــ معجم الأدباء، لياقوت الحموي. طبعة دار المأمون، القاهرة ١٩٣٦.

١٠٩ــ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم. دار الفكر العربي، القاهرة.

١١٠ــ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، للمستشرق زامباور. أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود. مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥١.

١١١ ــ معجم البلدان، لياقوت الحموي. دار صادر، بيروت ١٩٨٤.
١١٢ ــ معجم الشعراء، للمرزباني. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. القاهرة ١٩٦٠.
١١٣ ــ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.
١١٤ ــ معجم متن اللغة، للشيخ أحمد رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٨.
١١٥ ــ معجم ما استعجم، للبكري. تحقيق مصطفى السقا. عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣.
١١٦ ــ المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
١١٧ ــ المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي (قسم مصر). تحقيق زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف. جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٣.
١١٨ ــ المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي (قسم الأندلس). تحقيق شوقي ضيف. دار المعارف بمصر ١٩٧٨.
١١٩ ــ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
١٢٠ ــ مقدمة ابن خلدون. دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٧٩.
١٢١ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي. (ج ٥ ــ ١٠) مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدرآباد ١٣٥٩هـ.
١٢٢ ــ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تغري بردي. الهيئة المصرية العامة.
١٢٣ ــ المؤرخ ابن تغري بردي. (مجموعة أبحاث) الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤.
١٢٤ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي.
(أ) طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨ ــ ١٩٧٢م.
(ب) طبعة ليدن للمستشرقين الهولنديين جوينيل وماتسي. ١٨٥٢ ــ ١٨٥٧م (منذ الفتح إلى سنة ٣٦٥هـ).
(ج) طبعة كاليفورنيا للمستشرق وليم بوبر.
١٢٥ ــ نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، للعباس بن علي الموسوي. القاهرة ١٢٩٣هـ.
١٢٦ ــ نساء الخلفاء (المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء)، لابن الساعي. تحقيق مصطفى جواد. دار المعارف بمصر.
١٢٧ ــ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، لعلي سامي النشّار. الجزء الثاني. مطبعة المصري، الإسكندرية ١٩٦٤.
١٢٨ ــ النظم الإسلامية، للشيخ صبحي الصالح. دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨.
١٢٩ ــ نظم دولة سلاطين المماليك، لعبد المنعم ماجد. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧.
١٣٠ ــ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، للمقري. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت.

١٣١ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي. دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٢ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري. دار الكتب المصرية ١٩٥٥.

١٣٣ ـ نور القبس (المختصر من المقتبس للمرزباني). من اختصار الحافظ أبي المحاسن اليغموري. تحقيق رودولف زلهايم. بيروت ١٩٦٤.

١٣٤ ـ الوزراء والكتاب، للجهشياري. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة ١٩٣٨.

١٣٥ ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢.

١٣٦ ـ ولاة مصر، للكندي. تحقيق حسين نصار. دار صادر، بيروت.

١٣٧ ـ ولاة مصر وقضاتها، للكندي. بيروت ١٩٠٨.

١٣٨ ـ يتيمة الدهر، للثعالبي. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.

فهرس الموضوعات
الجزء الثالث

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

